مَلَاحِمُ آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَآثَارُهَا الْفِكْرِيَّةُ

د. ياسر بن عبد الرحمن بن عبد القادر الأحمدي

أستاذ العقيدة والأديان المساعد بجامعة الملك عبد العزيز

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ

ح مجلة البيان ، ١٤٣١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الأحمدي ، ياسر عبدالرحمن عبدالقادر
ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية . /
ياسر عبدالرحمن عبدالقادر الأحمدي ـ الرياض ، ١٤٣١هـ
٥٧٦ ص ، سم ١٧× ٢٤
ردمك ٦-٨-١٤٣-٩٠-٦٠٣-٩٧٨
١- السمعيات ٢-علامات القيامة أ. العنوان
ديوي٢٤٣ ١٤٣١/٦٩٧٣

رقم الإيداع: ١٤٣١/٦٩٧٣
ردمك ٦-٨-١٤٣-٩٠-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تحصَّل بها الباحث على درجة الدكتوراه في تخصص العقيدة والأديان من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى وإجازة الرسالة بدون تعديلات وذلك في صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٣/ ٦/ ١٤٣٠هـ.

وكانت لجنة المناقشة مكونة من:

د. أحمد بن علي عبد العال	مشرفاً.	أستاذ العقيدة المتعاون بجامعة أم القرى.
أ.د سالم بن محمد القرني	عضواً.	رئيس قسم العقيدة بجامعة أم القرى.
د. محمد بن عبد الله البريدي	عضواً.	أستاذ العقيدة بجامعة الملك خالد بأبها.

للتواصل مع المؤلف:
y.ahmde@gmail.com

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً ﷺ عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[2].

أمّا بعد: فإنّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار[3].

وبعد: فإنّ الصراع بين الحق والباطل قديمٌ قدم البشرية نفسها، حيث صرّح الشيطان بعداوته لآدم عليه السلام حسداً لما ناله من الاختيار الإلهي، وتكبّراً على من ظنّ أنّه أقلّ منه عنصراً وشرفاً، فاختار الكفر على الإيمان، والطرد واللعن على القرب من الرحمن، وقد أخذ على نفسه العهد، وأقسم بعزّة الرب، أن يسعى لإغواءبني آدم، وصدّهم عن سبيل الله، إلا عباد الله المُخلصين[4].

ومنذ تلك اللحظة: بدأ الصراع بين الحقّ والباطل، فكان للشيطان ضحايا من بني آدم، استجابوا لإغوائه، فأسرهم بشباكه، ووقعوا فيما وقع فيه، من التكبّر على الحق، والحسد لأهله، والبغي والعدوان عليهم.

وبسبب بغي أولياء الشيطان وعدوانهم على الحق وأهله، اتّخذ الصراع بين الحقّ والباطل صوراً مختلفةً، حتّى كان منها الصراع بالأبدان والسِنان.

وببعثة نبينا محمد ﷺ إلى الناس كافّةً، تمايز أهل الأرض إزاء دعوته إلى فريقين: مؤمنين

(١) سورة النساء: آية (١).

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

(٣) هذه المقدّمة تسمّى خطبة الحاجة، وقد كان النبيّ ﷺ يبتدئ بها خُطبه، ويعلّمها أصحابه، وقد جمع مرويّاتها وألفاظها وصحّحها الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله في كتابه: «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه»: ١٥-٣٩.

(٤) قال الله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ سورة ص: الآيتان (٢٨، ٣٨).

وكافرين، واشتدّ الصراع بينهما، فتارةً يُدال لأهل الإيمان، وتارةً يُدال عليهم.

وقد أخبر النبيّ ﷺ عن استمرار الصراع بين الفريقين إلى أن ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان، فيقضي على ملل الكفر كلّها، مؤذناً بانتهاء سطوة الباطل وجولته، وسيادة راية الإسلام ودولته.

وقد نازع في ذلك الذين أوتوا الكتاب من قبلنا، فادّعى كلٌّ من اليهود والنصارى، أنّهم يمثلون الحقّ في الصراع، وأنّ النصر حليفهم من دون الناس، وأظهر بعضهم من النبوءات المستقبلية، ما يرون أنّه يشهد بصحّة مقالتهم.

وزاد من تمسّكهم بهذه النبوءات، قيام الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م مما جعل بعض طوائف البروتستانت من النصارى يجزمون أنّ قيامها هو عين ما أخبرت به الأنبياء، واستشعر بعضهم أنّ قيامها يعني قرب قيام ملحمة «هَرْمَجَدُّون»[1] التي ينزل في أثنائها المسيح عليه السلام وصار بعض عامّتهم وخاصّتهم، يستحثّون الخطى في جرّ العالم لخوض هذه الملحمة المزعومة، والتي سيُقضى فيها -بزعمهم- على المسلمين وسائر الكفرة الذين لم يؤمنوا بالمسيح ربّاً ومُخلِّصاً، مما استلزم بيان الحقّ في هذه المسألة العقديّة، فكان هذا الموضوع الذي تقدّمت به لقسم العقيدة بكليّة الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى؛ لنيل درجة الدكتوراه في تخصّص العقيدة والأديان وقد أسميته: «**ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية**» سائلاً الله تعالى أن يكتب لي وللمسلمين الإخلاص والصواب في القول والعمل.

❖ أولاً: موضوع البحث:

يُعنى هذا البحث بدراسة نبوءات ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب، والآثار الفكرية الناتجة عن الإيمان بهذه النبوءات.

---

(١) هكذا وردت بفتح الجيم في طبعة دار الكتاب المقدس -وهي الأكثر تداولاً-، انظر: سفر الرؤيا: ١٦/ ١٦، ووردت في طبعة كتاب الحياة: «هَرْمَجِدُّون» بكسر الجيم.

ويمكن تحديد الموضوعات التي يتناولها في النقاط الآتية:

١- الأصول المعتمدة في دراسة الملاحم عند أهل السنة والجماعة.

٢- المخالفات في دراسة الملاحم عند بعض المسلمين.

٣- الأصول المعتمدة في دراسة الملاحم عند أهل الكتاب.

٤- ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وآثارها الفكرية.

٥- ملاحم آخر الزمان عند اليهود وآثارها الفكرية.

٦- ملاحم آخر الزمان عند النصارى وآثارها الفكرية.

بالإضافة إلى الدراسة النقديّة التي تخلّلت مواد البحث، وكان من آخرها: الكشف عمّا يقوم به بعض أهل الكتاب من توظيفهم نصوص الملاحم وآثارها توظيفاً نفعياً.

❖ **ثانياً: أهميّة موضوع البحث وأسباب اختياره:**

يمكن استظهار شيءٍ من أهميّة الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

١- إنّ موضوع الملاحم من الموضوعات التي كثر الحديث عنها في الآونة الأخيرة، بسبب اشتداد الصراع بين المسلمين وأهل الكتاب، وزاد من سخونة الموضوع تصريحات بعض رؤساء أمريكا بقرب الملاحم، وتصنيفهم للدول -وخصوصاً الإسلاميّة منها- على ضوء النبوءات التي أشارت إلى أحوالهم أثناء وقوع ملاحم آخر الزمان، مما أكسب الموضوع جِدّةً ومعاصرةً.

٢- ظهر في المسلمين من يصحُّ تسميتهم بـ «العابثين بنصوص الفتن والملاحم»[1]، وهؤلاء قد أكثروا الحديث حول ربط الملاحم بالزمن المعاصر، زعماً منهم بأنّ هذا الزمن هو الزمن الذي أخبر النبيّ ﷺ بوقوع الملاحم فيه، وقد استعانوا على عبثهم بكلّ حديث ضعيفٍ وموضوعٍ، وكلّ خبرٍ إسرائيليّ، وبعسف دلالة النصوص الصحيحة وليّ أعناقها، وبلغ الأمر ببعضهم أن يأتي بأدلّةٍ ما سبقه إليها أحد من العالمين، وقد انتشرت كتبهم كانتشار النار في الهشيم، فلم يكن هناك بدٌّ من

(١) انظر: فقه أشراط الساعة، محمّد المقدّم: ٥، ٦.

التصدّي لهذا العبث، والحكم عليه بالحكم الشرعيّ العادل الذي يُثبت الحقّ، ويُبطل الباطل.

٣- تأثّر بعض عامة المسلمين تأثراً سلبيّاً بكتابات هؤلاء العابثين بنصوص الفتن والملاحم، حتّى إنّ بعضهم -ممن أَعرفُ- أخرج أبناءه من المدارس، لاعتقاده بقرب قيام الساعة، مما استلزم بيان منهج أهل السنة والجماعة[1] في التعامل مع هذه النصوص.

٤- على الرغم من معاصرة موضوع «ملاحم آخر الزمان وآثارها الفكرية» وأهميّته، فإنّه لا توجد رسالة متخصّصة تجمع شمله، وتلمّ متفرّقه، فكان هذا من دواعي اختياري للبحث في هذا الموضوع.

٥- إنّ البحث في ملاحم آخر الزمان يُصنّف ضمن دراسات علم المستقبل وهو مجالٌ خصبٌ، يحتاج إلى دراسات تلتزم منهج أهل السنة والجماعة، وتضع بين يدي العالم والمفكّر وصانع القرار، رؤيةً إسلاميةً صحيحةً يتعرّف من خلالها على ملامح المستقبل بكافّة أبعاده السياسيّة والأمنيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة وغيرها.

❖ **ثالثاً: الدراسات السابقة:**

تبيّن من خلال البحث في قاعدة الرسائل الجامعية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وكشّاف الرسائل الجامعية بكليّة أصول الدين بجامعة الأزهر وغيرهما أنّه لم يسبق وأن سُجّلت رسالة علمية في موضوع «ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية»، وهذا يعني أنّ المقصود بالدراسات السابقة -هنا-: الكتب والرسائل التي تناولت

---

(١) أهل السنة والجماعة: هم الذين اجتمعوا على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ومجانبة البدع في الدين، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم على نهجهم إلى يوم الدين، ولهم إطلاقان: عامٌّ في مقابل الشيعة، فيدخل فيه معهم الأشاعرة وغيرهم، وخاصٌّ في مقابل المبتدعة وأهل الأهواء، فلا يشاركهم فيه غيرهم. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٣٥٨، ٤/ ١٥٥، وبحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة، العقل: ١٦-٢٠، ومعالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، الجيزاني: ١٧، ١٨، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة: ١/ ٢٨-٣١.

أشراط الساعة على وجه العموم، أو بعضاً منها، وهذه الدراسات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: المراجع القديمة:

وهي نوعان:

الأول: كتب عُنيت بجمع سنن النبيّ ﷺ وأقواله وأفعاله وتقريراته في كافّة مسائل الدين، ومن جملتها: الفتن والملاحم وأشراط الساعة، ومن أمثلتها: كتب الصحاح والسنن.

الثاني: كتب اختصّت بذكر الفتن والملاحم وأشراط الساعة، أو بعضها.

وبعض هذه الكتب اكتفت بذكر الأحاديث والآثار الواردة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة دون تعليق، ومن أمثلتها: كتاب الفتن لنعيم بن حمّاد المروزي (ت: ٢٢٨هـ) رحمه الله، وكتاب السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها لأبي عمرو عثمان الداني (ت: ٤٤٤هـ) رحمه الله .

وبعضها: جمع إلى ذكر الأحاديث شيئاً من التعليق عليها، ومن أمثلتها: كتاب النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) رحمه الله ، وكتاب القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة، للسخاوي (ت: ٩٠٢هـ) رحمه الله .

ثانياً: الرسائل العلمية المعاصرة ومنها:

١- الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى «تخريج ودراسة»، للباحث: وائل إبراهيم محمّد العسود.

وهي رسالة علميّة حديثيّة، تقدّم بها الباحث لجامعة آل البيت بالأردن ولم يذكر فيها إن كانت رسالة ماجستير أم دكتوراه، وقد جمع فيها ما استطاع من الأحاديث

الواردة في «الملحمة الكبرى»، وقام بدراسة بعضها دراسةً حديثيّة، مع بعض التعليقات المختصرة على روايات الملحمة، وقد طبعتها دار الفرقان في الأردن عام ١٤٢٨هـ، وقد استفدت منها في الحكم على بعض الأحاديث.

٢- **أشراط الساعة، للدكتور: يوسف بن عبدالله الوابل.**

وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، جمع فيها أشراط الساعة الكبرى والصغرى، وقد استدل عليها ببعض الأدلّة الثابتة من الكتاب والسنّة، وقد طبعتها دار ابن الجوزي في عام ١٤٠٩هـ.

٣- **أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين جمعاً وتخريجاً، للدكتور: خالد بن ناصر الغامدي.**

وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وقد جمع فيها أحاديث أشراط الساعة الواردة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين، واعتنى بتخريجها والحكم عليها، مع تعليق موجز على مسائلها العقدية، وقد طبعتها دار ابن حزم في عام ١٤٢٠هـ.

٤- **المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، للدكتور: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي.**

وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث إلى جامعة الملك عبدالعزيز سابقاً -أم القرى حاليّاً- في تخصص الكتاب والسنة، جمع فيها الأحاديث والآثار الواردة في المهديّ، وقسّمها بعد دراسة أسانيدها إلى صحيحة وضعيفة وموضوعة، وقد طبعتها المكتبة المكيّة ودار ابن حزم في عام ١٤٢٠هـ.

٥- موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور: حسين بن محسن الحازمي.

وهي رسالة ماجستير تقدّم بها الباحث إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، وقد تحدث فيها عن تعريف الفتن وأنواعها وأماكنها، وما يجب على المسلم تجاهها، وقد طبعتها دار أضواء السلف في عام ١٤٢٠هـ.

٦- الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة، للدكتورة: عفاف عبدالغفور حميد.

وهي رسالة دكتوراه تقدّمت بها الباحثة إلى الجامعة الوطنية الماليزية في تخصص القرآن والسنة، ناقشت فيها الفتن والمحن وعلاقتها بالسنن الإلهية الكونية، وأنواع الفتن والمحن في تاريخ المسلمين، والفتن والمحن في آخر الزمان، وقد طبعتها دار عمّار في عام ١٤٢٢هـ.

٧- المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى عرض ونقد، للدكتور: علي بن صالح بن محمد المقوشي.

وهي رسالة دكتوراه تقدّم بها الباحث إلى قسم العقيدة بجامعة أمّ القرى في عام ١٤٢٢هـ، تحدّث فيها عن المسيح المنتظر عند المسلمين واليهود والنصارى والديانات الوضعية، جمع فيها بين العرض والنقد، والرسالة لم تُطبع بعد.

ثالثاً: الكتب والمراجع المعاصرة:

الكتب والمراجع المعاصرة التي اختصّت بالحديث عن أشراط الساعة -على وجه العموم- كثيرة، وهي في الغالب تجمع الآيات والأحاديث الواردة في أشراط الساعة، وتضيف إليها بعض الشروح والتعليقات، وفيما يأتي ذكر بعض هذه الكتب:

١- الإشاعة لأشراط الساعة، للشيخ محمد بن عبد رب الرسول البرزنجي (ت: ١١٠٣هـ) رحمه الله.

٢- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للشيخ: حمود بن عبدالله التويجري (ت: ١٤١٣هـ) رحمه الله.

٣- موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة للدكتور همام عبدالرحيم سعيد وابنه الدكتور محمد.

٤- الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، للباحث مصطفى العدوي.

٥- صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، للباحث مصطفى أبو النصر الشلبي.

٦- فقد جاء أشراطها، للباحث محمود عطيّة محمد علي، تقديم: حسين العوايشة.

❖ رابعاً: الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد واجهتُ أثناء إعدادي هذه الرسالة عدداً من الصعوبات، بيد أنّ كثيراً منها صعوبات تستلزمها طبيعة البحث، فذكرها قد لا يضيف جديداً، غير أنّ هناك صعوبة تطلّب تجاوزها بذل الكثير من الجهد والمال، وهي: الحصول على مصادر عربية أصيلة في موضوع البحث، وفيما يأتي بيان موجز لبعض جوانب هذه الصعوبة:

١- عدم توافر مصادر أهل الكتاب في المكتبات المحليّة:

لقد استشعرتُ أنّ جزءً من إنجاز البحث بالصورة المثلى، يعود -بعد توفيق الله- لاعتمادي المباشر على مصادر رئيسة للدّيانتين: اليهوديّة والنصرانية، ولكون كتب الطائفتين غير متداولة في المكتبات المحليّة، فقد تطلّب الأمر السفر إلى جمهورية مصر العربية في ١٠/ ١/ ١٤٢٨هـ للبحث عن هذه المصادر.

فأمّا المصادر النصرانية فقد حصلتُ على عددٍ لا بأس به منها.

وأمّا المصادر اليهوديّة، فلم أظفر في سفري الأول بشيءٍ ذي بال، مما استدعى أن أقوم بالسفر مرّةً أخرى إلى مصر في ١٣/ ٤/ ١٤٢٩هـ وذلك بعد أن تمّ التواصل مع عددٍ من الباحثين والإفادة منهم عن آليّة الوصول إلى المراجع اليهوديّة، وفي سفري الثاني تيسّر -بعون الله وتوفيقه- الظفر بكتاب «الأمانات والاعتقادات» لعالمٍ يهوديٍّ يُعظّمه اليهود، وهو «سعديا الفيومي»، بالإضافة إلى بعض المراجع اليهوديّة الأخرى والأبحاث والرسائل العلمية العربية التي كتبها أساتذة في أقسام **اللغة العبرية** بالجامعات المصريّة، وهم -في الأغلب- يستقون مواد أبحاثهم من مراجع يهوديّة عبريّة أصيلة[1].

٢- قلّة توافر مراجع الآثار الفكرية للملاحم في المكتبات المحليّة:

اتّضح من خلال البحث عن مراجع الآثار الفكرية للملاحم، أنّ المكتبات المحليّة تعاني من قلّة توافر هذه المراجع بها، وكانت هذه الصعوبة إحدى دوافع السفر إلى مصر لحضور معرض

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ هناك بعض الكتب اليهوديّة في طور الترجمة، مثل: كتاب التلمود، حيث أخبرني الأستاذ جواد الحمد مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بعمّان أنّهم يعملون على ترجمته إلى اللغة العربية، وقامت مكتبة النافذة بمصر ببيع بعض أجزائه بعد أن ترجمتها إلى اللغة العربية، وهي في طور إكماله، كما أخبرني صاحب المكتبة الحاج عبدالمنعم، وأخبرني الأستاذ الدكتور عبدالرازق قنديل أستاذ اللغة العبرية بجامعة الأزهر عزمه على ترجمة كتاب تفسير التوراة للفيومي، وهذه الكتب لو تيسّر ترجمتها ونشرها فستكون مراجع أصيلة في الديانة اليهوديّة.

القاهرة الدولي للكتاب وقد تيسّر -بفضل الله وتوفيقه- الحصول على مراجع وفيرة، تمّت الإفادة منها في كتابة الفصول المتعلّقة بالآثار الفكرية للملاحم.

٣- الحاجة إلى ترجمة بعض النصوص العبرية إلى اللغة العربية:

بعد أن وقفت -بفضل الله- على نسخة وحيدة من كتاب «الأمانات والاعتقادات» متوافرة بمكتبة «دار الكتب المصريّة» بالقاهرة، وتمّت استعارتها لتصويرها، تبيّن أنّ بعض نصوص الكتاب كتبت باللغة العبرية، مما تطلّب البحث عن من يتولّى ترجمة النصوص العبرية، وقد تيسّر ذلك بفضل الله وتوفيقه.

وأخيراً: فإنّي أحمد الله تعالى وأشكره على أن وفقني لتجاوز الصعوبات التي واجهتني للحصول على مصادر أصيلة للديانتين اليهودية والنصرانية، وأسأل الله تعالى أن أكون قد استفدت منها على الوجه الأمثل، إنّه سميعٌ مجيب.

❖ **خامساً: مراحل إعداد البحث:**

كان إعداد البحث على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: جمع المادّة العلميّة من مصادر البحث المختلفة.

المرحلة الثانية: القيام ببعض الزيارات واللقاءات التي من شأنها إثراء البحث، مثل:

١- زيارة معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ١٤٢٨هـ.

٢- زيارة الكثير من المكتبات المهتمّة بكتب النصارى.

٣- زيارة مركز الدراسات الشرقية التابع لجامعة القاهرة.

٤- زيارة قسم اللغة العبرية بجامعة الأزهر بالقاهرة.

٥- زيارة قسم اللغة العبرية بجامعة عين شمس بالقاهرة.

٦- زيارة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب المسيري رحمه الله مؤلف «موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية» في منزله بالقاهرة.

٧- زيارة الدكتور باسم خفاجي مدير المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب، في مكتبه بالقاهرة.

بالإضافة إلى العديد من الزيارات واللقاءات والاتصالات التي يسّرت الاستفادة من نخبة من المختصّين في الأديان والفكر الغربي سواء في داخل المملكة أو خارجها.

المرحلة الثالثة: كتابة البحث في صورته النهائية.

❖ **سادساً: منهج البحث:**

استلزم موضوع البحث سلوك العديد من المناهج، منها:

١- **المنهج الاستقرائي**: القائم على جمع نصوص الملاحم عند المسلمين وأهل الكتاب من مصادرها المعتمدة.

٢- **المنهج التاريخي**: من خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية التي تتبّعت بعض المواقف التاريخية ذات الصلة بالبحث.

٣- **المنهج الوصفي**: حيث تمّ التطرّق إلى وصف معتقدات المسلمين وأهل الكتاب حول ملاحم آخر الزمان.

٤- **المنهج التحليلي**: القائم على تحليل العبارات والمواقف والأحداث والكشف عن دلالاتها وآثارها.

٥- **المنهج النقدي**: من خلال نقد المصادر والعقائد والمناهج التي تتعارض مع منهج البحث العلمي في دراسة العقيدة والأديان.

٦- **المنهج المقارن:** حيث تمت المقارنة بين بعض ما يعتقده المسلمون وبعض أهل الكتاب حول ملاحم آخر الزمان.

❖ **سابعاً: أسلوب البحث:**

وفيه عدّة نقاط:

١- حرصت في صياغة الرسالة على تيسير عبارتها، وتحرير مسائلها، بما يقرّبها من القارئ من غير أن يؤثّر على مستواها العلميّ المنشود.

٢- حاولت أن أحرّر بعض المسائل التي اختلف فيها العلماء، واجتهدتُ قدر الاستطاعة أن أبيّن الصواب بدليله كما ظهر لي.

٣- عزوت آيات القرآن الكريم إلى سورها وأرقامها، وذكرت ذلك في حواشي الرسالة.

٤- عند ورود حديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي بالإشارة إلى ذلك لاتفاق الأمة على تقديم الصحيحين وقبول أحاديثهما. وعند نقل الحديث من كتب السنن، أو غيرها، فإنيّ أجتهد في نقل حكم بعض العلماء المتقدّمين والمتأخّرين عليه.

٥- **التزمت عند نقل نصوص ما يسمّى «الكتاب المقدّس» أن أنقلها بتشكيلها كما جاءت في طبعة دار الكتاب المقدّس، دون تدخلٍ منّي، فأيّما خطأ ظهر في التشكيل ونحوه فمردّه إلى هذه الطبعة.**

٦- حرصت على ذكر عقائد أهل الكتاب حول الملاحم من مصادرهم الأصيلة **مع ذكر الأدلة التي ذكروها**، على ما فيها من تناقضاتٍ وغموضٍ وعدم دلالةٍ على مطلوبهم، وربما أتبعتها في أحيانٍ قليلةٍ بذكر بعض الأدلّة التي توضح اعتقادهم.

٧- اجتهدت قدر الإمكان في شرح العبارات الغامضة، وما كان منها من نصوص

أهل الكتاب، فقد حرصت على أن يكون شرحها -في الغالب- مُستخرجاً من مصادرهم.

٨- اجتهدت في التعريف بالأعلام من الصحابة ﷺ وغيرهم، عدا بعض المعاصرين وأهل الكتاب الذين لم تتوافر لدي مصادر لتراجمهم، واجتهدت أن يكون التعريف مختصراً؛ حتى لا أخرج عن مقصود الرسالة، إلا أن يكون في الإضافة -اليسيرة- تحقيقاً لشيءٍ من أغراض البحث.

٩- اكتفيت بذكر معلومات الكتب التي استفدت منها في قائمة المراجع؛ وذلك لتوحّد طبعاتها، وأحبّ التنبيه إلى أنّي اعتمدت في تخريج الأحاديث التي رواها الإمام أحمد رحمه الله على طبعة الأرناؤوط كما هو مثبت في قائمة المراجع وفي حال ذكرت حكم الشيخ أحمد شاكر فستكون الإحالة إلى الطبعة التي حققها وقد أثبت معلوماتها في قائمة المراجع.

❖ **ثامناً: خطّة البحث:**

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وقائمة بالمراجع وأخرى بالمحتويات.

المقدمة:

وفيها الإشارة إلى موضوع البحث، وأهميّته وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهت الباحث، ومراحل إعداد البحث، ومنهجه وأسلوبه وخطته.

التمهيد:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بعنوان البحث.

المسألة الثانية: الاعتقاد بملاحم آخر الزمان من مسائل الإيمان بالغيب.

المسألة الثالثة: موقف الإسلام واليهودية والنصرانية من مبدأ القتال.

الباب الأول: الأصول المنهجية في دراسة الفتن والملاحم.

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأصول المعتمدة في دراسة الفتن والملاحم عند أهل السنة والجماعة.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادر أخبار الفتن والملاحم عند أهل السنة.

المبحث الثاني: منهج أهل السنة في التعامل مع أخبار الفتن والملاحم.

المبحث الثالث: موقف أهل السنة من أخبار الملاحم عند أهل الكتاب.

الفصل الثاني: المخالفات في دراسة الملاحم عند بعض المسلمين.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المخالفات في الإثبات.

المبحث الثاني: المخالفات في الاستدلال.

المبحث الثالث: المخالفات في تنزيل أخبار الفتن والملاحم على الواقع.

الفصل الثالث: الأصول المعتمدة في دراسة الملاحم عند أهل الكتاب.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادر أخبار الملاحم عند أهل الكتاب.

المبحث الثاني: مناهج أهل الكتاب العلمية في التعامل مع أخبار الملاحم.

المبحث الثالث: مناهج أهل الكتاب العملية في التعامل مع أخبار الملاحم.

الباب الثاني: ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وآثارها الفكرية.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الملحمة الكبرى.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أحوال المسلمين قُبيل الملحمة الكبرى.

المبحث الثاني: علاقة المسلمين بالنصارى قُبيل الملحمة.

المبحث الثالث: الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية.

الفصل الثاني: الملحمة مع المسيح الدجال وأتباعه.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ظهور المسيح الدجال في آخر الزمان.

المبحث الثاني: القضاء على المسيح الدجال وأتباعه.

المبحث الثالث: أحوال العالم بعد القضاء على المسيح الدجال إلى وفاة عيسى عليه السلام.

الفصل الثالث: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند المسلمين.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آثار الملاحم في نظرة المسلمين للمستقبل.

المبحث الثاني: آثار الملاحم في موقف المسلمين الفكري من أهل الكتاب.

المبحث الثالث: آثار الملاحم في تعزيز بعض المفاهيم الإسلامية.

الباب الثالث: ملاحم آخر الزمان عند أهل الكتاب وآثارها الفكرية.

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ملاحم آخر الزمان عند اليهود.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ملحمة يوم غضب الرب.

المبحث الثاني: ملحمة جوج وماجوج.

المبحث الثالث: الملك الألفي عند اليهود.

الفصل الثاني: ملاحم آخر الزمان عند النصارى.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مقدمات ملحمة هرمجدون.

المبحث الثاني: أحداث ملحمة هرمجدون.

المبحث الثالث: الملك الألفي وملحمة جوج وماجوج.

الفصل الثالث: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند أهل الكتاب.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند اليهود.

المبحث الثاني: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند النصارى.

المبحث الثالث: توظيف بعض أهل الكتاب نصوصَ الملاحم وآثارها توظيفاً نفعياً.

- **الخاتمة.**
- **قائمة المراجع .**
- **فهرس الموضوعات.**

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد كثيراً كما تُنعم كثيراً، ولك الشكر جزيلاً بكرةً وأصيلاً.

أحمد الله جلّ وعلا وأشكره، فهو صاحب الفضل والإحسان، والنعم التي ليس لي بشكرها يدان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾(١)، وإنّ من نعم الله تعالى عليّ: توفيقه لي في اختيار موضوع الرسالة، وله ﷻ قبل ذلك وفي أثنائه وبعده نعمٌ لا أُحصيها، فاللهم لك الحمد عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك ومداد كلماتك، سبحانك ربي لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد ولك الشكر، ولك الثناء الحسن، لا إله إلا أنت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

ثمّ أشكر مهجة فؤادي والديَّ الكريمين، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾(٢)، فكم أحاطاني بعنايتهما ورعايتهما صغيراً، وكم وجّهاني ونصحا لي كبيراً، وما انفكّا يدعوان لي ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، ما كنت ألمس معه التوفيق في أمري، فلا والله لا أملك مكافأتهما، أو ردّ جميلهما، ولكنّني أدعو لهما فأقول كما علّمنا ربنا جلّ في علاه: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾(٣)، واجزل مثوبتهما، وأحيهما سعداء، وارزقهما الفردوس الأعلى من الجنّة في دار البقاء، وأعنّي على صحبتهما معروفاً كما أمرتني، واغفر لي تقصيري في حقّهما، وانشغالي عن شأنهما.

---

(١) سورة النحل: آية (٥٣).

(٢) سورة لقمان: آية (١٤).

(٣) سورة الإسراء: آية (٢٤).

وهذا أوان تقديم الشكر الجزيل لأستاذي الكريم المشرف على هذه الرسالة، فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد بن علي عبدالعال الذي كان لتوجيهاته المباركة أطيب الأثر في توجيه سير البحث، مع تواضعه وحسن تعامله، وجُودِه عليّ بوقته الثمين، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، وأخلف عليه بخير في نفسه وأهله وماله وولده.

وأشكر أيضاً زوجتي الكريمة سليلة الكرام، التي صبرت وصابرت، ووقفت إلى جواري أثناء إعداد هذه الرسالة، وهيّأت لي الجو المناسب للبحث والمطالعة، وأبنائي الأعزاء على صبرهم وتحمّلهم وتضحيتهم، فجزاهم الله خيراً.

كما أتقدّم بخالص الشكر لجميع الأساتذة الكرام الذين تكرّموا بمدّ يد العون لي أثناء إعدادي للرسالة، ولكل من تفضّل بالدعاء لي بخير، فجزاهم الله خير الجزاء.

وبعد: فلا أزعم أنّي أتيت بما لم تأت به الأوائل، ولا أدّعي الكمال، بل أقول: هذه رسالة من يعترف بقلّة علمه، وأنّه لازال في بداية طريق العلم، وهو بأمسِّ الحاجة إلى النصح والتوجيه والتسديد، وحسبي أنّي اجتهدت في جمع المادّة والتأليف بينها ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [1]، فما كان في رسالتي من صواب فالله وحده المحمود عليه، وله المنّ والفضل، والثناء الحسن، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله ﷺ منه بَرَاء.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واستنّ بسنّته إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

(١) سورة هود: آية (٨٨).

التمهيد

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بعنوان البحث.

المسألة الثانية: الاعتقاد بملاحم آخر الزمان من مسائل الإيمان بالغيب.

المسألة الثالثة: موقف الإسلام واليهودية والنصرانية من مبدأ القتال.

المسألة الأولى: التعريف بعنوان البحث

عنوان البحث هو: «ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية»، وبيان مفردات هذا العنوان في خمسة أمور:

- أولاً: التعريف بالملاحم وعلاقتها بالفتن وأشراط الساعة:

١- الملاحـــــم:

الملاحم جمع، ومفردها مَلْحَمة، مأخوذة من اللحم، وهو معروف.

وتُطلق الملحمة في اللغة: على المقتلة[١]، والمعركة، والحرب ذات القتل الشديد والوقعة العظيمة القتل في الفتنة، وموضع القتال[٢].

قال ابن فارس[٣]: «اللام والحاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلّ على تداخل؛ كاللحم الذي هو متداخل بعضه في بعض.

وسميت الحرب ملحمةً لمعنيين:

---

(١) ومنه قول اليهودي حيي بن أخطب لقومه قُبيل أن تُضرب عنقه يوم بني قريظة: «أيها الناس: إنّه لا بأس بأمر الله، كتاب الله وقدره، وملحمةٌ قد كتبت على بني إسرائيل» تاريخ الطبري، ابن جرير: ٢/ ٥٨٩، وانظر: دلائل النبوة، البيهقي: ٤/ ٢٣، والكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٢/ ١٨٦.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري: ٤/ ٣٢٤٧، والمفردات في غريب القرآن، الأصفهاني: ٤٤٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠، ولسان العرب، ابن منظور: ٨/ ٥٣، والكليات، الكفوي: ٨٢٨.

(٣) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، من أئمة اللغة والأدب، من كتبه: مقاييس اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض: ٣/ ١٦٠، والتدوين في أخبار قزوين، القزويني: ٢/ ٢١٥-٢١٨، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزأبادي: ٦١.

أحدهما: تلاحم الناس؛ تداخلهم بعضهم في بعض.

والآخر: أن القتلى كاللحم الملقى»[1].

وأما في الشرع فهي: الحروب التي تكون بين المسلمين والكفّار[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3] رحمه الله: «فالملاحم: الحروب التي بين المسلمين والكفار، والفتن ما يكون بين المسلمين»[4].

وجاء في حديث أبي موسى الأشعري[5] ﷺ قال: سمّى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماءً منها ما حفظنا، فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمُقَفِّي[6]، والحاشر[7]، ونبي الرحمة **ونبي الملحمة**»[8]، وذكره

(١) معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٢٣٨ «باختصار»، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢/ ٢١٨، ١٣/ ٢٥٥، وكتاب النبوات، له أيضاً: ١/ ٥٧٠، ٥٧١.

(٣) هو أبو العبّاس شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، ولد في حرّان، ونبغ في دمشق، وأفتى بها وبمصر، وسُجن غير مرّة، عُرض عليه قضاء الحنابلة، ومشيخة الشيوخ، فلم يقبل من ذلك شيئاً، توفي سنة ٧٢٨هـ. انظر: المعجم المختص بالمحدثين، الذهبي: ٢٥-٢٧، والمقصد الأرشد، ابن مفلح: ١/ ١٣٢-١٣٩، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر: ١/ ١٥٤-١٧٠.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٢٥٥.

(٥) هو عبدالله بن قيس الأشعري من قحطان، ولد في زبيد باليمن، واستعمله النبي ﷺ عليها، وهو من مهاجرة الحبشة، ومن أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي سنة ٤٤هـ.
انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٦/ ٩٤، ٩٥، والاستيعاب، ابن عبدالبر: ٣/ ١٠٣، ١٠٤، ٤/ ٣٢٧، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر: ٤/ ١٨١-١٨٣.

(٦) المُقَفِّي هو المُولّي الذاهب، والمعنى أنّه آخر الأنبياء، المتّبعُ لهم، فإذا قفّى فلا نبيّ بعده.
انظر: مشارق الأنوار، القاضي عياض: ٢/ ٢٣٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٩٤، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ١٥٤.

(٧) الحاشر: أي الذي يُحشرُ الناس خلفه، وقيل أي الذي ليس بينه وبين القيامة والحشر نبيٌّ آخر. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٢٦٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٨٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ١٥٣، ١٥٤.

(٨) رواه أحمد في مسنده: ح١٩٦٢١، والبخاري في التاريخ الأوسط: ح٢١، وابن حبان في صحيحه: ح٦٣١٤، والطبراني في المعجم الأوسط: ح٢٧١٦، وقال القاضي عياض: «وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى ما بُعث به من القتال والسيف ﷺ، **وهي صحيحة**» الشفا: ١/ ٤٥٢، وقال ابن عبدالبر: «ونبي الملحمة، ويروى الملاحم، جاء هذا كله في آثارٍ شتّى من وجوهٍ **صحاحٍ وطرقٍ حسانٍ**» الاستيعاب: ١/ ١٥٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح١٤٧٣.

حذيفة بن اليمان[1] رضي الله عنهما بلفظ «نبي الملاحم»، حيث قال: بينما أنا أمشي في طريق المدينة، إذا رسول الله ﷺ يمشي، فسمعته يقول: «أنا محمد، وأنا أحمد، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، والحاشر، والمُقفِّي، ونبي الملاحم»[2].

والمعنى أنّه ﷺ بُعث بجهاد الكفّار، وإقامة الملاحم لمن حارب الإسلام وأهله أو صدّ عن سبيل الله، قال الإمام ابن القيم[3] رحمه الله: «وأما نبي الملحمة فهو الذي بُعث بجهاد أعداء الله، فلم يجاهد نبيٌّ وأمته قطُّ، ما جاهد رسول الله وأمته»[4].

وباستثناء وصف النبي ﷺ لنفسه بأنّه نبي الملحمة أو الملاحم، **فإنّه ﷺ لم يُطلق على حربٍ معينةٍ وصف الملحمة إلا على الحرب العظيمة القتل، التي تقع في آخر الزمان، بين المسلمين والروم «النصارى»**، ومن ذلك ما جاء في حديث ذي مِخبر[5] رضي الله عنه أنّه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون

---

(١) هو أبو عبدالله حذيفة بن اليمان، واليمان لقب لوالده حسيل، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، صاحب سرّ رسول الله ﷺ، من الولاة الشجعان الفاتحين، له في كتب الحديث (٢٢٥) حديثاً، توفي سنة ٣٦هـ. انظر: الطبقات الكبرى: ٦/ ٩٤، والاستيعاب: ١/ ٣٩٣-٣٩٤، وأسد الغابة، ابن الأثير: ١/ ٢٢٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده:ح٢٣٤٤٥، واللفظ له، والترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ:ح٣٦٨، والبزّار في مسنده: ح٢٨٨٧، قال الزين العراقي: «سنده صحيح» المغني عن حمل الأسفار: ١/ ٦٨٨، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح غير عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه سوء حفظ» مجمع الزوائد: ٨/ ٢٨٤، وقال محمد بن يوسف الصالحي: «رواه الإمام أحمد والترمذي في الشمائل ورجاله ثقات» سبل الهدى والرشاد: ١/ ٤٠٤، وحسّنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية:ح٣١٥، ٣١٦.

(٣) هو الإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية الزرعي الدمشقي، واسع العلم، صاحب التآليف الكثيرة النافعة، وأكثرها مطبوع، له معرفة بالخلاف ومذهب السلف، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر: المعجم المختص بالمحدثين: ٢٦٩، والمقصد الأرشد: ٢/ ٣٨٤، ٣٨٥، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ٤/ ٢١-٢٣.

(٤) زاد المعاد:١/ ٩٥، وانظر: الشفا: ١/ ٤٥٢، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ١٥٥.

(٥) ذو مخبر ويقال ذو مخمر الحبشي ابن أخي النجاشي، قيل: اسمه يزيد، وفد على النبي ﷺ من الحبشة وخدمه، ثم نزل الشام. انظر: الطَبقات الكبرى: ٧/ ٢٩٧، ومعرفة الصحابة، الأصفهاني: ٢/ ١٠٣٦-١٠٣٩، وأسد الغابة: ١/ ٢٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٤٨.

وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرجٍ ذي تُلُولٍ[1]، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب. فيغضب رجلٌ من المسلمين فَيَدُقُّهُ[2]، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة»[3].

وفي تخصيص النبيّ ﷺ لهذه الحرب بوصف الملحمة، دليلٌ على عِظمها، مقارنةً بما قبلها وما بعدها، سواءً في تداخل الجيوش، أو كثرة القتلى، والله تعالى أعلم.

وجاء في بعض الأحاديث الإشارة إلى أن بني تميم أشد الناس قتالاً في الملاحم، وجاء في بعضها أنهم أشد هذه الأمة على الدجال، فاستنبط بعض أهل العلم من ذلك أن قتال الدجال هو أكبر الملاحم[4]، وجاء في أثرٍ ضعيف إطلاقُ لفظ «الملحمة» على بعض المعارك التي ستقع بين المسلمين والكفّار، كقتال الترك والمسيح الدجال وغيرهم، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما [5] أنه قال: «ملاحم الناس خمس، قد مضت ثنتان، وثلاث في هذه الأمة: ملحمة الترك، وملحمة الروم، وملحمة الدجال، ليس بعد ملحمة الدجال ملحمة»[6].

---

(١) المرج: هي الأرض الواسعة ذات النبات الكثير، والتلول هو كلّ ما اجتمع على الأرض من تراب ورمل، وقيل المراد: أرض لبنان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٣١٥، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه: ٢/ ٥٢٠، والأرض المقدسة، العلي: ١٨٩.

(٢) الدقّ هو أن تضرب الشيء بالشيء حتى تكسره وتهشمه. انظر: لسان العرب: ٣/ ٣٨٥.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم، ح٤٢٩٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح ٤٢٩٢.

(٤) سيأتي الحديث عن هذا في ص ٢٠٧ من الرسالة.

(٥) هو عبدالله بن عمرو بن العاص، صحابيٌّ من النُسّاك ولد سنة (٧) قبل الهجرة، أسلم قبل أبيه، له (٧٠٠) حديثاً، لم يكن بين مولده ومولد أبيه إلا اثنا عشر سنة، توفي سنة ٦٥هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ٨٦، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ٧٩-٩٤، والإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١٩٢، وتقريب التهذيب: ٢٥٧.

(٦) رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن: ح١٤٢٥، ورواه بنحوه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن: ح ٤٨٦، والجرجاني في كتاب الأمالي «الشهير: بالأمالي الخميسية»: ٢/ ٢٦٦، وفيه ضعف، إلا أنّه يستأنس به في إطلاق لفظ الملحمة على قتال الدجال، والله أعلم. انظر: تحقيق السنن الواردة في الفتن: ٤/ ٩٢٨.

٢- الفتـــــن:

الفتن جمع، ومفردها فتنة.

قال الإمام الأزهري[(١)] رحمه الله: «**جماع معنى الفتنة في كلام العرب**: الابتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجيد»[(٢)].

وقد وردت في **الشرع** بعدّة معانٍ، منها: الامتحان، والاختبار والابتلاء، والإحراق بالنار، والكفر، والمكروه، وما يؤدي إليه، وما يقع بين المسلمين من القتال، والقتل. ومعرفة المراد بها في الموطن المعيّن، يكون بحسب السياق والقرائن[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر[(٤)] رحمه الله: «ومعنى الفتنة في الأصل: الاختبار والامتحان ثم استعملت في كل أمرٍ يكشفه الامتحان عن سوء»[(٥)].

وسمّيت بعض أحداث آخر الزمان فتناً، لكون بعضها مكروهاً، أو يؤدي إليه أو بسبب ما تكشف عنه من سوءٍ غير ظاهر؛ إذ هي بمثابة الاختبار، الذي يكشف عن معادن الناس، وحقيقة إيمانهم.

---

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، إمام في اللغة، وكان فقيهاً صالحاً، غلب عليه علم اللغة، توفي سنة ٣٧٠هـ. انظر: طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح: ١/ ٨٣، ٨٤، وطبقات الشافعية الكبرى، السبكي: ٣/ ٦٣-٦٨، وبغية الوعاة في طبقاة اللغويين والنحاة، السيوطي: ١/ ١٩، ٢٠.

(٢) تهذيب اللغة: ٣/ ٢٧٤٠، وانظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٧١، ٣٧٢، ولسان العرب: ٧/ ١٨.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن: ٣٧١، ٣٧٢، والكشاف: ٤/ ٥٣٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٢٥٥، وفتح الباري: ١٣/ ٥.

(٤) هو الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الكناني المصري الشافعي، من أئمة العلم والتاريخ، تهادت الملوك تآليفه. توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: الجواهر والدرر، السخاوي: ١/ ١-١٠١، ونظم العقيان في أعيان الأعيان، السيوطي: ٤٥-٥٣، والأعلام، الزركلي: ١/ ١٧٨.

(٥) فتح الباري: ١٣/ ٥، وانظر: الشِفا: ٢/ ٣٧٢، ومشارق الأنوار: ٢/ ١٧٩، ١٨٠.

٣- أشراط الساعة:

الأشراط جمع، مفرده شرط، وهو العلامة[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «كلُّ متقدِّمٍ على الشيء يسمّى شرطاً، ومنه أشراط الساعة»[(٢)].

وأما الساعة فهي في اللغة: أيّ جزءٍ من الليل أو النهار، **وفي الشرع**: يوم القيامة، أو الوقت الذي تقوم فيه القيامة[(٣)].

ويراد بأشراط الساعة: جميع العلامات التي جاء الوحي بأنّها تسبق يوم القيامة للدّلالة على قربه[(٤)].

٤- علاقة الملاحم بالفتن وأشراط الساعة:

تبيّن من خلال التعريفات السابقة للملاحم والفتن وأشراط الساعة:

- أنّ أشراط الساعة تشمل جميع ما ورد أنه من علامات قرب يوم القيامة، بما في ذلك الفتن والملاحم.

- أن الفتن تختص بالقتال الذي يكون بين المسلمين، والأشراط التي يصعب وقعها على بعض النفوس إمّا لكونها مكروهةً دينياً أو دنيوياً؛ وإمّا لما قد تُسْفِر عنه من سوء في الدين أو الدنيا.

- أن الملاحم تختص بحروب آخر الزمان التي تقع بين المسلمين والنصارى، ثم بين المسلمين واليهود وعلى رأسهم المسيح الدجال[(٥)].

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٦٠، ولسان العرب: ٥/ ٧٩.

(٢) شرح العمدة «الصلاة»: ١٤٤ «باختصار».

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٦٠، ولسان العرب: ٤/ ٧٤٩.

(٤) انظر: فتح الباري: ١٣/ ٨٥، ومقدمة تحقيق كتاب القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة، محمد العقيل: ٥٩، وأشراط الساعة، يوسف الوابل: ٧٤.

(٥) الدجال: هو الكذاب، وسمي دجالاً لأنه يغطي الحق بالباطل، ومن وسائله: التمويه والتدليس، والخلط، وقد اختلف في سبب تسميته بالمسيح، على أقوال، أهمها: أن إحدى عينيه ممسوحة، وهو الأظهر، وقيل: لمسحه الأرض حين خروجه، وقيل غير ذلك. انظر: كشف المشكل: ٢/ ٤٩٢، وجامع الأصول: ١٠/ ٣٣٨، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٠٢، والتذكرة، القرطبي: ٢/ ٣٤٤، ٣٤٥، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٣٠٤، ولسان العرب: ٣/ ٣٠٠، وعمدة القاري: ١٠/ ٢٤٢.

- أن الملاحم تشارك أشراط الساعة في كونها واحدةً منها، وتشارك الفتن من جهة كشفها عن حقائق الإيمان، وكراهية بعض النفوس خوضَ أهوالها، وتفارقها من جهة اختصاص الملاحم بالحروب مع الكفار، واختصاص الفتن بما يكون بين المسلمين [1].

ولعظيم الصلة بين الفتن والملاحم، فقد قرن بينهما بعض أهل العلم عند الإطلاق، وجعلهما في مقابل بقية أشراط الساعة[2].

قال الإمام ابن كثير[3] رحمه الله: «وإذا فرغنا -إن شاء الله- من إيراد الحادثات من بعد موته ﷺ إلى زماننا، نتبع ذلك بذكر **الفتن والملاحم**، الواقعة في آخر الزمان، **ثم نسوق بعد ذلك أشراط الساعة**[4]»[5].

- **ثانياً: التعريف بآخر الزمان.**

الزمن هو الدهر، وهو اسمٌ لقليل الوقت وكثيره[6].

وآخر الزمان ضد أوّله ومقدّمه[7].

ولآخر الزمان في الشرع إطلاقان:

الأول: في مقابل زمن آدم عليه السلام، ويدخل في هذا الإطلاق بعثة النبي ﷺ[8].

---

(١) قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ سورة البقرة: آية (٦١٢).

(٢) انظر: البداية والنهاية: ٩/ ٤١٢، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٣.

(٣) هو الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي، الحافظ المؤرخ الفقيه المفسر، تناقل الناس تصانيفه في حياته، أشهرها: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، توفي سنة ٧٧٤هـ.انظر: المعجم المختص بالمحدثين، الذهبي: ٧٤، ٧٥، وذيل تذكرة الحفاظ: ٥٧-٥٩، وطبقات الحفاظ: ٥٣٣، ٥٣٤.

(٤) يعني أنّه سيذكر بقية أشراط الساعة التي لا تُدرج ضمن الفتن والملاحم.

(٥) البداية والنهاية: ٩/ ٤١٢.

(٦) انظر: لسان العرب: ٤/ ٤٠٨.

(٧) انظر: معجم مقاييس اللغة: ١/ ٧٠، ولسان العرب: ١/ ٩٤.

(٨) انظر: فيض القدير: ٣/ ٢٦٣.

ومن ذلك ما جاء في حديث سهل بن سعد الساعدي[1] ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[2].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ما بقي بالنسبة إلى ما مضى كالشيء اليسير»[3].

والثاني: في مقابل بعثة النبي ﷺ، والمقصود به آخر زمان هذه الأمة، وهو الزمن الذي تظهرُ فيه أكثر العلامات والفتن المنذرة بقرب انقضاء الدنيا وقيام الساعة[4]، والله تعالى أعلم.

- **ثالثاً: التعريف بالمسلمين.**

يُراد بالمسلمين في عنوان البحث: أتباع النبيّ الخاتم محمد ﷺ، الذين رضوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، اعتقاداً وقولاً وعملاً.

- **رابعاً: التعريف بأهل الكتاب.**

يُراد بمصطلح «أهل الكتاب» في هذا البحث، معناه الذي ورد في الكتاب والسنة، وهو القوم

---

(١) هو أبو العبّاس، وقيل: أبو يحيى سهل بن سعد بن مالك الساعدي الخزرجي الأنصاري، من مشاهير الصحابة، له (١٨٨) حديثاً، وقيل: إنّه آخر من مات من الصحابة بالمدينة سنة ٨٨هـ، وقيل: ٩١هـ. انظر: معرفة الصحابة: ٣/ ١٣١٢، والاستيعاب: ٢/ ٢٢٤-٢٢٥، وأسد الغابة: ٢/ ٢٠١.

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النازعات: ح٤٩٣٦، وانظر: فتوح الشام: ٢/ ١٤٤، ١٤٥، وتفسير القرآن، السمعاني: ١/ ١٠١، وهداية الحيارى: ٩٣.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٩٤.

(٤) انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٣٨٩، والفائق في غريب الحديث: ٣/ ٨٧، وتاريخ ابن خلدون: ٢/ ٤٠٩، وطرح التثريب في شرح التقريب: ٢/ ٢٢، وفتح الباري: ١١/ ٣٥٥، وعمدة القاري: ١/ ٢٢.

الذين أنزل الله عليهم كتاباً إلهياً، ثمّ حرّفوه وبدّلوه، وهم «اليهود[1]» و«النّصارى[2]»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأهل الكتاب: اسمٌ يتناول اليهود والنصارى»[4].

وقد نسبهم الله تعالى إلى الكفر، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[5].

قال الإمام النيسابوري[6] رحمه الله: «﴿مِنْ﴾ الأولى للبيان، لأنّ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ جنس تحته نوعان: أهل الكتاب والمشركون، كقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ

---

(١) قال ابن منظور: «الهود: التوبة، هاد يهود هوداً وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد. والمتهود المتقرب، والتهود: التوبة والعمل الصالح. ويهود: اسم للقبيلة، وجمع اليهودي يهود، وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا أي تابوا» لسان العرب: ٩/ ١٥٧ «بتصرف»، وقال الشهرستاني: «وإنما لزمهم هذا الإسم لقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[سورة الأعراف: آية (١٥٦)] أي رجعنا وتضرّعنا» الملل والنحل:١/ ٢٥٠، وفي سفر التكوين أنهم دعوا يهوداً نسبة إلى يهوذا أحد أسباط اليهود. انظر: ٤٩/ ٨، ١٠.

(٢) كان يطلق على النصارى ناصريين نسبة إلى مدينة الناصرة التي ولد فيها عيسى عليه السلام، ثم أصبحت التسمية نصارى، ولم يعرف سبب هذا التحول هل هو ناتج عن تجاوز في التصريف حين ترجمت الكلمة أو غير ذلك؟، لكن المؤكد أن هذه الترجمة أصبحت مقبولة عند النصارى في القرون الأولى للميلاد، وهي التسمية التي أطلقها عليهم القرآن، كما في قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ﴾ سورة المائدة: آية (١٤)، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ سورة آل عمران: آية (٦٧)، وإلا فلا يعرف لهم في زمن عيسى عليه السلام تسمية تميزهم عن بني إسرائيل، **وأما لفظ «المسيحية» فلا ذكر له في القرآن الكريم، ويُقال إنّه من إحداث «بولس» اليهودي مؤسس النصرانية المحرّفة، وقد أطلقه على النصارى بعد أن ابتدع لهم العقائد الوثنية المرتبطة بالمسيح عليه السلام؛ ليزدادوا ارتباطاً بالمسيح الذي صوّره لهم.** انظر: الجواب الصحيح:٤/ ١٣٣، ١٣٤، والنصرانية والتنصير، محمد عثمان صالح: ١٤-٢٦.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري: ٢٤/ ٥٥١، والملل والنحل:١/ ٢٤٧، وزاد المسير: ٩/ ١٩٦، والجامع لأحكام القرآن: ٢٢/ ٤٠٦، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٨/ ٤٥٦.

(٤) الجواب الصحيح: ٣/ ٧٢، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٥٥.

(٥) سورة البقرة: آية (١٠٥).

(٦) هو الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، مفسّر له اشتغالٌ بالحكمة والرياضيات، أصله من (قمّ) من كتبه غرائب القرآن، توفي سنة: ٨٥٠هـ. انظر: طبقات المفسرين، الأدنروي: ٤٢٠، والأعلام: ٢/ ٢١٦.

وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، ﴿لَا﴾ مزيدة لتأكيد النفي»[2].

وكذلك كفّرهم النبي ﷺ، حيث صحّ في دعائه أنّه قال: «اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فكلّ من تديّن بهذا الكتاب الموجود عند أهل الكتاب، فهو من أهل الكتاب، وهم كفّارٌ تمسّكوا بكتابٍ مُبدّلٍ منسوخٍ، وهم مُخلّدون في نار جهنّم، كما يُخلّدُ سائر أنواع الكفار[4]»[5].

- **خامساً: التعريف بالآثار الفكرية.**

الآثار الفكرية للملاحم هي مجموعة الأفكار والآراء والتصورات والنظريات التي أوجدتها أو عزّزتها أخبار الملاحم في عقول المؤمنين بها وتفكيرهم ووجدانهم.

وهذه الآثار الفكرية، تشمل مختلف جوانب الفكر الديني والسياسي والاجتماعي وغيرها، ومتى كانت الآثار عميقةً في الشعور والوجدان، فإنّها ستؤثر بطبيعة الحال في إنتاج أو تعزيز مبادئ وقيم، يظهر تأثيرها على السلوك والعمل سواءً على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات والدول[6].

---

(١) سورة البينة: آية (١).

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ١/ ٣٥٥.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٥٤٩٢، والبخاري في الأدب المفرد: ح٦٩٩، والطبراني في المعجم الكبير: ح٤٥٤٩، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة: ح٤١٢٣، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ١٢٢، والألباني في صحيح الأدب المفرد: ح٥٣٨.

(٤) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [سورة البينة: آية (٦)]، وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس: ح١٥٣.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥/ ٢٢٧، ٢٢٨.

(٦) انظر: الفوائد، ابن القيم: ٢٤٩، وتجديد الفكر استجابة لتحديات العصر: ١٤، ١٥، والمعجم الوسيط: ٢/ ٦٩٨.

قال الدكتور محمد عمارة: «فالمصالح لا تتحقق بذاتها دون عقائد وأفكار وفلسفات وحتى ديانات تحفّز الناس على تحقيق هذه المصالح»[1].

ولكون هذا البحث يركّز بالدرجة الأولى على الآثار الفكرية، فإنّه لن يتم التعرض للآثار العملية، إلا بالقدر الذي يحتاج إليه أحياناً للتأكد من صدق تحقّق الأثر الفكري، ومثلُ ذلك يُقال في الآثار الفكرية والعملية لبعض الأحداث المقترنة بالملاحم من جهة زمان وقوعها، حينما تقتضي الحاجة التطرّق إليها، فسيُكتفى منها بالقدر اللازم لإيضاح موضوع الدراسة، وإتمامه على الوجه الأمثل، بإذن الله تعالى.

(١) في فقه الصراع على القدس وفلسطين: ٤٩.

المسألة الثانية: الاعتقاد بملاحم آخر الزمان من مسائل الإيمان بالغيب

- أولاً: تعريف الإيمان بالغيب وأهميته:

١- تعريف الإيمان بالغيب:

الإيمان[١] بالغيب[٢] هو: الإيمان بما ثبت عن طريق الوحي فيما غاب عنّا[٣].

٢- أهمية الإيمان بالغيب:

الإيمان بالغيب هو أصل الإيمان، الذي بُنيت عليه سائر أركانه[٤]، وقد بُعث النبي ﷺ بالإخبار بالغيب، والأمر بالإيمان به بالقلب والقول والعمل[٥].

والله تعالى هو عالم الغيب لا يعلمه إلا هو، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[٦]، وقوله سبحانه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ

(١) الإيمان في اللغة: مصدر آمن إيماناً، فهو مؤمن، ومعناه: التصديق، وفي الشرع: هو اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل الأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. انظر: أصول السنة، الحميدي: ٤٩، والمسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد: ١/ ٦٣-٦٧، وجامع البيان: ١/ ٢٤١، والإيمان، ابن مندة: ١/ ٣٤١، ولسان العرب: ١/ ٢٣٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٥١٠-٥٢٠، ١٣/ ٤٦-٥٥، ١٨/ ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٦.

(٢) الغيب: مصدر غاب يغيب غيباً، وهو ما غاب عنك من شيء، سواءٌ كان مطلقاً أو نسبياً، قال ابن فارس: «الغين والياء والباء أصلٌ صحيحٌ يدلّ على تستّر الشيء عن العيون» معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٠٣، وانظر: جامع البيان: ١/ ٢٤١، ٢٤٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٤/ ٥٢، ١٦/ ١١٠.

(٣) انظر: جامع البيان: ١/ ٢٤١، ٢٤٢، والجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢٥١، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٤/ ٥٢، ٥٣، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ١٦٤-١٦٧، والمعرفة في الإسلام، القرني: ١٥٧، ٤٨٥-٥٧٢.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٢٣٢، ٢٣٣، وأشراط الساعة، الغفيلي: ١٧.

(٥) انظر: جامع البيان: ١/ ٢٦٤، وبغية المرتاد: ٢٢٢، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ١٦٥.

(٦) سورة الأنعام: آية (٥٩).

يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1]، وهو جلّ شأنه يُطلع بعض رسله على بعض الغيب، لحكمٍ عظيمةٍ منها: إظهار صدق رسالتهم، وإلا فهم لا يستقلّون بمعرفة الغيب، ولا يعلمون منه إلا ما يعلّمهم الله إيّاه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[3]، ويقول جلّ وعلا: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾[4].

وقد امتدح الله تعالى المؤمنين بالغيب، فقال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[5].

قال عبدالله بن مسعود[6] ﷺ: «والذي لا إله غيره، ما آمن مؤمنٌ بإيمانٍ قط أفضل من إيمانٍ بغيب»[7].

وحقيقة الإيمان التام بالغيب، أنّه درجة الإحسان التي تتطلع إليها النفوس المؤمنة، ومن

(١) سورة النمل: آية (٦٥).

(٢) سورة الأنعام: آية (٥٠).

(٣) سورة الجن: الآيتان (٢٦، ٢٧).

(٤) سورة هود: آية (٤٩).

(٥) سورة البقرة: الآيتان (٢، ٣).

(٦) هو عبدالله بن مسعود الهذلي من أكابر الصحابة السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم النبي ﷺ وصاحب سره، له (٨٤٨) حديثاً. توفي سنة ٣٢ هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ١١٠، وسير أعلام النبلاء: ١/ ٤٦١-٥٠٠، والإصابة: ٤/ ١٩٨-٢٠١، وتقريب التهذيب: ٣٦١٣.

(٧) رواه عنه ابن مندة في كتاب الإيمان:ح٢٠٩، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي في التلخيص، انظر: ٢/ ٢٦٠، والأصبهاني في الحجة في بيان المحجة: ١/ ٤٤٩، وقال الإمام ابن حجر رحمه الله: «وقد أخرج إسحاق بن راهويه في مسنده بإسناد صحيح عن ابن مسعود ﷺ -وذكره-» الأمالي المطلقة: ٣٩.

حققها فقد حقق أجلّ المقامات[1].

ثانياً: علاقة الملاحم بالإيمان بالغيب:

ملاحم آخر الزمان التي ثبت الخبر بها عن المعصوم ﷺ، من جملة الأمور المستقبلية الغائبة عنّا الآن، ولذا فهي من أمور الغيب[2]، التي يجب الإيمان بها، وعندما يشهد الناس وقوعها فستكون حينذاك دليلاً متجدّداً من دلائل نبوة النبي ﷺ[3].

قال الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي[4] رحمه الله: «ويجب الإيمان بكلِّ ما أخبر به النبيّ ﷺ وصحّ به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنّه حقٌّ، وصدقٌ... ومن ذلك أشراط الساعة»[5].

وكون الملاحم من أمور الغيب، يعني أنّه لا يعلم زمن وقوعها إلا الله تعالى فتحديد زمن وقوع شيءٍ منها قبل وقوعه بدون نصٍّ صحيح، أو التخمين به، قولٌ بلا علم، ومخالفة للمنهج القرآني والنبوي، الذي لم يحدد وقتاً للساعة ولا لعلاماتها[6].

---

(١) انظر: طريق الهجرتين: ٥١٩، ٥٢٠.

(٢) وقد عَدّ بعض الباحثين الإيمان بما صح من ملاحم آخر الزمان وسائر أشراط الساعة، جزءً من الإيمان باليوم الآخر، على اعتبار أنّها من مقدماته. انظر: الإذاعة بأحداث قيام الساعة: ١٣، وأشراط الساعة، الغفيلي: ١٧، وأشراط الساعة، الوابل: ٢٧، وصحيح أشراط الساعة، مصطفى شلبي: ١٥.

(٣) انظر: أشراط الساعة، الوابل: ٢٧، وموقف المسلم من الفتن، بازمول: ١٠.

(٤) هو العلامة القدوة المجتهد أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي: فقيه، من أكابر الحنابلة، عالم أهل الشام في زمانه، كتبه كثيرة. أشهرها: المغني: شرح به مختصر الخرقي، توفي سنة (٦٢٠) هـ. انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي: ١٣/ ٦٠١-٦١٦، وسير أعلام النبلاء: ٢٢/ ١٦٥-١٧٣، والوافي بالوفيات: ١٧/ ٢٣، ٢٤.

(٥) لمعة الاعتقاد: ٢٨، وانظر: الموافقات: ٤/ ٥٢، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: ١٢١.

(٦) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: ٢/ ٢٥٧، ٢٥٨، والجواب الصحيح: ١/ ٤٢٠- ٤٢٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ١٤٤، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٩٤، والقيامة الصغرى، الأشقر: ١١٨.

قال الإمام القرطبي[1] رحمه الله: «والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب: أنّ ما أخبر به النبيّ ﷺ من الفتن والكوائن، أنّ ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريقٍ صحيح يقطع العذر، وإنّما ذلك؛ كوقت قيام الساعة، فلا يعلم أحدٌ أيّ سنةٍ هي ولا أيّ شهر»[2].

وإنّما يكون طريق العلم بوقت الساعة أو أشراطها ومنها الملاحم، بوقوعها مطابقةً لأوصافها، الثابتة في الكتاب والسنة.

قال العلامة محمد صديق خان[3] رحمه الله: «ليست ملحمة ولا فتنة صغرى أو كبرى من الفتن والملاحم التي تكون إلى يوم القيامة وقيام الساعة، إلا وقد أخبر النبي ﷺ بها في أحاديثه الشريفة، ولكنّ العلم بمواقيتها مما استأثر الله ﷻ بعلمه ولا يتيسر لبشرٍ أن يعلم بوقتها إلا بعد وقوعها، وحصول التطبيق بالأحاديث الواردة فيها»[4].

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر، إمام متفنن متبحّر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، توفي سنة ٦٧١هـ. انظر: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٢٢٩-٢٣٠، والديباج المذهب، ابن فرحون: ٢/ ٣٠٨، وطبقات المفسرين، السيوطي: ٧٩.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢/ ٤٧٧، وانظر: القناعة للسخاوي: ٢٨.

(٣) هو أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن الحسيني البخاري القنّوجي، من رجال النهضة الإسلامية، ولد ونشأ في «قنوج» بالهند، وانتقل إلى بهوبال طلباً للرزق، فتزوج بملكتها، توفي سنة ١٣٠٧هـ. انظر: جلاء العينين: ٤٨-٥٠، والتاج المكلل: ٥٤٦، والأعلام: ٦/ ١٦٧، ١٦٨، ومعجم المؤلفين: ٣/ ٣٥٨.

(٤) أبجد العلوم: ٢/ ٥١٨ «باختصار»، وانظر: معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ١٧١-١٧٧.

المسألة الثالثة: موقف الإسلام واليهودية والنصرانية من مبدأ القتال

البحث في هذه المسألة يدور حول ثلاثة أمور:

- **أولاً: موقف الإسلام من مبدأ القتال:**

وبيانه في النقاط الآتية:

١- مفهوم القتال في الإسلام:

القتال في الإسلام عامٌّ لكلّ ما هو دفاعٌ عن الدين أو العرض أو النفس أو المال ونحوها، والحديث هنا هو عن القتال في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وهو وفق هذا القصد: بذل النفس بتعريضها للموت في محاربة أعداء الله؛ لإعلاء كلمة الله تعالى ونيل ثوابه ورضوانه(١).

وفي حديث أبي موسى ﷺ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله»(٢).

وكون القتال في سبيل الله فهذا يعني أنّه عبادة شرعية، يجب لها ما يجب لسائر العبادات من النية الخالصة، ومتابعة النبي ﷺ بالالتزام بهديه في القتال.

---

(١) انظر: المبسوط، السرخسي: ١٠/ ٢، ٣، والجامع لأحكام القرآن: ٩/ ٤٦٥، والجواب الصحيح: ٦/ ٣٧، ومفتاح دار السعادة: ١/ ١٣٤، ١٣٥، وفتح الباري: ٦/ ٣٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا: ح٢٨١٠، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله: ح١٩٠٤، واللفظ له.

٢- غاية القتال في سبيل الله «الجهاد»:

للجهاد في الإسلام غايتان هما:

الغاية الأولى: أن تدين الأرض كلّها لحكم الله تعالى وشرعه، لما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[١].

وتطبيق هذه الغاية متوقفٌ على النظر في أحوال المسلمين قوةً وضعفاً، وفيما يحقق مصالحهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المشروع في العدوّ: القتال تارةً، والمهادنة تارةً، وأخذ الجزية تارةً، كلّ ذلك بحسب الأحوال والمصالح»[٢].

وهذه الغاية هي آخر ما استقرّ عليه أمر الجهاد في حياة النبيّ ﷺ[٣]، وهي مستمرّة إلى قبل نزول المسيح[٤] عيسى ابن مريم عليهما السلام.

الغاية الثانية: هي إسلام أهل الأرض كلّهم، ومن لا يقبل الإسلام، فليس له إلا السيف، وهذه المرحلة تبتدئ من نزول عيسى عليه السلام، وتنتهي بإيمان الناس كلّهم برب العالمين، فعن أبي هريرة[٥] رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً،

---

(١) سورة الأنفال: آية (٣٩)، وانظر: سورة البقرة: آية (١٩٣).

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٨/ ٢٠٦، وقال أيضاً: «فتارةً تكون المصلحة الشرعية القتال، وتارةً تكون المصلحة المهادنة، وتارةً تكون المصلحة الإمساك والاستعداد بلا مهادنة» ١٥/ ١٧٤.

(٣) انظر في بيان هذه الغاية: الأم، الشافعي: ٥/ ٣٩٧، وأحكام أهل الذمة: ١/ ١١٠، ١١١، وفي ظلال القرآن، سيد قطب: ١/ ٢٩٤، ٢٩٥، ٣/ ١٤٣٣-١٤٣٥، ١٤٤٨-١٤٥١، وأهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، علي العلياني: ١٥٨-١٩١.

(٤) ذكر العلماء في سبب تسمية عيسى عليه السلام بالمسيح، أقوالاً منها: أنه لم يمسح ذا عاهة إلا برىء، وقيل: لأنه خرج من بطن أمّه ممسوحاً بالدهن. انظر: التذكرة، القرطبي: ٢/ ٣٦٧-٣٧٠، وفتح الباري: ٦/ ٥٤٤.

(٥) هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أكثر الصحابة حفظاً للحديث وروايةً له، أسلم سنة (٧) للهجرة، وروى (٥٣٧٤) حديثاً، استعمله عمر على البحرين ثم عزله، وفي اسمه واسم أبيه ثمانية عشر قولاً، توفي سنة ٥٩هـ. انظر: الاستيعاب: ٤/ ٣٣٢، والإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٣٤٨-٣٦٢، وتهذيب التهذيب: ١٢/ ٢٣٧-٢٤٠.

فيكسرَ الصَّليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويضعَ الجزيةَ»[1].

وعنه ﷺ أنّ النبيّ ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبيٌّ [يعني عيسى ﷺ]، وإنّه نازلٌ ... فيقاتل الناس على الإسلام، فيدقّ الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلّها إلا الإسلام»[2].

وهذه الغاية هي إحدى ثمار ملاحم آخر الزمان عند المسلمين، حيث تبدأ بهدف الرد على عدوان أهل الكتاب، وتنتهي بهيمنة الإسلام على جميع الأرض.

ولكون الناس قد ظهرت لهم الآيات العجيبة، والحجج البالغة، ولاسيّما بعد نزول عيسى ﷺ وقتله للمسيح الدجال، فإنّهم سيُقبلون على الإيمان بالله تعالى، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [3]، أي قبل موت المسيح ﷺ على الصحيح من أقوال أهل العلم[4] ومن لا يؤمن به بعد ظهور هذه الآيات، فإنّ عيسى ﷺ يقتله تنفيذاً لأمر النبي ﷺ.

- **ثانياً: موقف اليهودية من مبدأ القتال:**

يعتقد اليهود بأهمية القتال؛ للدفاع عن النفس، وإيقاع الهزيمة بالمعتدين، وقد امتلأت نصوص العهد القديم بالحديث عن الأسلحة والحروب[5].

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، ح٣٤٤٨، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح١٥٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح٧٥٢٩، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب خروج الدجال: ح٤٣٢٤، واللفظ له، وابن حبان في صحيحه:ح٦٨١٤، وصحح ابن حجر إسناده في فتح الباري: ٦/ ٥٦٤، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة:ح ٢١٨٢، وصحيح سنن أبي داود:ح٤٣٢٤.

(٣) سورة النساء: آية (١٥٩).

(٤) انظر: جامع البيان: ٧/ ٦٦٤-٦٧٥، والجامع لأحكام القرآن: ٧/ ٢١٣، والجواب الصحيح: ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧، ٤/ ٣٤-٤١، ٥/ ٢٥٠-٢٥٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ٣١٦، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٥٤، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٤٢، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٨.

(٥) انظر: سفر التكوين: ١٤/ ١٤-١٦، وسفر القضاة: ١/ ٨، ٩، ٣/ ١٦، وسفر يشوع: ٨/ ٣-٧، وسفر إرميا: ٤٦/ ٤، وسفر أخبار الأيام الثاني: ٢٦/ ١٤، وشهود يهوه نشأتهم وأفكارهم، أسعد السحمراني: ٩٠-٩٦، والمسيح إنسان أم إله، محمد مرجان: ٢٨.

ومما جاء فيها: أنّ كلّ من كان من غير اليهود فهو مباح الدم؛ لقول ربِّ الجنود: «لأَنِّي أَنَا أَدْعُو السَّيْفَ عَلَى كُلِّ سُكَّانِ الأَرْضِ»(١).

وجاء في التوراة تقسيم المدن التي يرغب اليهود محاربتها إلى قسمين:

١- المدن البعيدة: فهذه تُدعى للصلح أولاً، فإن أجاب أهلها فتحها اليهود واستعبدوا جميع من فيها!، وإن امتنعت من الصلح، فعلى اليهود أن يحاصروها إلى أن يفتحوها، فيقتلوا جميع ذكورها، ويغنموا جميع ما فيها.

٢- المدن القريبة التي تدخل ضمن الأرض الموعود بها: فهذه يجب قتل جميع من فيها، حيث جاء في سفر التثنية: «١٠ حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِتُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا لِلصُّلح ١١ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلحِ وَفَتَحَتْ لكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ المَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لكَ. ١٢ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ بَل عَمِلتْ مَعَكَ حَرْباً فَحَاصِرْهَا. ١٣ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٤ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي المَدِينَةِ كُلُّ غَنِيمَتِهَا فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ التِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. ١٥ هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ المُدُنِ البَعِيدَةِ مِنْكَ جِدّاً التِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَؤُلاءِ الأُمَمِ هُنَا. ١٦ وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا ١٧ بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيماً»(٢).

وأما التلمود فهو مليءٌ بالنصوص التي تدعو إلى قتل غير اليهود، وخصوصاً النصارى؛ لأنهم في نظر التلمود طغاة ووثنيون(٣)، ومما جاء في ذلك: «اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرّم على اليهودي أن ينجّي أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها؛ لأنّه بذلك

(١) سفر إرميا: ٢٥/ ٢٩، وانظر: المسيحية والتوراة، شفيق مقار: ٣٥١، ٣٥٢.

(٢) ٢٠/ ١٠-١٧، وانظر: المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني: ١١، والبروتوكولات واليهودية والصهيونية: ٥٧.

(٣) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٩٠.

يكون حفظ حياة أحد الوثنيين»[(١)]، و«يلزم أن يقتل الإنسان بيده الكفرة، مثل يسوع الناصري وأتباعه، ويلقيهم في هاوية الهلاك»[(٢)].

ويظهر من نصوص القرآن الكريم أنّ اليهود -من الناحية الواقعية- جعلوا غاية القتال -قبل ظهور مسيحهم المنتظر- هي الدفاع عن النفس فقط، كما في قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وسائر الأمم لم يأمروا كلّ أحدٍ بكلّ معروف، ولا نهوا كلّ أحدٍ عن كلّ منكرٍ، ولا جاهدوا على ذلك، بل منهم من لم يجاهدوا، والذين جاهدوا كبني إسرائيل؛ فغاية جهادهم كان لدفع عدوّهم من أرضهم، كما يقاتل الصائل الظالم لا لدعوة المجاهدين إلا الهدى والخير ولا لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر -بدليل أنّهم في الآية السابقة- علّلوا القتال بأنّهم أُخرجوا من ديارهم وأبنائهم، ومع هذا كانوا ناكلين عما أُمروا به من ذلك؛ ولهذا لم تحلّ لهم الغنائم...»[(٤)].

وفي اعتقادهم أنّه إذا ظهر المسيح المنتظر، فإنّ حالهم سينقلب من الدفاع إلى الهجوم، حيث إنّهم -بزعمهم- سيقاتلون جميع الأمم، إما للقضاء عليهم عند بعضهم أو لاستعبادهم عند آخرين.

وقد جاء في الأحاديث النبويّة أنّهم أتباع الدجال، الذين يغزون معه العالم، إلى أن يحاصروا بيت المقدس، فتكون نهايتهم على أيدي المسلمين[(٥)].

---

(١) المرجع السابق: ٩٠، وانظر: ٩١-٩٤، ١٠٣-١٠٧، وفضح التلمود: ١٣٩-١٥١.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ١٠٦.

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٦).

(٤) الاستقامة: ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤ «بتصرّف»، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٨/ ١٢٤.

(٥) انظر: ص ٢٤٧ من الرسالة.

- **ثالثاً: موقف النصرانية من مبدأ القتال:**

النصارى في الموقف من القتال تبعٌ لليهود؛ لإيمانهم بأنبياء بني إسرائيل وبالعهد القديم، وما جاء فيه من أمر الله تعالى لموسى عليه السلام أن يُقاتل الكفّار(١).

وأما الأناجيل الموجودة الآن بين أيدي النصارى، فقد اشتملت على نصوص تدعو إلى السلام مع الأعداء، وأخرى تدعو إلى الحرب والقطيعة وذبح الأعداء مما أدّى إلى أن يحكم بعض العلماء والباحثين بتناقض نصوصها في موضوع الحرب والسلام(٢).

فأما النصوص التي تدعو إلى السلام، فمنها: ما نُسب إلى المسيح من قوله في إنجيل متّى(٣): «٩ طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ. ١٠ طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. ١١ طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شِرِّيرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ. ١٢ اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُمْ هَكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ»(٤).

بل نسبوا إليه أنّه قال لهم كما في إنجيل متّى: «٤٣ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. ٤٤ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ»(٥).

---

(١) انظر: الجواب الصحيح: ٥/ ٢٣٦.

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢/ ١٠٣، وحرب صليبية بكل المقاييس، زينب عبدالعزيز: ١١٩، وقراءة في الكتاب المقدس، صابر طعيمة: ٧٤، ٧٥، والمسيحية، أحمد شلبي: ٢٧٥، ٢٧٦، وميثاق النبيين: ٢٣٠، ٢٣١، والنصرانية والإسلام، الطهطاوي: ١٦١، ١٦٢.

(٣) يذكر النصارى أنّه أحد الحواريين الاثني عشر، وقبل اتصاله بالمسيح عليه السلام كان من جباة الضرائب للرومان، وبعد رفع المسيح أخذ يطوف البلاد يدعو إلى النصرانية إلى أن استقر بالحبشة، ومات بها سنة ٧٠م. انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس «العهد الجديد»، متى هنري: ١/ ٩، والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، إيسوذورس: ٣٧، ٣٨، ومختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر: ٥٠، ٥١.

(٤) ٥/ ٩-١٢.

(٥) ٥/ ٤٣، ٤٤.

وأما النصوص التي تدعو إلى الحرب والقطيعة، فمنها: ما نُسب إلى المسيح من تصريحه بأنه لم يأت ليُلقي سلاماً في الأرض بل ليُلقي سيفاً، حيث قال كما في إنجيل متّى: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً»(١).

وقد اجتهد بعض النصارى في الجمع بين هذه النصوص المتعارضة، بأنّ السلام الذي جاء به المسيح، سلامٌ خاصٌ بمن قبل دعوته، وأمّا من حاربها واضطهد أتباعها فيوجبون مقاومته بما يستحقّه(٢).

وهذا الجمع لا تشهد له النصوص؛ لأنّ السلام فيها متوجهٌ للأعداء وليس للأتباع!!، كما تقدم في قول المسيح: «**أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ**».

وخلاصة القول: أنّ مشروعية القتال في سبيل الله من القضايا التي اتّفق عليها المسلمون وأهل الكتاب(٣)، وقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم عن ورود وعده للمقاتلين في سبيله بالجنّة في التوراة والإنجيل والقرآن، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾(٤).

وأما خلوّ التوراة والإنجيل -الموجودَين الآن بأيدي أهل الكتاب- من هذا الوعد الربانيّ، فهو دليلٌ على تحريفهم لكتبهم المقدسة(٥).

---

(١) ١٠/ ٣٤.

(٢) انظر: الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: ١/ ١٦٢، ٢/ ٣٤٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن، السمعاني: ٢/ ٣٥٠، ٣٥١، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٣٩٠، ٣٩١، والاستقامة: ٢/ ٢٠٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ٥٩، ٢٨/ ١٢٤.

(٤) سورة التوبة: آية (١١١).

(٥) انظر: هل العهد القديم كلمة الله، السقار: ٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المعروف عند أهل العلم، أنّه بعد نزول التوراة، لم يهلك الله مكذّبي الأمم بعذابٍ من السماء يعمّهم؛ كما أهلك قوم نوحٍ وعادٍ، وثمود، وقوم لوطٍ، وفرعون، وغيرهم، بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار، كما أمر بني إسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة[1]»[2]؛ لاستعادة الأرض المباركة التي كتبها الله لهم، لا لدعوتهم ونحو ذلك[3].

ففرضية القتال في سبيل الله ومقاومة الأعداء دفاعاً عن النفس، ابتدأت من عهد موسى ﵇[4]، وأما قبل زمن موسى ﵇ فلم يكن ذلك واجباً، لكن ورد في التوراة ما يشير إلى أنّ إبراهيم الخليل ﵇ قاتل الملوك الذين أسروا ابن أخيه «لوط» ﵇ ومن معه، حتى خلّصهم بمعونة الله من الأسر[5]، وقد أشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حين قال: «وإبراهيم الخليل قاتل لدفع الظلم عن أصحابه»[6]، فيُحتمل أنّ القتال في سبيل الله لصدّ العدوان كان مأذوناً فيه لمن قدر عليه، قبل زمن موسى ﵇ ثم صار واجباً في شريعة موسى ﵇، ثم أضيف إليه معنى جديد في شريعة الإسلام وهو الجهاد لأجل دعوة الكفار إلى عبادة الله وحده لا شريك له، أو الخضوع لأحكامه وشرعه، والله تعالى أعلم.

---

(١) يشير رحمه الله إلى قول موسى ﵇ لقومه - كما حكاه القرآن عنه -: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ سورة المائدة: الآيات (٢١-٢٤).

(٢) الجواب الصحيح: ٢/ ٢٥١.

(٣) انظر: الاستقامة: ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ٣٩٢.

(٥) انظر: سفر التكوين: ١٤/ ١٤-٢٠.

(٦) الجواب الصحيح: ٥/ ٢٣٦.

الباب الأول
الأصول المنهجية في دراسة الفتن والملاحم

وفيه تمهيد وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأصول المعتمدة في دراسة الفتن والملاحم عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني: المخالفات في دراسة الملاحم عند بعض المسلمين.

الفصل الثالث: الأصول المعتمدة في دراسة الملاحم عند أهل الكتاب.

التمهـــيد

يُعنى هذا الباب بالبحث التأصيلي للمصادر والمناهج التي استند إليها المسلمون وأهل الكتاب في دراستهم ملاحم آخر الزمان، وتعاملهم معها، وبطيّاته إجابة عن العديد من التساؤلات والشبهات والمخالفات التي ترد في أبواب الملاحم.

وهو يتكوّن من ثلاثة فصول:

الفصل الأول: الأصول المعتمدة في دراسة الفتن والملاحم عند أهل السنة والجماعة.

يلتزم أهل السنة والجماعة منهجاً سديداً في دراستهم نصوصَ الفتن والملاحم ابتداءً من النصوص التي اعتمدوها، وفهمهم لها، وتعاملهم معها، وانتهاءً بتنزيلهم إياها على الواقع، وهو ما أضفى عليهم رسوخاً ورشداً تميّزوا به عمن ضلّوا في هذا الباب.

وهذا الفصل يُعنى باستجلاء هذا المنهج من خلال البحث في مصادر أخبار الملاحم عند أهل السنة، ومنهجهم في التعامل معها، وتنزيلها على الواقع، بالإضافة إلى بيان موقفهم من أخبار الملاحم عند أهل الكتاب.

الفصل الثاني: المخالفات في دراسة الملاحم عند بعض المسلمين.

ظهرت في الآونة الأخيرة جملة من الكتابات التي عُنيت بالحديث عن الملاحم وقد ذاعت هذه الكتابات وانتشرت بين كثيرٍ من المسلمين؛ لكونها توظِّف نصوص الملاحم في تحليل الأحداث المعاصرة، وكثيرٌ منها بُني على مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في أبواب الفتن والملاحم، مما أسهم في نشر آثارها السيئة بين من لا يحيطون علماً بأخطائها ومخالفاتها، فكان هذا الفصل للبحث في أصول هذه المخالفات وبيان بطلانها.

الفصل الثالث: الأصول المعتمدة في دراسة الملاحم عند أهل الكتاب.

تتحدث نصوص الكتاب المقدس بعهدَيْهِ القديم والجديد عن ملاحم تكون في آخر الزمان، بيد أنّ اليهود والنصارى مختلفون في تفسير هذه النصوص، والتعامل معها، وبعضهم يضيف نصوصاً أخرى من غير الكتاب المقدس، فكان هذا الفصل لبيان مصادر أخبار الملاحم عندهم والمناهج التي سلكوها في تفسير نصوص الملاحم وتعاملهم معها.

وفيما يأتي الحديث عن هذه الفصول.

الفصل الأول:
الأصول المعتمدة في دراسة الفتن والملاحم عند أهل السنة والجماعة

وفيه ثلاثة مباحـــث : -

- المبحث الأول: مصادر أخبار الفتن والملاحم عند أهل السنة والجماعة.
- المبحث الثاني: منهج أهل السنة في التعامل مع أخبار الفتن والملاحم.
- المبحث الثالث: موقف أهل السنة من أخبار الملاحم عند أهل الكتاب.

* * *

المسألة الثانية: الاعتقاد بملاحم آخر الزمان في مسائل الإيمان بالغيب

التمهـــيد

يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ ملاحم آخر الزمان من عالم الغيب الذي لا يخضع لاستنتاجات العقول، وأنّ الوصول إلى علمٍ يقينيٍ بأخبارها منوطٌ بالرجوع إلى مصدرٍ صحيحٍ لا يخطئ ولا ينحرف.

والمصدر الوحيد الذي يحقّق اليقين في هذا الباب -وفي كلّ مسائل الدين- هو الوحي المعصوم: «كتاب الله تعالى، وما صح من حديث رسول الله ﷺ».

ومن هنا فقد اعتمد أهل السنة والجماعة على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة مصدراً وحيداً يستقون منه معتقداتهم حول ملاحم آخر الزمان[1].

قال الإمام الشاطبي[2] رحمه الله: «فالكتاب والسنة هو الطريق المستقيم، وما سواهما من الإجماع وغيره فناشئٌ عنهما»[3].

وفي المطالب الثلاثة الآتية سيتم الحديث بإيجاز عن استدلال أهل السنة بالقرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، بالإضافة إلى بيان موقفهم من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والأخبار الموقوفة على الصحابة في مسائل الفتن والملاحم.

---

(١) انظر: بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة: ٣٢، ٤٤، ٤٥، والمعرفة في الإسلام، القرني: ١٥٧، ٤٨٥-٥٧٢، ومناهج البحث في العقيدة الإسلامية، الزنيدي: ٣٠٣-٣٠٦.

(٢) هو الإمام المحدّث المتبحّر الأصوليّ النظّار الجهبذ: إبراهيم بن موسى الشاطبي اللخمي، حافظ، من أئمة المالكية، له قدمٌ راسخةٌ في سائر الفنون والمعارف، توفي سنة ٧٩٠هـ. انظر: درّة الحجال في أسماء الرجال: ١/ ١٨٢، وفهرس الفهارس: ١/ ١٩١، وشجرة النور الزكيّة: ٢٣١، ومعجم المؤلفين: ١/ ٧٧.

(٣) الاعتصام: ٢/ ٢٥٢.

۞ المطلب الأول: الاستدلال بالقرآن الكريم:

القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر دين الإسلام، فهو كتاب رب العالمين؛ الذي أنزله هادياً للبشرية، ولا يصح إسلام المرء إلا باعتقاد ذلك.

قال العلامة الصنعاني[1] رحمه الله: «قد عُلم من ضرورة الدين أنّ كلّ ما في القرآن فهو حق لا باطل، وصدق لا كذب، وهدى لا ضلالة، وعلم لا جهالة، ويقين لا شك فيه. فهذا الأصل: أصلٌ لا يتم إسلام أحدٍ ولا إيمانه إلا بإقرارٍ به»[2].

وقد بيّن الله في القرآن الكريم كلّ ما يحتاج إليه المسلم، فقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [3]، ومن أهم ما بيّنه مسائل الاعتقاد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فكلّ ما يحتاج الناس إليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً فكيف بأصول التوحيد والإيمان»[4].

وتبيان القرآن غالباً ما يكون للكليات، وأما التفصيل فمرجعه إلى السنة النبوية[5].

---

(١) هو محمد بن إسماعيل الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف كأسلافه بالأمير: مجتهد نشأ بصنعاء، وبها توفي سنة ١١٨٢هـ. انظر: الأعلام: ٦/ ٣٨.

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد: ٢٧.

(٣) سورة النحل: آية (٨٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ٤٤٣، وانظر: الموافقات: ٣/ ٢٤٢.

(٥) انظر: الموافقات: ٣/ ٣٦٦، ٣٦٩.

۞ المطلب الثاني: الاستدلال بالأحاديث الصحيحة:

يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه ﷺ القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة[1]؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [2]، وقوله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[3].

قال العلامة الشوكاني[4] رحمه الله: «أي أوتيت القرآن، وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن»[5].

فمتى ثبت الخبر أو الأمر أو النهي عن النبيّ ﷺ فهو وحيٌ يجب تصديقه واتّباعه، كالقرآن سواء[6].

قال الإمام ابن حزم[7] رحمه الله: «فصحّ أنّ كلام رسول الله ﷺ كلّه في الدين وحيٌ من عند الله تعالى»[8].

---

(١) الحديث الصحيح هو: «ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علّة» تدريب الراوي، للنووي: ١/ ٦٣، وانظر: مقدمة ابن الصلاح: ١٣، ٤٣، ٥١، والموقظة، الذهبي: ١٢.

(٢) سورة النجم: الآيتان (٣، ٤).

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٧١٧٤، وأبو داود في كتاب السنة باب: في لزوم السنة: ح٤٥٩٤، من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٦٠٤.

(٤) هو محمد بن علي الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، نشأ بها، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩ ومات حاكماً بها، توفي سنة ١٢٥٠هـ. انظر: الأعلام، الزركلي: ٦/ ٢٩٨.

(٥) إرشاد الفحول: ١/ ١٥٧.

(٦) انظر: جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر: ٢/ ٩٦، ودرء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية: ١/ ١٣٨، ٥/ ٣٣٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ١٠٥، ٣٢٧، وإعلام الموقعين، ابن القيم: ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٧) هو علي بن أحمد الظاهري، عالم الأندلس في عصره، كان عالماً زاهداً، توفي سنة ٤٥١هـ. انظر: وفيّات الأعيان: ٣/ ٣٢٥-٣٢٨، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٨٤-٢١٢.

(٨) الإحكام في أصول الأحكام: ١/ ١٢١.

وذهب جمهور أهل العلم إلى أنّ الأحاديث الحسنة[1] تندرج مع الأحاديث الصحيحة في الاستشهاد بها على مسائل الدين[2].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وهو -أي الحديث الحسن- في الاحتجاج به كالصحيح عند الجمهور»[3].

المطلب الثالث: موقف أهل السنة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة والموقوفة:

يذهب أهل السنة والجماعة إلى تحريم الاعتقاد بما تضمنته الأحاديث الضعيفة[4] والموضوعة[5]؛ لئلا يُنسب إلى دين الله تعالى ما ليس منه[6].

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله: «وأما الأحاديث الموضوعة... أو الأحاديث الضعيفة... فلا يجوز أن يُقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها»[7].

---

(١) قال الإمام ابن حجر: «خبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط، متصل السند، غير معلل ولا شاذ: هو الصحيح لذاته... فإن خف الضبط؛ فالحسن لذاته» النكت على نزهة النظر: ٨٢، ٩١، وانظر: مقدمة ابن الصلاح: ٢٠.

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح: ٢٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ٢٥٠، والباعث الحثيث: ٣٧، وتدريب الراوي، السيوطي: ١/ ١٦٠، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر الدمشقي: ٢٩٣-٢٩٧.

(٣) الباعث الحثيث: ٣٧، وانظر: مقدمة ابن الصلاح: ٤٠، وتدريب الراوي: ١/ ١٦٠.

(٤) الحديث الضعيف هو: كلّ حديث لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحسن. انظر: مقدمة ابن الصلاح: ٤١، والباعث الحثيث: ٤٤، وتدريب الراوي: ١/ ١٧٩.

(٥) الحديث الموضوع هو «ما كان متنه مخالفاً للقواعد، وراويه كذاباً» الموقظة في مصطلح الحديث: ٢٤.

(٦) انظر: مقدمة ابن الصلاح: ١٠٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ٢٥٠، والنكت على نزهة النظر: ١٢١، ١٢٢، وأصول الحديث، الخطيب: ٢٢٢، وحكم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال: ٤٧-٥١، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لضميرية: ١٦٦، ١٦٧.

(٧) ذم التأويل: ٤٧، وانظر: مقدمة ابن الصلاح: ١٠٣، وشرح العمدة «الطهارة»، ابن تيمية: ١/ ٤١٦.

وأما الأحاديث الموقوفة[1] على الصحابة[2]، فمحلّ البحث فيها هنا، ما كان منها يخبر عن غيبياتٍ لا مجال للرأي فيها، ومنها: إخبار الصحابي عن الفتن والملاحم.

فهذا الخبر إن صحّ فلا يخلو من حالين:

الأول: أن يكون قائله ممن لم يعرف بالأخذ عن أهل الكتاب، فخبره حُجّةٌ باتفاق العلماء، وذلك لأنّه في حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، إذ يستحيل أن يخبر عن غيب أو مستقبل لم يسمعه من النبي ﷺ.

الثاني: أن يكون ممن عُرف بالأخذ عن أهل الكتاب فليس له حكم الرفع[3].

---

(١) الحديث الموقوف هو: ما نسب إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير، ويطلق عليه بعض الفقهاء لفظ: الأثر. انظر: مقدمة ابن الصلاح: ٢٩، والباعث الحثيث: ٤٥، والنكت على كتاب ابن الصلاح: ١/ ٥١٢.

(٢) جمع صحابي وهو: من لقي النبيّ ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخلّلت ذلك ردّة. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٦، ونخبة الفكر: ١/ ١، والباعث الحثيث: ١٣٣.

(٣) انظر: فتح الباري:١/ ٤٦٤، ٦/ ٤٠٧، والنكت على كتاب ابن الصلاح: ٢/ ٥٣١- ٥٣٣، وفتح المغيث: ١/ ٢٢٨، ٢٢٩، وشرح شرح نخبة الفكر، القاري: ٥٥١، ٥٥٢، ومقدمة في أصول الحديث، الدهلوي: ١/ ٣٨.

المبحث الثاني: منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أخبار الفتن

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهــيد

إذا ورد الخبر بأمرٍ من أمور الفتن والملاحم، وتثبّت أهل السنة والجماعة من صحّته، فإنّهم يجتهدون في فهمه على وفق مراد الله تعالى، ومراد رسوله ﷺ، دون زيادة أو نقصان، ودون تحريفٍ أو تبديل، وغالباً ما تكون نتيجة فهمهم للنص أن يصنّفوا مضامينه إلى أخبارٍ يؤمنون بها، وأوامر يعملون بها، ونواهٍ ينتهون عنها.

وقد يتطلّب العملُ بالنص أن يتمّ تنزيله على أرض الواقع، وحينها فإنّهم يجتهدون في ذلك، ملتزمين بالضوابط الشرعية، والقواعد المرعيّة في هذا الباب.

وفي المطالب الثلاثة الآتية توضيحٌ لهذا المنهج الذي التزمه أهل السنة والجماعة في تعاملهم مع نصوص الفتن والملاحم.

المطلب الأول: منهج أهل السنة في فهم نصوص الفتن والملاحم:

للوصول إلى فهم سديد لنصوص الفتن والملاحم، فإنّ أهل السنة يُعْنون بسبعة أمور:

- الأمر الأول: جمع النصوص الخاصة بكلِّ حدثٍ من أحداث الملاحم:

يعتقد أهل السنة والجماعة أنّ كلّ ما قاله النبي ﷺ فهو حقٌّ يُصدِّق بعضه بعضاً[1]، ويرون أنّ جمع الروايات الثابتة في أمرٍ ما، يؤدي إلى معرفة كلّ ما قاله النبي ﷺ في هذا الأمر، مما يُساعد على بناء تصورٍ صحيحٍ شاملٍ كاملٍ، للحدث المراد معرفة معناه[2].

ومن هنا فإنّ «من لوازم القراءة الصحيحة لأحاديث الفتن: **جمع رواياتها**، وفهم الروايات في الموضوع الواحد في سياق واحد»[3].

وهذا يستلزم جمع طرق الحديث الواحد وألفاظه، وتفسير بعضها ببعض، وحمل مطلقها على مقيدها؛ ليحصل العلم بجميع مضمونها[4].

- الأمر الثاني: الاقتصار على استعمال اللفظ الشرعي الوارد في النصوص.

استعمال المصطلح الشرعي من السمات التي تميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم من أهل الأهواء والبدع، فإذا عبّر الشارع عن مراده بلفظٍ، فالواجب استعمال هذا اللفظ الذي اصطفاه الشرع، والامتناع عن تحريفه أو تبديله[5].

---

(١) انظر: المحلى، ابن حزم: ٣/ ١٤٢، ١٤٣.

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، أبو الفتح: ١/ ١١٧، وطرح التثريب في شرح التقريب، العراقي: ٤/ ١١٥،١٠٥، ٧/ ١٦٩، وشرح السيوطي لسنن النسائي: ٣/ ٨١، وموقف المسلم من الفتن، بازمول: ١٨.

(٣) موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة: ١٠.

(٤) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢/ ٢١٢، وفتح الباري: ٦/ ٥٤٨، ١١/ ٢٧٥.

(٥) انظر: إعلام الموقعين: ٦/ ٦٥، ومدارج السالكين: ٣/ ٩٩، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ١١٠-١١٥.

ويدلّ على هذه القضية المنهجية ما جاء في حديث البراء بن عازب(1) رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن متّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به. قال: فردَّدتها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: لا ونبيك الذي أرسلت»(2).

وفي أبواب الملاحم نجد أنّ النبي ﷺ أطلق اسم «الملحمة» على الحرب العظيمة التي تكون بين المسلمين والنصارى في آخر الزمان، ولكنّ بعض من كتبوا في هذه الملحمة، أطلقوا عليها اسم «هَرْمَجَدُّون»، وهو اسمٌ نصرانيٌّ لمعركةٍ يزعم بعض النصارى أنّها ستكون مؤذنةً بنهاية المسلمين!(3)، فكيف يستجيز المسلم استبدال اللفظ النبويّ الثابت بلفظٍ دخيلٍ لا صحّة له؟!.

- **الأمر الثالث: إتقان اللغة العربية وأعرافها، ومعرفة دلالات اللفظ في زمن التكلم به:**

جاءت نصوص الوحي بلغة عربية فصيحة واضحة، ومن ثمّ لابدَّ من إتقان اللغة العربية، والتعرّف على أساليب العرب وأعرافهم، قبل دراسة النصوص والبحث في معانيها، وإذا أشكل على الباحث فيها لفظٌ أو معنى فلا يقدم على القول فيه دون أن يستظهر بغيره ممن له علم بالعربية(4).

ومما ينبغي مراعاته في هذا الباب: معرفة دلالات اللفظ ومعناه زمن التكلم به فإنّ بعض

---

(1) هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة، أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوةً، أولها غزوة الخندق، توفي سنة ٧١هـ. انظر: الثقات، ابن حبان: ٣/ ٢٦، والاستيعاب: ١/ ٢٣٩، ٢٤٠، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ١٩٤-١٩٦، وتهذيب التهذيب: ١/ ٣٨٨-٣٨٩.

(2) رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء: ح ٢٤٧، ومسلم -بنحوه- في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الدعاء عند النوم: ح ٢٧١٠.

(3) انظر: ص ٣٧١،٣٨٦،٣٨٧ من الرسالة.

(4) انظر: الاعتصام: ٢/ ٢٩٧-٢٩٩، والموافقات: ٢/ ٥٦، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/ ٤٣٧-٤٤٨، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ١١٣.

الألفاظ تتغير دلالاتها في أعراف الناس مع مرور الأزمان وتجدد الأجيال ومن ثم كان من أعظم ما يعين على فهم مراد النبيّ ﷺ معرفة دلالة ألفاظه حين تكلّم بها، ولاسيّما في المصطلحات، ومسمّيات الأماكن وحدودها، ونحوها(١).

- **الأمر الرابع: الرجوع إلى فهم الصحابة والتابعين وعلماء السلف للنصوص.**

من الأصول المنهجية التي يعتمدها أهل السنة والجماعة عند دراستهم لمعاني نصوص الفتن والملاحم: أن يتمّ فهمها على ضوء ما فهمه منها الصحابة ﷺ ومن تبعهم من علماء السلف، فهو أحرى بالصواب(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يحتاج المسلمون إلى معرفة ما أراد الله ورسوله بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل، **وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين** في معاني تلك الألفاظ؛ **فإنّ الرسول لمّا خاطبهم بالكتاب والسنة عرّفهم ما أراد بتلك الألفاظ**»(٣).

- **الأمر الخامس: حمل اللفظ على ظاهره وعدم صرفه عنه إلا بقرينة.**

من القواعد المهمة في فهم نصوص ملاحم آخر الزمان أن تُحمل ألفاظها على ظاهرها وقت النطق بها، وأن لا يُصرف المعنى المتبادر إلى الذهن وقت الخطاب إلى غيره إلا بقرينة، فهي نصوص جاءت في غاية الوضوح؛ بقصد هداية الناس وإرشادهم، لا غوايتهم وإضلالهم، كما أنها ليست ألغازاً أو رموزاً تحتاج إلى تأويل(٤).

(١) انظر: الصفدية: ٢/ ٨٤، والصواعق المرسلة: ٢/ ٧٤٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ١٥٧، ١٥٨، وشرح العقيدة الأصفهانية: ١٦٥، والموافقات: ٣/ ٢٨٩، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/ ٥٠١-٥٢٧.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٧/ ٣٥٣ «باختصار»، وانظر: جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ١١٢ وما بعدها، والموافقات: ٣/ ٢٨٥، وشرح العقيدة الطحاوية: ١/ ١٩٤.

(٤) انظر: الرسالة، الشافعي: ٣٢٢، ٣٤١، وإعلام الموقعين: ٣/ ١٢٠، ١٢١، وأضواء البيان: ٧/ ٤٣٨، ٤٤٣، وموقف المسلم من الفتن، بازمول: ٣٨-٤٥.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إذا ظهر قصد المتكلم لمعنى الكلام، أولم يظهر قَصد يخالف كلامه، وجب حمل كلامه على ظاهره، وهذا حقٌّ لا ينازع فيه عالم، إذا عرف هذا فالواجب حمل كلام الله تعالى ورسوله، وحمل كلام المكلَّف على ظاهره الذي هو ظاهره، وهو الذي يقصد من اللفظ عند التخاطب، ولا يتم التفهيم والفهم إلا بذلك، ومدعي غير ذلك على المتكلم القاصد للبيان والتفهيم كاذبٌ عليه»(١).

فالذين يتأولون نصوص الشريعة على غير ظواهرها من غير دليل شرعي صحيح فهم إنما يطعنون في الشريعة من حيث شعروا أو لم يشعروا، لأنّ حقيقة القول بأنّ الشريعة جاءت بنصوص تقصد منها خلاف معانيها الظاهرة: أنها لم تأت بما يحقق البيان والإرشاد والهدى، فكان ترك المكلف بدون هذا الخطاب خيراً له وأقرب إلى الهدى(٢).

فحين يخبر النبي ﷺ عن صفات أو أحوال تكون زمن الملاحم مما قد لا يتفق مع زماننا فالواجب حمل هذه الصفات والأحوال على ظاهرها وعدم تأويلها؛ وذلك أنّه إنّما يخبر عن ذلك الزمان الذي لم يأت بعد!، فحَمْلُ مثل هذه النصوص على واقعنا بصفاته وأحواله، أو زَعْمُ بطلان الأحوال الواردة في النصوص، أو الصيرورة إلى تأويلها لمخالفتها واقعنا الحالي، كلّ ذلك يفتقر إلى الدليل؛ وإلا صار رجماً بالغيب وقولاً بغير علم، وقصراً في النظر.

ومن ذلك: إخبار النصوص عن رجوع الناس إلى السيوف والخيول ونحوها، فهو على ظاهره؛ وذلك لأنّ التقنيات المعاصرة التي نعيشها مرتبطة بأسباب، فإذا انقضت أسبابها أو أراد الله أمراً، فإنّ الأحوال تتغير، ويعود الناس إلى ما كانوا عليه، أو إلى غيره مما يشاؤه الله ويقدّره(٣).

---

(١) إعلام الموقعين: ٣/ ١٢٠، ١٢١ «باختصار»، وانظر: الرسالة: ٣٤١.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة: ١/ ٣١٠، ٣١١.

(٣) انظر: الإسلام، سعيد حوى: ٤/ ٧٥، وفقه أشراط الساعة: ١٩٦، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث: ١٢٦-١٢٩.

- **الأمر السادس: ردُّ المتشابه إلى المحكم، وما أشكل فيُرَدُّ إلى عالمه.**

من القواعد التي قررتها الشريعة: أنّ المتشابه[1] يُرَدُّ إلى المحكم[2]، وما أشكل يُرَدُّ إلى عالِمه من البشر إن كان مما يُعلم، أو إلى الله تعالى فهو العالم بكلّ شيء[3].

ودليل هذه القاعدة: ما ثبت في الحديث الصحيح من أنّ نفراً من مشيخة الصحابة ﷺ جلسوا عند بابٍ من أبواب النبيّ ﷺ، فذكروا آيةً من القرآن، فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم؛ فخرج رسول الله ﷺ مُغضباً قد احمرّ وجهه يرميهم بالتراب ويقول: «مهلاً يا قوم بهذا أُهلكت الأمم من قبلكم؛ باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتب بعضها ببعض، إنّ القرآن لم ينزل يُكذّب بعضه بعضاً، بل يُصدّق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه **فردّوه إلى عالِمه**»[4].

ويظهر تطبيق هذه القاعدة في تعيين شخص المهدي، حيث إنّ له صفاتاً تتشابه مع صفات غيره، فمن لم تتبيّن له صفات المهدي فهي عنده من قبيل المتشابه الذي ينبغي ردّه للمحكم، ومن الأمور المحكمة في تعيين المهدي، الجيش الذي يخسف به[5].

- **الأمر السابع: التفريق بين الإخبار والتشريع.**

يفرّق أهل السنة والجماعة بين الإخبار والتشريع، فمجرّد الإخبار بكون أمر ما من أشراط الساعة،

---

(١) التشابه في اللغة: هو أن يشبه اللفظُ اللفظَ في الظاهر، والمعنيان مختلفان، والنص المتشابه هو ما احتمل أوجهاً، وقيل غير ذلك. انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: ١٣٢، ومقاييس اللغة: ٣/ ٢٤٣، والمفردات في غريب القرآن، أبو القاسم: ٢٥٤، والمسودة: ١٤٤، ومباحث في علوم القرآن: ٢٢١.

(٢) المحكم في اللغة يدور حول معنيين: المنع، والإتقان، والنص المحكم هو واضح الدلالة الذي ليس فيه شبهة ولا إشكال من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى. انظر: المفردات في غريب القرآن: ١٢٨، ولسان العرب: ٢/ ٥٤٠، والمسودة: ١٤٤، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات: ٢٥٩، ٢٦٠، وتيسير الكريم الرحمن: ١/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) انظر: شرح مشكل الآثار، الطحاوي: ٦/ ٣٣٤-٣٤٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٤١، ٦/ ١٥٠، وشرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٥٨٤، وقواعد التفسير جمعاً ودراسةً، خالد السبت: ٢/ ٦٦٢-٦٦٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ح٦٧٠٢، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، عند تعليقه على حديث: ١٥٢٢.

(٥) انظر: علامات الساعة دراسة تحليلية: ١٨٤، ١٨٥، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً.

لا يعني -بالضرورة- حلّه، ولا تحريمه، ولا الاستكانة له أو الرضا به، ولا الحرص عليه، أو مدافعته، فهذه الأحوال تُعرف من نصوص التشريع، إلا أن يتضمن الخبر تشريعاً، فيجب الأخذ به[1].

قال الدكتور محمد بازمول: «أحاديث الفتن هي إخبار بمغيبات، من باب قوانين وسنن كونية؛ فلا محلّ للاستدلال بها على الأحكام الشرعية، إذا خالفت المنصوص عليه في سياق بيان الأحكام التشريعية»[2].

المطلب الثاني: منهج أهل السنة في التعامل مع مضامين نصوص الفتن والملاحم:

لمضامين نصوص الفتن والملاحم أحوال، منها:

الحالة الأولى: أن يخبر النص عن أحداثٍ كونية قدرية تقع وفق المشيئة الربانية دون أن يكون للمسلم دورٌ في إيجادها، أو منع وقوعها.

ومن الأمثلة التي تندرج تحت هذا النوع: النصوص التي أخبرت بوقوع الملاحم، وخروج المسيح الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، ونحو ذلك.

فدور المسلم تجاه هذه النصوص هو أن يؤمن بها بعد أن يتأكد من ثبوتها، ويلتزم بما قد يرد فيها من توجيهات مباشرة، وله أن يتفقّه في مضامينها، طالما التزم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ولم يُقصِّر في تعلّم فروض الأعيان الواجب عليه تعلّمها أو يفرّط في الواجبات الشرعية الحاضرة بحجّة الانشغال بأخبار المستقبل[3].

ولهذه النصوص أثرٌ في توسيع مدارك المسلم وأُفُقه؛ بحيث يعتاد النظر إلى المستقبل القريب أو البعيد، بعيداً عن إطار اللحظة التي يعيشها، بآلامها وآمالها.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّها تُسْهِم في إشباع الرغبة الإنسانية الفطرية المتطلّعة بشوقٍ لمعرفة

---

(١) انظر: معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ١٧٧، وموقف المسلم من الفتن، بازمول: ٤٥-٤٨.

(٢) موقف المسلم من الفتن: ٤٥.

(٣) انظر: العراق في أحاديث وآثار الفتن، مشهور آل سلمان: ٢/ ٧٢٤، وفقه أشراط الساعة: ٢٧، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٢، ٢٠٣، وفقه التعامل مع الفتن، زين العابدين الغامدي: ٣٠٥-٣٠٧، ٣١٤، ٣١٦-٣١٩، وموقف المسلم من الفتن، بازمول: ٤٨.

أحداث المستقبل القريبة والبعيدة[1].

الحالة الثانية: أن يخبر النصّ عن وقوع أحداثٍ تدلُّ على ضعف الدين، كظهور الشرك بالله في آخر الزمان، وانتشار المعاصي، ورفع العلم، ونحو ذلك.

فهذه الأحداث يجب مدافعتها، والعمل على تأخير تحققها، استناداً إلى عموم النصوص الواردة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن فوائد هذا النوع من الأخبار، أنّها تزرع في نفس المؤمن الإشفاق من إدراك تلك الأزمنة المُظلمة، والشعور بفضل الله على عبده حيث جنّبه شهود تلك المعاصي التي تتفطّر لهولها الأكباد، وإذا ما أدرك شيئاً منها، فإنّه يستيقن صدق ما أخبر به النبي ﷺ؛ وذلك لأنّ وقوع الخبر مطابقاً للواقع، من الدلائل المتجددة على صدق نبوته ﷺ.

الحالة الثالثة: أن يخبر النصُّ عن وقوع تغيّراتٍ اجتماعية واقتصادية وعمرانية ونحوها، مما ليس مكروهاً في الدّين، غير أنّه منذرٌ بقرب الساعة.

وذلك كالنصوص الواردة في عمران بيت المقدس في آخر الزمان[2]، وكإخبار النبي ﷺ بفشوّ التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة[3].

فيُنظرُ إلى هذه الأحداث من جهة كونها علاماتٍ على قرب الساعة، من غير أن يُطالب المسلم بدفعها وإنكارها ونحو ذلك، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: المسلمون ودراسات المستقبل، محاضرة للدكتور سفر الحوالي، وهي مفرّغة في موقعه.

(٢) انظر: ص ١٨٤ من الرسالة.

(٣) انظر: مسند أحمد: ح٣٩٨٢، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٤/ ٤٤٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني: ح٦٤٧.

۞ المطلب الثالث: منهج أهل السنة في تطبيق نصوص الفتن والملاحم على الواقع:

۞ التمهـــيد

العمل بالنصوص الشرعية هو ثمرة العلم بها، وقد كان الصحابة ﷺ يتلقّون من النبيّ ﷺ أخبار الفتن والملاحم؛ ليؤمنوا بها، ويعملوا بتوجيهاتها، ويفيدوا منها لحاضرهم ومستقبلهم، ومن ذلك ما لا يتمّ إلا بتنزيل النص على الواقع[(١)].

فحين أخبر النبي ﷺ عن ظهور المسيح الدجال، وحذّر أصحابه منه، كان في المدينة صبيٌّ يهوديٌّ يُقال له: ابن صيّاد، وكان في بعض صفاته الخِلْقيّة والخُلُقيّة شبهٌ ببعض صفات الدجال، فكان النبي ﷺ يتعهّده بين الفينة والأخرى في نفرٍ من أصحابه؛ ليتأكد هل هو المسيح الدجال أم لا؟[(٢)].

وكان بعض الصحابة ﷺ يُنزلون أحاديث الدجال على ابن صيّاد، ومنهم من كان يحلف على ذلك بحضرة النبي ﷺ[(٣)]، مما يدل على أنّ إنزال نصوص الفتن على الواقع له أصلٌ، إمّا من جهة

---

(١) انظر: موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة: ٩.

(٢) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنّ عمر ﷺ انطلق مع النبي ﷺ في رهط قبل ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أُطم بني مَغالة، وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال لابن صياد: «تشهد أني رسول الله؟ فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه، وقال: آمنت بالله وبرسله. فقال له: ماذا ترى؟ قال ابن صياد: يأتيني صادقٌ وكاذبٌ، فقال النبي ﷺ: خُلط عليك الأمر. ثم قال له النبي ﷺ: إني قد خبأت لك خبيئًا؟ فقال ابن صياد: هو الدُّخ. فقال: إخسأ، فلن تعدو قدرك. فقال عمر ﷺ: دعني يا رسول الله أضرب عنقه؟ فقال النبي ﷺ: إن يكنه فلن تُسلَّط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله. وقال سالم: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبيّ بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد وهو يَختِل أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبي ﷺ وهو مضطجع يعني في قطيفة له فيها رَمزةٌ أو زَمرةٌ، فرأت أمُّ ابن صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل، فقالت لابن صياد: يا صاف -وهو اسم ابن صياد- هذا محمد ﷺ. فثار ابن صياد، فقال النبي ﷺ: لو تَرَكَتْهُ بيّن» رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟، ح١٣٥٥، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ح٢٩٣٠، ح٢٩٣١.

(٣) من ذلك ما رواه محمد بن المنكدر رحمه الله قال: «رأيت جابر بن عبدالله يحلف بالله أنّ ابن صائد الدجال. فقلت: أتحلف بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبي ﷺ» رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ح٢٩٢٩.

البحث في وجه التطابق بين النص والواقع، وهو ما كان يفعله النبي ﷺ مع ابن صيّاد من غير أن يجزم، أو من جهة الحكم بوجود التطابق بين النص والواقع، كما فعل بعض الصحابة ﷺ بجزمهم أن ابن صيّاد هو الدجال، بقطع النظر عن صواب جزمهم من خطئه.

وفي عدم جزم النبي ﷺ بأنّ ابن صيّاد هو الدجال، مع وجود قدرٍ من التشابه بينهما، لفتةٌ مهمّة إلى أنّ تحقّق جزءٍ من العلامة أو مقدّماتها، قد لا يكفي للحكم بأنّ العلامة قد تحقّقت!، أو أنّها أوشكت؛ لأنها قد تكون مشابهةً لها وليست هي(1).

وما فعله النبي ﷺ من لزوم التأني في أمر ابن صيّاد هو الصحيح، لأنّه تبيّن له بعد ذلك أنّ ابن صيّاد ليس المسيح الدجال.

فعن أبي سعيد الخدري(2) ﷺ قال: لقيه -أي ابن صياد- رسولُ الله ﷺ وأبو بكر(3) وعمر في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله ﷺ: «أتشهد أني رسول الله؟ فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: آمنت بالله وملائكته وكتبه ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر وما ترى؟ قال أرى صادقين وكاذباً أو كاذبين وصادقاً. فقال رسول الله ﷺ: لُبِّس عليه، دعوه»(4).

---

(1) انظر: علامات الساعة دراسة تحليلية: ١٨٤، ١٨٥، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ٩٩-١٠٦.

(2) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي الإمام المجاهد: كان ملازماً للنبي ﷺ، وكان من الحفّاظ المكثرين، غزا (١٢) غزوةً، وله (١١٧٠) حديثاً، وتوفي بالمدينة سنة ٧٤ هـ. انظر: الاستيعاب: ٤/ ٢٣٥، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ١٦٨-١٧٢، والإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٦٥-٦٧.

(٣) هو عبد الله بن عثمان التيمي القرشي، صاحب رسول الله ﷺ وحبيبه ووزيره، وخليفته من بعده، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن من الرجال، له في كتب الحديث (١٤٢) حديثاً، توفي عام ١٣ هـ. انظر: الطبقات الكبرى: ٣/ ١٢٥-١٦٠، والاستيعاب: ٣/ ٩١-١٠٢، والإصابة: ٤/ ١٦٩-١٧٥.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر بن صياد، ح٢٩٢٥.

فعرف بذلك ﷺ أنّ ابن صيّاد كاهنٌ من الكهان، ثمّ جاء تميم الداري[1] ﷺ بخبر رؤيته الدجال في إحدى جزر البحر، وهو رجل كبير في الوقت الذي كان فيه ابن صياد صغيراً، فاستيقن النبي ﷺ أنّ ابن صيّاد ليس الدجال، ولم يعد يأبه له[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «عبد الله بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنّه الدجال، وتوقف النبي ﷺ في أمره؛ حتى تبيّن له فيما بعد أنه ليس هو الدجال؛ لكنه كان من جنس الكهان»[3].

وينبغي ملاحظة أمرٍ مهمٍّ: وهو أنّ الصحابة الذين جزموا بأنّ ابن صيّاد هو الدجال، توقّفوا عند هذا الحد، فلم يقم أحدهم بقتله!، مع قدرتهم عليه، وهذا يدلُّ على أنّ الصحابة ﷺ فهموا أنّ التكليف المتعلّق بنصوص الفتن، هو أن يؤمنوا بها ويعملوا بها وجّهت إليه، من غير زيادة أو نقصان!.

ومما يشهد على كون الصحابة ﷺ يُنزلون نصوص الفتن وعلامات الساعة على الواقع، ما ذكره حذيفة ﷺ من أنّه كان ينسى العلامة من علامات الساعة، فإذا رآها ماثلةً على أرض الواقع، تذكّر ما قاله النبي ﷺ في شأنها -مما يعني أنّه طبق ما تذكّره على ما رآه- وفي ذلك يقول: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إنْ كنت لأرى الشيء قد نسيتُ فأعرفه كما يعرف الرجلُ الرجلَ إذا غاب عنه فرآهُ فعرفهُ»[4].

(١) هو أبو رقيّة تميم بن أوس بن خارجة الداري، أسلم في السنة التاسعة للهجرة، سكن المدينة، ثم انتقل إلى الشام، فنزل بيت المقدس، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد، وكان راهب أهل عصره، توفي سنة ٤٠هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٢/ ١٥٠، ١٥١، والاستيعاب: ١/ ١٧٠، وأسد الغابة: ١/ ٩٥، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٤٢-٤٤٨.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب: الفتن، باب قصة الجساسة، ح٢٩٤٢، **وقد وصف ابن كثير رحمه الله حديث تميم بأنه فاصل في هذا المقام،** انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ٥٥، ٦٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١١/ ٢٨٣.

(٤) رواه البخاري في كتاب القدر، باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾، ح٦٦٠٤، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، ح٢٨٩١.

ومن ثم ينبغي على أهل العلم أن يستفيدوا من نصوص الفتن والملاحم ويُفيدوا الأمة؛ وذلك بتنزيلها على محلِّها الصحيح، متى كانت المصلحة في ذلك -كما سيأتي- وإلا تعطّلت النصوص، ولم يعمل بها؛ وذلك أنّ أشراط الساعة هي علامات عليها، فإن لم يتعين وقوع العلامات على أرض الواقع بحيث يعلمها الناس، لم يحصل المقصود الذي أراده الشارع من نصبها علامات تذكر الناس بالساعة والعمل لها.

وفي الفروع الثلاثة الآتية عرض لأظهر ملامح منهج أهل السنة والجماعة في تطبيق نصوص الفتن والملاحم على الواقع:

- **الفرع الأول: التأكد من مطابقة أوصاف النص لأوصاف الواقع.**

تبيّن من منهج النبيّ ﷺ في التأكد من مدى مطابقة أوصاف المسيح الدجال لابن صيّاد: أنّ التنزيل الصحيح لنصوص الفتن والملاحم على الواقع يمرّ بمرحلتين:

المرحلة الأولى: ضبط الوصف المُحكم الوارد في النص الصحيح.

المرحلة الثانية: التأكد من مطابقة الوصف المُحكم للواقع[1].

وهذا ما يُفسّر تعاهد النبيّ ﷺ لابن صياد من حينٍ لآخر؛ بهدف التحقق من مدى مطابقة أوصاف الدجال لأوصاف ابن صيّاد، ومعلومٌ أنّه لم يقدم على البحث في حال ابن صيّاد لو لم يكن ﷺ عالماً بصفات المسيح الدجال[2].

(١) وهاتان المرحلتان هما ما يُعرف عند الأصوليين بتنقيح المناط وتحقيقه. انظر: المسودة: ٣٤٦، ٣٥٩.

(٢) انظر: علامات الساعة دراسة تحليلية: ١٨٤، ١٨٥، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث: ٩٥-١٠٦، ١٦٦-١٦٨.

- **الفرع الثاني: عدم الجزم عند تنزيل النص على الواقع إلا بدليل صحيح.**

توقع الإنسان حدوث أمرٍ ما، إذا تتابعت مقدّماته وإرهاصاته من طبيعة النفس البشرية، ولكنّ الواجب أن لا يجزم المرء بإنزال النص على واقعٍ معينٍ إلا بدليلٍ، إمّا من قول المعصوم ﷺ في حياته، وإمّا من قرائن الأحوال بعد وفاته، كوقوع الحَدث مطابقاً للخبر من كلِّ وجه، فإن غلب على الظن مطابقة الواقع للنص، فللمجتهد أن يبين ما ظهر له، مع استحباب أن يبقيه في دائرة الاحتمال، إلى أن يقع بشكل تام(1).

ولنا أن نتأمل كيف أنّ النبي ﷺ لم يجزم بإنزال أحاديث الدجال على ابن صياد لأنه لم يتبين له فيه شيء، رغم جزم نفرٍ من أصحابه بأنّه هو، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ لتوافر قرائن تُبقي الأمر في دائرة الاحتمال، إلى أن تبيّن له بعد ذلك أنّه ليس هو.

وهكذا فإنّ إبقاء الأمور في دائرة الاحتمال طالما لم يقطع الدليل بصحّة أحدها هو الصواب، وهو منهج النبي ﷺ في تنزيل نصوص الفتن والملاحم على الواقع.

- **الفرع الثالث: ضوابط ينبغي مراعاتها عند تطبيق النص على الواقع.**

تنزيل نصوص الفتن والملاحم على الواقع، من الأمور التي زلّت فيها أقدام، والصحيح أنّ هذا التنزيل يجب أن يُترك للراسخين في العلم، من أهل البصيرة والتقى، فإنّهم أعلم الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ.

وفيما يأتي ذكر بعض أهم الضوابط التي يجب مراعاتها عند البحث في تنزيل نصوص الفتن والملاحم على الواقع:

---

(1) انظر: الدرر السنية: ١/ ٥٦٠، والعراق في أحاديث وآثار الفتن: ٢/ ٧٢٣، وفقه أشراط الساعة: ١٨٦، ١٨٧، ١٩٦، ١٩٧، ومعالم في أوقات الفتن والنوازل، السدحان: ٥٤، ٥٥.

الضابط الأول: اعتبار الترتيب الزمني للأحداث حسبما ورد في النصوص.

للوصول إلى تصورٍ صحيحٍ لأحداث آخر الزمان، فلابد من مراعاة الترتيب الزمني للأحداث حسبما ورد في النصوص.

وتحصيل هذا الترتيب يكون بجمع ما صحّ من نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة، والاجتهاد في ترتيب ما يمكن منها، حسبما دلّت عليه الأحاديث(١).

الضابط الثاني: مراعاة المصالح والمفاسد.

ظهور مطابقة الواقع للنص الصحيح أمرٌ، وإظهار العلم به للناس أمرٌ آخر.

فقد يظهر للعالم الراسخ أنّ النص بتمامه مطابقٌ للواقع، ولكنّه يمتنع عن بيان ما يعلمه؛ إمّا لما قد يترتب على إظهاره من المفاسد التي يرى أن درءها مقدّمٌ على مصلحة البيان، وإمّا لعلمه بأنّ عقول الناس لا تطيق العلم بما علمه، وقد تكذبه فتكذب الحق.

وقد صحّ عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين(٢)؛ فأما أحدهما فبثثته(٣)، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم(٤)»(٥).

فالوعاء الذي بثه أبو هريرة ﷺ في الناس هو العلم بالدين، وأما الذي كتمه ﷺ فهو ما يتعلق بالفتن والملاحم والحُكّام؛ وكان في إظهار هذا الوعاء من المفاسد ما أقلّه أن تُضرب عنق أبي هريرة ﷺ، مع عدم حاجة الناس إلى هذا العلم، وقد يكذّبونه فيكذّبون حديث النبي ﷺ(٦).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «هذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به، هو الفتن والملاحم،

(١) انظر: فقه أشراط الساعة: ١٨٧، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ١٣٥-١٤١.

(٢) الوعاءان: تثنية وعاء، وهو الظرف الذي يحفظ فيه الشيء. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ٢٠٧.

(٣) أي: نشرته. انظر: كشف المشكل: ٣/ ٥٣٤، وفتح الباري: ١/ ٢٦١.

(٤) البلعوم هو مجرى الطعام في الحلق. انظر: النهاية في غريب الحديث: ١/ ١٥٢، وفتح الباري: ١/ ٢٦١.

(٥) رواه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح١٢٠.

(٦) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ١/ ١٥٢، ودرء تعارض العقل والنقل: ١/ ١٦٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٥/ ١٧٠، ومنهاج السنة النبوية: ٨/ ١٣٨، وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٦٠٣، ٦٠٤، وفتح الباري: ١/ ٢٦١.

وما وقع بين الناس من الحروب والقتال وما سيقع، **التي لو أخبر بها قبل كونها لبادر كثير من الناس إلى تكذيبه وردوا ما أخبر به من الحق**»[1].

وقد كان من هدي الصحابة والأئمة تحديث الناس بما تستوعبه عقولهم ولا يكون فيه ضررٌ عليهم، بتكذيبهم إيّاه.

قال علي[2] رضي الله عنه: «حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»[3].

وقال الإمام ابن مفلح[4] رحمه الله: «وإنّما ينبغي أن يخاطب الإنسان على قدر فهمه ومخاطبة العوام صعبة؛ فإنّ أحدهم ليرى رأياً يُخالف فيه العلماء ولا ينتهي»[5].

الضابط الثالث: التأنّي عند تنزيل النص على الواقع، والرجوع إلى أهل العلم.

ينبغي للمسلم إذا ظهر له وجه شبه بين الواقع وبين نصٍّ من نصوص الفتن والملاحم أن يتحلّى بأمرين:

- **الأمر الأول:** أن يتأنّى ولا يتسرع في تنزيل النص على الواقع.

تبيّن من بحث النبي ﷺ في حال ابن صيّاد ومدى مطابقته لحال الدجال، أنّه كان يعاود اختبار واقع ابن صياد المرة تلو المرة، وكان بحثه ﷺ يتصف بالتؤدة والتأنّي وفي هذا درسٌ للأمة من بعده، بأن تلزم التأني وعدم التعجل في تعاملها مع أحاديث الفتن والملاحم.

وقد سار أهل السنة والجماعة على منهج النبي ﷺ في التأني وعدم الاستعجال، فعن حفص

---

(١) البداية والنهاية: ١١/ ٣٦٩، وانظر: درء تعارض العقل والنقل: ٥/ ٧٦، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٥٩٧.

(٢) هو علي بن أبي طالب: أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، ابن عم رسول الله ﷺ، وربيبه وزوج ابنته فاطمة، له (٥٨٦) حديثاً. قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة عام ٤٠هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ١٩٧-٢٢٥، وسير الخلفاء الراشدين: ٢٢٥-٢٨٨، والإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٤٦٤-٤٧٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ح١٢٧.

(٤) هو الإمام محمد بن مفلح المقدسي، أعلم أهل عصره بمذهب الإمام أحمد بن حنبل، توفي سنة: ٧٦٣هـ. انظر: ذيول العبر في خبر من غبر: ٤/ ١٩٦، والمعجم المختص بالمحدثين: ٢٦٥، ٢٦٦، والدرر الكامنة: ٥/ ٣٠، ٣١.

(٥) الآداب الشرعية: ٢/ ٨٩، ٩٠ «باختصار».

ابن غياث[١] رحمه الله أنّه قال لسفيان الثوري[٢] رحمه الله: «يا أبا عبدالله إنّ النّاس قد أكثروا في المهدي فما تقول فيه؟ قال: إن مرّ على بابك فلا تكن منه في شيء، حتى يجتمع النّاس عليه»[٣].

وتظهر أهمية التأني والتوازن وعدم الاندفاع في توقع العلامة من علامات الساعة أو تنزيلها على الواقع، من جهة أنّ اليقين بحدوث العلامة -لإخبار الصادق المصدوق ﷺ بها- قد ينشأ معه وصفٌ زائدٌ على النص وهو حالة نفسية متوترة تربط كلّ حدثٍ بالعلامة المنصوص عليها، وربما صاحب هذه الحالة غفلة عن مقدمات العلامة، أو عدم انطباق جميع أوصاف العلامة كما أخبر بها النص.

فهذه الحالة النفسية، وما يصاحبها أو ينشأ عنها من قصور في البحث والنظر تُعدُّ بحدٍّ ذاتها مشكلة، تؤدي في الغالب إلى نتائج خاطئة في الحكم والتصور.

ومن هنا تتأكّد أهميّة الارتباط بالعلماء الراسخين؛ لأنّهم محفوظون -بإذن الله- من هذه الزلات[٤]، وهو ما يقودنا إلى الحديث عن:

- **الأمر الثاني وهو:** الرجوع إلى أهل العلم وردّ المسائل المشكلة إليهم.

وجّه القرآن الكريم إلى ردّ الأمور المهمّة والمصالح العامّة إلى الرسول ﷺ وأولي الأمر، من العلماء ذوي الرأي السديد، فقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾[٥].

---

(١) هو الإمام الحافظ العلامة القاضي أبو عمر حفص بن غياث النخعي الكوفي، توفي سنة ١٩٤هـ وقيل غير ذلك. انظر: التاريخ الكبير: ٢/ ٣٧٠، والثقات، ابن حبّان: ٦/ ٢٠٠، وتهذيب الكمال: ٧/ ٥٦-٧٠.

(٢) هو إمام الحفاظ أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثوري المجتهد، توفي سنة ١٦١هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٤/ ٩٢، ٩٣، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٢٠٣-٢٠٧، وتهذيب التهذيب: ٤/ ١٠١-١٠٤.

(٣) حلية الأولياء: ٧/ ٣٣، وانظر: سؤالات الآجري: ٣/ ٩٤، وسير أعلام النبلاء: ٧/ ٢٤٧.

(٤) انظر: علامات الساعة دراسة تحليلية: ١٨٥، ومعالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن: ٩٢-٩٥، ١١٥-١٢١، وموقف المسلم من الفتن، بازمول: ٥٧.

(٥) سورة النساء: آية (٨٣).

قال العلامة عبدالرحمن السعدي[1] رحمه الله: «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنّه ينبغي لهم، إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم، أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر. بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي، والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدّها. فإن رأوا في إذاعته مصلحةً ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم، وتحرزاً من أعدائهم، فعلوا ذلك. وإن رأوا ما فيه مصلحة، أو فيه مصلحة، ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه»[2].

وقال الله تعالى في آية أخرى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

ولذا فالواجب على أهل الإسلام أن يكلوا مطابقة نصوص الفتن والملاحم بالواقع إلى الراسخين من أهل العلم، العالمين بأخبار الفتن والملاحم والناظرين بعين البصيرة إلى واقعهم، والمدركين لمآلات الأمور، وما يترتب على الأقوال والأفعال من المصالح والمفاسد.

---

(١) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي: مفسّر، من علماء نجد، مولده في عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـ وهو أول من أنشأ مكتبة فيها سنة ١٣٥٨هـ، له نحو ٣٠ كتاباً، توفي في عنيزة سنة ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م. انظر: الأعلام: ٣/ ٣٤٠، وعلماء نجد خلال ثمان قرون: ٣/ ٢١٨-٢٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/ ٣٣٠.

(٣) سورة النحل: آية (٤٣).

المبحث الثالث: موقف أهل السنة والجماعة من أخبار الملاحم عند أهل الكتاب

وفيه تمهيد ومطلبان:

۞ تمهيـــــد

تتطلب واجبات الدعوة إلى الله، ومصالح العباد، أن يتعامل المسلمون مع أهل الكتاب وغيرهم، وهذا بدوره يفتح الباب للتحاور والتناظر حول العديد من القضايا الدينية وغيرها، ولكون اليهود والنصارى يؤمنون بكتب سابقة، فإنّهم قد يعرضون شيئاً منها على بعض المسلمين، ولأنّ هذه الكتب تتضمّن حقّاً وباطلاً، فقد أرشد النبي ﷺ المسلمين إلى ميزانٍ علميٍ عادلٍ يحاكمون إليه أخبار أهل الكتاب.

وقد التزم أهل السنة والجماعة بهذا الميزان النبوي فهدوا إلى سواء السبيل وعصمهم الله به من التكذيب بما عند أهل الكتاب من الحق، والتصديق بما عندهم من الباطل، وفي المطلب الآتي بيانٌ للمنهج النبوي الذي التزمه أهل السنة في التعامل مع أخبار أهل الكتاب، وفي الذي يليه بيانٌ لوجه الجمع بين ما جاء في الإذن بالتحديث عن أهل الكتاب، وما جاء في النهي عن مطالعة كتبهم.

۞ المطلب الأول: موقف أهل السنة من قبول أخبار الملاحم عند أهل الكتاب:

موقف أهل السنة من أخبار الملاحم عند أهل الكتاب فرعٌ عن موقفهم من أخبار أهل الكتاب على وجه العموم.

وهم يقسِّمون أخبار أهل الكتاب إلى ثلاثة أقسام[1]:

القسم الأول: أخبار مقبولة.

وهي: كلّ ما وافق القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

فمما وافقوا فيه السنة الصحيحة: إخبارهم بوجود ملاحم تكون في آخر الزمان بين أهل الكفر وأهل الإيمان، ومن هذا القسم -الذي وافق الكتاب والسنة- ما قد يكون الخلاف معهم في تفصيله أو تفسيره.

ويُشار إلى أنّ موافقة أخبار أهل الكتاب للواقع، قد يكون دليلاً على صدقها، إن لم يكن عندنا ما يكذّبها.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وأما الأخبار الإسرائيلية[2] فيما يذكره كثيرٌ من المفسرين والمؤرخين فكثيرةٌ جداً، **ومنها ما هو صحيح موافق لما وقع**»[3].

والفائدة من رواية الأخبار **الموافقة لما عندنا من الحق**: الاستئناس بها -لتأكيدها الحقّ الذي عندنا-، وللترغيب والترهيب[4].

---

(١) انظر: الفصل في الملل، ابن حزم: ١/ ٣١٨-٣٢١، والجواب الصحيح: ٦/ ٤٦٢،٤٦١، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٢/ ٥٨، ١٣/ ٣٤٥، ٢٤/ ٢٥٨، والبداية والنهاية: ٢/ ٣١-٣٩، ٦/ ٢٨٣-٢٨٥، وشرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٢٣٠، وفتح الباري: ٦/ ٥٧٥، ٥٧٦، ١٣/ ٣٤٠، وأصول في التفسير: ٥٣، والتفسير والمفسرون: ١/ ٦٢، ٧١، ١٦٩-١٧٧، ١٧٩، ١٨٠، ومناهل العرفان في علوم القرآن: ٢/ ٢٢، ويوم الغضب: ٧-٩.

(٢) الإسرائيليات هي: «الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر أو من النصارى» أصول في التفسير، محمد العثيمين: ٥٣، ٥٤، وانظر: التفسير والمفسرون: ١/ ١٦٥.

(٣) البداية والنهاية: ٣/ ٧٧.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ٢٥١، ١٩/ ٦، ٧.

القسم الثاني: أخبار مرفوضة.

وهي كلّ ما خالف القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، أو الواقع، أو العقل الصريح، وهي مما لا يجوز التحديث به إلا لبيان كذبه[1].

قال الإمام الشافعي[2] رحمه الله: «إذا أباح النبيّ ﷺ الحديثَ عن بني إسرائيل فإنما أباح قبول ذلك عمن حدَّث به، ممن يُجهل صدقُه وكذبُه، **ولم يُبحهُ عن من يُعرف كذبُه**»[3].

ومن هذا النوع: بعض ما جاء في ملاحمهم من دعوى أنّ العاقبة في آخر الزمان تكون لأهل الكتاب، وأنّ عيسى عليه السلام سينزل منتصراً لليهود على المسلمين[4]، ونحو ذلك مما عُلم كذبه من دين الإسلام.

القسم الثالث: أخبار لا تُصدَّقُ ولا تُكَذَّبُ.

وهي ما لم يثبت في القرآن والسنة الصحيحة والواقع موافقتها أو مخالفتها، **فلا بأس من التحديث بها** إذا لم يُخش محذور؛ لقول النبي ﷺ: «حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[5]، **ولكن من غير الجزم بتصديقها أو تكذيبها**، لقوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم[6] وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية[7]»[8].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٣٩٤.

(٢) هو محمد بن إدريس القرشي الهاشمي، أحد الأئمة الأربعة، ولد في «غزّة»، وقصد مصر وتوفي بها سنة: ٢٠٤هـ. انظر: تذكرة الحفّاظ: ١/ ٣٦١-٣٦٣، وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥-٩٩، وتقريب التهذيب: ٤٠٣.

(٣) الرسالة: ٢٦٥ «بتصرف».

(٤) انظر: ص ٣٧٧ وما بعدها من الرسالة.

(٥) رواه البخاري، في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ح ٣٤٦١.

(٦) وسبب عدم الجزم بتصديق أهل الكتاب أو تكذيبهم هو انتفاء الدليل، فإن صدقناهم مع انتفاء الدليل الثابت عندنا فقد نصدق بباطل، وإن كذبناهم فقد نكذب بحق.

(٧) سورة البقرة: آية (١٣٦).

(٨) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، ح ٥١٢٤.

قال الإمام الذهبي[1] رحمه الله بعد أن ساق هذين الحديثين: «**فهذا إذن نبويٌّ في جواز سماع ما يأثرونه في الجملة، كما سمع منهم ما ينقلونه من الطب، ولا حجّة في شيءٍ من ذلك، إنما الحجة في الكتاب والسنة**»[2].

ومن أمثلة هذا القسم: إخبارهم عن اجتماع اليهود في آخر الزمان بفلسطين لينزل عليهم غضب الرب، ونحو ذلك[3].

وغالب هذا النوع لا يُستفاد منه فائدة دينية، وإنما يروى للاعتبار[4].

وقد كان السلف الصالح يحاكمون هذا النوع من الأخبار إلى ميزان الواقع لقول معاوية[5] رضي الله عنه في كعب الأحبار[6] رحمه الله: «**إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب**»[7].

---

(١) هو الحافظ أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، توفي سنة ٧٤٨هـ. انظر: فوات الوفيات: ٢/ ٣١٥-٣١٧، والدرر الكامنة: ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٣/ ٤٧٠.

(٣) انظر: ص ٣٠٨، ٣٥٧ من الرسالة.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٣٤٥، ٨/ ٣٢٢، ١٨/ ٦٧، ١٩/ ٦٣، وتفسير القرآن العظيم: ٥/ ٣٤٧، ٣٤٨، ٦/ ٢٨٤، ومرقاة المفاتيح: ١/ ٣٩١، ٣٩٢، وحجة الله البالغة: ١/ ٣٤٨-٣٥١.

(٥) هو معاوية بن أبي سفيان: أمير المؤمنين، مؤسس الدولة الأموية في الشام، أسلم يوم الفتح، وكان من كُتاب النّبي ﷺ، بلغت فتوحاته المحيط الاطلنطي، توفي سنة ٦٠هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ٤٧٠-٤٧٥، وسير أعلام النبلاء: ٣٥/ ١١٩-١٦٢، والإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ١٢٠-١٢٢.

(٦) هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري اليماني العلامة الحبر كان يهودياً أدرك النبي ﷺ، وأسلم بعد وفاته ﷺ، وكان حسن الإسلام متين الديانة، خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة، توفي سنة ٣٢هـ. انظر: طبقات ابن سعد: ٧/ ٣٠٩، واقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٣٧٥، وتهذيب الكمال: ٢٤/ ١٨٩-١٩٣، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٥٢، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٨٩-٤٩٤.

(٧) رواه البخاري مُعلّقاً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»: ح٧٣٦١، ولكنّه وصله في التاريخ الأوسط: ح٢٠٩، وانظر: الجمع بين الصحيحين، الحميدي: ح٢٨٩٩، وتغليق التعليق، ابن حجر: ح٧٣٦١، وفتح الباري: ١٣/ ٣٤٦.

والمراد بالكذب هنا الخطأ؛ وذلك لأنّ لفظ الكذب عندهم يطلق عليه، وعلى الوضع والافتراء، ومقصود معاوية رضي الله عنه أنّهم كانوا يقارنون أخبار كعب بمجريات الواقع، وكان الواقع في بعض الأحيان يخالف بعض ما أخبر به كعب رحمه الله[1].

وقد كان الإمامان ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله، يناقشان أخبار أهل الكتاب، وربما أنزلا بعضها على النبي ﷺ وأمته، لما استقرّ عندهما من صحة انطباقها على واقع النبي ﷺ وأمته، مع كون بعضها مما لم يرد عندنا ما يصدّقه[2].

قال فضيلة الدكتور سفر الحوالي -أحسن الله إليه-: «وكوننا لا نصدقه ولا نكذبه، يعني خروجه عن دائرة الاعتقاد والوحي، إلى دائرة الرأي والرواية التاريخية، التي تقبل الخطأ والصواب، والتعديل والإضافة. أي إنّ النهي لا يعني عدم البحث فيه مطلقاً ولكنّه بحثٌ مشروطٌ، وضمن دائرة الظنّ والاحتمال»[3].

وخلاصة القول: إنّ البحث في مدى مطابقة الواقع لأخبار أهل الكتاب، وإن كنّا لم نؤمر به شرعاً، إلا أنه مباحٌ من حيث الأصل، ولاسيّما إذا كان المتصدّي له من الراسخين في العلم، وقد يُستحب إذا كان فيه دعوةٌ لهم، أو صدٌّ لعدوانهم عن المسلمين[4].

ومن قام به ممن عُرف بالإيمان والرسوخ، فهو مُتَّبعٌ غير مبتدع؛ إذ له في ذلك سلفٌ من الصحابة وأئمة أهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ٣/ ٣٧، وتفسير القرآن العظيم: ٦/ ٢٨٥، وفتح الباري: ١٣/ ٣٤٦.

(٢) انظر على سبيل المثال: الجواب الصحيح: ٥/ ٢٣٧-٣١٨، وهداية الحيارى: ١٠٧-١٧٢.

(٣) يوم الغضب: ٩.

(٤) انظر: فتح الباري: ١٣/ ٥٢٧.

المطلب الثاني: موقف أهل السنة والجماعة من مطالعة كتب أهل الكتاب:

جاء في السنة النبوية **الإذن بالتحديث عن بني إسرائيل**، كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ النبيّ ﷺ قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1].

وفي مقابل هذا الإذن، جاء النهي عن مطالعة كتبهم، كما في حديث جابر بن عبدالله[2] رضي الله عنه أنّ عمر بن الخطاب[3] رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب؛ فقرأه على النبي ﷺ فغضب، فقال: «أمتهوّكون[4] فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً، لا تسألوهم عن شيء؛ فيخبروكم بحقٍ فتكذبوا به، أو بباطلٍ فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى ﷺ كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني»[5].

وقد اجتهد أئمة أهل السنة والجماعة في الجمع بين الحديثين، فظهر لهم عدّة أوجه في ذلك، من أهمها:

الوجه الأول: أنّ النهي كان في أول الإسلام خوفاً من الفتنة، ثم لما أمنت أبيح التحديث عنهم.

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٧٧.

(٢) هو جابر بن عبدالله الأنصاري، صحابيٌّ من المكثرين في الرواية، غزا (١٩) غزوةً، وروى (٢٥٤٠) حديثاً، ولأبيه صحبة رضي الله عنهما، توفي سنة ٧٨هـ. انظر: الاستيعاب: ١/ ٢٩٢، ٢٩٣، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٩-١٩٤، والإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٥٤٦، ٥٤٧.

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي: أمير المؤمنين، وثاني الخلفاء الراشدين، أسلم في السنة الخامسة قبل الهجرة، وفي أيامه انتصب اثنا عشر ألف منبر في الإسلام، وهو وأول من وضع التاريخ الهجري، وله (٥٣٧) حديثاً، قتله أبو لؤلؤة المجوسي عام ٢٣هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ١٣٥، وسير الخلفاء الراشدين: ٧١-٩٦، والإصابة: ٤/ ٥٨٨.

(٤) أي أمتحيّرون أنتم في الإسلام؟ لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى!!. انظر: شرح السنة، البغوي: ١/ ٢٧١، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٨٥، ولسان العرب: ٩/ ١٦٢.

(٥) رواه أحمد في مسنده: ح١٥١٥٦، وقال ابن كثير: «تفرّد به أحمد، وإسناده على شرط مسلم» البداية والنهاية: ٣/ ٣٥، وانظر: ٢/ ٣٥، وذهب ابن حجر والعيني إلى توثيق رجاله، إلا مجالداً فإنّ فيه ضعفاً، وقال ابن حجر بعد أن جمع طرق الحديث: «هذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به؛ لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلاً» فتح الباري: ١٣/ ٥٣٥، وانظر: ١٣/ ٣٤٥، وعمدة القاري: ٢٥/ ٧٤، وحسّنه الألباني في مشكاة المصابيح، ح١٧٧.

الوجه الثاني: أنّ النهي كان في سؤالهم عما لا نصّ فيه.

الوجه الثالث: أنّ النهي منصرف إلى غير الراسخين في العلم، وأما أهل العلم فلا يشملهم[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن وَيَصِرْ من الراسخين في الإيمان؛ فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له ولاسيّما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدلّ على ذلك نقل الأئمة قديماً وحديثاً من التوراة، وإلزامهم اليهود بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جواز النظر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه»[2].

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ١٠/ ٣٨٩، ٣٩١، وتقييد العلم، الخطيب البغدادي: ٥١، ٥٧، والجامع لأخلاق الراوي، له أيضاً: ٢/ ١٦٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٥/ ١٥٤، ١٧/ ٤٦٣، والتذكرة في الأحاديث المشتهرة، الزركشي: ١/ ٢٧، وفتح الباري: ٦/ ٥٧٥، ١٣/ ٣٤٥، وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني: ١/ ٤٢١، ٤٢٢.

(٢) فتح الباري: ١٣/ ٥٣٥، وانظر: مطالب أولي النهى، الرحيباني: ١/ ٦٠٣، وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ٣/ ٣١١.

الفصل الثاني
المخالفات في دراسة الملاحم عند بعض المسلمين

وفيه تمهيد وثلاثة مباحـــث : -

- تمهيـــــــــد.
- المبحث الأول: المخالفات في الإثبات.
- المبحث الثاني: المخالفات في الاستدلال.
- المبحث الثالث: المخالفات في تنزيل أخبار الفتن والملاحم على الواقع.

تمهـــيد

لكلّ زمانٍ ثقافته واهتماماته التي تنعكس بشكل تلقائي على كثير من المؤلفات والأفكار التي ينتجها أهلُ ذلك الزمان[1]، ونظراً لتكاثر الفتن في زماننا المعاصر، وزيادة تداعي أمم الكفر على أهل الإسلام، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فقد زادت العناية بالكتابة في «الفتن والملاحم، وأشراط الساعة»، ولاسيّما مع سهولة طباعة الكتاب وإخراجه في هذا العصر.

وفي نصوص الفتن والملاحم الكثير من الإشارات إلى المحن والمنح التي ستعرض للأمة الإسلامية في مسيرتها المستقبلية، ما دفع بعض الناس إلى البحث في هذا العلم النبوي، والأصل العقدي الغيبي، فمنهم من أجاد وأفاد، ومنهم من رمى بنفسه في البحر قبل أن يجيد السباحة[2]، فغرق وعرض للغرق من اتبعه.

وسيُعنى هذا الفصل بتسليط الضوء على أظهر المخالفات التي وقعت في أبواب الفتن والملاحم، وذلك من خلال المباحث الثلاثة الآتية.

(١) ويمكن رؤية هذه الملاحظة بشكل جليٍّ في مؤلفات العقيدة، سواءٌ ما يتعلق منها بالتأصيل، أو حماية جناب التوحيد، والرد على المخالفيّن، وهذا لا يعني أنّ الأصول العقدية تختلف من زمان إلى آخر، كلا؛ فالأصول العقدية المستقاة من منهاج النبوة واحدة، لكنّ الذي يختلف من زمن إلى آخر هو أسلوب الطرح، أو التركيز على مسائل بعينها، مراعاةً لما يحتاجه كلّ جيل، أو أهل بلد، وهذا يلفت الانتباه إلى خطأ إسقاط احتياجات جيل سابق على جيل لاحق، ومن هنا تظهر أهمية المجددين، الذين يتلمسون احتياجات جيلهم، فيعتنون بها، وأهمية أن تعتني المجامع العلمية والجمعيات الشرعية، واللجان المتخصصة، في أن يكون لها دور فاعل في هذا الجانب المهم. انظر: مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان ضميرية: ٧٣-١٣٥.

(٢) بحجة أن من حقه أن يكتب ما يشاء، معتبراً أنّ «حق التأليف والكتابة حق، مثل الماء والهواء» السيناريو القادم لأحداث آخر الزمن، منصور عبدالحكيم: ١٣.

المبحث الأول: مصادر أخبار الفتن والملاحم عند أهل السنة والجماعة

أهمّ المخالفات في باب الإثبات ثلاث، هي:

١- إنكار كلّ الفتن والملاحم أو بعضها.

٢- وضع ملاحم لا أصل لها.

٣- إثبات ألفاظ نصوص الفتن والملاحم، وإبطال معانيها بالتأويل.

وبيان هذه المخالفات في المطالب الثلاثة الآتية.

المطلب الأول: إنكار كلّ الفتن والملاحم وأشراط الساعة أو بعضها:

وهذه المخالفة وقعت من بعض الفرق القديمة، ومن بعض المعاصرين، وقد تنوعت أسباب إنكارهم لكلّ الفتن والملاحم أو بعضها، ومجمل هذه الأسباب يدور حول، الاعتراض على مصدر الخبر، أو متنه، أو ما نسب إليه من آثار سيئة.

وبيان ذلك في ثلاثة فروع:

الفرع الأول: إنكار شيء من الفتن والملاحم بسبب الاعتراض على مصدر الخبر:

أظْهرُ الحججِ التي أنكر البعض بسببها كلّ نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة أو بعضها مما له تعلّق بمصدر الخبر أربع هي:

١ - كون الخبر حديثاً والأحاديث لا يستدلّ بها على العقائد. وهذا مذهب «الخوارج[(١)]»، و«الشيعة[(٢)]»، وغلاة «المعتزلة[(٣)]» و«القرآنيين[(٤)]»[(٥)].

وقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ السنّة الصحيحة شقيقة القرآن، وأنّها في الاحتجاج بها كالقرآن سواء بسواء، وفيما ذُكر آنفاً غُنية لمن كان للحق طالباً[(٦)].

(١) فرقة ظهرت في زمن علي ﷺ يكفّرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم، وبسبب تكفيرهم لكثير من الصحابة أنكروا الاستدلال بالأحاديث. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٣٤٩، ١٣/ ٣٢، ٢٠٨، ١٩/ ٨٩-٩٢، والخوارج أول الفرق في تاريخ المسلمين، ناصر العقل: ٢٨-٣٥، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ١٢٧-١٣٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ١٠٦٣، ١٠٦٤.

(٢) فرقة ظهرت في زمن علي ﷺ يفضل أتباعها علياً ﷺ على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويعتقدون بعصمة الأئمة وأنّهم اثنا عشر إماماً من آل البيت، وأطلق علماء السلف على هذه الفرقة اسم الرافضة تمييزاً لهم عن الشيعة الأوائل، وبسبب تكفيرهم لأكثر الصحابة أنكروا الاستدلال بالأحاديث. انظر: الملل والنحل: ١/ ١٩٠ وما بعدها، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ١٢٧-١٣٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ١٠٩٤، ١٠٩٥.

(٣) فرقة ظهرت في أواخر العصر الأموي، وسادَت في العصر العباسي، اعتمدوا على العقل المجرد في فهم العقيدة، يعتقدون بنفي الصفات عن الله تعالى، وأن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، وأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، وبسبب تجويزهم وقوع الكذب في الأحاديث أنكروا الاستدلال بها. انظر: تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة: ١٠-٦١، والفرق بين الفرق: ١٤٣، والملل والنحل: ١/ ٦٧، ٧٢، ٧٣، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ١٣٤-١٤٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ١/ ٦٩-٧٩.

(٤) فرقة ظهرت في الهند في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، يحصر أتباعها مصدر الدلالة على القرآن وحده، وينكرون الاحتجاج بالأحاديث النبوية، ويعترضون على السنة بجملة من الاعتراضات، منها: أنها ليست وحياً من الله، وأنّ القضاء بوفقها يؤدي إلى الإشراك، وأنّها تزرع الفرقة بين المسلمين، إلى غير ذلك من الحجج السقيمة. انظر: القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: ١٩، ٩٩-١١١، ٢٠٩-٢٥٦.

(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٢٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٧٩، ٨٠، والإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت: ٤٣، ٥٢٤، وإقامة البرهان، التويجري: ٧.

(٦) انظر: ص ٥٥ من الرسالة.

٢- كون الحديث خبر آحاد، وخبر الآحاد لا يستدلّ به على العقائد.

وهو قول: عموم «المعتزلة»[١]، و«الأشاعرة[٢]»[٣]، وأتباع «المدرسة العقلية[٤]»[٥].

والحقُّ أنّه لا يصحُّ التفريق بين الأحاديث الثابتة من حيث الاستدلال بها، وعلى ذلك إجماع السلف الصالح؛ حيث قرّروا أنّ العقائد وغيرها من مسائل الدين تثبت بما صح عن رسول الله ﷺ سواء كان متواتراً[٦] أم آحاداً[٧]، والتفريق بينهما حادثٌ بعد القرون المفضّلة، ومن ثمّ فلا أصل له، ولا يُعتدُّ به[٨].

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار: ٧٦٩، ٧٧٠، والفرق بين الفرق، البغدادي: ١٤٤، ١٨٠، و الانتصار، لأبي الحسين البصري: ٥٥، والمعتمد في أصول الفقه، له أيضاً: ٢/ ٥٤٩، ٥٦٦، والاعتصام: ١/ ٢٣٢.

(٢) هم أتباع أبي الحسن الأشعري، في فترته الانتقالية من الاعتزال إلى مذهب السلف، وهم مرجئة في باب الأسماء والأحكام، جبرية في باب القدر مؤولة في الصفات. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٦/ ٥٥، وشرح العقيدة الواسطية: ٩٨ الحاشية.

(٣) انظر: الفرق بين الفرق: ٣٢٥، ٣٢٦، وأصول الدين، له: ١٢، والبرهان في أصول الفقه، الجويني: ١/ ٥٥٩، والشامل، له أيضاً: ٥٥٧، ٥٥٨، والمستصفى، الغزالي: ١/ ١٤٥، وتمهيد الأوائل، ابن الباقلاني: ٤٤١.

(٤) اسم يطلق على التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية المادية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، انظر: في حوار هادئ مع محمد الغزالي، سلمان العودة: ٩.

(٥) انظر: رسالة التوحيد، محمد عبده: ١٥٧، ١٥٨، والفتاوى، محمود شلتوت: ٦٢، ٧٧، والمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبدالكريم الخطيب: ٥٣٩، وقصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار: ٤٢٤، وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ١/ ١٢٦-١٣١، ٢/ ٢٠١، ٢٠٢، ٢١٤-٢٣٠، والمسيحية، أحمد شلبي: ٥٩، وتفسير المنار: ١٢/ ١٦٦، ومعركة هرمجدون، أحمد حجازي: ١٤.

(٦) الحديث المتواتر هو مارواه جمع كثير عن مثلهم إلى منتهاه، تحيل العادة تواطؤهم على الكذب وكان مستند خبرهم الحس. انظر: النكت على نزهة النظر: ٥٦، والإحكام للآمدي: ٢/ ٢٥، وأخبار الآحاد للجبرين: ٤٠.

(٧) الحديث الآحاد هو: ما لم يجمع شروط التواتر، سواء كان المخبر واحداً أو غير ذلك من الأعداد التي لا تشعر بأنّ الخبر دخل بها في حيّز المتواتر. انظر: شرح شرح نخبة الفكر: ٢٠٩، وتوجيه النظر إلى أصول الأثر: ٣٣.

(٨) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم: ١/ ١٠٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٣٥١، ١٨/ ٤١، ٢٠/ ٢٥٩-٢٦١، وإعلام الموقعين: ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨، ومختصر الصواعق: ٥٥٩، ٥٦٣-٥٦٩، ٥٧٧، ٥٧٨، وفتح الباري: ١٣/ ٢٤٦، وحجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد: ٤٩-٧٢.

قال الإمام ابن عبدالبر[1] رحمه الله: «ليس في الاعتقاد كلّه إلا ما جاء منصوصاً في كتاب الله، أو صحّ عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كلّه أو نحوه يُسلّمُ له، ولا يُناظرُ فيه»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «السنة إذا ثبتت؛ فإنّ المسلمين كلّهم متفقون على وجوب اتباعها»[3].

٣- عدم ورود الحديث في الصحيحين.

وهو قول: السيد محمد رشيد رضا[4]، والأستاذ أحمد أمين[5]، حيث ذهبا إلى الحكم بعدم صحّة أحاديث المهدي، بحجّة عدم ورودها في الصحيحين[6].

وهذه الحجة تفتقر إلى مقدمة مهمة، وهي: أنّ الشيخين استوعبا في كتابيهما جميع الأحاديث الصحيحة، وهو ما نفياه، حيث سمّى الإمام البخاري[7] رحمه الله كتابه: «الجامع الصحيح المسند **المختصر** من أمور رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسننه وأيامه».

---

(١) هو الإمام العلامة يوسف بن عبدالله القرطبي المالكي: من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، يقال له حافظ المغرب، كتبه كثيرة، منها: التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب. توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: الأنساب: ٤/ ٤٧٢، وترتيب المدارك وتقريب المسالك: ٤/ ٨٠٨-٨١٠، وسير أعلام النبلاء: ١٨/ ١٥٣-١٦٣.

(٢) جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٩٦ «باختصار»، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٤١، ١٦/ ٤١٠.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٩/ ٨٥، ٨٦.

(٤) هو السيد محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل، الحسيني، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، له عناية بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، توفي بمصر سنة ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام: ٦/ ١٢٦.

(٥) هو أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ، أحد علماء الأدب، تولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، انتخب عميداً لكلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٩م، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ. انظر: الأعلام: ١/ ١٠١.

(٦) انظر: تفسير المنار: ٩/ ٤٩٩، وضحى الإسلام: ٣/ ٢٣٧.

(٧) هو أمير المؤمنين في الحديث محمد بن إسماعيل البخاري: حبر الإسلام، صاحب الجامع الصحيح، أصحّ كتاب بعد القرآن الكريم، توفي سنة ٢٥٦هـ انظر: تهذيب الكمال: ٢٤/ ٤٣٠، وسير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٩١-٤٧١.

وقال فيما رواه عنه الإمام ابن الصلاح[1] رحمه الله: «ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول»[2].

وقال الإمام مسلم[3] رحمه الله فيما رواه عنه الإمام ابن الصلاح رحمه الله: «ليس كلّ شيءٍ عندي صحيح وضعته ههنا -يعني في كتابه الصحيح-»[4].

وقد نصّ الأئمة على هذا المعنى، فقال الإمام النووي[5] رحمه الله: «فإنّهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصريحهما بأنّهما لم يستوعباه، وإنّما قصدا جمع جُمَلٍ من الصحيح»[6].

ومن وجهٍ آخر فإنّهما صحّحا أحاديث ليست في كتابيهما، كما ذكر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله، فقال: «إنّ البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما قد صحّحا أحاديث ليست في كتابيهما، كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده، بل في السنن وغيرها»[7].

---

(١) هو الشيخ تقي الدين عثمان بن عبدالرحمن الكردي الشهرزوري، كان إماماً في الفقه والحديث، عارفاً بالتفسير والأصول والنحو، ورعاً زاهداً، توفي سنة ٦٤٣هـ. انظر: طبقات الفقهاء: ١/ ٢٦٤، ٢٦٥، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٤٣٠.

(٢) مقدمة ابن الصلاح: ١٩، وانظر: تدريب الراوي: ١/ ٩٨.

(٣) هو الإمام الحافظ الكبير المجوّد الصادق أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صاحب الجامع الصحيح، توفي سنة ٢٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٥٥٧-٥٨٠، وتقريب التهذيب: ٤٦٢.

(٤) مقدمة ابن الصلاح: ٢٠، وانظر: تدريب الراوي: ١/ ٩٨.

(٥) هو الإمام يحيى بن شرف النووي الحوراني الشافعي، علامة بالفقه والحديث، وتآليفه مشهورة، منها رياض الصالحين، توفي سنة ٦٧٦هـ.انظر: تاريخ الإسلام: ١٥/ ٣٢٤-٣٣٢ وطبقات الشافعية الكبرى: ٨/ ٣٩٥-٤٠٠.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ٤٦، وانظر: المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ١/ ٢، ٣، وجامع الأصول: ١/ ١٧٢، ومقدمة ابن الصلاح: ١٩، والباعث الحثيث، ابن كثير: ٢٥، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٤٨، ٢٤٩.

(٧) الباعث الحثيث: ٢٥.

وقد جاء في الصحيح التلميح بظهور المهدي[1]، وأمّا عدم تصريحهما بظهوره فلا يطعن في صحة أحاديثه من وجهين:

الأول : ما تقدّم من أنّهما لم يستوعبا الصحيح في كتابيهما.

والثاني: أنّ النص عليه جاء في أحاديث صحيحة، حكم بعض العلماء بتواترها والقاعدة عند المحدثين أنّ زيادة الثقة مقبولة[2].

٤- دعوى تسرب الحديث إلى المسلمين من أهل الكتاب أو من الشيعة.

اتخذ بعض الكُتّاب والمؤلفين من دعواهم تسرب أخبار الفتن والملاحم من كتب أهل الكتاب[3]، ومرويّات الشيعة[4]، إلى دواوين الإسلام، حجةً لإنكار بعض ما صح فيه الخبر عن النبي ﷺ، دون استنادٍ إلى دليلٍ صحيح يثبت هذه الدعوى.

وهذه الدعوى باطلة من ثلاثة أوجه[5]:

أولها : أنّ أبواب الفتن والملاحم نشأت عند المسلمين مما نقله الأئمة الثقات عن رسول

(١) انظر على سبيل المثال: ص١٦٧، ١٦٨.

(٢) انظر: مقدمة صحيح ابن حبان: ١/ ١٢٠، وجامع الأصول: ١/ ١٠٣-١٠٥، وشرح شرح نخبة الفكر: ٣٧، ونظم المتناثر في الحديث المتواتر، للكتاني: ١٤٦، وتخريج الألباني لأحاديث فضائل الشام:٤٤، وتعليق أحمد شاكر على المسند: ٥/ ١٩٦-١٩٨، والمهدي المنتظر، للبستوي: ٣٦٤-٣٦٦.

(٣) انظر: تفسير المنار:٩/ ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧، وحقيقة الخبر في المهدي المنتظر، هشام محمد: ١٢٤-١٣٤، وضحى الإسلام: ٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، وتعليق محمد محيي الدين عبدالحميد على آخر جزء العرف الوردي في أخبار المهدي ضمن الحاوي للفتاوى: ٢/ ١٦٦، ومجلة المنار: ٢٨/ ١٠/ ٧٥٥، ٧٥٦، والمسيحية، أحمد شلبي: ٦٥،٦٩، ومعركة هرمجدون، أحمد حجازي: ١٧، ٢١، ٥٩، والمهدية في الإسلام: سعد محمد حسن: ٤٣، ٤٤.

(٤) انظر: تفسير المنار: ٩/ ٥٠٣، ودائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي:١٠/ ٤٨٠، وضحى الإسلام: ٣/ ٢٤١، ومجلة المنار: ٧/ ٤/ ١٤٦، والمهدية في الإسلام، سعد محمد حسن: ١٧٤، ١٧٥.

(٥) انظر في تفنيد هذه الدعوى: منهاج السنة، ابن تيمية: ٤/ ٨٧، ٨٨، ٩٥، وأشراط الساعة، يوسف الوابل: ٢٦٩، ٢٧٠، وإقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح آخر الزمان، التويجري: ٢٣، ومقدمة تحقيق السنن الواردة في الفتن وغوائلها:١/ ٥٧-٥٩، والمهدي، للمقدم:١٧٥-١٧٧، والمهدي المنتظر، للبستوي: ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٧٧، ٣٨٧.

الله ﷺ، وقد ضمّن أئمة الحديث هذه الأبواب في مصنفاتهم، وبعض أحاديث الملاحم مبثوثة في الصحيحين، ومن طالع كتب الأئمة وعنايتهم بتخريج الأحاديث ونقد الأسانيد، وتحرير الألفاظ عن المعصوم ﷺ، علم بطلان هذه الدعوى، وأنّها لاتعدو أن تكون طعناً في أئمة الحديث وعلمائه، وهو ما لا يصدر عن بصيرٍ بجهود السلف في حفظ السنة وتحريرها.

وثانيها: أنّ ورود شيء من الإسرائيليات في أبواب الفتن والملاحم لا يعني أنّه لم يثبت عن النبي ﷺ شيء في ذلك، كما إنّه لا يعني إلغاء هذا الباب، بل الصواب أن يتمّ إثبات الصحيح وردّ الباطل، وهو ما قام به أئمة الحديث رحمهم الله تعالى.

وثالثها: أنّ القول بتسرب أخبار المهدي من الشيعة إلى أهل السنة، دعوى لا دليل عليها إلا الظن والتخمين، وإلا فكيف يُقال بتسرب أخبار الفتن والملاحم من الشيعة إلى أهل السنة، وأئمة أهل السنة وهم أصحاب النبي ﷺ يروون هذه الأخبار عن رسول الله ﷺ، قبل أن تظهر الشيعة إلى الوجود!!

- **الفرع الثاني: إنكار بعض أحاديث الفتن والملاحم بسبب الاعتراض على متونها:**

أنكر بعض المعاصرين بعض أحاديث الفتن والملاحم بحجج واهيةٍ اعترضوا بها على متونها، وأَظْهَرُ ما اعترضوا به عليها، خمس حججٍ، هي:

١ - دعوى اضطراب نصوص الفتن وتعارضها فيما بينها.

وهي دعوى السيد محمد رشيد رضا، وقد اتخذها ذريعةً لإسقاط أحاديث الفتن والملاحم، وعدم الاستدلال بها؛ لأنّها على حدّ قوله: «تعارضت فتساقطت»[1].

وهذه الدعوى رغم ضعفها وتهافتها، إلا أنّ مكمن الخطورة فيها، كونها تنال من هيبة

---

(١) تفسير المنار: ٩/ ٤٩٤، وانظر: ٤٨٨، ٤٩٠، ٨/ ٢١٠، ٢١١، والفتاوى، شلتوت: ٦١، ٦٢، ٧٧، ومعركة هرمجدون، أحمد حجازي: ٧١.

ما صحّ من أحاديث النبي ﷺ، وتفتح الباب لإلغاء الشريعة المحمّدية والعقائد الإسلامية، بدعوى تعارض الأحاديث.

وإبطالها من وجهين:

الوجه الأول: أنّ وجود ما ظاهره التعارض بين بعض النصوص، أمرٌ واقع وهو ليس مقتصراً على نصوص الفتن والملاحم، وقد عُني أئمة الحديث وشرّاحه بالجواب عن ذلك، وبيان وجه الحقّ فيه، وقد أفرد الإمام الطحاوي[1] رحمه الله كتاباً مستقلاً بعنوان «شرح مشكل الآثار»، وصنّف الإمام أبو الفرج ابن الجوزي[2] رحمه الله كتاباً بعنوان «كشف المشكل من حديث الصحيحين»، فالواجب البحث في دواوين الإسلام عن كشف المشكل، لا أن يتسرع المرء بإسقاط الأحاديث الثابتة عن النبيّ ﷺ بهذه الحجّة الضعيفة.

الوجه الثاني: أنّ دعوى سقوط الأحاديث المتعارضة في باب الفتن والملاحم يلزم منه إسقاط جميع الأحاديث التي ظاهرها التعارض في جميع أبواب الدين، وهذا من أبين الباطل، بل الصواب أن يُقال: إنّ النصَّيْنِ إذا تعارضا في ظاهرهما فلا يخلو الأمر من:

- أن يكون أحدهما صحيحاً فيقدم على غير الصحيح.
- أن يكونا متساويين في الصحة ويمكن الجمع بينهما بأن يكون أحدهما في أحوال والآخر في أحوال أخرى.
- أن يكون أحدهما متأخراً فينسخ المتقدم، وهذا في غير الأخبار؛ لأنّها لا تُنسخ.
- أن يمكن الترجيح بينهما بوجه من الوجوه التي يحتملها النص.

---

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي، فقيهٌ كان شافعياً ثم تحول حنفياً، وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، توفي سنة ٣٢١هـ. انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٧١، ٧٢، وسير أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٧-٣٣.

(٢) هو الإمام عبدالرحمن بن علي القرشي، علامة عصره في التاريخ والحديث، له نحو ثلاثمائة مصنف، توفي ببغداد سنة ٥٩٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان: ٣/ ١٤٠-١٤٢، وسير أعلام النبلاء: ٢١/ ٣٦٥-٣٨٤.

- إذا لم يمكن فعل شيء مما تقدم فيتوقفُ العمل بهما[1].
- فعرض الأحاديث التي ظاهرها التعارض على هذه الحالات، والعمل بمقتضاها، أَوْلى من التعجل بإسقاطها، والنيل من هيبتها[2].

٢- دعوى مخالفة بعض نصوص الفتن للعقل.

وهي دعوى الأستاذ أحمد أمين، حيث ذهب إلى أنّ نظريّة المهديّة، نظريّة خرافيّة، لا تتفق مع العقل الصحيح[3].

ويمكن بيان بطلان إنكار الأستاذ أحمد أمين للمهدي بدعوى معارضته للعقل الصحيح من عدة أوجه[4]:

الوجه الأول: أنّ أخبار الفتن الملاحم من مسائل الغيب التي تتلقى عن الكتاب والسنة، ولا مجال للعقل في العلم بوقوعها إلا من طريق الوحي[5].

الوجه الثاني: أنّ العقل الصحيح لا ينكر إمكان حدوث الملاحم وظهور المهدي الذي يصلح الله به أحوال العباد والبلاد، فإذا أقرّ العقل إمكان حدوثها وقدرة الرب على إيجادها، وثبت عنده أنّ الوحي الصادق أخبر بوقوعها، فالواجب عليه والحالة هذه أن يُصدّق بخبر

---

(١) انظر: نزهة النظر شرح نخبة الفكر: ٣٧-٣٩.

(٢) ممن تعقب الأستاذ محمد رشيد في هذه المسألة، الدكتور رضاء الله المباركفوري، انظر: تحقيقه للسنن الواردة في الفتن وغوائلها: ١/ ٤٤-٥٦.

(٣) انظر: ضحى الإسلام: ٣/ ٢٤٤، ٢٤٥، والقرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين: ٣٢٨، ٣٢٩.

(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم:١/ ٢٨، ٢٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ١٣٧-١٣٩، والاعتصام، الشاطبي: ٢/ ٣١٨، وشرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٢٢٧، وخصائص التصور الإسلامي، سيد قطب:١٨-٢٣، وفي ظلال القرآن، له أيضاً: ٢/ ٨٠٦-٨٠٧، ومقومات التصور الإسلامي، له أيضا: ٤٥-٤٨، والمهدي المنتظر، للبستوي: ٣٧٨، وموقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: ١/ ٥٥-٩٢.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٥/ ٣٠.

الصادق، ويمتنع عن معارضته[1].

الوجه الثالث: أن يُقال: «إذا تعارض الشرع والعقل، وجب تقديم الشرع؛ لأنّ العقل مُصدِّقٌ للشرع في كلّ ما أخبر به، والشرع لم يصدّق العقل في كلّ ما أخبر به»[2].

وخلاصة القول: أنّه إذا ثبت النص في تقرير قضية من القضايا، فليس للعقل أن يُعارضه؛ لأنّ ثبوت النص الشرعي دليلٌ قطعيٌ لا يملك العقلُ إلا أن يفهم مراده، ويُسلّم بمقتضاه[3]، ومن هذا الباب ما ثبت في أخبار المهدي والملاحم ونحوها.

٣- دعوى مخالفة بعض ما جاء في نصوص الفتن للسنن الإلهية.

وهي دعوى السيد محمد رشيد رضا، حيث ذهب إلى أنّ المهدي والدجال قد نُسبت إليهما خوارق تخالف سنن الله[4] في الخلق[5]، والله تعالى يقول: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [6].

ويمكن الإجابة عن هذه الدعوى: بأنّ أهل السنة يفرّقون بين السنن الطبيعية والسنن الدينية؛ فسنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول متى توافرت شروط تحققها وانتفت الموانع هي السنن الدينية، وهي التي اقتضت حكمة الله تعالى أن ترتبط فيها الأسباب بالمسببات وجوداً وعدماً، ومن ذلك: سنة الله الدينية في نصر أهل الإيمان متى حققوا شروط النصر وانتفت عنهم موانعه، كما يكون من

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ١/ ٣١، ٣٢، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ١/ ١٧٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ١/ ١٣٨.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٢٢٤، ٢٢٥، وفي ظلال القرآن: ٢/ ٨٠٦.

(٤) سنة الله هي: «العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول» مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٢٠.

(٥) انظر: تفسير المنار: ٩/ ٤٩٠-٤٩٦، ودائرة معارف القرن العشرين: ١٠/ ٤٨٠.

(٦) سورة فاطر: آية (٤٣).

نصر الله للمهدي، وهذا النوع من السنن هو المراد في الآية السابقة[1].

وأما السنن الطبيعية فليس لله ﷻ فيها سنة لازمة؛ إذ يمكن أن تقتضي الحكمة نقضها فينقضها سبحانه إذا شاء[2].

فإذا عُلم الفرق بين السنن الدينية والسنن الطبيعية، وأنّ الذي لا يتبدل هو الأول دون الثاني، عُلم أنه لا تعارض بين الآية السابقة وبين خوارق الدجال، فإنّ عقوبة الدجال على دعواه الألوهية، من السنن الدينية التي لا تتبدل، كسائر سنن الله في عقوبة العصاة والكفرة، وهذا ما سيكون على يد عيسى ﷺ، ومثله الخسف بالجيش الذي يقصد المهدي، وأما ما يحصل على يدي الدجال من قوله للسماء: أمطري فتمطر... إلخ، فهذا من السنن الكونية التي تتغير وفق الحكمة الإلهية، ويكون وقوعها تحقيقاً لمراد الله تعالى من استدراج الدجال وأمثاله من المخلوقين الذين يدّعون الألوهية وأتباعهم؛ لأنّ الأصل ألا يشك النّاس في كذب مدعي الألوهية من البشر[3].

٤- دعوى مضاهاة بعض ما جاء في نصوص الفتن لآيات الأنبياء.

وهي دعوى السيد محمد رشيد رضا حيث زعم بأنّ الدجال نُسبت إليه خوارق تضاهي آيات الأنبياء، إن لم تتفوق عليها[4].

وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه الدعوى، فقال: «ما يأتي به الدجال، إنّما يحار فيه، ويراه معارضاً لآيات الأنبياء: من لم يُحكِم الفرقان»[5].

---

(١) انظر: الجواب الصحيح: ٦/ ٤٠١، ٤٢٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٨/ ٧٠، ١٦٧، ١٣/ ١٩-٢٣، والنبوات: ٢/ ٨٦٧- ٨٦٩، والسنن الإلهية، عبدالكريم زيدان: ٢٣، ٤٧ -٤٩.

(٢) انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية: ١/ ٥٢، ٥٣.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٨٠، وبغية المرتاد: ٤٨٣، ومنهاج السنة النبوية: ٣/ ٢٢٧، ٢٢٨، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٣٤، ١٣٥.

(٤) انظر: تفسير المنار:٩/ ٤٩٠، ٤٩١.

(٥) النبوات: ٢/ ٨٥٧.

ومراده رحمه الله أنّ من ظنّ أنّ ما يأتي به الدجال يُماثل معجزات الأنبياء، فهذا لم يضبط الفرق بين آيات الأنبياء وما يأتي به غيرهم، والله تعالى أعلم.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أنّ آيات الأنبياء تنقسم إلى:

١- آيات كبرى يستدلّون بها على صدق نبوتهم، فهذه «لا يكون لها نظير في العالم لغير الأنبياء»[(١)].

٢- آيات صغرى تكون لهم ولأتباعهم، مع فارق القدر بين آياتهم وكرامات أتباعهم[(٢)].

وعند مقارنة ما يأتي به الدجال بما يأتي به الأنبياء، فإننا نجد أنّ غاية ما يأتي به الدجال أن يقول للأرض: أنبتي فتنبت، ويأمر كنوزها أن تتبعه فتفعل، ويأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويتظاهر للناس بأنّه يحيي الموتى!.

فأما خروج النبات من الأرض، ولفظها لشيءٍ من كنوزها، ونزول المطر من السماء، فإنّه مما يقع بدون الدجال، والجديد في الأمر أنّه يأمرها فتفعل، استدراجاً من الله تعالى له ولأتباعه، والنّاس اليوم يتحدثون عن الاستمطار الصناعي للسماء، ونحوه مما يسّره الله لعباده لينتفعوا من خلاله بالكون من حولهم، فأين مقدار ما يأتي به الدجال من مقدار آيات الأنبياء الكبرى، التي تنخرق فيها العادات؛ كانقلاب العصا إلى حيّةٍ تسعى، وخروج الناقة من الصخرة الصمّاء، وانشقاق القمر إلى نصفين؟!

وأما تظاهره بإحياء الموتى فكذبٌ لا حقيقة له، وإنما تُعينه عليه الشياطين[(٣)]، ولا يصح من إحيائه للموتى إلا ما يُقدّره الله له من إحياء الرجل المدنيّ المؤمن الذي يقتله الدجال ثم يحييه بإذن الله؛ ليفضحه ويشهد بكذبه على رؤوس الأشهاد!، ويبيّن أنّه المسيح الدجال الذي أخبر عنه النبي ﷺ، فيحاول الدجال أن يقتله مرّة ثانيةً فلا يستطيع![(٤)]، «فعجزه عن قتله ثانياً، مع تكذيب الرجل

---

(١) المرجع السابق: ٢/ ٨٥٩، وانظر: ٨٠١-٨٠٤.

(٢) انظر: المرجع نفسه: ١/ ٥٢٦، ٥٢٧، ٢/ ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٦٤-٨٦٦.

(٣) انظر: ص ٢٤٣ من الرسالة.

(٤) انظر: صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في صفة الدجال: ح٢٩٣٨.

له بعد أن قتله، وشهادته للرسول محمد ﷺ بالرسالة، هو من خوارق العادات التي لا توجد إلا لمن شهد للأنبياء بالرسالة، وكونه قُتل أولاً أبلغ في الدلالة؛ فإنّ ذلك لم يُزغه، ولم يُؤثر فيه، وعلم أنّه لا يُسلَّطُ عليه مرةً ثانيةً، فكان هذا اليقين والإيمان مع عجزه عنه، هو من خوارق الآيات، ومعلومٌ أنّ قتله ممكن في العادة، فعجزه عن قتله ثانياً هو الخارق للعادة.

ودلّ ذلك على أن إحياء الله له، لم يكن معجزةً للدجال، ولا ليبين بها صدقه، لكن أحياه ليُكذِّب الدجال، وليبين أنّ محمداً -ﷺ- رسول الله، وأنّ الدجال كذّاب وأنّه هو الأعور الكذاب الذي أنذر به النبي ﷺ»[(١)].

٥- دعوى مخالفة بعض ما جاء في نصوص الفتن للواقع.

وهذه دعوى الدكتور أحمد حجازي السقّا حيث ادّعى بأنّ الأحاديث التي أخبرت بظهور المهدي قبل فتح القسطنطينية[(٢)]، وبخروج الدجال بعد فتحها، قد تعارضت مع الواقع التاريخي الذي أثبت أنّ القسطنطينية فُتحت على يد السلطان محمد الفاتح[(٣)]، في حين لم يظهر المهدي، ولم يخرج الدجال، ومن هنا فقد ذهب إلى أنّ الحديث الذي رواه الإمام مسلم في خروج الدجال بعد فتح القسطنطينية، حديث موضوع![(٤)].

والجواب عن هذه الدعوى أن يقال: الأحاديث الصحيحة لا تُناقضُ الواقع التاريخي إطلاقاً، وبالرجوع إلى شروح الأحاديث يزول الالتباس، فإنّ الإنسان قد يطرأ له الإشكال بادئ الأمر فإذا

---

(١) النبوات: ٢/ ٨٥٥، ٨٥٦ «باختصار».

(٢) ويُقال قسطنطينة، نُسبت إلى قسطنطين الذي بناها، وهي إسلامبول، ويُقال لها اصطنبول، وهي أكبر مدن تركيا. انظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٩٥.

(٣) السلطان محمد بن السلطان مراد خان ولد سنة ٨٣٣ هـ وولي السلطنة سنة ٨٦٥ هـ وكانت مدة ولايته ٣١ سنة، وتوفي سنة ٨٦٦ هـ. انظر: شذرات الذهب: ٧/ ٣٤٤، وسمط النجوم العوالي: ٤/ ٧٩، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك: ٥٨-٦٧.

(٤) انظر: معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر بين النفي والإثبات: ٧٨، ٩٣، ٩٤.

تعمّق في العلم، وراجع أقوال العلماء، وطالع كتبهم زال عنه الفهم الخاطئ الذي طرأ له، ومن ذلك ما يتعلق بفتح القسطنطينية، حيث دلّت النصوص على فتحها مرتين، فكان الفتح الأول في زمن محمد الفاتح رحمه الله، وأما الثاني فسيكون في زمن المهدي بالتكبير والتهليل والتحميد، وبعد فتحها الثاني يخرج الدجال(١).

الفرع الثالث: إنكار شيء من الفتن والملاحم بسبب دعوى آثارها السيئة:

اتكأ بعض المخالفين في إنكارهم بعضَ نصوص الفتن والملاحم، على أنّ هذه النصوص، تركت آثاراً سيئةً في حياة المسلمين، وسلطوا سهام النقد على أحاديث المهدي، بوصفها كانت سبباً في إراقة الدماء، وإشاعة روح اليأس؛ لانتظار المسلمين من يعيد عدل الإسلام ومجده(٢).

وهذه الدعوى ظاهرة البطلان من عدة أوجه(٣):

أولها: أنّ ما صح من حديث رسول الله ﷺ فهو مصدر الهداية، والأمن والاستقرار، وإن كان من آثار سيئة لعقيدة المهدي في حياة بعض المسلمين؛ فمردها إلى الأحاديث والآثار الموضوعة، ومجانبة منهج أهل السنة في العلم والفهم والعمل والسلوك، وليس إلى الأحاديث النبوية الثابتة في أمر المهدي.

وثانيها: أنّ مردّ الثورات والمشكلات يرجع إلى من يَدّعون المهدية، من أهل الغواية والضلال، وليس إلى أحاديث المهدي، وهي لا تبعد عن الآثار السيئة التي ظهرت بسبب مُدَّعي النبوة، فهل يقول مسلمٌ بأنّ الآثار السيئةَ لدعوى النبوة تصلح أن تكون مسوّغاً لإنكار نبوة الأنبياء؟!

ومن هنا فإنّ الواجب هو تبصير المسلمين بالفقه الصحيح لأحاديث الفتن والملاحم، لا أن يُلغى ما ثبت عن النبي ﷺ بمثل هذه الحجج الواهية.

---

(١) انظر: ص ٢٢٦ من الرسالة.

(٢) انظر: تفسير المنار: ٦/ ٥٧، ٩/ ٤٩٩، وضحى الإسلام: ٣/ ٢٤٣، ٢٤٤، ومجلة المنار: ٧/ ٤/ ١٤٦.

(٣) انظر في تفنيد هذه الدعوى: السنن الواردة في الفتن وغوائلها «مقدمة المحقق»: ١/ ٥٩، ٦٠، والمهدي، للمقدم: ١٨٣-١٨٦.

وثالثها: أنّ في التجرّء على ردِّ أحاديث النبي ﷺ الثابتة بالدعاوى الباطلة، من الثُّلمة في الدِّين، والتكذيب بكلام سيد المرسلين ﷺ ما هو أعظم سوءً على صاحبه في الدنيا والآخرة من الآثار السيئة التي ظهرت بسبب بعض مُدَّعي المهدية.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه مُحذِّراً من مخالفة أمر نبيه ﷺ وسنّته؛ فضلاً عن التكـذيب بها ثبت منها: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[2].

قال الإمام أحمد بن حنبل[3] رحمه الله: «مَن ردّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة»[4].

---

(١) سورة النساء: آية (١١٥).

(٢) سورة النور: آية (٦٣).

(٣) هو إمام أهل السنة والجماعة، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، ابتلي في فتنة القول بخلق القرآن فأبى أن يقرّ بخلقه، توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: تاريخ بغداد: ٤/ ٤١٢-٤٢٣، وطبقات الحنابلة: ١/ ٨، وسير أعلام النبلاء: ١١/ ١٧٧-٣٥٨.

(٤) اعتقاد أهل السنة، اللالكائي: ٣/ ٤٧٨.

المطلب الثاني: وضع ملاحم لا أصل لها:

وفيه تمهيد وفرعان:

- تمهـــيد

تتجه النفس البشرية بطبيعتها إلى طلب التعرف على الأحداث التي تنتظرها في المستقبل[1]، ولأجل هذا عُني الوحي بالإخبار عما يحتاج الإنسان إلى معرفته، من أحوال الدنيا والآخرة، ابتداءً من أصل الخليقة، وإلى دخول أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، بل وأبان أصنافَ ما في الجنة من النعيم واللذة، وأصنافَ ما في النار من الهوان والذلة.

ولكنّ النفوس التي لم ترتوِ من معين الوحي العذب الصافي الزلال، لم تبصر نوره الصادق؛ فهوت في أودية الخرافات، والظنون الكاذبات، وأقاويل المنجمين، والمتنبئين الدجالين[2].

ووجد الوضّاعون المتكسبون في هذه النفوس الضعيفة، مغنماً واعداً، وربحاً وافراً، فما عندها من الترقب والتخوف، والتطلع والتشوف، يجعلها أذناً صاغية، لكلّ خيالٍ يُصاغ في ملحمةٍ من ملاحم المستقبل، وخصوصاً إذا كانت هذه النفوس، طرفاً في القصة الموضوعة.

فكانوا يضعون الملاحم المكذوبة، ليتوصلوا بها إلى رفع قومٍ، ووضع آخرين ولما كان بعض الولاة المغفلين، تنطلي عليهم هذه السخافات، استعان بها بعض ذوي التطلع، في تولي المناصب العالية، كالوزارة ونحوها[3].

---

(١) انظر: المهدي، للمقدم: ١٧٠.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم: ٢/ ٢٥٧.

(٣) انظر: تكملة تاريخ الطبري، الهمداني: ١/ ٦٤، ٦٥، والكامل في التاريخ، الشيباني: ٨/ ٢٣٠، ٢٣١، ونهاية الأرب في فنون الأدب، النويري: ٢٣/ ٩٤، ٩٥، وتاريخ ابن خلدون: ٣/ ٤٦٨، ٤٦٩، ومقدمة ابن خلدون: ٣٤١، وبدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق: ١/ ١٥٠.

- الفرع الأول: تعريف مختصر بالملاحم الموضوعة:

ظهرت كتب الملاحم في زمن العباسيين[1]، فكان منها ما وافق الأثر، ومنها ما بني على الكذب، وتتابع الناس بعد ذلك على كتابة الملاحم، نثراً وشعراً[2].

ومن الملاحم التي بُنيت على غير أصلٍ شرعي[3]: ملحمة ابن أبي عقب[4].

وهي ملحمة صيغت على شكل أشعار شيعية سياسية -لأحد أو بعض مناصري بني العباس- ذُكر فيها مظالم بني أمية، سواء ما صح منها أو لم يصح، مع البشارة بقرب انتهاء زمن الأمويين، وبمجيء العباسيين الذين سيتحقق للشيعة في زمنهم الخير والسعادة، ونسبت إلى ابن أبي عقب، الشخصية المنتحلة، التي لا يستطيع بنو أمية القبض عليه، ثم جعلها بعد ذلك أهل الأغراض المنحرفة وسيلة لهم لبث معتقداتهم الفاسدة، من خلال فاسد ما ينظمونه وينسبونه لابن أبي عقب.

وجاء في مطلعها:

---

(١) الحديث هنا عما يختص بالمسلمين، وإلا فكتابات الملاحم ظهرت من قديم الزمان، حتى إن منها ما كتب في المائة التاسعة قبل الميلاد. انظر: ملاحم ابن أبي عقب: ٩، وملحمة أرض الرسالات: ١٥-١٩، ٣٥، ٣٦.

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون:٣٣٨، ٣٣٩، وملاحم ابن أبي عقب:١٢-١٤.

(٣) للاطلاع على بعض هذه الملاحم، انظر: وفيات الأعيان: ٦/ ٢١١، ٢١٢، والوافي بالوفيات: ٣/ ١٣٧، ١٥/ ٣٠٠، والإلمام بالإعلام: ٥/ ٣٦٠-٣٦٦، ومقدمة ابن خلدون: ٣٣٨-٣٤٢، وبدائع السلك:١/ ١٥٠، والضوء اللامع: ٢/ ٢٥٠، ولقطة العجلان: ٣٨-٤٠، وملاحم ابن أبي عقب: ١٣-٢٤.

(٤) ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره إلى أنّ «ابن أبي عقب» شخصيّة منتحلة لا وجود لها في الواقع، وقد تصحّف اسمه في مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ٧٩، ١١/ ٥٥، إلى «ابن غنضب»، وورد اسمه في منهاج السنة: ٧/ ١٨٢، مختصراً «ابن عقب»، وهو عبدالله بن بشار بن أبي عقب، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «الملاحم المنظومة المنسوبة إلى ابن عقب هي من نظم بعض الجهال الشيعة الذين كانوا زمن نور الدين وصلاح الدين، فذكر من الملاحم ما يناسب تلك الأمور بنظم جاهل عامي» منهاج السنة: ٧/ ١٨٢، ١٨٣ «باختصار». وانظر: تاريخ الطبري: ٥/ ٤٤٨، وتاريخ مدينة دمشق: ٦٢/ ٢٩٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ٧٩، والمنتقى من منهاج الاعتدال: ٤٦٩، والبداية والنهاية: ١٢/ ٣٥٦، وملاحم ابن أبي عقب: ٦، ٢٣، ٢٩، ٣٠، ٥٥.

رأيت من الأمور عجيبَ حال   لأسباب يسطِّرها مقالي[1]

وبالعموم فإنّ ملاحم الشيعة هي من قبيل الملاحم الموضوعة التي لا أصل لها وخلاصة ما جاء في ملاحمهم: أنّ مهديّهم الغائب إذا ظهر، سيطير إليه بعضهم في الهواء، وكلّهم من العجم!!، وسيحيي الله من مات من صالحي الشيعة وبعض صالحي الأمم السابقة ليتنعموا في ظلّ حكومته العالمية، وسيقتل خطيب الحرم المكي، وسيهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد رسول الله ﷺ حتى يرده إلى موضعه، ويهدم منائر المساجد، ويقيم أم المؤمنين الصديقة عائشة[2] -رضي الله عنها وأرضاها المبرأة بنص كتاب الله- ليجلدها الحدّ، ويخرج الشيخين أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما وأرضاهما وأذلّ مبغضهما- من قبريهما طريين حتى يصلبهما، وسيضع السيف في العرب!!، ولاسيّما قريش، فيقتل مقاتلتهم، ويسبي ذُرِّيَّتهم، ويطلب بني أمية، فيفرون إلى الروم، فلا يقبلهم الروم حتى يتنصروا، فيدخلون في النصرانية، وبعد أن ينتهي من العرب سيتّجه إلى محاربة بقية دول العالم[3].

الفرع الثاني: موقف العلماء من الملاحم الموضوعة:

عُني العلماء ببيان بطلان الملاحم الموضوعة، وأنّه لا أصل لها، وأشاروا إلى كونها مُركَّباً خليطاً من أقاويل الكهان والمنجمين وأهل الكتاب، وبعض ما أخبر به النبي ﷺ، والمنامات المتواطئة

(١) انظر: كشف الظنون: ٢/ ١٨١٨، وملاحم ابن أبي عقب: ٢٣، ٥٥.

(٢) هي الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: أفقه نساء المسلمين، ولدت عام ٩ق.هـ تزوجّها النبي ﷺ سنة ٢هـ، وكانت أحبّ نسائه إليه، لها (٢٢١٠) أحاديث. توفيت سنة ٥٨هـ.انظر: الاستيعاب: ٤/ ٤٣٥-٤٣٩، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ١٣٥-٢٠١، والإصابة: ٨/ ٢٣١-٢٣٥.

(٣) انظر: أحداث آخر الزمان في مرويات أهل البيت، إسماعيل الحريري: ٢٠٥، والإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر، محمد الطبسي: ٨٤-٨٩، ١٠٩، ١١٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٥٣-١٥٧، ١٥٩، ١٦١، ١٧٣، وثورة الموطئين للمهدي، مهدي الفتلاوي: ٥٣، والحتميات من علائم الظهور، فاروق الموسوي: ٦٥، ٨٣، ١٦٢، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٨٢، ٤٠٧-٤٠٩، وما قبل نهاية التاريخ ظهور قائم آل محمد المهدي المنتظر، جعفر عتريسي: ٥٠٥، ٥١٩، ومعجم الفتن والملاحم، محمود الموسوي: ١/ ٣٥٩-٣٦١، ٢/ ٥٠، ٣/ ٣٠٨، ٤/ ٦، ١١، ١٢، ٤٢، ويوم الخلاص في ظل القائم المهدي، كامل سليمان: ٢٥٦-٢٧٥، ٢٨٦، ٣٠٦-٣٢٧، ٣٤٣-٣٤٦، ٣٦٩، ٤٠٤، ٤٠٩.

على أمرٍ ما، وشيء من كشوفات الصحابة -ﷺ- فمن بعدهم[1].

وهذه الملاحم الموضوعة هي المقصودة بقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير»[2].

فقوله: «ليس لها أصول»، يعني أنها ليس لها -في الغالب- أسانيد صحيحة ومتصلة[3].

وقد علّق الخطيب البغدادي[4] رحمه الله على مقولة الإمام أحمد رحمه الله بقوله: «هذا الكلام محمول على وجهٍ، وهو أنّ المراد به كتبٌ مخصوصةٌ في هذه المعاني الثلاثة، غير معتمدٍ عليها، ولا موثوقٍ بصحَّتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات القصاص فيها، فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، **وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة، والفتن المنتظرة؛ غير أحاديثٍ يسيرةٍ، اتَّصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوهٍ مرضيّةٍ، وطرقٍ واضحةٍ جليّةٍ**»[5].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أنّ عامة الملاحم المرويّة بالنظم ونحوه، من الأكاذيب[6].

وخلاصة القول: أنّ هناك ملاحمَ ثابتةً عن النبيّ ﷺ، وأخرى مكذوبةً لا أصل لها، والواجب على المسلم أن يكتفي بالأخبار الثابتة دون الموضوعة[7].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: ٥/ ٧٨٧-٧٨٩.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي: ٢/ ١٦٢، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٣٤٦، ولسان الميزان: ١/ ١١.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٣/ ٣٤٦، ومنهاج السنة: ٧/ ٤٣٥-٤٣٦، والمسودة: ١٥٧، وتلخيص كتاب الاستغاثة، ابن كثير: ١/ ٧٦، والإتقان في علوم القرآن: ٤/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٤) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب، كان من الحفاظ المتقنين، والعلماء المتبحرين، توفي سنة ٤٦٣هـ. انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٩٢، ٩٣، وتاريخ الإسلام: ١٠/ ١٧٥-١٨٨.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي: ٢/ ١٦٢، ١٦٣، وانظر: لسان الميزان: ١/ ٢٠٧.

(٦) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ٧٩-٨٢.

(٧) انظر: أبجد العلوم: ٢/ ٥١٩.

المطلب الثالث: إثبات ألفاظ نصوص الفتن والملاحم، وإبطال معانيها بالتأويل:

إثبات اللفظ الشرعي، مع إبطال حقيقته بالتأويل(١)، تحريف للدين، وطعنٌ في قدرة الشارع على إبلاغ مقصوده، وتُكَأَةٌ يتوكَّأ عليها بعضهم للتلاعبِ بالنصوص، وهي ترديدٌ لما كان يتذرع به بعض المؤولة حين يبررون تأويلهم بأنّ «ظاهر النص غير مراد»(٢).

والذين يقعون في هذه المخالفة طوائف:

١- منهم من يريدون إبطال الحقائق الشرعية(٣).

٢- منهم من لا يرى بالتأويل بأساً فراراً من دلالات أخبار الآحاد(٤).

٣- منهم من لا يرى بأساً بالتأويل عندما يتوهمون تعارض النص مع العقل(٥).

٤- منهم من يعمد إلى التأويل ليتمكن من تطبيق النص على واقعٍ معين.

وهذا -الأخير- يقع كثيراً من العابثين بنصوص الفتن والملاحم، **ولهم فيه مسلكان:**

الأول: زعمهم أنّ بعض النصوص واضح، وبعضها الآخر رموز تحتاج إلى شرح وتأويل(٦).

---

(١) التأويل في اللغة: هو التفسير، والمرجع والمصير، ويرد عند السلف بمعنى تفسير الكلام، وما يؤول إليه، ويرد في كلام المتأخرين من المتكلمين والأصوليين والفلاسفة ونحوهم بمعنى: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، وهو قسمان: تأويل صحيح إذا اعتمد على قرينة صحيحة، وذلك بأن يوافق الكتاب والسنة، وتأويل فاسد إذا اعتمد على قرينة فاسدة، أو لم يعتمد على قرينة أصلاً، انظر: جامع البيان: ٥/ ٢١٥-٢١٧، وتهذيب اللغة: ١/ ٢٣٢، ٢٣٣، ودرء تعارض العقل والنقل: ٥/ ٢٣٥، ٣٨٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٥٥، ٥٦، ١٣/ ٢٨٨، ١٦/ ٤٠٨، والصواعق المرسلة:١/ ١٧٨، ١٨٧، وشرح العقيدة الطحاوية: ١/ ٣٢٦.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: ٧/ ١٠٧، ١٢٨.

(٣) كالفلاسفة، انظر: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني: ٢/ ٣٠٩، وتفسير المنار: ٨/ ٢١٠.

(٤) انظر: الفتاوى، شلتوت: ٧٨، وتفسير المنار: ٨/ ٢١١، ومعركة هرمجدون، أحمد حجازي: ١٤، ١٥.

(٥) انظر: مجلة المنار: ١٠/ ٤/ ٢٨٩.

(٦) انظر: البيان النبوي، الدسوقي:٨٠، ٨١، والعراق أرض النبوءات والفتن: ٨٩، ٩٠، والمهدي في مواجهة الدجال: ١٦٨.

والثاني: زعمهم أنّ النبي ﷺ كان يقرّب مراده لأهل زمانه بعباراتٍ يفهمونها وهو يريد معانيَ أخرى، لم يتفطّن لها سوى العابث بنصوص الفتن والملاحم(١).

وهذا التأويل فاسد من عدة أوجه هي(٢):

الوجه الأول: أنّ هذا التأويل حادث بعد القرون المُفضّلة من الصحابة وتابعيهم وتابعي التابعين؛ لأنّ الأصل عندهم أن تُحمل النصوص على ظواهرها الموافقة لعموم نصوص الكتاب والسنة وما تعارف عليه في لغة العرب.

الوجه الثاني: أنّ حقيقة هذا التأويل أنّ النبي ﷺ لم يبين الحقّ لأمته، ولا وضحه لهم، بل دلهم على نقيضه، مع أمره إياهم أن يعرفوا الحق ويعتقدوه، ويلزم من هذا أنه ﷺ -حاشاه بأبي هو وأمي- قد غرّر بهم، ولم ينصحهم، كما يلزم منه أنّ النبي ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ كانوا يتكلمون بما هو خلاف الحقيقة، ويعلمون ذلك للناس، والحقّ أنّ النبي ﷺ بيّن أخبار الفتن والملاحم بوضوح وجلاء، وبلسان عربيٍّ مبين.

الوجه الثالث: أنّ النصوص التي أثبتها أهل السنة بمعناها الظاهر قد تلقوها من الوحي، بخلاف المؤولة الذين تلقّوا تأويلاتهم من أخيلتهم الفاسدة، وعقولهم السقيمة، فهل يستقيم في العقل أن يستبدل المسلم ظنون الذين لا يعلمون بدلالة الوحي الظاهرة؟!.

الوجه الرابع: أنّ الرسول ﷺ يخاطب الصحابة بما يعقلونه ويعرفونه، فإذا لم يكن معروفاً لديهم، فإنّه ﷺ كان يقرّب المعنى إليهم من خلال صورة معروفة أو معقولة كما وصف لهم البُراق الذي امتطاه عندما أُسري به إلى بيت المقدس بأنّه دابّة أبيض فوق الحمار ودون البغل، يقع خَطوُهُ

---

(١) انظر: اقترب خروج المسيح الدجال: ١٨٠، ١٨١، ١٨٥، والمهدي في مواجهة الدجال:١٦٩.

(٢) انظر: الاختلاف في اللفظ، ابن قتيبة: ٤٠-٤٤، وأساس التقديس: ١٠٥ وما بعدها، ودرء تعارض العقل والنقل: ١/ ١٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٥/ ١٥، ١٧، ١٦٠، ١٦/ ٤٤٠، ١٧/ ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٥٧، ٣٦١، وأعلام الموقعين: ٤/ ٢٥١، ٢٥٢، والصواعق المرسلة:١/ ٢٣٤، ٢٣٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧٦، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد: ٢/ ٥٤٣، ٥٤٨-٥٥١، ٥٦٠-٥٦٦.

عند أقصى طَرْفهِ[1]، والأهم من هذا أنّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يُصدّقونه في كلِّ ما يقول؛ لأنّه -ﷺ- لا ينطق عن الهوى.

فالزعم أنَّ النبي ﷺ كان يخاطب الصحابة بما لا يستوعبوه، ومن ثمّ كان يسمِّي لهم الأمور بغير أسمائها، زعم باطل، وفيه انتقاصٌ من قدر أصحاب النبي ﷺ، والأَوْلى أن يُقال: إنّ بعض العابثين بنصوص الفتن والملاحم، لم تطق عقولهم تصديق بعض أخبار الفتن والملاحم، فعمدوا إلى تأويلها بما تطيق عقولهم تصديقه!، أو بما يشتهون!.

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج: ح٣٨٨٧، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ح١٦٤.

المبحث الثاني: المخالفات في الاستدلال

الحديث في هذا المبحث عن مخالفات الاستدلال عند من يدور مجمل حديثهم حول الملاحم الواردة في السنة النبوية، ولكنهم يضيفون إلى الأخبار الصحيحة معلوماتٍ من مصادر غير معتبرة، وهم في ذلك بين من يقع في هفوات يسيرة، وبين من يصل إلى درجة الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ.

و بيان هذه المخالفات في المطالب الثلاثة الآتية.

المطلب الأول: الاستدلال بالنصوص المردودة:

النصوص المردودة هي التي لا يجوز **الاستدلال** بها على مسائل الاعتقاد، وهي في هذا المقام ثلاثة: الأحاديث الضعيفة، وأخبار أهل الكتاب[1]، والأحاديث الموضوعة.

والحديث عن الاستدلال بهذه النصوص المردودة في ثلاثة فروع:

- **الفرع الأول: الاستدلال بالأحاديث الضعيفة:**

يُكثر بعض الذين كتبوا في الفتن والملاحم من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة[2]، وبعضهم يعارض الحديث الصحيح بالضعيف، ثم يرجّح بينهما[3].

ويلاحظ أنّ أكثر كتب الملاحم التي امتلأت بالأحاديث الضعيفة تعتمد بشكل كبير على

(١) أخبار أهل الكتاب الموافقة لما عندنا تُروى للاستئناس لا للاستدلال، فليُتنبه إلى هذا.

(٢) انظر على سبيل المثال: أشراط الساعة، المالكي: ١٢، ٦٤، ٩١، ١١٥، ١٥٩، والقول المختصر في علامات المهدي المنتظر، الهيتمي: ١٩، ٢٨، ٢٩، ٣٣، والإشاعة، للبرزنجي: ٧٠، ٧٧، ٨٨، ٩٠، ١٠٠-١٠٣.

(٣) انظر: الإشاعة، البرزنجي: ٩٨، ٩٩، ١٢٦، ١٢٧، والمسيح المنتظر، طويلة: ٥٥-٩٢، ١٢٢، ١٢٣.

مرويات نعيم بن حماد[1]، وتصفه بأنّه شيخ البخاري، لإضفاء صفة الصحة والقوة على مروياته، دون أن تتكلف عناء البحث عن موقف العلماء من هذه المرويات[2].

وربّما احتجّ بعضهم على استدلاله بالأحاديث الضعيفة بأنّ أبواب الفتن ليست من العقيدة، ومن ثم فلا بأس بالاستدلال عليها بالمرويّات الضعيفة[3].

وهذه الدعوى مردودة بأنّ كلّ ما أخبر به النبي ﷺ؛ فالإيمان به متعلّق بالعقيدة؛ لأنّ الإيمان بالرسول ﷺ لا يتمّ إلا بالإيمان بأخباره، ومن ذلك: نصوص الفتن والملاحم فهي أخبار، والخبر إما أن يُصدّق أو يُكذّب، فإن صُدِّق دخل في دائرة الاعتقاد بصحة الخبر ووقوعه كما أخبر به المعصوم ﷺ، وإن كُذِّب بغير دليل ولا عذر، صار المكذِّب به، مكذِّباً لأخبار الرسول ﷺ، فخرج من دائرة الإيمان.

ومن وجهٍ آخر: فإنّ الفتن والملاحم -التي ورد بها الخبر الصحيح- من أمور الغيب، ولا يتم إيمان أحد إلا بأن يؤمن بالغيب.

---

(١) هو أبو عبدالله نعيم بن حماد المروزي الخزاعي، ممن ثبت في الفتنة ولم يقل بخلق القرآن، فسجن حتى مات، وجُرّ بأقياده وألقي في حفرة ولم يكفن ولم يصلّ عليه، وقد تنازع العلماء في الحكم على روايته، **وخلاصة القول أنّه: صاحب سنة، موثوق في دينه، ولكنه كان كثير الوهم والخطأ، صنّف كتاب الفتن؛ فأتى فيه بالعجائب، وروى المناكير وما لا أصل له، ولذلك منع الأئمة من الاحتجاج بحديثه، وأجازه البعض في الاعتبار والشواهد.** انظر: تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٠٦-٣١٤، وتاريخ مدينة دمشق: ٦٢/ ١٦٢، وتهذيب الكمال: ٢٩/ ٤٧٥، ٤٧٦، وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٤١٨-٤٢٠، وسير أعلام النبلاء: ١٠/ ٥٩٥-٦١٢، والمغني في الضعفاء: ٢/ ٣٥٥، وميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٤/ ٢٦٩، وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٤١١، ٤١٢، ٣٥٦، والتنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل: ١/ ٤٩٣-٤٩٥، وكشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون، السرساوي: ٤٥.

(٢) انظر على سبيل المثال: البيان النبوي: ٣٢ وغيرها، وبشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر: ٣٠-٣٨، وحقيقة الخبر في المهدي المنتظر: ٤١-٤٨، ٧٨-٨٢، وخلاصة المقال في المسيح الدجال: ٥١-٥٣، ٥٨، والسيناريو القادم لأحداث آخر الزمان: ٧٦، والقيامة الصغرى على الأبواب: ١/ ٤٥٤، ٢/ ١٠٩، ٤/ ٧٣، ١٨٢، ومتى الساعة؟، السحيمات: ٦، ٣٠-٣٢، والمنة الكبرى: ١٤٣-١٥٩، ونهاية إسرائيل المعاصرة: ٨، ١٣٠، ١٥٩.

(٣) انظر: أسرار الجفر: ١١٨، ومعركة النهاية هرمجدون، إيهاب كمال: ٤٤، وهرمجدون آخر بيان: ١١٠.

وقد دوَّن أئمة السنة أخبار الفتن في كتب الاعتقاد[1]، ونصّ بعضهم على الإيمان بها[2]، فدلّ على بطلان هذه الدعوى[3].

وقد تقدّم الحديث عن تحريم الاستدلال بالأحاديث الضعيفة على مسائل الاعتقاد، بما يغني عن إعادته هنا[4].

- الفرع الثاني: الاستدلال بأخبار أهل الكتاب:

تُعدُّ أخبار أهل الكتاب أحد أهم مصادر الاستدلال عند العابثين بنصوص الفتن والملاحم، حتى وصل الحال ببعضهم إلى التعامل معها وكأنها آية في كتاب الله أو حديث صح عن رسول الله ﷺ، فهم -بزعمهم- يسترشدون بها[5]، ويتعاملون معها بوصفها مصدراً مستقلاً يُفيدُ العلم واليقين[6].

وظهر من خلال البحث في كتب العابثين بنصوص الفتن والملاحم، أنّ لهم مسلكين في الاستدلال بأخبار أهل الكتاب على أحداث المستقبل، هما:

١- رسم صورة الأحداث المستقبلية على ضوء نبوءات أهل الكتاب، والبحث بعد ذلك

---

(١) فعلى سبيل المثال: ذكر الإمام ابن منده المتوفى سنة ٣٩٥هـ رحمه الله ، في كتاب الإيمان، أكثر من عنوان ينص على الإيمان بأشراط الساعة فمن ذلك قوله: «ذكر وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول صلوات الله عليه من الآيات المستقبلة إلى قيام الساعة»، وغيره. انظر: ٢/ ٩١١-٩٥٨.

(٢) قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابّة الأرض من موضعها» العقيدة الطحاوية: ١٥.

(٣) انظر: إقامة البرهان، التويجري: ١٦-٢١.

(٤) انظر: ص ٥٦ من الرسالة.

(٥) انظر: السيناريو القادم لأحداث آخر الزمن: ٨.

(٦) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢/ ٢٩١، ٢٩٢، وكتب حذر منها العلماء: ١/ ١٤٢، ونهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، خالد عبدالواحد: ٢٥٥.

عن ما يشهد لها من نصوص الكتاب والسنة[1]، وربما عمد بعضهم إلى ليِّ أعناق النصوص لتوافق تلك النبوءات المحرّفة[2].

٢- الاستدلال بنصوص أهل الكتاب بوصفها تفسيراً صحيحاً للسنّة النبوية، بحجّة أنّ السنة «أجملت بل أضمرت بل رمَّزت أخبار الصراع المعاصر بين اليهود وبين المسلمين، في حين فصلت أسفار العهد القديم هذه المعارك»[3].

وحقيقة هذين المسلكين أنّهما وجهان لعملةٍ واحدة، وهي الاعتماد على نصوص أهل الكتاب في تعيين الفتن والملاحم ووصفها.

ومن العابثين من تجاوز نبوءات التوراة والإنجيل، إلى الاعتماد على أقوال أهل الكتاب أنفسهم وتوقّعاتهم، بوصفها مستمدّةً من وثائق سريّة لنبوءات حقيقية بالتوراة «المخبوءة»، أو أنّها معلوماتٌ أكيدةٌ توصّلوا إليها عن طريق رجال الكنيست الإسرائيلي، وقد وافقت أو اقتربت من حسابات وحدس واستبصار الصحفي محمد عيسى داود بزعمه[4].

ولكون هذا الكاتب الصحفيّ **لم يقنع بالمنشور من نبوءات أهل الكتاب وأقوالهم، فقد تبرّع بإضافة نبوءاتٍ كتابيّةٍ جديدةٍ، لا يعرفها أهل الكتاب!!**، وليس لها ذكر في كتبهم المطبوعة!،

---

(١) انظر: المسيح الدجال، سعيد أيوب: ١٨٢، ١٨٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل: ١٩، ٢٠٠، ٢٢٥، ويوم الرب العظيم المسمى معركة هَرْمَجَدُّون، أحمد أحمد السقا: ٢٧١، ٢٧٥، وبالعموم فهذا الكتاب الأخير مبنيٌّ على هذه المخالفة.

(٣) البيان النبوي، فاروق الدسوقي: ٨٠ «باختصار».

(٤) انظر: احذروا المسيخ الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا: ١٤١، ١٤٢، وانظر: اعتماد هشام كمال على كتب بعض أهل الكتاب في كتابه: اقترب خروج المسيح الدجال: ١٥٧، وإكثار سعيد أيوب من اعتماد مقولاتهم من غير نقد أو تعليق، في كتابه المسيح الدجال: ١٨٦ «حاشية: ٧»، ٢١٦ «حاشية: ٥١».

حيث ذكر نصّاً زعم أنّه استقاه من سفر إشعياء[1] الحقيقي الذي وجده في نسخة الكتاب المقدّس الخاصّة بالفاتيكان[2]!، جاء فيه: «وجاءوا إلى سيناي، وحاربوا الملك المصري الذي كان خاسراً في مواجهتهم...»[3].

وقد تعقبه أستاذ الحديث وعلومه في جامعة الأزهر الدكتور مازن السرساوي فقال: «ومن المثير للشك: أنك لا تجد لهذه الأحاديث والنصوص التوراتية مصدراً آخر غير عيسى داود، المذكور، وهو من القُصّاص الواهمين، صاحب عجائب ومناكير...»[4].

وهذه النماذج ما هي إلا غيضٌ من فيض لما يمارسه العابثون بنصوص الفتن والملاحم، وقد ارتكبوا منكراً من القول وزوراً، بليِّهم نصوص الكتاب والسنة لتوافق أخبار أهل الكتاب.

وقد اتفق العلماء على أنّ المسلم لا يجوز له أن يعتمد في دينه وعقيدته على هذه الأخبار الكتابيّة المحرّفة؛ لأنّ الله تعالى أغنانا عنها بكتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ.

وقد جاء في تلخيص الإمام ابن كثير لكتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله: «فأما الاعتماد على نقل أهل الكتاب، أو نقل من نقل عنهم؛ فهذا لا يجوز باتفاق المسلمين»[5].

---

(١) يُقال إنّه إشعياء بن أموص، أحد أنبياء وملوك بني إسرائيل، يحتمل أنّه خدم في الفترة من ٨٠٠ إلى ٧٤٠ق.م، ويُقال بأنّه استشهد أيام منسى ابن حزقيا، حيث شقّه بالمنشار نصفين، وله سفر باسمه ضمن أسفار العهد القديم، انظر: سفر إشعياء: ١/ ١، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «إشعياء»، والكتاب المقدّس سفراً سفراً: ١٠٠-١٠٥.

(٢) الفاتيكان هو محل إقامة بابا روما بإيطاليا، وهو عبارة عن دولة يحكمها البابا، ويضم الفاتيكان: القصور الفاتيكانية، وكنائس ضخمة، ومتاحف كبيرة، ومكتبات قديمة، وهو قلب الكنيسة الكاثوليكية، ويقوم على حراسته حرس سويسري. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب: ٢/ ١١١٦.

(٣) المهدي المنتظر على الأبواب: ٢٧٩، وقد نقله عنه: أمين محمد جمال في كتابه: هرمجدون آخر بيان: ٤٤.

(٤) كشف المكنون: ١٠٤.

(٥) ١/ ١٥٩، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ١/ ٩٢، ١٨٦، ٣٧٥.

الفرع الثالث: الاستدلال بالأحاديث الموضوعة:

الاستدلال بالأحاديث الموضوعة سمةٌ ظاهرة في كتابات العابثين الذين لا يرون ضيراً في أن ينقلوا ما وقع تحت أيديهم من الأخبار التي لا أسانيد لها، معتذرين بأنّ لهم غُنْمُ الرواية، وعلى قائلها وزرها إذا كذب.

قال الصحفي محمد عيسى داود: «وأنا مع القاعدة التي تقول: «لو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء» ومع هذا فإنني أيضاً مع أي أثرٍ أو حكمةٍ ليس لها إسناد، وروايتها هي عهدة على من نقلنا عنه باعتبار أنّ «لنا فائدة الحكمة وعليه تبعة الرواية أو الكتابة»... ولو أنني اعتمدت مبدأ ألا أكتب إلا ما له إسناد، وتم توثيقه من قبل، فظنّي أنني أحرث في أرضٍ محروثةٍ إلا أن يكشف الله عز وجل لي بعض أزهار أو ثمار لم يبصرها الرّاءُون قبلي، فهنالك يكون تمام جدّي وسعدي»[(١)].

ومن صور الاستدلال بالموضوعات عند هؤلاء العابثين: استدلالهم بالأحاديث التي وضعها الشيعة، ونسبوها إلى النبيّ ﷺ وآله الأطهار ﷺ.

قال المحامي منصور عبدالحكيم: «وفي هذا الكتاب سوف أستعرض بعون الله وتوفيقه السيناريو القادم.. رؤية مستقبلية مستوحاة من الأحاديث النبوية الصحيحة **واسترشاداً بما جاء في مصادر** أهل الكتاب **والشيعة** من أحداث آخر الزمان»[(٢)].

وقد سبقت الإشارة إلى تحريم الاستدلال بالأحاديث الموضوعة على ملاحم آخر الزمان، بما يُغني عن إعادته هنا[(٣)].

---

(١) أسرار الهاء في الجفر: ١٢٨، ١٢٩.

(٢) السيناريو القادم لأحداث آخر الزمن: ٨، وانظر: ١٠٣، ونهاية العالم وأشراط الساعة: ٧٧، والمهدي في مواجهة الدجال: ١١٥-١٢٠، وشاركه في هذه الآفة سعيد أيوب، انظر: المسيح الدجال: ٣١٨.

(٣) انظر: ص ٥٦ من الرسالة.

المطلب الثاني: الاستدلال بالحسابات وأقاويل الكهان:

الاستدلال بالحسابات وأقاويل الكهان[1] مبنيٌّ على أساس إمكان الاطلاع على بعض الأسرار، في الحروف والكلمات، والجُمل والأعداد، والكواكب والنجوم مما يمكن التعرف بواسطتها على الأحداث المستقبلية.

وقد قذفت المطابع ببعض الكتب التي تناولت بعض الأحداث الغيبية، المتعلقة بالفتن والملاحم، من خلال تلمس أسرار الأعداد والحروف، والكلمات والجُمل وأقاويل الكهان والمنجمين[2].

ومن أمثلة الوقوع في هذه المخالفة عند بعض كُتّاب الفتن والملاحم:

١- الاستدلال على الفتن والملاحم بأسرار الحروف.

ألّف الكاتب الصحفي محمد عيسى داود كتاباً بعنوان: «أسرار الهاء في الجفر[3]» المنسوب

---

(١) جمع كاهن، والمصدر الكهانة، وهي في اللغة: ادعاء علم الغيب، وفي الاصطلاح: ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والكهانة أصل عام يندرج تحته: ادعاء معرفة الغيب عن طريق الولي من الجن الذي يسترق السمع، وادعاء معرفة الأمور بمقدمات وأسباب، وهذه هي العرافة، والاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، وهو التنجيم. انظر: معالم السنن، الخطابي: ٤/ ٢٨١، ٢١٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢١٤، ٢١٥، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٣٢٠-٣٢٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥/ ١٧٣، ومفتاح دار السعادة، ابن القيم: ٢/ ٣٢٩، وتاج العروس: ٣٦/ ٨١، وتيسير العزيز الحميد: ٣٦٠، وأضواء البيان: ١/ ٤٧٥.

(٢) انظر: أسرار الهاء في الجفر: ١٢، ١٣، والجفر أخطر مخطوطة على وجه الأرض، محمد عبدالحليم عبدالفتاح، والمسيح الدجال لسعيد أيوب: ١٨٤، ٢٣٩، ٣١٥، والمفاجأة: ٥٧، ٥٨، ونهاية إسرائيل المعاصرة ومعركة الخلاص: ٧٤، ٧٥.

(٣) يطلق كتاب الجفر ويراد به أحد كتابين: كتاب الجفر المنسوب إلى علي ﷺ، وكتاب الجفر المنسوب إلى جعفر الصادق رحمه الله، وسمي بكتاب الجفر نسبة إلى جلد الجفر الذي كتب فيه، والجفر هو ولد الماعز، وهو من المصادر المعتمدة عند الشيعة، ويزعمون أنّه يحتوي على كثير من أمور الغيب والأحداث التي ستقع إلى يوم القيامة، والأسرار ومعرفة حدثان الدول عن طريق الآثار والنجوم، انظر: الأصول من الكافي للكليني: ١/ ١٨٦، ١٨٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٧٧، ٢٧٨، ولسان العرب: ٢/ ١٥٠، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ٧٨-٧٩، ٣٥/ ١٣٨، وكتب حذر منها العلماء لمشهور آل سلمان: ١/ ١٠٨-١٢٣.

لعليّ بن أبي طالب ﷺ، وفي ذلك يقول: «والجفر الحقيقي، لمولانا سيدنا علي كرم الله وجهه أندر من الندرة ذاتها، لاختفائه لظروف كثيرة.. إلا أن لمحات منه في رَقٍّ لدى البعض أمكن الاطلاع على لمحات من أنواره»(١).

ومن النتائج التي توصل إليها من خلال اعتماده أسرار حرف الهاء في الجفر المزعوم: أنّ «هَرْمَجَدُّون» -الباطلة- هي ملحمة آخر الزمان(٢).

٢- الاستدلال بنبوءات الكاهن الفرنسي«نوسترادامِوس».

تواطأ بعض المخالفين في أبواب الفتن والملاحم على الاستشهاد بنبوءات الكهان، وخصوصاً الكاهن اليهودي الفرنسي: «**نوستراداموس**»(٣).

---

(١) ١٣، وانظر: المفاجأة:٥٧، ٥٨.

(٢) انظر: أسرار الهاء في الجفر: ٨٧ وما بعدها، وذكر أنه انفرد بذكر كويكب العذاب الذي يهبط على أمريكا. انظر: الهدة ويلك أمريكا من كويكب العذاب: ١٠.

(٣) المولود في ١٤/ ١٢/ ١٥٠٣م، أعلنت أسرته انتقالها إلى النصرانية، مع بقائها على اليهودية سراً، تعلّم الرياضيات والطب، والفلك والتنجيم والسحر، وقد أودع نبوءاته في كتابه القرون، وفي عام ١٥٦٦م، أصيب بمرض النقرس ما أدى إلى وفاته. انظر: تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود والعالم الإسلامي: ١٢-٢٤، والزمن القادم في تنبؤات نوستراداموس، طارق سري: ٥،٦، وناستراداموس الألفية الجديدة، جون هوغ: ٩، ١٨-٣٧.

قال المحامي منصور عبدالحكيم: «ولأنّ السفياني من أحداث آخر الزمان[1]، وشخصية هامة لها تأثيرها في الأحداث، فقد بحثت في تنبوءات داموس فوجدت رباعية تنطبق عليه، وعلى أفعاله واتجاهاته»[2].

ولا شكّ أنّ ما يقوم به هؤلاء العابثون من الاستدلال على الملاحم والفتن ومسائل الغيب، بالحسابات وأقوال الكهنة، من الأمور المحرّمة في دين الإسلام، فإنّ الله تعالى حصر معرفة الغيب على نفسه سبحانه، ومن أطلعَ من رسله، فقال عز وجل: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا (٢٧)﴾ [3].

---

(١) ورد في بعض الأحاديث الإشارة إلى ظهور السفياني في آخر الزمان، وقد اختلف العلماء في ثبوت هذه الأحاديث، إلى قولين:
القول الأول: إنّه لم يثبت فيه شيء مرفوع ولا موقوف، وذكر ابن قدامة أنّ الإمام أحمد رحمه الله نهى إسحاق بن داود عن التحديث بأحاديث السفياني.
القول الثاني: إنّ السفياني قد ثبت في خبره حديثٌ واحدٌ فقط، وهو حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج رجل يقال له السفيانيّ في عمقِ دمشق، وعامّة من يَتّبِعُهُ من كلب فيقتُل حتى يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان، فتجمع لهم قيسٌ فيقتُلها حتى لا يمنع ذَنَبَ تَلْعَةٍ ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرّة، فيبلغ السفياني فيبعث إليه جنداً من جنده، فيهزمهم فيسير إليه السفيانيُّ بمن معه حتى إذا صار ببيداء من الأرض خُسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم» رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي في التلخيص: ٤/ ٥٢٠، وصحّحه رضاء الله المباركفوري، في تحقيق السنن الواردة في الفتن وغوائلها: ٥/ ١٠٢٦ «الحاشية»، وحسّنه عبدالعزيز الحميدي، فقال: «ورد في شأن السفياني أحاديث كثيرة إلا أنّه لا يكاد يصحُّ منها شيء، اللهم إلا حديثاً واحداً يدخل تحت رتبة الحديث الحسن على أقلّ تقدير» صراع النهاية بين مسيح الضلالة ومسيح الهداية: ٢٠، ٢١، وقد ذكر البستوي أنّ رجال الإسناد كلّهم ثقات، ولكن فيه الوليد بن مسلم وكان من عادته تدليس التسوية، ثمّ قال: «ولهذا فأنا متوقفٌ في هذا الحديث حتى يفتح الله عليّ وهو خير الفاتحين. والقلب إلى تضعيفه أميل» الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة: ٢٤٥، وانظر: ٢٤٣، ٢٤٤.
ولبحث هذه المسألة انظر: كتاب الأغاني: ١٧/ ٣٤٢، والسنن الواردة في الفتن: ٤/ ٩٣٩، ٥/ ١٠٢٦، وإتحاف الجماعة للتويجري: ١/ ٤٩، ٦٣، وضحى الإسلام، أحمد أمين: ٣/ ٢٣٨، وتحذير ذوي الفطن: ٢١١ «حاشية: ١»، وصراع النهاية: ٢٠-٢٢، وفقه أشراط الساعة: ٦٤، ٢٣٩.

(٢) السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان: ٨٨ «بتصرف»، وانظر: هرمجدون آخر بيان: ١٣، ١٤، ٤١.

(٣) سورة الجن: الآيتان (٢٦، ٢٧).

فالاستدلال على الغيب بالحسابات العددية، وأسرار الحروف بدع عقدية ما أنزل الله بها من سلطان، وقد جاء في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١].

وكثيرٌ من أهل الباطل ينفقون أكاذيبهم عن طريق ما يروونه عن أئمة أهل البيت، ومن ذلك كتاب الجفر المنسوب إلى علي رضي الله عنه، وبعضهم ينسبه إلى جعفر الصادق[٢] رحمه الله ، وحقيقته أنّه كتاب مختلقٌ لا أصل له، كما قرّر ذلك الأئمة الأعلام[٣].

وأما الاستدلال على الغيب بأقوال الكهنة والمنجمين، فهو مما نهى عنه النبي ﷺ فعن عمران بن حصين[٤] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له...»[٥].

وعن معاوية بن الحكم السلمي[٦] رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال: «فلا تأتوا الكهان» قال قلت: كنا نتطير، قال: «ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم»[٧]، وفي رواية قال قلت: «يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ح٢٦٩٧، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور، ح١٧١٨، واللفظ له.

(٢) هو أبو عبدالله جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي القرشي، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، ولقّب بالصادق؛ لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، توفي بالمدينة سنة ١٤٨هـ. انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٣٢٧، ٣٢٨، وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥-٢٧٠.

(٣) انظر: بغية المرتاد: ٣٢١، ٣٢٢، ودرء تعارض العقل والنقل: ٥/ ٢٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٢/ ٢١٧، ٤/ ٧٧، ٧٨، ٧٩، ومنهاج السنة النبوية: ٢/ ٤٦٤، ٤/ ٥٤، ٨/ ١٠، ١١، ومفتاح دار السعادة: ٣/ ٣١٩، ٣٢٨.

(٤) هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي، من علماء الصحابة، له في كتب الحديث (١٣٠) حديثاً، توفي سنة ٥٢هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٦/ ٤٠٨، والاستيعاب: ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥، وتذكرة الحفاظ: ١/ ٢٩، ٣٠.

(٥) رواه البزار في مسنده «البحر الزخار»: ح٣٥٧٨، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح خلا إسحق بن الربيع وهو ثقة» مجمع الزوائد: ٥/ ١١٧، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح ٢١٩٥.

(٦) هو معاوية بن الحكم السلمي، كان يسكن بني سليم وينزل المدينة، له صحبة يعدُّ في أهل الحجاز. انظر: التاريخ الكبير: ٧/ ٣٢٨، والاستيعاب: ٣/ ٤٦٩، وأسد الغابة: ٤/ ٢١٥، والإصابة: ٦/ ١١٨.

(٧) رواه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، ح٥٣٧.

بالإسلام، وإنّ منّا رجالاً يأتون الكهان؟ قال: فلا تأتهم»[1].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد نهى النبي -ﷺ- عن إتيان الكهان وأخبر أنّ من أتى عرافاً فصدقه بما يقول كفر بما أنزل عليه[2] -ﷺ-، ولا ريب أنّ الإيمان بما جاء به محمد -ﷺ- وبما يجيء به هؤلاء لا يجتمعان في قلب واحد، وإن كان أحدهم قد يصدق أحياناً فصدقه إلى كذبه قليل من كثير، وشيطانه الذي يأتيه بالأخبار لا بدَّ له أن يصدقه؛ ليغوي به الناس ويفتنهم به»[3].

(١) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، ح٥٣٧.

(٢) عن أبي هريرة والحسن رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» رواه أحمد في مسنده: ح٩٥٣٦، والبيهقي في السنن الكبرى، ح١٤١٢٤، قال شعيب الأرناؤوط: «حديث حسن رجاله ثقات رجال الصحيح» تحقيق مسند أحمد: ح٩٥٣٦.

(٣) زاد المعاد: ٥/ ٧٨٦، ٧٨٧.

المطلب الثالث: الاستدلال بالمنامات والأوهام والخرافات:

أكثر الاستدلالات السابقة -على ضعفها وبطلانها- ينسبها المستدل بها إلى كتاب سابق، أو يحتاج إلى شيء من التفكير لتحصيلها، بخلاف أنواع الاستدلالات الواردة في هذا المطلب، فإنها لا تحتاج إلى أسانيد، ولا إلى مراجع، ومن ثم فهي بوابة مفتوحة ليقول من شاء ما شاء! دون بينة ولا برهان.

والعجيب أنّ هذه المصادر لا يمكن عدّها، فهي متولّدة دوماً حسب قدرة المستدلّ بها على اختراع أسماء جديدة، بيد أنّ الذي يجمعها، هو تعارضها مع المنهج الشرعي في البحث والنظر والاعتقاد، وأنّها في الجملة مبنية على الأوهام والخرافات.

وفيما يأتي ذكر شيءٍ يسيرٍ من هذه المصادر المزعومة التي تستدلّ بها بعض كتب الفتن والملاحم:

١- الاستدلال بالرؤى المناميّة التي تُنسب إلى المجهولين.

يستدل بعض كُتّاب الفتن برؤى مناميّة لمجهولين تؤكد صحة ما توصلوا إليه من تحريف الدين، والافتئات على رب العالمين.

قال أمين محمد جمال: «من القرائن التي أعتبرها، بل وأعتز بها، ما أخبرني به رجل مسلم فاضل من «البحيرة» لا أعرفه ولا يعرفني -!!-، فقد اتصل بي عبر الهاتف بعد ظهور كتابي «عمر الأمة» ببضعة أشهر وبشّرني قائلاً: إنّه رأى رسول الله ﷺ في رؤيا يبتسم له ويعطيه كتاب «عمر أمة الإسلام وقرب ظهور المهدي عليه السلام». وقد حلف الرجل بالله أنّ هذه الرؤيا كانت قبل صدور الكتاب بتسعين يوماً... وذكر له كلاماً يسرّني إلا أنني أحتفظ به لنفسي فقد اكتفيت بذكر الشاهد من الرؤيا وهي[1] أن الكتاب وما به من أدلة على قرب النهاية حقٌّ بإذن الله؛ دلّ عليه رؤية رسول الله ﷺ الحق»[2].

(١) كذا والصواب: وهو.

(٢) هرمجدون آخر بيان: ٥٦ «الحاشية».

والصواب أنّ أمثال هذه المنامات لا تُعدُّ دليلاً على حُكمٍ مطلقاً، فضلاً عن الشك في مدى ثبوتها، لصدورها عن المجهولين كما ادّعى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما المنامات – أي التي يستدل بها المبتدعة- فكثير منها، بل أكثرها كذب، والرؤيا المحضة التي لا دليل يدلّ على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء بالاتفاق»[1].

٢- الاستدلال بالكشف والإلهام.

يستدلُّ بعض كُتّاب الفتن والملاحم بالكشف[2] والإلهام[3] على إثبات بعض ما يكون في آخر الزمان[4]، ومن هؤلاء الكاتب الصحفي محمد عيسى داود، حيث قال: «وكثير من فكري ومضات من البرق واستنارات وإلهامات فجائية إن لم أتداركها بالتسجيل أو التدوين تصبح بدداً بلا بقاء»[5].

وقد ذهب العلماء إلى أنّ المستدلّ بالكشف والإلهام لا يخلو من حالين:

الحال الأول: أن يكون نبياً من الأنبياء، فقوله حق، وما ألهمه الله إياه، أو كشفه له، فهو حق، ووحي من الله تبارك وتعالى.

والحال الثاني: أن يكون من سائر البشر غير الأنبياء، وحينها فلا يخلو ما أُلهمه أو كُشف له من حالين:

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٧/ ٤٥٧، ٤٥٨ «باختصار»، وانظر: ١/ ٢٦٣، والفصل، ابن حزم: ٥/ ١٢٣.

(٢) الكشف في اللغة: رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، وفي الاصطلاح: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الخفية الحقيقية، وجوداً أو شهوداً. انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٨١، والتعريفات: ٢٦٥.

(٣) الإلهام في اللغة: مصدر ألهم، من الإلهام وفي الاصطلاح: هو ما يخلقه الله في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر. انظر: أحكام القرآن، ابن العربي: ٣/ ١١٤٤، ولسان العرب: ٨/ ١٤٥، واللباب في علوم الكتاب: ١٢/ ١١١.

(٤) انظر: الإشاعة لأشراط الساعة:٨٨، ٨٩، ١٠٠-١٠٤، ولوامع أنوار البهية، السفاريني: ٢/ ٨١، واحذروا المسيح الدجال يغزو العالم: ١٨٣.

(٥) ما قبل الدمار مرة أخرى!! احذروا وانتبهوا المسيح الدجال على الأبواب:٥٧٠.

الأول: أن يكون موافقاً للكتاب والسنة، فهو حقٌّ ويجب قبوله لموافقته لهما لا لأنه كشف أو إلهام، **والثاني**: أن يكون مخالفاً للكتاب والسنة، وليس فيهما ما يشهد له، فلا يجوز قبوله بحال، بل هو مردود على صاحبه، كائناً من كان[1].

٤- الاستدلال بمخطوطات سرِّيّة.

يزعم الصحفي محمد عيسى داود أنّه تفرّد بالعثور على مخطوطات سرية وخاصة، في الأردن وفلسطين واليمن وألمانيا وتركيا، لم يطلع عليها إلا هو[2]، حتى صار مرجعاً في هذه المخطوطات لسائر تلاميذه ومحبيه[3]!!.

ومن ذلك قوله: «إنّ هذا الكلام لا أقوله من عنديات نفسي.. إنه مذكور في نقوش ومخطوطات صخرية في بلدة «أربد» بالأردن، ومع الزمن سُرقت النقوش والصخور الأثرية التي عليها هذه المدونات وغيرها، ولا يعلم أحد أين اختفت أو ذُهب بها!! لكن بقيت الرواية في أذهان بعض العلماء الذين تواتروها عن أجدادهم بالشام»[4].

ومن كثرة المخطوطات النادرة التي لم يطلع عليها غير محمد عيسى داود!، صار يقدم من كنوزها هدايا لأمته! حيث قال: «وضمن المخطوطات المخبأة لفائفُ منها نصٌّ لأول مرة تراه البشرية -!!-، أقدمه هدية لأمتي، وانفراداً من انفراداتي التي عودتها عليها...»[5].

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١١/٢٠٨، ٢١٤، ١٩/٥، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد:٢/ ٦٥٥-٦٥٧، ٦٦٤.

(٢) المخطوطات التي يرجع إليها محمد عيسى داود من الكثرة بحيث يصعب عدها، انظر: المفاجأة: ٥١، ٦٧، ٨٦، ٩٧، ١٠٥، ١٠٦، ١١١، ١١٣، ١٢٠، ١٢١، وقد عدها الأستاذ: أحمد بن أبي العينين فوجد أنها بلغت (٤٣) مخطوطاً في هذا الكتاب وحده، انظر: تحذير ذوي الفطن: ١٣٤-١٦١.

(٣) انظر: هرمجدون آخر بيان: ١١، ٢٠، ٢١، ونهاية إسرائيل المعاصرة، ناصف: ١٣، ١٢٩-١٣٢، ١٥٩.

(٤) الخيوط الخفية: ٢٧.

(٥) المفاجأة: ٣٠٥.

٥- الاستدلال بما يدور في جلسات تحضير الأرواح:

ويظهر هذا الاستدلال عند هشام كمال حيث عنون لما أسماه: «تفاصيل ما كشفت عنه الشياطين في جلسات تحضير الأرواح عن مجيء المسيح الدجال على طبق طائر»[(١)].

فأين هذا المستدل بأقوال الشياطين، من الامتثال لما أمره به ربُّ العالمين، من الاستعاذة من همزاتهم وحضورهم!، فقال سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [(٢)].

وبعد أن تمّ الوقوف على بعض هذه الاستدلالات التي يستدل بها أصحابها على أخبار الفتن والملاحم؛ فلا يشك عاقلٌ أنّها أوهامٌ وضلالات وخرافات، لا يؤخذُ منها علمٌ أو حكمٌ أو خبرٌ تطمئنُّ إليه النفسُ، فضلاً عن أن تُسمّى استدلالاً.

وهي مع ذلك لا تصلح أن يبني عليها العاقل دنياه!، فكيف يبني عليها دينه وعقيدته وإيمانه؟!

وللإمام الشاطبي رحمه الله كلامٌ جامعٌ يمكن الإفادة منه في نقض هذه المصادر وبيان بطلانها، حيث قال رحمه الله: «فاعلم أنّ النبيّ ﷺ مؤيّدٌ بالعصمة، معضودٌ بالمعجزة الدالّة على صدق ما قال، وصحّة ما بيّن، وأنت ترى الاجتهاد الصادر منه معصوماً بلا خلاف؛ إما بأنّه لا يخطئ البتّة، وإما بأنّه لا يقرّ على خطأ إن فرض، فما ظنّك بغير ذلك؛ فكل ما حكم به أو أخبر عنه من جهة رؤيا نومٍ أو رؤية كشفٍ، مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله عز وجل.

(١) اقترب خروج المسيح الدجال: ١٥٩.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان (٩٧، ٩٨).

وأما أُمَّتُهُ فكلّ واحدٍ منهم غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط والخطأ والنسيان، ويجوز أن تكون رؤياه حلماً وكشفاً غير حقيقيٍّ، وإن تبيّن في الوجود صدقه واعتيد ذلك فيه واطّرد، فإمكان الخطأ والوهم باقٍ، وما كان هذا شأنه لم يصحّ أن يقطع به حكم»[1].

(١) الموافقات: ٤/ ٨٣، ٨٤، وانظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٥/ ١٢٣، ومدارج السالكين: ١/ ١٢٣، والاعتصام: ١/ ٣٣٢، وفتح الباري: ١٢/ ٣٩١.

المبحث الثالث: المخالفات في تنزيل أخبار الفتن والملاحم على الواقع

وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

التمهـــيد

عُني الوحي بإعلام الناس عن أخبار الفتن والملاحم؛ لكي يفيدوا منها في تصورهم لواقعهم ومستقبلهم وتعاملهم معهما، وهذه الاستفادة متوقفة على المطابقة بين الخبر والواقع، وإلا تعطلت النصوص، ولم يُعمل بها.

ومن هنا فقد أرشد النبي ﷺ إلى المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه عند تنزيل أخبار الفتن والملاحم على الواقع[1]، وهو ما أغفله بعض الذين كتبوا في هذا الباب ولاسيّما أولئك الذين خلطوا مصادر صحيحة بأخرى فاسدة، مع ضعف عناية بعضهم بالعلوم الشرعية.

وفي المطالب الثلاثة الآتية سيتم التركيز على أظهر المخالفات التي وقع فيها هؤلاء عند مطابقتهم بين نصوص الفتن والملاحم والوقائع والمستجدات.

(١) انظر: ص ٦٦ وما بعدها.

المطلب الأول: تعيين الواقع ثم البحث عن نصوص تطابقه:

فوجئ بعض من كتبوا في أخبار الفتن والملاحم بأحداث توقعوا أن يكون في النصوص ما يدلّ عليها، ففتشوا في كتب السنة بغية الوقوف على خبر يناسب واقعهم.

ومن ذلك أنّ الدكتور فاروق الدسوقي(1) حين رأى احتلال النظام البعثيّ العراقيّ لدولة الكويت عام ١٤١١هـ-١٩٩٠م، وقع في نفسه أنّ حدثاً كهذا، لابد أن السنة النبوية قد أشارت إليه، فأخذ يبحث فيها عن ما يؤيد وجهة نظره المسبقة.

قال: «كلّ هذا جعلني على يقين أنني أمام حدثٍ جللٍ غير عادي لابد أنّ في السنة الشريفة عنه خبراً أو أخباراً؛ فلما رجعت إلى السنة الشريفة في أبواب الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صدق توقعي إذ وجدت فيها أخباراً عن هذه الحرب واسمها في السنة أول الملاحم، وأخباراً عن نتيجتها وما قبلها وما بعدها»(2).

وللوصول إلى نصوص تدعم توقعه المسبق، تجاوز السنة النبوية إلى البحث في نبوءات اليهود والنصارى، علّه يظفر بمراده.

قال: «وبفضل الله ثم بصفحة ونصف من صفحات كتاب المسيح الدجال لسعيد أيوب جعلتني أرجع لبعض أسفار الكتاب المقدس، فإذا بي أجد أخباراً عن هذه الموقعة المرتقبة ونتيجتها وآثارها وأحداثاً ستحدث بعدها، وأصبحت بفضل الله تعالى حتى قبل أن تبدأ هذه الحرب مطلعاً على أنبائها، وعلى ما سيحدث بعدها من أحداث الصراع اليهودي الصليبي ضد المسلمين»(3).

وكانت النتيجة: أن قام الدكتور بإنزال النصوص الواردة في حشر الناس إلى أرض المحشر،

---

(١) أستاذ جامعي مصري وُلد بالإسكندرية سنة١٣٥٧هـ حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم الإسلامية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٨م، درّس في قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود، ثم في جامعة أم القرى، وحاز جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٥هـ. انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٣١٧/١٠.

(٢) القيامة الصغرى على الأبواب: ١/ ١٠، وانظر: اقتربت الساعة، أسامة يوسف رحمة: ٣٠.

(٣) القيامة الصغرى على الأبواب: ١/ ١٠.

على هرب بعض أهل الكويت والمقيمين فيها إبّان الغزو العراقي!![1].

وبعض هؤلاء يضعون الأحاديث والآثار التي تناسب واقعاً معيناً، كاختراع بعضهم دليلاً يشير إلى أنّ صدام حسين الرئيس العراقي الراحل هو السفياني الذي جاء ذكره في أخبار الفتن والملاحم[2].

المطلب الثاني: إسقاط دليل صحيح أو غيره على واقع غير مناسب:

وتقع هذه المخالفة في الغالب لمن يُقصِّر في طلب فقه النص، أو فقه الواقع أو تحقيق النية الصالحة.

فبعض الناس يغفل جمع النصوص الواردة في المسألة التي هي محلّ النظر، أو يُقصِّر في تتبع كلام العلماء حول فقه الدليل، أو لا يراعي الترتيب الزمني للأحداث أو نحو ذلك مما يُعدُّ تقصيراً في العلم بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ.

وبعضهم يتحقق له العلم بفقه النص، ولكنّه يُقصِّر في فقه الواقع، فلا يتصوّره على حقيقته، وقد يبدو له وجود قدرٍ من التطابق بين النص والواقع، فيظنّه تطابقاً من كلّ وجه، وليس الأمر كما ظنّ.

وبعضهم يتحقق له فقه النص والواقع، ولكنّه لم يُحقّق النيّة الصالحة فيعمد إلى إنزال النّص على غير واقعه الصحيح، رجاء تحصيل مصلحة شخصية، ونحوها.

وأظهر مثال على هذه المخالفة جميع الشخصيات التي ادّعت المهديّة، أو ادُّعيت لها، طيلة التاريخ الإسلامي، وإلى يومنا هذا[3].

---

(١) انظر: المرجع السابق: ١/ ٢٧٢.

(٢) انظر: البيان النبوي: ٨٤، وهرمجدون آخر بيان: ١٩، ٣٦، ٤٩-٥٦، ونهاية إسرائيل المعاصرة: ١٣٠، وخالفهم فهد سالم فذهب إلى أنّ السفياني هو الملك حسين ملك الأردن السابق، انظر: أسرار الساعة وهجوم الغرب: ١٣٠، ١١٣، ١٣٧ - ١٣٩.

(٣) انظر: منهاج السنة: ٤/ ٢١١، والمهدي المنتظر، للبستوي: ٨٩-١٤٠.

ومن أمثلة هذا النوع ما فعله أبو الفيض أحمد الغماري[1]، حين أنزل حديث نَهيك بن صُرَيم[2] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردنّ أنتم شرقي النهر وهم غربيه»[3]، على حروب المصريين والسوريين مع إسرائيل عام ١٩٦٧م، وذهب إلى أنّ الجنود المصريين معصومون من المسيح الدجال!![4].

والصواب: أنّ الحديث يخبر بقتال المسلمين للدجال وأتباعه، وهو ما لم يقع بعد، وقد انتهت المعركة التي أشار إليها الغماري، ورجع المصريون إلى بلادهم، ولم يظهر الدجال، كما لم تتحقق لهم كرامة كلام الحجر والشجر!.

(١) هو أحمد بن محمد بن الصديق بن أحمد الغماري الحسني الأزهري، متفقه شافعي مغربي، من نزلاء طنجة، تعلّم في الأزهر، واستقر بالقاهرة، وبها توفي سنة ١٣٨٠هـ. انظر: الأعلام: ١/ ٢٥٣.

(٢) هو نهيك بن صريم اليشكري ويقال السكوني معدود في أهل الشام، من أصحاب النبي ﷺ، له حديث واحدٌ، وهو الحديث المثبت أعلاه، ولم أقف على تاريخ وفاته. انظر: الثقات، ابن حبّان: ٣/ ٤٢٢، والاستيعاب: ٤/ ٧٤، وأسد الغابة: ٤/ ٢١١، والإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ٣٧٦.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٩٥، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: ح٢٤٥٨، والطبراني في مسند الشاميين: ح٦٣٨، إلا أنّه قلب اللفظ فقال: «أنتم من غربيه وهم من شرقيه»، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٦٢/ ٣٢٤، وعزاه الهيثمي للبزار، فقال: «رواه الطبراني والبزار ورجال البزار ثقات» مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٩، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ح١٢٩٧، وحسّنه الشيخ سفر الحوالي في القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ١٦ «حاشية:٢»، والغماري في مطابقة الاختراعات العصرية: ٥٦.

(٤) انظر: مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية ﷺ: ٥٦، ٥٧.

المطلب الثالث: الجزم بمطابقة الواقع المعين لظاهر نصٍّ لا يدلّ عليه يقيناً:

الجزم بمطابقة واقعٍ ما للنّص الشرعي، يعني القطع بأنّ هذا الواقع هو ما أراده الله تعالى ورسوله ﷺ، وفي هذه الحالة لا يخلو الجازم من أن يكون صادقاً، أو كاذباً على الله تعالى ورسوله ﷺ، أو مخطئاً؛ ولذلك فالواجب على المسلم أن يتأنّى قبل الجزم، وأن يسلك مسلك الحيطة والحذر، بإطلاق الاحتمال من غير جزم، مع نسبة العلم إلى الله تعالى، فإن كان عالماً قد استكمل فقه النص والواقع، وطلب الحق بتجرّد، وقصد إصابته، ثم ظهر له مطابقة النص للواقع، فلا بأس حينئذ من الجزم.

ولكنّ واقع أكثر المخالفين: أنّهم يجزمون بمطابقة النصوص للواقع، مع تلبّس أكثرهم بالجهل، وعدم صفاء القصد، حيث إنّ أحدهم يعيّن الواقع ثم يبحث عن نصوصٍ تناسبه، فهو منذ البدء قد بنى تصوره من معطيات الواقع لا من النص.

وغالباً ما يلجأ بعض هؤلاء إلى الاستدلال على نتائجهم المسبقة بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات، وأقوال الجن والشياطين، والحسابات والمنامات، والأهواء والظنون، وربما جمع بعضهم إلى ذلك؛ الحلف بالله تعالى أنّ استنتاجه هو الحق المبين!!.

قال أمين محمد جمال: «لقد كنت حريصاً ألا أتورط في تنزيل الأحاديث على الواقع، ليس لعدم جواز ذلك، كلا، فإنه جائز، بل يجوز الحلف بالله على غلبة الظن وإنما منعاً للجدل وتحرزاً عن الدخول في متاهات المشغّبين ممن لم تتسع دائرة علمهم ولم ترسخ بعد في العلم أقدامهم، ولكن هيهات هيهات.

أما الآن، وبعد أن أصبح الناس كلّهم أو جلّهم يتوقعون حروباً وملاحم تتجمع أسبابها وتتسارع وتيرتها وتكاد تدق الأبواب، فإني لا أجد غضاضة ولا حرجاً في ذكر ما أعلم وتنزيل الأحاديث على الواقع، بل أستطيع أن أقسم على ذلك»[1].

(١) هرمجدون آخر بيان: ٤٨.

وقد فعل؛ حيث استعد للحلف من غير استثناء على أنّ «هَرْمَجَدُّون» الكتابية -الباطلة[1]!!- قد كشّرت عن أنيابها، وشمّرت عن ساعديها، وكشفت عن ساقيها!!.

فقال: «وبعد أن تحركت أساطيل الجيوش الصليبية ببوارجها ومدمراتها وصواريخها، وطائراتها وربضت في مياه البحر المتوسط والمحيط الهندي وخليج العرب بحجة مكافحة الإرهاب، أستطيع أن أحلف ولا أستثني أنّ ملاحم آخر الزمان والتي تبدأ بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة «هَرْمَجَدُّون» قد كشَّرت عن أنيابها وشمَّرت عن ساعديها وكشفت عن ساقيها»[2].

(١) انظر: ص ٣٨٦،٣٨٧ من الرسالة.

(٢) هرمجدون آخر بيان: ٧.

الفصل الثالث:
الأصول المعتمدة في دراسة الملاحم عند أهل الكتاب

وفيه ثلاثة مباحث :-

- **المبحث الأول:** مصادر أخبار الملاحم عند أهل الكتاب.
- **المبحث الثاني:**مناهج أهل الكتاب العلمية في التعامل مع أخبار الملاحم.
- **المبحث الثالث:** مناهج أهل الكتاب العملية في التعامل مع أخبار الملاحم.

المبحث الأول: مصادر أخبار الملاحم عند أهل الكتاب

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهـــيد

المصادر التي يعتمدها بعض أهل الكتاب في تحديد الملاحم ووصفها، منها: ما هو مشترك بين اليهود والنصارى، كالتوراة وسائر أسفار العهد القديم، ومنها: ما يستقلّ به كلُّ طائفةٍ منهما، كاستقلال اليهود بالاعتماد على التلمود، واستقلال النصارى بالاعتماد على الإنجيل وسائر رسائل العهد الجديد وأسفاره.

وفي المطالب الثلاثة الآتية سيتم التعريف بمصادر كلٍّ من اليهود والنصارى بالإضافة إلى ذكر بعض النقود التي تتوجه إلى هذه المصادر.

المطلب الأول: مصادر الاستدلال عند اليهود:

- الفرع الأول: العهد القديم:

يَعُدُّ اليهود العهد القديم(١) -بقسميه: التوراة(٢)، وأسفار الرسل(٣)- المصدر الأول في تعيين ملاحم آخر الزمان.

قال سعد بن منصور بن كمّونة(٤): «فمن أراد تفصيلاً -أي حول ما تعتقده اليهود في نبوة موسى ﷺ وما جاء به- فلينظر في التوراة، وأسفار النبوات، وكتب الأحبار، القدماء منهم والمحدثين»(٥).

---

(١) العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، ويشمل التوراة العبرانية، وأسفار الرسل، وقد تطلق التوراة عليه؛ لأهميتها، أو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل. انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام، علي وافي: ١٣، ٨٥، والمدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف: ١٧، ٢٥، ٣١، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ١١١، ١١٢، وموسوعة الحقائق الكتابية، برسوم ميخائيل: ٣٨٥، واليهودية، أحمد شلبي: ٢٣٨.

(٢) تطلق التوراة عند اليهود ويراد بها: الشريعة اليهودية، أو التعاليم الدينية المكتوبة، وهي عبارة عن خمسة أسفار، يعتقدون أنّ موسى ﷺ كتبها بيده، وجاء في بعض النصوص اليهودية أنّ الرب أعطاه إيّاها مكتوبةً. انظر: سفر الخروج: ٢٤/ ٣، ١٢، وسفر التثنية: ٣١/ ٩، ٢٤، والتوراة دراسة تحليلية، محمد شلبي: ٢٠-٢٥، والمدخل إلى العهد القديم: ٣٧، ٧٣-١٣٩ والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ١١١، ١٨٠-٢٠٣.

(٣) أسفار الرسل هي الأسفار الملحقة بالتوراة، والتي تُكوِّن معها العهد القديم، وهي بحسب النسخة العبرانية المنتشرة: أربعة وثلاثون سفراً. انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام: ١٤-١٦، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف: ٦٦-٦٨، والكتاب المقدس سفراً سفراً، عايد هنري: ٣٤-١٦٠، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ١٦٠-١٦٤، ٢٠٥-٢٢٢، ٢٣١-٢٣٨، واليهودية، شلبي: ٢٣٩، ٢٤٠.

(٤) يهودي بغدادي من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها، ولاسيّما من أسلم من اليهود، وخصوصاً السموأل المغربي، ينقل تصوره عن الإسلام من كتب ابن سينا والغزالي والرازي والميموني، ألمح إلى عدم انطباق شروط النبوة على نبينا محمد ﷺ، فثار عليه المسلمون حتى اضطر للهرب في صندوق، وتوفي بعد هذه الحادثة بأيام، وذلك عام ٦٧٦هـ. انظر: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ابن الفوطي: ٤٤١، ٤٤٢، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبدالمنعم الحفني: ٣٤، ٣٥.

(٥) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ٢٧.

- الفرع الثاني: التلمود.

يعتقد أكثر اليهود أنّ موسى عليه السلام تلقى شريعتين: شريعة مكتوبة وهي التوراة وشفوية وهي التلمود، وهو عندهم «كتاب تعليم ديانة وآداب اليهود»(١).

ويَعُدُّ اليهود التلمود مرجعاً رئيساً في فهم نصوص التوراة وأسفار العهد القديم، كما نصّ على ذلك «إسرائيل شاحاك»(٢) و«نورتون ميزفينسكي»(٣)، فقالا: «ويؤمن الأصوليون اليهود(٤) بأنّ مرجعية الكتاب المقدس نفسه ترجع للتفسير الصحيح له في التلمود»(٥).

ومن أهم ما تضمنه التلمود: أخبار مسيح اليهود المنتظر، وعوامل مجيئه والأحداث التي ترافقه، وأنهم سيستمرون في حروب مع باقي الشعوب إلى أن يأتيهم(٦).

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٤٨، وانظر: إسرائيل والتلمود: ٥٥، واليهودية عرض تاريخي: ٨٥.

(٢) يهودي بولوني قدم إلى فلسطين عام ١٩٤٥م، وشهد نشوء الكيان الصهيوني، وهو أستاذ جامعي شارك في لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان والمواطن، انقلب على قومه الصهاينة، وبدأ نضاله ضدّ كافّة مظاهر الظلم والعنصرية لديهم. انظر: مجلة البيان، عدد: ٥٠، ص٩٠، ٩١.

(٣) يهودي أمريكي وُلد عام ١٩٣٢م، وعمل أستاذاً في جامعة هارفارد وغيرها، وهو أحد أنشط اليهود المناهضين للصهيونية، عمل بين عامي ١٩٦٦ و١٩٦٧م مديراً تنفيذياً للمجلس الأمريكي لليهودية. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ٤٣١، ٤٣٢.

(٤) الأصولية اليهودية هي «الإيمان بأنّ الأرثوذكسية اليهودية القائمة على التلمود وبقية الكتابات التلمودية ومجمل الشريعة اليهودية ما زالت صالحة وسوف تظل كذلك أبداً» الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ٣٣ «باختصار».

(٥) المرجع نفسه: ١/ ٣٣، وانظر: التاريخ اليهودي، إسرائيل شاحاك: ٦٢، ومفصل العرب واليهود في التاريخ: ٣٦٢، واليهودي العالمي، هنري فورد: ٣/ ٣٥،

(٦) انظر: الأسفار المقدسة قبل الإسلام: ٥١، ٥٢، والكنز المرصود في قواعد التلمود: ٥٥-١١٠.

المطلب الثاني: مصادر الاستدلال عند النصارى:

وفيه فرعان:

- **الفرع الأول: العهد القديم.**

يعتقد أكثر النصارى أنّ العهد القديم أحد مصادر الاستدلال المعتمدة لديهم وفي هذا المعنى يقول صموئيل مشرقي «وهو نصراني»: «فإننا نؤمن بأنّ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، هو كلمة الله الموحى بها»(١).

واعتمادهم على العهد القديم، **لا يعني** أنّهم يتّفقون مع اليهود على تفسيره بل إنّ لكلٍّ منهم التفسير الذي يتناسب وعقائدَهم الخاصة بهم(٢).

قال نصر الله زكريا «وهو نصراني»: «الدارس للعقائد المسيحية يستطيع أن يتبين بسهولة أنّ المسيحيين يعتمدون اعتماداً مرجعياً على ذات النصوص التي يعتمد عليها اليهود باعتبار أنها نبّوات عن مجيء المسيّا(٣) المنتظر، لكنّ القراءة المسيحية لهذه النصوص تختلف كثيراً عن قراءتها في الفكر اليهودي»(٤).

---

(١) عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه: ١٤ .

(٢) انظر: تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ٣١، والجواب الصحيح: ٣/ ٩، وخلفية صراع أهل الأديان حول فلسطين ولبنان، محمد عثمان صالح: ٢٧، ٢٨.

(٣) كلمة عبرية معناها «ممسوح » أي «مسيح». انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة: «مسيّا».

(٤) المجيء الثاني للمسيح بين الادعاءات الصهيونية والحقائق الدينية: ١٢٣.

- **الفرع الثاني: العهد الجديد.**

يعتقد النصارى بقدسية العهد الجديد(١)، بقسميه: الأناجيل(٢) الأربعة، ورسائل الرسل وأسفارهم(٣)، ويؤمنون بأنّه أحد مصادر الاستدلال المعتمدة لديهم.

قال ناشد حنّا «وهو نصراني»: «نؤمن بالوحي الكامل المعصوم للكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد لفظاً ومعنى، ونؤمن أنّ فيه كلّ الكفاية للتعليم والتوبيخ والتقويم والتأديب الذي في البرِّ، وأنّ السماء والأرض تزولان، وكلمة واحدة أو حرف واحد منه لا يزول»(٤).

---

(١) أُطلق مصطلح «العهد الجديد» للتفريق بين التوراة وملحقاتها، والإنجيل وملحقاته. انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس «العهد الجديد»، متى هنري: ١/ ٩، وعصمة الكتاب المقدس: ١٣.

(٢) الأناجيل جمع إنجيل وهو كلمة يونانية معناها «الحلوان» وهو الهدية التي تُعطى لمن أتى ببشارة طيبة، ثم صُرف اللفظ إلى الخبر الطيب والبشرى، وإنجيل عيسى ﷺ فُقد منذ زمنٍ مبكر، وقد تعدّدت الأناجيل وكثرت، مما دفع الكنيسة إلى أن تختار أربعة منها، وهي: إنجيل متى، وإنجيل مَرقُس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنّا. انظر: سفر أعمال الرسل:٢٠/ ٢٤، ورسالة بطرس الأولى: ١/ ٢٥، والأسفار المقدسة قبل الإسلام: ٢٣٥، ٢٧٥، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٣٥-١٣٧، ١٤٧، وقراءة في الكتاب المقدس:١١-١٦، ٣٧١، ٦١٠، ومحاضرات في النصرانية:٤١-٥٥، ومعجم اللاهوت الكتابي: ١١٣، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٣٨٥.

(٣) أسفار الرسال ورسائلهم هي سفر أعمال الرسل، وإحدى وعشرون رسالة تُعنى بتعليم النصرانية، ورؤيا يوحنا اللاهوتي، ويعتقدون أنّ جميع هذه الرسائل كتبت بالإلهام، وذكر بعضهم أنّ بولس كتب بنفسه نصف أسفار العهد الجديد. انظر: رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس: ١/ ١١، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ٨٥، ٨٦، ١١٣-١٢٠، وتحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ: ٢٥٣-٢٥٨، وكيف نفهم علم اللاهوت، ر.ت. كندل: ٢/ ٢٣، والمسيحية، أحمد شلبي: ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٧، ومجلة المراعي الخضراء، عدد يوليو ١٩٣٤م، ص ٨٤.

(٤) ٥٥ حقيقة من حقائق الإيمان الأساسية: ٢ «باختصار».

المطلب الثالث: دراسة نقدية لمصادر الملاحم عند أهل الكتاب:

وبيانها في فرعين:

- الفرع الأول: انقطاع أسانيد كتب أهل الكتاب.

من شروط إثبات كون كتابٍ ما منزلاً من عند الله تعالى «أن يثبت أوّلاً بدليلٍ تامٍّ أنّ هذا الكتاب كُتب بواسطة النبيّ الفلاني، ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتّصل بلا تغيير ولا تبديل. والاستناد إلى شخصٍ ذي إلهامٍ بمجرّد الظنّ والوهم لا يكفي في إثبات أنّه من تصنيف ذلك الشخص»[(١)].

وهذا الثبوت منتفٍ عن كتب أهل الكتاب؛ فهي منقطعة الأسانيد[(٢)]، حيث لم تُتلق عن أنبيائهم[(٣)]، وإنما كُتبت بعدهم[(٤)]، ثم نُسبت إلى غير مؤلِّفيها الحقيقيين[(٥)] وفيما يأتي بيان ذلك على وجه الإيجاز:

أولاً: انقطاع أسانيد كتب اليهود:

يدلّ تاريخ اليهود على ضياع توراة موسى عليه السلام، وأنّ التوراة التي بأيديهم ليست التوراة المنزلة من عند الله، حيث يعتقدون أنّ موسى عليه السلام صان التوراة عن وصولها إلى أيدي بني إسرائيل،

(١) إظهار الحق، رحمة الله الهندي: ٤٢، وانظر: محاضرات في النصرانية: ٧٩، ٨٠.

(٢) انظر: إظهار الحق: ٤٢-٦٠، واختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبدالوهاب: ١٩، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام: ١٧، ١٨، ودراسات في الكتاب المقدس، محمود حماية: ٢٨، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق، عبدالوهاب طويلة: ٩١-٩٤، ومحاضرات في النصرانية: ٧٩-٨٦، ١٣٢-١٣٦، والمسيح في المصادر المسيحية، أحمد عبدالوهاب: ٣١، وهل العهد القديم كلمة الله، منقذ السقار: ١٥-١٨.

(٣) انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ١٢٥-١٤٦.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١/ ٢٨٥، والاختلافات في الكتاب المقدس: ٤٧، والتوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص: ٢٨-٣١ ورسالة في اللاهوت والسياسة: ٢٦٦-٢٨١، واليهودية، أحمد شلبي: ٢٥٨.

(٥) انظر: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ: ٢٢٥-٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٤-٢٥٠، ودعاوى النصارى في مجيء المسيح عليه السلام: ٣٦٧، ٣٧٠-٣٧٥، ومحاضرات في النصرانية: ٥٠، ٥١، والمسيحية، أحمد شلبي: ٢١٦، واليهودية، له أيضاً: ٢٥٩.

فوضعت في التابوت خوفاً عليها منهم، ولم يعطهم منها إلا نصف سورةٍ فيها ذمّهم[1].

ثمّ إنّ اليهود مرّوا بحالات ارتداد وعبادة لغير الله[2]، ضاعت فيها نسخة التوراة من بين أيديهم، فادّعى الكاهن «حلقيا»[3] أنّه وجدها بعد قرابة ثلاثمائة وخمسين سنة من اكتشافهم ضياعها، ثمّ إنّ توراة «حلقيا» ضاعت!، وبعد سنوات ظهرت توراة ثالثة هي توراة «عزرا»[4]، وهم يزعمون أنّها توراة موسى، وأنّ عزرا-الذي بينه وبين موسى عليه السلام قرابة خمسمائة عام- كتبها بالإلهام.

قال السموأل بن يحيى المغربي[5]: «فهذه التوراة التي بأيديهم -على الحقيقة- كتاب عزرا، وليس كتاب الله»[6].

ويُذكر أنّ هذه التوراة التي جاء بها «عزرا» قد ضاعت هي الأخرى، ويرى بعض محقّقي

(١) قيل هي: نشيد موسى في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية. انظر: بذل المجهود: ١٢١ «حاشية:١».

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل:١/ ٢٨٩-٢٩١، والتوراة دراسة تحليلية: ٤٠.

(٣) هو الكاهن الأعظم حلقيا بن شلّوم بن صادوق، عاش في أيّام الملك يوشيا، وعاونه في إصلاحاته الدينية. انظر: سفر الملوك الثاني: ٢٣/ ٢٤، ٢٥، وسفر أخبار الأيام الأول: ٦/ ١٢، ١٣، وسفر أخبار الأيام الثاني: ٣٤/ ٩-٢٢، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «حلقيا».

(٤) هو عزرا الكاهن، أحد كتّاب العهد القديم، يعتقدون أنّه دارسٌ ملهمٌ للكتاب المقدّس، وأحد الناموسيين الصالحين، له سفر في العهد القديم باسمه، وهو سفر عزرا، يغطي حوالي ٨٠ سنة من ٥٣٦-٤٥٦ ق.م. انظر: الكتاب المقدّس سفراً سفراً، عايد هنري: ٦٤، ٦٥.

(٥) هو السموأل بن يحيى بن عياش المغربي، ثم البغدادي، **كان يهودياً فأسلم**، وبرع في العلوم الرياضية، وكان حاد الذهن جداً بلغ في العدديات وصناعة الجبر الغاية القصوى، وله كتاب المفيد الأوسط في الطب، وكتاب بذل المجهود في إفحام اليهود، توفي في حدود سنة ٥٧٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام: ١٢/ ١٥٤، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء: ٣/ ٤٦، والوافي بالوفيات: ١٥/ ٢٧٦.

(٦) بذل المجهود في إفحام اليهود: ١٢٣.

النصارى أنّ التوراة الحالية كتبها ما يربو على مائة كاتب[١]؛ لأنّ بها من التناقضات ما يستحيل معه أن يكون كاتبها شخصاً واحداً، وقيل إنّ أربع مدارس مختلفة أسهمت في كتابتها ثم ضُمّت نصوص هذه المدارس إلى بعضها، وتكوّن منها نصّ واحد[٢].

قال الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا[٣]: «إنّ من يعتقدون أنّ التوراة على ما هي عليه الآن رسالة من الله بعث بها من السماء إلى البشر، لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين: إني ارتكبت الخطيئة في حقّ روح القدس، إذ لقد قلت فعلاً: إنّ كلام الله مزيّف ومنقوص ومحرّف، وأننا لا نملك منه إلا شذرات، وأنّ الميثاق الذي يشهد بعقد الله عهداً مع اليهود قد فُقد»[٤].

وإذا كان هذا هو حال التوراة التي جاء بها موسى ﷺ، فما الظنُّ بحال بقية أسفار العهد القديم؟!، إنّها بلاريب أشدّ ظُلمة، وأسوأ حالاً، فهي الأخرى منقطعة الأسانيد، وقد أثبتت الدراسات والتحقيقات أنها تُنسبُ لأشخاصٍ لم يكتبوها، وقد تضمنت

---

(١) وذهب البعض إلى أن الذين كتبوا الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد: أربعون كاتباً، بينهم النبي، والملك، والراعي، والصياد، وجابي الضرائب، ونحوهم. انظر: دراسات في الكتاب المقدس، محمود حماية: ١٧، وكيف نفهم علم اللاهوت، ر.ت. كندل: ١/ ٢٧، ٢/ ٩.

(٢) انظر: سفر الخروج: ٢٥/ ٢١، ٢١، ٤٠/ ١٦، ٢١، وسفر التثنية: ٣١/ ٩-١٣، ١٩، ٢٤-٢٦، وسفر صموئيل الأول: ٤/ ١٠، ١١، وسفر صموئيل الثاني: ٢٩/ ٢٣-٢٥، وسفر الملوك الأول: ٢/ ١٢، ٦/ ١٤-٣٥، ٨/ ١-١١، وسفر الملوك الثاني: إصحاح ٢١، ٢٢/ ١-١١، والإصحاحان: ٢٤، ٢٥، وسفر أخبار الأيام الثاني: إصحاح ٣٣، ٣٤/ ١-٢٠، والفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢/ ١٣، وبذل المجهود في إفحام اليهود: ١٢٠-١٢٣، والتوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص: ٤، ٨٣-٨٥، والتوراة دراسة تحليلية: ١٧-٢٠، ٢٦-٤٥، ٢٥٦، ٢٥٧، والفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا: ٢٢-٢٦، وقصة الحضارة: ٢/ ٣٤٤، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق: ٦٣-٨٩، ونقد التوراة: ١٠٠-١٢٣، ووحي الكتاب المقدس: ١٢٤-١٢٨.

(٣) هولندي يعتبر من أوائل علماء العصر الحديث الذين قدّموا نقداً علمياً لأسفار العهد القديم، وخصص لذلك كتابه: «رسالة في اللاهوت والسياسة»، توفي سنة ١٦٧٧م. انظر: مدخل إلى تاريخ نقد العهد القديم واتجاهاته: ٦٩-٧٥، وموسوعة الفلسفة والفلاسفة: ١/ ٧٢٠-٧٢٦، والموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية: ١١٩-١٢٥.

(٤) رسالة في اللاهوت والسياسة: ٣٣٧ «بتصرّف».

معلومات ناقضت فيها التوراة[1].

وأما التلمود فليس له إسنادٌ أصلاً؛ لأنّه ليس من كتب الأنبياء، وإنما هو عبارة عن شروح الحاخامات المتأخرين لبعض قضايا التوراة، وقد شهدوا بها فيه من التعارضات والتناقضات، حيث جاء فيه: «إنّ أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء، ومن يحتقرها فمثواه جهنّم وبئس المصير»[2].

ثانياً: انقطاع أسانيد كتب النصارى:

يعتقد النصارى أنّ الأناجيل الأربعة -التي بين أيديهم اليوم- ليست الكتاب الذي أُنزل على عيسى عليه السلام؛ بدليل تعددها، ونسبتها إلى غيره، وجهلهم بهوية بعض كتّابها[3].

وأمّا بقيّة رسائل الرسل وأسفارهم، فالنصارى جاهلون بكَتبتها، مختلفون في أمرهم، مع دعواهم أنّ هؤلاء الكتبة من جملة الرسل، وأنّهم قد أُلهموا مضمونها من الله تعالى، ودون إثباتهم ذلك «خَرْطُ القَتَادِ»[4]، وأما تحديد الملهم من الرسل من غير الملهم، فهذا ما لا يمكن أن يتفقوا عليه، فليس هناك سند صحيح يُثبت الإلهام، ثم إنّ هذه الكتب لو كانت ملهمةً بحق، لما وجد فيها باطلٌ أو تناقضٌ، ولكانت متفقة غير مختلفة[5].

- **الفرع الثاني: تسلل التحريف والتبديل إلى كتب أهل الكتاب.**

يدّعي اليهود والنصارى أنّ الكتب التي بأيديهم تلقّاها كُتّابها من عند الله، وبهذا فإنّ الواجب

---

(١) انظر: التوراة دراسة تحليلية: ٢٥٧-٢٦٠، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق: ٩١-٩٤، ١٠٣-١٠٥.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٥٢.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢/ ١٣، وهداية الحيارى: ١٠٠، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٥١-١٥٨، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق: ١٠٧-١٢٥، ومحاضرات في النصرانية: ٨٠، ١٥٨، والمسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام: ٣٩-٤٣، والمسيحية، أحمد شلبي: ٢٢٧، ووحي الكتاب المقدس: ٦٣، ٦٤.

(٤) مثلٌ يُضربُ للأمر الشاقّ، وذلك أنّ القتاد: شجر له شوك كثير صلب أمثال الإبر لا يمكن لمسه، وخرطه أن تمرّ يدك على القتادة من أعلاها إلى أسفلها حتى ينتثر شوكها. انظر: مجمع الأمثال: ١/ ٤٦٧.

(٥) انظر: محاضرات في النصرانية: ٩٢، ٩٣، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق: ٥٧، ٦٠.

أن تكون معصومة من الخطأ والتناقض!! ولكنّ الواقع يشهد بوجود التناقض والاضطراب والخلل في هذه الكتب، مما يدلّ على تهافتها[1]، وأنّهم لم يتلقوها عن الله تعالى[2]، باستثناء بقايا الحقّ الذي نقله الآباء من محفوظاتهم إلى أبنائهم، مما جاء به أنبياؤهم عليهم السلام [3].

ومن دلائل تسلل التحريف والتبديل إلى كتب أهل الكتاب[4]:

١- شهادة كتب اليهود على تحريفها:

حيث جاء في مزامير داود ﷺ: «الْيَوْمَ كُلَّهُ يُحَرِّفُونَ كَلاَمِي»[5]، وفي سفر إشعياء: «يَا لَتَحْرِيفِكُمْ»[6]، وفي سفر إرميا[7]: «قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِنَا»[8].

---

(١) تجدر الإشارة إلى قيام مدارس وتوجهات ونظريات عند أهل الكتاب معنية بنقد كتبهم المقدسة، فمنها ما اختص بدراسة ونقد العهد القديم والتلمود، ومنها ما اختص بنقد العهد الجديد، كما أن منها ما يركز على نقد المصادر، ومنها ما يختص بنقد النص، ومنها ما يهتم بالنقد الأدبي، ومنها ما يبحث في النقد التاريخي، ولكل مدرسة منهجٌ تسلكه في نقدها، وازدهار هذه المدارس وتنوعها من أظهر الأدلة وأوضحها على يقينهم بأنّ هذه الكتب ليست من عند الله تعالى، ويكفي في بيان ذلك ثغراتها المفتوحة من كل اتجاه، مما يدل أنها من صُنع البشر. انظر: مدخل إلى تاريخ نقد العهد القديم واتجاهاته، أحمد هويدي: ٢٣-٤١، ٦٩، وما بعدها.

(٢) ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ سورة النساء: آية (٨٢).

(٣) انظر: حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت: ١٣-٧٣، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٥٩، والكتب المقدسة في ميزان التوثيق: ١٣٦-١٣٨، ١٤٣-١٥٥.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١/ ٢٠١، وإظهار الحق: ٦١-١١٨، واختلافات تراجم الكتاب المقدس: ١٩-٥٧، وتحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ: ٢١٩-٢٩٣، والتوراة دراسة تحليلية: ٦٤-٧٤، والتوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص: ٢، ٦٧-٧٧، ٧٩، ٨٠، وماذا خسر العالم بوجود الكتاب المقدس: ١٢٤-١٢٧، ونقد التوراة: ٢٢٨-٢٣٥، وهل العهد القديم كلمة الله؟: ٤٣-١٣١.

(٥) ٥٦/ ٥.

(٦) ٢٩/ ١٦.

(٧) يُذكر أنّه أحد أنبياء بني إسرائيل العظام، دعاه الرب للخدمة وهو لازال شاباً في عام ٦٢٧ق.م، وقد تنبأ بالسبي البابلي واستمراره لسبعين سنة، ثم العودة بعد ذلك. انظر: سفر إرميا: ١/ ١، ٦، ٢٥/ ١١، ٢٩/ ١٠، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «إرميا النبي»، والكتاب المقدّس سفراً سفراً: ١٠٦-١١٢.

(٨) ٢٣/ ٣٦.

٢- شكوى عيسى ﷺ من تحريف التوراة، وممن سيحرفون الإنجيل بعده:

حيث جاء في إنجيل برنابا[١]: «أجاب يسوع متأوّهاً: أجل هذا هو المكتوب، ولكنّ موسى لم يكتبه، ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله»[٢].

وحذّر ممن سيحرفون إنجيله فقال كما في الإنجيل نفسه: «ولكن احذروا أن تُغَشّوا؛ لأنّه سيأتي بعدي أنبياء كذبة كثيرون، يأخذون كلامي، ويُنجِّسون إنجيلي»[٣].

٣- التناقض والتضارب الذي تمتلئ به كتب أهل الكتاب.

من أوضح الأدلة على كثرة التناقضات في كتب أهل الكتاب، تعدّد نسخ كتبهم فالتوراة مثلاً: يوجد لها ثلاث نسخ؛ نسخة معتبرة عند اليهود والبروتستانت من النصارى، ونسخة عند الكاثوليك والأرثوذكس، ونسخة عند السامريين من اليهود، وبينها اختلاف في عدد الأسفار، إضافة إلى تناقضها فيما بينها[٤].

وأما الأناجيل فقد وجد منها في مطلع القرن الرابع للميلاد أكثر من مائة إنجيل، فاختار النصارى أربعة منها، وبينها من التعارض والتناقض الشيء الكثير[٥].

---

(١) يُقال إنّ اسمه «يوسف» ثم لقب ببرنابا أي «ابن الوعظ» وقيل إنّه أحد حواريي المسيح عيسى ﷺ الاثني عشر، له إنجيل يتميز عن سائر الأناجيل بتأكيده على نبوة المسيح، وأنّه ليس إلهاً، وأنّ الذبيح إسماعيل ﷺ وليس إسحاق ﷺ، وأنّ المسيا الآتي هو محمد ﷺ وليس يسوع ﷺ، وأنّ المسيح لم يُقتل ولم يُصلب، وقد رفض النصارى إنجيله، وحاولوا إلصاقه بالمسلمين. انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ٨٣، ٨٤، ١٠٩-١١٢، والأسفار المقدسة قبل الإسلام: ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ومختصر تاريخ الكنيسة: ٥٩، ١١٨.

(٢) ٤٤/ ٤.

(٣) ٧٢/ ١١.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١/ ١٧٧-٢٠٢، والاختلافات في الكتاب المقدس: ٣٧، والأسفار المقدسة قبل الإسلام: ٣٤-٣٧، والتوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص: ٣، ٤، والتوراة دراسة وتحليل، محمد شلبي: ٥، والفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا: ٢٠٥-٢٠٩، واليهودية عرض تاريخي: ٩٣، ٩٤، ١١٢-١١٤.

(٥) انظر: إنجيل برنابا، مقدمة محمد رشيد رضا: ٢٧، والمدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: ٢٣٩، ومحاضرات في النصرانية: ٤١، ٤٢، والنصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها: ٣٥.

وقد جمع بعض الباحثين أكثر من ثلاثمائة اختلاف بين نصوص الكتاب المقدس[1]، ولعلّه يكفي في هذا الموطن، ذكر نموذجين منها:

أولاً: نموذج من تناقضات العهد القديم عند اليهود:

جاء في بعض أسفار التوراة أنّ آثام الآباء يتحمّلها الأبناء إلى الجيل الرابع: «مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ»[2].

بينما جاء عند حزقيال ما يناقض ذلك؛ إذ يقول: «اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. الابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ»[3].

فهذه أسفار اليهود تدّعي أنّ الأبناء يتوارثون ذنوب الآباء والأجداد، ولكنّها لا تلبث أن تناقض نفسها حين تُقرِّر -في موطنٍ آخر- أنّ كلّ نفسٍ لا تحمل إلا وزرها.

ثانياً: نموذج من تناقضات العهد الجديد عند النصارى:

من أظهر نقاط التناقض في الأناجيل اختلافها في تحديد نسب المسيح!، فكل إنجيل يدلي بخلاف الآخر، مع كون كُتّابها -بزعمهم- رسلاً ملهمين[4].

وقد اجتهد الباحث النصراني يوسف رياض في الجمع بين هذه التناقضات! فأدّاه اجتهاده إلى أن للمسيح سلسلتين من النسب وليست سلسلة واحدة!!

فقال: «أما الحقيقة فتبدو رائعة للمتأمل المدقق؛ لأنّ المسيح بخلاف باقي البشر جميعاً له

(١) هو سمير سامي شحاته في كتابه: الاختلافات في الكتاب المقدس.

(٢) سفر الخروج: ٣٤/ ٢، وانظر: سفر العدد: ١٤/ ١٨، وسفر التثنية: ٥/ ٩.

(٣) ١٨/ ٢، وانظر: الإسلام، أحمد شلبي: ٢٩٠.

(٤) انظر: إنجيل متّى: ١/ ١-١٧، وإنجيل لوقا: ٣/ ٢٣-٣٨، والاختلافات في الكتاب المقدس: ٩٧، ٩٨، ومحاضرات في النصرانية: ٨٦-٨٨.

سلسلتان للنسب لا سلسلة واحدة»(١).

وخلاصة القول: إنّ كتب أهل الكتاب -التي بين أيديهم اليوم- كُتبت انعكاساً لتصوراتهم وآمالهم، وما سمعه خَلَفُهم عن سلفهم، وما تعرضوا له من اضطهاد، ومنها ما بني على الوهم والخيال، واعتمدوا في تدوينها على مصادر شتى؛ كأساطير الجزيرة العربية(٢)، والفكر المصري، والقانون الروماني، والأفكار الوثنية، وغيرها، بالإضافة إلى أنّ كلاً من اليهود والنصارى كانوا يصيّرون قرارات محافلهم ومجامعهم جزءً من أسفارهم المقدسة، وفي هذه الكتب بقايا من حقٍّ جاء به أنبياؤهم(٣).

(١) وحي الكتاب المقدس: ٢٧٨.

(٢) اسم لبلاد العرب، وقيل: هي الحجاز واليمامة واليمن، وما لم يبلغه ملك فارس والروم. انظر: معجم البلدان: ٢/ ١٥٩، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٤.

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى: ١٩٧، والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: ١٢٩، ١٣٠، وتحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ: ٢٩٥-٤٠١، وحقيقة الكتاب المقدس: ١٣، ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: ١٥٩، ٢٥٧-٢٦٣، والفكر الديني اليهودي: ١٣١،٢٠-١٣٣، والنصرانية من التوحيد إلى التثليث: ٩٥-١٨٧، والمسيحية، شلبي: ١٧٦-١٨٨، ٢١٧، ١٩٨، واليهودية، له أيضاً: ٢٦٢-٢٦٦، واليهودية عرض تاريخي: ٩١، ٩٢.

المبحث الثاني: مناهج أهل الكتاب العلمية في التعامل مع أخبار الملاحم

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهـــيد

لأهل الكتاب مناهج متعددة في التعامل العلمي مع نصوص الملاحم الواردة في كتبهم المقدسة، ومن هذه المناهج ما يتعلق بتفسير النص، ومنها ما يتعلق بتعيين وقت وقوعه.

فأما المناهج التي تتعلق بتفسير النص فأهمها منهجان:

١- المنهج الحرفي.

٢- المنهج الرمزي.

وأما المناهج التي تتعلق بتعيين وقت وقوع النص فأهمها منهجان:

١- المنهج الذي يتبنّى القول بتحقق الملاحم في الماضي.

٢- المنهج الذي يتبنّى القول بوقوع الملاحم في المستقبل[١].

وفي المطالب الثلاثة الآتية عرض موجز لهذه المناهج العلمية، مع تقديم دراسة نقدية موجزة حولها.

(١) انظر: المؤامرة «معركة الأرماجدون.. وصراع الحضارات»، محمد الحسيني: ٣١-٣٥، ٧٢، ٧٣-٧٨.

المطلب الأول: وقوع الملاحم بين الحرفية والرمزية:

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: المنهج الحرفي:

يقوم هذا المنهج على أساس الأخذ بظواهر النصوص، وتفسيرها تفسيراً حرفياً بمعنى أنّ كلّ ما أخبر الكتاب المقدس بوقوعه في مستقبل الزمان، فسيقع وقوعاً حقيقياً مطابقاً لما أخبر به الكتاب[1].

ومن يأخذ بالمنهج الحرفي من اليهود: سعديا الفيومي[2]، وفرقة الغيورين الفريسية[3]، والأرثوذكسية اليهودية[4]، وهو المنهج المعتمد لدى المدارس اليهودية العلمانية بدولة الكيان الصهيوني[5]، **وبه تأخذ بعض طوائف النصارى:** كبعض طوائف

(١) انظر: الأحداث النبوية: ١٠-١٣، وقريب على الأبواب، حنّا: ٦٥، وكيف نفهم علم اللاهوت؟: ١/ ٥١٧، والمجيء الثاني، عبدالمسيح: ١١٣-١٣٠، ١٣٣، ١٥٦-١٦١، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ١٩٩، ٢٤٦، وما لا بد أن يصير بعد هذا، عادل عزمي: ٦٧، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧٠٩، ٧١٠.

(٢) هو سعيد بن يوسف الفيومي، يهودي مصري، ثقافته عربية، وهو أوّل من وضع فلسفةً دينيّةً يهوديّةً متكاملةً حول أسس العقيدة اليهوديّة، وهو أوّل من ترجم العهد القديم إلى العربية، وكتب تفسيراً لمعظم أجزائه، توفي عام ٩٤٢م، انظر: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية: ١٢٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ١٥٦، ١٥٧.

(٣) الغيورون أي أصحاب الغيرة والحميّة، وهم عبارة عن فرقة دينية يهودية، وقيل إنهم جناح متطرف من الفريسيين وحزب سياسي وتنظيم عسكري. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٢٤.

(٤) فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر كرد فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود، وتُعدُّ الامتداد الحديث للحاخامية التلمودية. انظر: موسوعة اليهود واليهودية: ٥/ ٣٨٤-٣٨٦.

(٥) كلمة صهيون تشير إلى إحدى التلال التي بُنيت عليها مدينة القدس، والصهيونية هي «الحركة التي تعمل على جمع اليهود في فلسطين حول صهيون، وإقامة دولتهم المنشودة التي ستكون مأوى ومحط أنظار جميع يهود العالم» عقائد اليهود بين الحق والباطل، خضر سوندك: ١٠٦، وانظر: المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على المسلمين: ٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٨٠، ٨١، والنبوءة والسياسة: ١٠٩-١١١.

البروتستانت(١)، وفرقة السبتيين(٢)، وغيرهم(٣).

وهؤلاء الحرفيّون يؤمنون بوقوع ملاحم حقيقيّة في آخر الزمان بين قوى الخير وقوى الشر، على ما جاء ذكره في نصوصهم المقدسة(٤).

ويُرجِعُ بعض النصارى انتشار التفسير الحرفي في الزمن المعاصر، إلى ظهور الكيان الصهيوني، الذي يعدّه بعضهم دليلاً على قرب مجيء المسيح المخلص.

قال عبدالمسيح أبو الخير: «وانتشر هذا التفسير -الحرفي- في العالم هذه الأيام بغزارة شديدة؛ نتيجة لظهور دولة إسرائيل، التي أعلنت هذه التفاسير أنّها لابد وأن تكون موجودةً في الملك الألفي، ليقود المسيح العالم من خلالها»(٥).

الفرع الثاني: المنهج الرمزي:

يقوم هذا المنهج على أساس أنّ للنصوص معاني رمزيةً غير ما يتبادر إلى الذهن من ظواهرها، ومن

(١) البروتستانت عبارة عن حركةٍ إصلاحية ظهرت في الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر، ثم انفصلت عنها في فرقة مستقلّة، تعتقد أنّ لكلّ قادر الحق في فهم الكتاب المقدّس، وهي لا تؤمن بعصمة البابا، ولا بصكوك الغفران، ولا بنظام الرهبنة، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ٦٢٥-٦٣٢.

(٢) طائفة نشأت وترعرعت في بلاد الغرب وامتدت إلى بلاد الشرق، وسموا بالسبتيين نسبة إلى يوم السبت حيث يقدسونه ويكرمونه ويقيمون فيه عبادتهم بدلاً من يوم الأحد. انظر: الملك الألفي، سيداروس عبدالمسيح: ٧٠.

(٣) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٢٩-٢٥٤، والتاريخ اليهودي: ٥٨، وشهود يهوه، حمادة: ١٥٧-١٦٤، وشهود يهوه، السحمراني: ١١٣، وشهود يهوه، عبدالمسيح: ٦٢، ٦٣، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ٤٣، والمجيء الثاني، عبدالمسيح: ١٥٦، ١٥٧، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ١٩٧ «حاشية: ٢»، والملك الألفي: ١١، ٧٠-١٠٦، وملكوت السموات وملكوت الأرض، رشاد فكري: ٦٥-٦٩، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٨٥.

(٤) والملاحم الآتي ذكرها في الباب الثالث هي -في الأساس- على وفق رؤية هذا المنهج الحرفي.

(٥) المجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١٦١.

ثم يعمد أصحاب هذا المنهج إلى تأويل النصوص، وتفسيرها تفسيراً رمزياً خاصاً يتناسب مع طبيعتها(١).

وممن يأخذ بالمنهج الرمزي من اليهود: موسى بن ميمون(٢)، وكثير من اليهود المتشدّدين(٣)، والإصلاحيّة اليهوديّة(٤)، **وبه تأخذ بعض طوائف النصارى:** كالكنائس الأرثوذكسية(٥)، والكاثوليكية(٦)، وبعض طوائف البروتستانت(٧)، وعلى هذا المنهج غالبية النصارى في العالم، ولاسيّما نصارى العرب(٨).

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنّ بعض اليهود الذين يأخذون بهذا المنهج قد تأثروا بالغنوصيّة وهي نزعة فكرية ترمي إلى مزج الفلسفة بالدين، وتشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها. انظر: المعجم الوسيط: ٢/ ٦٦٤، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٨-٥٠، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار: ١/ ٤١.

(٢) هو الطبيب أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي، أحد أحبار اليهود، وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية، أظهر الإسلام وحفظ القرآن واشتغل بالفقه، ثم ارتد، توفي سنة ٦١٠هـ. انظر: عيون الأنباء: ٣/ ٣٥٠-٣٥٢، ودرء تعارض العقل والنقل: ١/ ١٣١، ١٣٢، وتاريخ الإسلام: ١٣/ ٢٢٦، وفوات الوفيات: ٤/ ١٧٥، ١٧٦.

(٣) انظر: التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة: ٥٨.

(٤) فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا، رفضت فكرة عودة المسيح المخلِّص، وقالت بإحلال فكرة العصر المشيحاني محلها. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٧٠-٣٧٤.

(٥) الأثوذكسية هي إحدى الكنائس النصرانية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية بشكل نهائي في عام ١٠٥٤م، وتُدعى أرثوذكسيّة بمعنى مستقيمة المعتقد مقابل الكنائس الأخرى، ويتركّز أتباعها في المشرق، ولذا يُطلق عليها الكنيسة الشرقية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ٥٩٣.

(٦) الكاثوليكية هي أكبر الكنائس النصرانية في العالم، وتدّعي أنّها أمّ الكنائس ومعلّمتهنّ، وتتمثّل في عدّة كنائس تتبع كنيسة روما، وتعترف بسيادة بابا روما عليها، ويتركّز أتباعها في الغرب، ولذا فهي تسمّى الكنيسة الغربية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٢/ ٦١٠.

(٧) من الكنائس البروتستانتية التي تأخذ بالمنهج الرمزي: الكنيسة الإنجيلية المشيخية. انظر: المجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ٢٠٧، ٢٢٢، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٧.

(٨) انظر: دلالة الحائرين: ٦، ٣٥٩-٣٧١، ٤٤٨-٤٥١، والأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ٣٦، والبعد الديني في السياسة الأمريكية: ١٧٥، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ٢٧، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ١٦٣، ٢٠٧، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ٦٢، ٦٣، ١٧٥، ١٧٦، والمسيحية والتوراة: ٥٦-٦٤، ومعركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل: ٤٠، والملك الألفي: ٥٠، ١٤٥-١٤٨، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٧٤، واليهود والصليبيون الجدد: ١٩٤، ١٩٥، ويوم الغضب: ٥٢.

وهؤلاء الرمزيّون منهم من يؤمن بنصوص الخلاص المسيحاني، ولكنه يتأول بعض الأحداث والنصوص، كموسى بن ميمون، واليهود المتشدِّدين.

ومنهم من لا يؤمن بملاحم آخر الزمان، كالكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، وغيرهم، وحين يقف هؤلاء على النصوص التي تتحدث عن «هَرْمَجَدُّون» فإنّ بعضهم يعمد إلى تفسيرها تفسيراً رمزياً، بأنّها معركة رمزية بين الخير والشر، والانتصار الحتمي فيها سيكون للخير[1].

ويرى بعض الرمزيين أنّ النصوص الواردة في ملحمة «جوج وماجوج»[2]، عبارة عن وصف مجازي لمعركة مستقبلية تقع بين إسرائيل وأعدائها، ويرى آخرون أنها صورة رمزية للصراع بين الكنيسة وقوات الشر في العالم[3].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الكنيسة في بداياتها كانت تتعامل مع نصوص الرؤى والألفية بوصفها أحداثاً ستقع على أرض الواقع، إلى أن شهد القرن الثالث الميلادي أول تكذيب للألفية على يد «أوريجن» الأكثر نفوذاً بين كل علماء اللاهوت في الكنيسة القديمة، بوصفه المملكة الألفية حدثاً يمكن أن يقع في نفوس المؤمنين لا على أرض الواقع، وتأكد هذا الرفض للعقائد الألفية في القرن الرابع الميلادي حين أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للامبراطورية الرومانية[4].

---

(١) انظر: الأحداث العالمية الجارية: ٨٧، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ٢٤٤، ٢٤٧.

(٢) هكذا وردتا في «الكتاب المقدّس».

(٣) انظر: المجيء الثاني للمسيح، نصر الله: ٢٤٤.

(٤) انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة، نورمان كوهن: ٤/ ٢٩، ٣٠.

المطلب الثاني: وقوع الملاحم بين الماضي والمستقبل:

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: القول بوقوع الملاحم في الماضي وانتهائها:

وهو قولٌ قديم لبعض اليهود، وكان الرِّبي ناثان -في القرن الثاني الميلادي- من أشدّ المتحمّسين لهذا الرأي(١).

وذهب بعضهم إلى أنّ هذه النبوءات قد تحقّقت وانتهت في زمن البيت -الهيكل- الثاني، بوصفهم أنّ وعود الرب لهم بالتمكين كانت مشروطة بلزوم الطاعة، فلما لم يلتزموها، انقضت دولتهم، وزال ملكهم(٢).

قال سعديا الفيومي «يهودي مصري»: «إنّ قوماً ممن يتسمّون باليهوديّة يزعمون أنّ هذه المواعيد والعزاء كانت كلّها في البيت الثاني، وانقضت ولم يبق منها شيءٌ»(٣).

وبهذا القول قالت: الكنائس الأرثوذكسية، والكاثوليكية، والكنيسة الإنجيلية البروتستانتية المصرية، ومن ثم فإنّ المجيء الثاني للمسيح سيكون - وفق اعتقادهم- لمحاسبة الخلق ومجازاتهم، وليس لإقامة الحروب، أو الانتصار فيها(٤).

---

(١) انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ٢٧٨، ويوم الغضب: ٥٢.

(٢) ويُذكر أن طائفة القرائين رفضت الإيمان بمجيء المسيح المخلص، لرفضهم الإيمان بالتلمود، ولكنهم يؤمنون بمجيء الخلاص، من خلال عمل اليهود وسلوكهم، وأما الصدوقيون فقد أنكروا يوم الرب بالكلية. انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ١٨٨، ١٨٩.

(٣) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٧.

(٤) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ٢٠٩، ٢١٠، والصهيونية المسيحية: ٣٥، وفي فقه الصراع على القدس وفلسطين: ٣١، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ٢٠٩، ٢١١، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٤١، واليهود والصليبيون الجدد: ٩٥، ويوم الغضب: ٥٢.

وأشار بعضهم إلى تصريح المعهد المسيحي الكاثوليكي بإنكاره الكامل لهرمجدون[1].

- **الفرع الثاني: القول بوقوع الملاحم في مستقبل الأيام:**

وهو قول **طوائف من اليهود** كالفَرِيسيين[2]، والأسينيين[3]، وبه قال **بعض الطوائف البروتستانتية النصرانية**[4]، وقد انتشر هذا القول في الأزمنة الأخيرة[5].

(١) انظر: معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل: ٤٦ «حاشية: ٣».

(٢) فرقة دينية وحزب سياسي ظهر نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهيلينية التي تُعلي من شأن الحكيم على حساب الكاهن. ويُرجع التراث اليهودي جذورهم إلى القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٢١-٣٢٣.

(٣) فرقة دينية كان أتباعها يمارسون شعائرهم شمال غرب البحر الميت في الفترة ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وهم على ما يبدو جناح متطرف من الفريسيين، وقد عاشوا حياة النساك، يلبسون الثياب البيض، ويتطهرون ويطبقون شريعة موسى تطبيقاً حرفياً. انظر: المرجع نفسه ٥/ ٣٢٥.

(٤) انظر: ص ١٤٤، ١٤٥ من الرسالة.

(٥) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٧-٢٥٤، وشهود يهوه، حمادة: ١٥٧-١٦٤، وشهود يهوه، عبدالمسيح: ٦٢، ٦٣، وشهود يهوه، السحمراني: ١١٣، وفكرة الخلاص عند اليهود: ١٨٨، ١٨٩، ٢١١، ٤٤٢، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ٤٣، والكتاب المقدس والسيف: ١/ ١٣٨، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ١٩٧ «حاشية: ٢»، والمجيء الثاني، عبدالمسيح: ١٥٦، ١٥٧، والملك الألفي: ١١، ٧٠-١٠٦، وملكوت السموات وملكوت الأرض: ٦٥-٦٩، ويوم الغضب: ٥٣.

۞ المطلب الثالث: دراسة نقدية لمناهجهم العلمية في التعامل مع أخبار الملاحم:

وفيه تمهيد وفرعان:

۞ التمهـــيد

لم يكتف أهل الكتاب باعتمادهم على مصادر يكتنفها الغموض، ويشوبها التناقض، ويحيط بها التحريف والتبديل من كلّ جانب، حتى صار الحقُّ فيها غريباً لكثرة ما يحفُّ به من الباطل، بل جمعوا إلى ذلك اعتمادهم على مناهج علمية أسهمت بدورها في زيادة ضياع الحق وغربته وتبديده.

وفي الفرعين الآتيين بيان بعض أظهر النقود التي يمكن توجيهها إلى مناهج أهل الكتاب العلمية في التعامل مع أخبار الملاحم:

الفرع الأول: الخلل في تفسير النص بين الحرفية والرمزية:

الناظر في مسالك أهل الكتاب في تفسير نصوصهم بين الحرفية والرمزية يجدهم في الأغلب يتخذون أحد مسلكين: إما الإغراق في القول بالحرفية، أو الإغراق في القول بالرمزية؛ مما تسبب في فساد تصوراتهم لكثير من الأمور المستقبلية؛ وذلك لأنّ من أخذ بالمعاني الحرفية الظاهرة في التعامل مع كلّ خبرٍ أو رؤيا، سيُثبت خلاف مراد بعض النصوص الرمزية، ومن أخذ بالمعاني الرمزية فإنّه لن يُثبت ما جاء في النصوص الحرفية.

والصحيح في التعامل مع النصوص أن تُفسّر على ظاهرها، وفق ما دلّت عليه، وذلك من خلال مراعاة المعاني التي قد يحتملها قول القائل على وفق قواعد لغته أو سياق الكلام، وما قد يحفُّ بخبره من القرائن التي تحدد مراده، وما كان منها من نصوص الرؤى والمنامات ونحوها، فهذه ينبغي التعامل معها على وفق قواعد تأويل الرؤى والأحلام.

- الفرع الثاني: الخلل في تحديد زمن تحقق النص:

من النقود التي توجّه إلى أهل الكتاب سلوكهم أحد مسلكين في التعامل مع أوقات تحقّق النبوءات الواردة بصيغة المستقبل، فقومٌ يرون أنّها وقعت وانتهت، وقومٌ يجعلون كلّ خبرٍ مستقبليٍّ من قبيل ما لم يتحقّق فيما مضى، ولكنّه سيأتي وقت تحقّقه مستقبلاً.

وكلا المنهجين خطأ بيّن، فإنّ من الأخبار ما تحقّق وانتهى بعد زمن المتكلّم بها مثل نبوءات دانيال[1] حول قيام بعض الممالك وانتهائها بقيام الرسالة الخالدة[2]، فحمل هذه النبوءات التي انقضت على المستقبل، يؤدّي إلى انتظار ما يستحيل وقوعه، ومنها ما لم يتحقّق إلى الآن كظهور يأجوج ومأجوج، فالقول بوقوع خروجهم وانتهائه في الماضي، يؤدّي إلى إنكار ما ثبت أنّه سيقع مستقبلاً.

ويؤخذ على التفسير الحرفي للرؤى الكتابية، أنّه يتغيّر من قرنٍ إلى آخر!!؛ وذلك لأنّ الحرفيين -في الغالب- يُنزلون النصوص على زمانهم!![3].

(١) يُقال إنّ معنى دانيال أي الله دياني، ودانيال أحد أنبياء بني إسرائيل، يُقال إنه من عائلة داود الملكية، تنبأ أثناء سبي يهوذا، وعُرف بتأويل الأحلام، وتوليه عدداً من المناصب القيادية في ممالك بابل ومادي وفارس. انظر: إعجاز الوحي والنبوة في سفر دانيال: ١٠، وسفر دانيال مفصلاً آيةً آيةً: ٧، والكتاب المقدس سفراً سفراً: ١٢١، والماضي والمستقبل في نبوات دانيال: ٧، ١٢٢، والمدخل إلى العهد القديم: ٣٢٥.

(٢) انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ٦١.

(٣) انظر: المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز: ٦٥٩.

المبحث الثالث: مناهج أهل الكتاب العملية في التعامل مع أخبار الملاحم

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيد

تدور المناهج العملية عند أهل الكتاب الذين يؤمنون بوقوع الملاحم في المستقبل بين لزوم الانتظار من غير عمل، وبين العمل على «تحقيق الخلاص أو تعجيله» وهو ما لا يكون إلا بوقوع الملاحم، وفي المطالب الثلاثة الآتية بيان هذين المنهجين مع تقديم دراسة نقدية موجزة حولهما.

المطلب الأول: لزوم الانتظار من غير عمل:

وهو مذهب طوائف من اليهود والنصارى، وبيانه في فرعين:

- **الفرع الأول: لزوم الانتظار من غير عمل عند اليهود.**

القول بلزوم الانتظار من غير عمل هو قول أكثر اليهود: كالربانيين(١)، والإصلاحيين(٢)، واليهودية الأرثوذكسية المتشددة «الحريديم»، وخصوصاً أتباع حركة «ناطوري كارتا»(٣)، وأحد قولي علماء التلمود؛ حيث يؤمنون بأنّ الخلاص يكون عن طريق الرب وحده، من خلال مسيحه المخلِّص، دون اللجوء إلى جهود بشرية(٤).

وهؤلاء معارضون للصهيونية، ويرون أنّها تخالف الفقرة التلموديّة الشهيرة الواردة في جزء «كيتوبوت» من التلمود حيث جاء فيها: إنّ الله أخذ على اليهود ثلاثة مواثيق، هي:

١- أن لا يتمردوا على غير اليهود.

٢- أن لا يقوم اليهود بالهجرة الجماعية إلى فلسطين قبل مجيء المسيح!.

---

(١) أي رجال الدين اليهودي وفقهائه. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٢٤.

(٢) حركة يهودية ترفض التلمود، ولا تنتظر المخلص، ولا تتطلع إلى العودة إلى فلسطين، وترى أن الخلاص يكون لجميع الشعوب بالتقدم والحضارة وفصل الدين عن الدولة.انظر: السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، جمال البدري: ٦٠، والمتدينون اليهود في فلسطين: ١٥٤، ١٥٥.

(٣) طائفة يهودية أرثوذكسية فلسطينية معادية للصهيونية، ولا تعترف بالكيان الصهيوني، يطلقون على أنفسهم حرّاس المدينة، ويؤمنون بأنّ الله أمرهم أن لا يسيئوا للأغيار. انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: ٥٢٣-٥٢٧، والقوى الدينية في إسرائيل: ٣١٥-٣٢٥، والمتدينون اليهود في فلسطين: ٢٣٢-٢٤٠، ومجلة مختارات إسرائيلية، العدد: ١٥٤: ص ٩٠، وموسوعة اليهود واليهودية: ٦/ ٤١٥-٤١٨.

(٤) ويذكر أن الإصلاحيين أعادوا تفسير الخلاص فجعلوه خلاصاً روحياً دينياً لا علاقة له بأي آمال سياسية، وبالتالي فهو لا يتطلب اتخاذ أي خطوات عملية نحو إقامة دولة لليهود، ورأوا أنّ تحرر اليهود يمكن أن يتحقق داخل المجتمعات التي يعيشون فيها. انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ٣٦٦، ٤٥٧.

٣- عدم الإلحاح في الصلاة طلباً لقدوم المسيح، حتى لا يأتي قبل موعده المحدد![1].

والالتزام بهذه المواثيق هو ما يفسر موقف عامة الحاخامات اليهود على مدار التاريخ اليهودي حيث كانوا يُحذِّرون من الهجرات الجماعية إلى فلسطين، ويعدّون وجود اليهود في المنفى التزاماً دينياً للتكفير عن الآثام اليهودية التي جعلت الله يقوم بنفيهم، وقد نصّ الحاخام «عيزرا» في القرن الثالث عشر الميلادي على أنّ اليهودي الذي يهاجر إلى فلسطين إنّما يهجر الله الذي يوجد فقط في الشتات، وعدّ الحاخام «يوناثان أيبشوتز» في القرن الثامن عشر أنّ الهجرة المكثفة إلى فلسطين أمرٌ محظورٌ قبل مجيء المسيح، وحتى دعاة التنوير كـ«موسى مندلسون»[2] وغيره يقرّون بتحريم الهجرة بناء على المواثيق الثلاثة، وقد نصّ الحاخام «عوفيديا يوسف» أحد أهم حاخامَين معاصرَين من الحريديم على أنّ مجيء المسيح وحكمه للعالم سيحدث دون إراقة دم يهودي واحد![3].

قال الدكتور عبدالوهّاب المسيري[4] رحمه الله: «ومن المعروف أنّ اليهودية الأرثوذكسية في بعض جوانبها طالبت اليهود بالانتظار الدائم لعودة الماشيَّح «المسيح المنتظر»، وألا يتدخلوا في

---

(١) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك ونورتون ميزفينسكي: ١/ ٥٩، وحمار المسيح «الأصولية اليهودية- الحاضر والجذور»، سفي رخلافسكي: ١٧، والكتاب المقدس والسيف، باربارا توخمان: ٢/ ٤٤، والمسيّا المنتظر نبي الإسلام ﷺ، أحمد حجازي السقا: ١٧٤، ١٧٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٨٨.

(٢) رائد حركة التنوير اليهودية، بذل قصارى جهده كي يقضي على العزلة الفعلية والنفسية لليهود، وذاع صيته لدرجة أن اليهود أطلقوا عليه لقب «موسى الثالث»، باعتبار أن النبي موسى هو الأول، أما الثاني فهو موسى بن ميمون، توفي سنة ١٧٨٦م. انظر: موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية: ٣/ ٨٤-٨٧.

(٣) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ٥٩-٦٦، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٧٩.

(٤) مثقف وكاتب مصري، ولد في دمنهور سنة ١٩٣٨م، التحق بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة الاسكندرية، حصل على الماجستير والدكتوراه من أمريكا، درّس في جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٩٨٣م، ألّف الموسوعة الشهيرة: «اليهود واليهودية والصهيونية» توفي سنة ١٤٢٩هـ. انظر: رحلتي الفكرية: ١٦-١٨.

مشيئة الإله؛ لأنّ في هذا كفراً وتجديفاً»[1].

ومن ثم ظلّ اليهود طيلة السبي البابلي يتطلعون إلى مجيء المخلِّص، دون أن يكون لهم دور في التعجيل بمجيئه[2].

ويُشار إلى أنّ بعضهم حصروا دور اليهود قبل الخلاص -إن رغبوا تعجيله- في التوبة، واتّباع الشرائع بعد تخليصها من الأفكار البالية، من غير قتالٍ أو إعدادٍ له[3].

ويرى بعضهم أنّ في قيام الدولة اليهودية بفلسطين، نذير شؤم على اليهود[4]، وعَدَّ بعضهم النكبات المعاصرة التي تحل بهم، عقاباً إلهياً على آثامهم، التي من جملتها خروج الصهيونية على انتظار المسيح[5].

- **الفرع الثاني: لزوم الانتظار من غير عمل عند النصارى.**

وهو قول طوائف من البروتستانت الذين يؤمنون بوقوع الملاحم في آخر الزمان، وبعضهم -وخصوصاً العرب- يستغلّون أخبار الملاحم في وعظ أهل ملتهم وحثهم على التوبة والصبر، والإيمان الحقيقي بالمسيح، وانتظار مجيئه الثاني؛ وقد يكون ذلك بسبب عدم قناعتهم بضرورة استعجالها، أو لإشفاقهم منها، أو تجنباً للمشكلات السياسية التي قد يتعرضون لها، بسبب كونهم أقليّة في بلاد المسلمين[6].

---

(١) البروتوكولات واليهودية والصهيونية: ٥٩، وانظر: ١١٠، ١١١، ١٣٥، ١٣٦، والدين والسياسة في إسرائيل: ٤، والمتدينون اليهود في فلسطين: ٩٤، والمسيحية والتوراة: ١٥٨، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٢/ ٩٩، واليهود والصليبيون الجدد: ١٧٠.

(٢) انظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١١١.

(٣) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٣٣، ٢٣٤، وفكرة الخلاص عند اليهود: ١٤٨، ١٨٩، ٣٧٤، ٤٤٢، ٤٥٦، والكتاب المقدس والسيف: ٢/ ٤٤.

(٤) انظر: المتدينون اليهود في فلسطين: ١٣٩-١٤٦، ويوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ٥٧، ٥٨.

(٥) انظر: حمار المسيح «الأصولية اليهودية- الحاضر والجذور»: ١٨.

(٦) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ١٢٨-١٣٠، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ٥، ٦.

المطلب الثاني: العمل على تحقيق الخلاص باستدعاء أسبابه ومنها: الملاحم.

وهو مذهب طوائف من اليهود والنصارى، وبعضهم من المتنفّذين وبيانه في فرعين:

- **الفرع الأول: العمل على تحقيق الخلاص عند اليهود.**

يتطلع اليهود عبر تاريخهم الطويل إلى الانتقام من الأغيار، وخصوصاً الذين أساؤوا بشكل أو بآخر لليهود. والعهد القديم حافلٌ بالنصوص التي تتوعد عدداً من الأمم والدول بأنواع العقوبات جزاءً للأذى الذي ألحقوه ببني إسرائيل(١).

ولكن هذا الانتقام منوطٌ عند كثيرٍ منهم بمجيء الخلاص، أو المسيح المخلِّص ومن هنا يمكن القول: إنّ فكرة الخلاص، أو المسيح المخلص، هي التي استولت على الأمل اليهودي، وأما الملاحم فهي تبعٌ للخلاص.

وقد وجد من اليهود من يرى بأهمية الإعداد لمجيء المسيح المخلِّص أو عصر الخلاص، ولاسيّما وهو أحد قولي علماء التلمود(٢)، حيث طالب الحاخام «موشيه نخمانيدس» المتوفى سنة ١٢٧٠م منذ القرن الثالث عشر الميلادي بغزو أرض إسرائيل(٣).

وأفتى بعض الحاخامات بجواز العودة والاستيطان في فلسطين قبل ظهور المسيح المنتظر من باب الإعداد لقدومه(٤).

وطالبت حركة «الحسيديم»(٥) بهجرة اليهود إلى فلسطين، وإقامتهم بها تمهيداً للخلاص(٦)،

(١) انظر: ص ٣٨٤ من الرسالة.

(٢) انظر: المسيّا المنتظر نبي الإسلام ﷺ، أحمد حجازي السقا: ١٧٤، ١٧٥.

(٣) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ٦٢.

(٤) انظر: البروتوكولات واليهودية والصهيونية: ١١٥.

(٥) حركة صوفية يهودية غيبية شبه وثنية، حلولية حريدية، يؤمنون بأنّ فلسطين محور العالم. انظر: المتدينون اليهود في فلسطين: ١٦٢-١٦٤.

(٦) انظر: المرجع نفسه: ١٦٢-١٦٤.

وقررت أيضاً أنّ بإمكان كلّ فرد أن يجلب الخلاص، عن طريق السمو من حالة الدنس بالتأملات الصوفية التي تصل بالإنسان إلى مرحلة الالتصاق بالرب، ولما رأت انشغال الناس بشؤونهم الحياتية، قررت بأنّ هذا الالتصاق يمكن أن تقوم به فئة متفرغة لهذه المهمة، واخترعت فكرة «الصديق» الذي يتولى هذه المهمة[1].

وبرَّر الحزب الدينيّ القوميّ الإسرائيليّ «المفدال»[2] استعجاله للخلاص، بأنّ المواثيق الثلاثة سابقة الذكر[3] لا تنطبق على العصر المسيحاني[4].

ومن اليهود من كان يطالب بإقامة الدولة اليهوديّة في فلسطين؛ تمهيداً لمجيء المسيح المخلّص[5]، وذُكر عن بعضهم أنّ المسيح لن يأتي حتى يتمّ بناء الهيكل، وهو ما يتوقّف على طرد العرب من فلسطين، وهو ما لن يكون حتى تقوم حربٌ بين اليهود والعرب تنتهي لصالح اليهود جزماً[6].

وأما الحركة الصهيونية فقد تجاوزت رفض فكرة الانتظار، إلى القيام بدور عملي بهدف إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، بدعوى بعضهم أنّ الخلاص فكرة رمزية تشير إلى حرية الإنسان اليهودي الفردية والقومية، وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية لمجموع اليهود[7]، ودعوى

---

(١) انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ٤٥٥، ٤٥٦.

(٢) حزب «المفدال»: هو نتاج توحد حزبي «المزراحي» و«العامل المزراحي» في عام ١٩٥٦م، وهو حزب ديني صهيوني متطرفٌ يميل إلى المشاركة والجمع بين الدين والقومية، ويدّعي أنه يقوم على الاعتدال، ويتبنى القيم الدينية، ويؤمن بوعد الرب لليهود بالعودة إلى أرض الأجداد. انظر: الأحزاب السياسية في إسرائيل: ٨٥-١٢٤، والقوى الدينية في إسرائيل: ١٠٣-١١٤، والمتدينون اليهود في فلسطين: ١٩٤-٢٠٠.

(٣) انظر: ص ١٥٣، ١٥٤ من الرسالة.

(٤) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ٦٢.

(٥) انظر: الكتاب المقدس والاستعمار: ١٤٨، ١٤٩.

(٦) انظر: النبوءة والسياسة: ٨٥.

(٧) انظر: الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي: ٢٢، ودراسات أندلسية في القصيدة العبرية: ٩، ١٠، ورؤية دينية للدولة الإسرائيلية: ١٣، ١٤.

البعض الآخر أنّ جهودهم الرامية لإقامة الوطن اليهودي، خطوة تمهيدية مهمة لمجيء المسيح المخلِّص[1]، ومن ثم فقد حرص بعضهم على إصدار عبارات دينية تنضح بالعواطف الإيمانية، وتحنُّ إلى طريق الآباء والأجداد، استغلالاً منهم للرصيد العاطفي الديني عند اليهود؛ لتحقيق أهداف الصهيونية، ولاسيّما حين يتوجه الخطاب الصهيوني لمتديّني اليهود[2].

قال الدكتور عبدالعزيز مصطفى كامل: «إنّ ظاهرة الصهيونيّة السياسيّة هي في حقيقتها تطويرٌ بالغ الخطورة في مفهوم الانتظار عند اليهود، إذ أنّ تلك الصهيونية ما هي إلا تمرد على الانتظار السلبي، والانتقال منه إلى العمل الإيجابي»[3].

وبالعموم فإنّ كثيراً من اليهود الذين رفضوا الصهيونية من منطلقات دينية تعايشوا معها سياسياً، فاشتركوا في انتخاباتها، وامتثلوا لقوانينها، وأفادوا من امتيازاتها، مع بقاء إيمانهم بوجوب انتظار المسيح[4].

- **الفرع الثاني: العمل على تحقيق الخلاص عند النصارى.**

التطلع للملاحم والعمل على استعجالها أوضح ما يكون: عند بعض أفراد «الأصولية

---

(١) انظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١١٧، والبروتوكولات واليهودية والصهيونية: ٥٩، ٦٠، ورؤية دينية للدولة الإسرائيلية: ١٣، ١٤، وفكرة الخلاص عند اليهود: ٤٥٨، والقوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: ١٢٩، والكتاب المقدس والاستعمار: ١٤٨، ١٤٩.

(٢) انظر: أساطير الصهيونية: ٢١، ٢٢، ٢٧، وإسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: ٧، والأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١٠، والبروتوكولات واليهودية والصهيونية: ١٣٩، والتاريخ اليهودي: ١٩، وحدود الصراع: ١١٧، والدين والسياسة في إسرائيل: ١٩٧، والسيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة: ٩٠، والقدس من الإسراء إلى وعد الآخرة: ٩٨، والقوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: ٢٩، ٣٠، والكتاب المقدس والاستعمار: ٢٠٩، والمسيحية والتوراة: ١٥٩، ومن اليهودية إلى الصهيونية: ١٨٩، ١٩٠.

(٣) قبل الكارثة نذير ونفير: ١٩٤، وانظر: امبراطورية الشر الجديدة، عبدالحي يحيى زلوم: ١٣٥.

(٤) انظر: البعد الديني للصراع الإسرائيلي: ١٢٣، والدين والثقافة الأمريكية: ٢٣٥، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل الكيلاني: ٩٠، والقوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: ١٢٩.

الإنجيلية»[1] البروتستانتية الأمريكية؛ لأنّهم يعتقدون بأهميّة الدور البشري المباشر في تحقيق مشيئة الله، ومن ثم فهم يسلكون طريق العنف، ويتخذون خطوات حاسمة، للتعجيل بإتمام عملية الخلاص، ومن ذلك سعيهم لتحقيق العلامات السابقة للمجيء الثاني، كإقامة الدولة اليهودية في فلسطين، وإشعال «هَرْمَجَدُّون» النووية[2].

قال الرئيس الأمريكي السابق « رونالد ريجان»[3]: «إسرائيل هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هَرْمَجَدُّون»[4].

وقالت الكاتبة الأمريكية «غريس هالسل»[5]: «اقتناعاً منهم -أي الأصوليين الإنجيليين- بأنّ هَرْمَجَدُّون نووية لا مفر منها بموجب خطة إلهية، فإنّ العديد من الإنجيليين المؤمنين بالتدبيريّة[6] ألزموا أنفسهم سلوك طريق مع إسرائيل يؤدي بصورة مباشرة -باعترافهم أنفسهم- إلى محرقة أشد وحشية وأوسع انتشاراً من أي مجزرة يمكن

---

(١) عرّفها بعض الباحثين بأنها: «حركة مسيحية، -بروتستانتية-، تبشيرية، متشددة، تدعو إلى العصمة الحرفية للكتاب المقدس، والعودة الحقيقية للمسيح، وقيام الحكم الألفي» الأصولية الإنجيلية، صالح الهذلول: ٣٥، وانظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، يوسف الحسن: ١٠، والدين والثقافة الأمريكية، جورج مارسدن: ١٩٦.

(٢) انظر: الأصولية المسيحية: ١٣٤، ١٣٦، وبعد الاختطاف: ٧، ٨، ١١٩، ٢٠٥، والكتاب المقدس والسيف: ١/ ١٣٨، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ٨، والنبوءة والسياسة: ٤٥، ويد الله: ٤٠، ٤٣.

(٣) هو رونالد ويلسون ريجان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة ما بين ١٩٨١-١٩٨٩م، ينتمي إلى الحزب الجمهوري، وكان رئيساً محبوبًا وشعبيًا، أعيد انتخابه بالأغلبية المطلقة للمرة الثانية عام ١٩٨٤م، وبعد أن ترك منصب الرئاسة عاد إلى كاليفورنيا مرة ثانية عام ١٩٨٩م. انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١١/ ٤٥٩، ٤٦٠.

(٤) الصهيونية المسيحية: ٧٨، وانظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ١٣٥.

(٥) كاتبة وصحفيّة أمريكية من بيت نصراني إنجيلي معروف في الولايات المتحدة الأمريكية، تعرّفت على الحركة الأصولية الإنجيلية عن قرب، اختارها الرئيس الأمريكي الأسبق «جونسون» للعمل معه كاتبةً في البيت الأبيض، اختفى كتابها الشهير «النبوءة والسياسة» من المكتبات الأمريكية بعد وقت قصير من صدوره؛ لقطع طريق وصوله إلى القارئ الأمريكي. انظر: النبوءة والسياسة: ١٢، ١٥، ويد الله: ٧، ٨.

(٦) التدبيرية هي مدرسة نصرانية تؤمن بأنّ التاريخ الإنساني مقسّم إلى سبع مراحل، ولله في كلّ مرحلة خطّة أو نظام معيّن يحكم علاقة الله بالإنسان، وتبدأ هذه المراحل السبعة من وجود آدم عليه السلام في الجنّة وتنتهي بانتهاء الملك الألفي. انظر: المجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١١٤-١١٦.

أن يتصورها عقل أدولف هتلر[1] الإجرامي»[2].

وقد ذُكر أنّه في مطلع عام ١٩٩٩م قبضت قوات الاحتلال الإسرائيلي على مجموعة من النصارى الأمريكيين الذين سافروا إلى الأرض المقدسة، بهدف تدمير المسجد الأقصى، لبناء الهيكل مكانه، رغبةً منهم في التسريع بمجيء المسيح عليه السلام[3].

وهذا التصرف وأمثاله هو نتيجة طبيعية للطرح -الأصولي الإنجيلي- المتواصل الذي يُغذّي الشعور بقرب الخلاص المتوقف على اندلاع «هَرْمَجَدُّون» النووية.

وسيأتي الحديث بالتفصيل عن عناية الأصولية الإنجيلية بهرمجدون[4].

---

(١) زعيم ألمانيا النازية، حكم ألمانيا حكمًا دكتاتوريًا من عام ١٩٣٣م إلى عام ١٩٤٥م، وأشعل نار الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م، هَزمت قواته معظم أوروبا قبل هزيمتها هي عام ١٩٤٥م، وكان يرى بتفوق العرق الألماني، توفي سنة ١٩٤٥م. انظر: الموسوعة العربية العالمية: ٢٦/ ٦٩-٧١.

(٢) النبوءة والسياسة: ١٥٢.

(٣) انظر: يد الله: ٦٤.

(٤) انظر: ص ٤٢٧ من الرسالة.

المطلب الثالث: دراسة نقدية لمناهجهم العملية في التعامل مع أخبار الملاحم:

تقدّم أنّ المؤمنين من أهل الكتاب بالملاحم يسلكون أحد منهجين فيما يتعلق بالموقف العمليّ منها، وهما:

- العمل على تحقيق الخلاص أو تعجيله وهو مالا يكون إلا بوقوع الملاحم.
- لزوم الانتظار من غير عمل.

والنقد هنا بشكلٍ رئيسٍ متوجهٌ لمن يستعجلون الملاحم، وخصوصاً أتباع الحركة الأصوليّة الإنجيليّة البروتستانتيّة؛ لأنّهم يقومون بخطواتٍ عمليةٍ أو يطالبون بالقيام بها، ولأنّ متنفّعي صهاينة اليهود وغيرهم -الذين يستغلون الدين أو يحوّرونه بغية تحقيق مصالحهم- قد وجدوا في توجهات هذه الحركة وطريقة تفكير أتباعها ما يمكّن الصهاينة من تسخيرهم في تحقيق مصالحهم.

ومشكلة هؤلاء الأصوليين أنّهم لا ينتظرون سير الأحداث وفق تقدير الله، بل يستعجلونها ويعملون على تحقيقها بأيديهم، وذلك لأنّهم ينزلون الخبر منزلة الأمر!، فإذا جاء الخبر بأنّ الأرض ستُدمّر بالنار، فهذا يعني عندهم أنّ الله يريد منهم أن يشنّوا حرباً نووية، تُدمّر الكرة الأرضية![1].

وهذا الفهم قدر زائد عن مضمون الخبر، ولعلّ مما أوقعهم فيه، أنّهم ليس لديهم ضابط واضح للتفريق بين نصوص الأخبار ونصوص التشريع، فكلّها عندهم سواءٌ من جهة وجوب العمل بما تضمّنته.

وقد تقدّمت الإشارة إلى أنّ أحداث الملاحم من جنس الأحداث القدرية، التي تقع متى أراد الله تعالى، وأنّ دور المكلّف تجاهها: الإيمان بها، والتعامل معها على وفق ما وجّهت به النصوص، من غير زيادةٍ أو نقصان[2].

---

(١) انظر: النبوءة والسياسة: ٢٢، ويد الله: ١١٠.

(٢) انظر: ص ٦٤ من الرسالة.

وقد عاب القرآن الكريم على الكافرين استعجالهم بالساعة، فقال ﷻ:

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ۗ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ (١).

وأمر النبي ﷺ بالاستعاذة من المسيح الدجال(٢)، ونهى عن التعرّض له، خوفاً من الافتتان به(٣)، مما يدلّ على أنّ المسلم لا يؤمر باستعجال الأمر الكونيّ، بل قد يؤمر بتجنّبه والحذر منه.

وهؤلاء الأصوليّون يتناقضون حيث يسعى بعضهم لجرّ العالم إلى حروبٍ مدمّرةٍ، في نفس الوقت الذي يروون فيه عن المسيح أنّه قال لهم في موعظة الجبل: «٧طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ. ٨طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ. ٩طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ»(٤).

وبعد: فقد تبيّن جزءٌ من الانحراف الذي وقع في الأصول التي اعتمدها أهل الكتاب في دراستهم للملاحم، مما استلزم أن يبعث الله تعالى أمّةً جديدة، تُقدر الله حق قدره، وتحفظ وحيه، وتقوم به القيام الصحيح الذي يرضيه عنها، فيجعلها أمّةً مرحومةً، ويهديها صراط الذين أنعم عليهم من النبيّين والصالحين، لا صراط المغضوب عليهم، ولا الضالين.

وكان من تقدير الله أن يكون منطلق هذه الأمّة الأميّة الجديدة من مكّة المكرّمة على يد النبيّ الهاشميّ القرشيّ، محمد بن عبدالله ﷺ!، فقام بالإسلام خير قيام، وكثّر الله على يديه نسل إسماعيل!، وباركهم وأورثهم الأرض، مما استجلب عليهم حسد أهل الكتاب وبغيهم وعدوانهم، فلم يألوا جهداً في حرب هذه الأمّة والكيد لها وما توظيفهم نصوصَ الملاحم ضدّ هذه الأمة إلا حلقة من حلقات الكيد والعدوان!، الذي سينتهي بنصر الإسلام، وخذلان أعدائه.

---

(١) سورة الشورى: الآيتان (١٧، ١٨).

(٢) انظر: ص ٢٤٣ من الرسالة.

(٣) انظر: ص ٢٤٩ من الرسالة.

(٤) إنجيل متى: ٥/ ٧-٩، وانظر: النبوءة والسياسة: ١٨، ١٩، ١٥٧، ويوم الله: ١٣٤، ١٣٥.

الباب الثاني
ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وآثارها الفكرية

وفيه ثلاثة فصـــول:

الفصـــل الأول: الملحـــمة الكـــبرى.

الفصل الثاني: الملحمة مع المسيح الدجـــال وأتبـــاعه.

الفصل الثالث: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان على المسلمين.

الفصل الأول
الملحمة الكبرى

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث : -

- تمهيد
- المبحث الأول: أحوال المسلمين قُبيل الملحمة الكبرى.
- المبحث الثاني: علاقة المسلمين بالنصارى قُبيل الملحمة.
- المبحث الثالث: الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية.

تمهيد

اشتهر تسمية الملحمة التي تكون في آخر الزمان بين المسلمين والنصارى بـ«الملحمة الكبرى»؛ لما صحّ في حديث أبي الدرداء[1] ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يوم الملحمة الكبرى**، فسطاط المسلمين بأرضٍ يقال لها الغوطة، فيها مدينةٌ يُقالُ لها دمشق[2]، خير منازل المسلمين يومئذٍ»[3].

وصحح بعض الباحثين أحد طرق حديث معاذ بن جبل[4] ﷺ وفيه تسميتها بـ«الملحمة العظمى»، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «**الملحمة العظمى**، وفتح القسطنطينية، وخروج الدجال، في سبعة أشهر»[5].

ويظهر أنّ تسمية النبي ﷺ لهذه الملحمة بـ«الكبرى»، و«العظمى»[6]؛ هو لأجل كثرة عدد

---

(١) هو أبو الدرداء عويمر بن مالك الانصاري الخزرجي، من الحكماء الفرسان القضاة، اشتهر بالشجاعة والنسك، حفظ القرآن على عهد النبي ﷺ وروى عنه (١٧٩) حديثاً، توفي بالشام سنة ٣٢هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٧/ ٧٦، ٧٧، والاستيعاب: ٤/ ٢١١، ٢١٢، وأسد الغابة: ٣/ ٨٠.

(٢) دمَشق: البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي عاصمة سوريا اليوم، قيل سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا، وقيل بل سميت على اسم بدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل غير ذلك. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٥٢٧-٥٣٥، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ١/ ٣٦٦.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص: انظر: ٤/ ٤٨٦، وصححه الألباني في فضائل الشام: ١٤.

(٤) هو معاذ بن جبل بن عمرو الأنصاري الخزرجي، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وأحد الستة الذين حفظوا القرآن في عهد النبي ﷺ، بعثه النبي ﷺ قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، له (١٥٧) حديثاً، توفي عقيماً بناحية الأردن سنة ١٨هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ٤٥٩-٤٦٣، وسير أعلام النبلاء: ١/ ٤٤٣-٤٦١، والإصابة: ٦/ ١٠٧-١٠٩.

(٥) رواه الطبراني في مسند الشاميين: ح٦٩١، قال العسّود: «إسناد الحديث صحيح، حيث إن إسماعيل بن عيّاش روى هذا الحديث عن شامي وهو أرطأة بن المنذر، وإسماعيل صدوق فيما يرويه عن الشاميين» الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى: ١٨٧، وأشار إلى ضعف بقية طرقه. انظر: ١٨٣-١٨٧.

(٦) وهما بمعنىً واحد. انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ٤٥٤، وعون المعبود: ١١/ ٤٠٢.

المقاتلين الملتحمين فيها، مع كثرة ما يكون فيها من القتلى[1].

وهذه الملحمة الكبرى هي ختام الصراع الطويل بين المسلمين والنصارى، حيث تُحسمُ نهايتها لصالح المسلمين، مما يكون سبباً في تهيئة الأرض، للإيمان بالله وحده لا شريك له.

وفي هذا الفصل سيتم التطرق لما يكون قبيل الملحمة، من أحوال المسلمين الداخلية، وعلاقتهم بالنصارى، ثم ذكر أحداث الملحمة الكبرى، وما يتَّصل بها من فتح القسطنطينية، والتهيؤ لخروج المسيح الدجال، وبيان ذلك في المباحث الثلاثة الآتية.

(١) انظر: ص ٢٦،٢٧ من الرسالة.

المبحث الأول: أحوال المسلمين قُبيل الملحمة الكبرى

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهـــيد:

جاء في نصوص الفتن والملاحم ما يدلُّ على أنّ أهمّ الأحداث التي ستكون قبيل الملحمة الكبرى -مما يختصُّ بالمسلمين- هو: ظهور المهديّ(1)، وعمران بيت المقدس وخراب المدينة، على ما سيأتي الحديث عنه.

وقد استنبط بعض العلماء والباحثين من مجموع نصوص الفتن والملاحم: أنّ ظهور المهدي سيكون مسبوقاً بظهور خلافة إسلامية تكون على منهاج النبوة(2)، ولكنّها مع مرور السنين، لا تلبث أن تضعف وتتواهى قواها، مما يؤدّي إلى اختلاف النّاس، وتعدّد راياتهم، حتى تمتلئ الأرض بالظلم والجور؛ فيُظهرُ الله المهديّ ليغيّر به حال النّاس من الظلم والجور إلى القسط والعدل.

وقد استدلوا فيما ذهبوا إليه بعددٍ من الأدلة، منها:

١- حديث أبي سعيد الخدري وجابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنّ النبي ﷺ قال: «يكون خليفة من

---

(١) المهدي في اللغة: اسم مفعول من هدى، والهدى الدلالة والرشاد، وهو ضد الضلال، فالمهدي هو الذي هداه الله إلى الحق، وقد أطلق لفظ المهدي في السنة على الخلفاء الراشدين المهديين، وعلى مهدي آخر الزمان، وغيرهم، واشتهر إطلاقه عند المتأخرين على المهدي الذي بشّرت الأحاديث بظهوره آخر الزمان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٥٣، ولسان العرب: ٩/ ٥٩، ٦٠، والمهدي المنتظر، للبستوي: ٢٥-٢٨.

(٢) منهم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله ، والدكتور محمد إسماعيل المقدم، وقد نقل ما سمعه من الشيخ الألباني رحمه الله في هذا الموضوع. انظر: الجماعات الإسلامية، سليم الهلالي: ٩١-٩٤، وفقه أشراط الساعة، المقدم: ٢٢٣-٢٣٦، وكشف المكنون، السرساوي: ٢٢-٣٤، والمسيح المنتظر ونهاية العالم، الطويلة: ٥٥- ٥٧.

خلفائكم في آخر الزمان، يحثو المال ولا يعده»، قال الجُريريُّ[1] قلت لأبي نَضرَة[2] وأبي العلاء[3]: «أترياته عمر بن عبدالعزيز[4]؟ قالا: لا»[5].

ووجه الاستدلال عندهم: أنّ هذا الحديث «يشير إلى أنّ المهدي خليفة في سلسلة الخلفاء الذين يحكمون بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة على منهاج النبوة في آخر الزمان»[6]؛ وذلك لأنّ مصطلح «الخلافة» الوارد في الحديث، مصطلحٌ ديني يعني: **«حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها»**[7].

---

(١) هو أبو مسعود سعيد بن إياس الجُريريُّ البصري ثقة اختلط قبل موته بثلاث سنين، توفي سنة ١٤٤هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٣/ ٤٥٦، وتهذيب الكمال: ١٠/ ٣٣٨-٣٤١، وتقريب التهذيب: ١٧٣.

(٢) هو المنذر بن مالك بن قُطعة العبدي، ثقة مات سنة ثمان أو تسع ومائة. انظر: التاريخ الكبير: ٧/ ٣٥٥، وتهذيب الكمال: ٢٨/ ٥٠٨-٥١٠، وتقريب التهذيب: ٤٧٨.

(٣) هو يزيد بن عبدالله بن الشخير العامري البصري ثقة توفي سنة ١١١هـ أو قبلها، وكان مولده في خلافة عمر رضي الله عنه. انظر: التاريخ الكبير: ٨/ ٣٤٥، وتهذيب الكمال: ٣٢/ ١٧٥-١٧٧، وتقريب التهذيب: ٥٣٢.

(٤) هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، توفي سنة ١٠١هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٦/ ١٧٤، وسير أعلام النبلاء: ٥/ ١١٤-١٤٨، وتهذيب التهذيب: ٧/ ٤٠٣-٤٠٥، والأعلام: ٥/ ٥٠.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح٢٩١٤، ذكره عنه بهذا اللفظ ابن الأثير في جامع الأصول: ح٧٩١٤، والنووي في رياض الصالحين: ح١٨٢٤، وأما اللفظ الذي بين يدي، فهو: «من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدداً»ح٢٩١٤، «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده»ح٢٩١٣.

(٦) الجماعات الإسلامية، الهلالي: ٩٤.

(٧) مقدمة ابن خلدون: ١٩١، وعرّف ابن خلدون المُلْك الطبيعي بـ«حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة»، والمُلْك السياسي بـ«حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار» انظر: المصدر نفسه، وقال الدكتور عبدالله الدميجي: «فالملك يتم عادة عن طريق القهر والغلبة والعهد من الآباء للأبناء ونحو ذلك، دون الرجوع إلى أهل الحل والعقد، أما الخلافة فلا تكون إلا بإقرار أهل الحل والعقد، سواء عن طريق الاختيار، أو عن طريق الاستخلاف» الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة: ٤٠، وانظر: ٣٦-٤٢، ١٥٨-١٩٨، والطبقات الكبرى، ابن سعد: ٣/ ٢٦٩، والكشف والبيان، الثعلبي: ١/ ١٧٥-١٧٧، والكامل في التاريخ: ٢/ ٤٥١، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي: ١/ ٥٠.

فديدن الخلفاء الذين يعقبهم المهدي، أنّهم يُعْنون بحراسة الدين وسياسة الدنيا به، وهؤلاء هم خلفاء الحقبة الخيرة الواردة في حديث حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضّاً[(١)]، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريةً[(٢)]، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، **ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة** ثم سكت»[(٣)].

وعضدوا هذا الاستدلال بما جاء في:

٢- حديث أم سلمة[(٤)] رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنّه قال: «يكون اختلاف عند موت **خليفة**، فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة

---

(١) قال ابن فارس: «العين والضاد أصل واحد صحيح وهو الإمساك على الشيء بالأسنان، ثم يقاس منه كل ما أشبهه حتى يسمى الشيء الشديد والصلب والداهي بذلك» مقاييس اللغة: ٤/ ٤٨، وذكر بعض العلماء أنّ الملك العضوض هو الملك الشديد الخبيث الشرس الشرّير، الذي فيه عَسْفٌ وعُنْفٌ وظلمٌ وإيذاءٌ بغير وجه حقٍّ للرعية، كأنّهم يُعضّون فيه عضاً. انظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٢٤٧٤، والفائق: ٢/ ٤٤٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٢٥٣، ولسان العرب: ٧/ ٢٠٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٢٤٨.

(٢) قال ابن فارس: «الجيم والباء والراء أصلٌ واحدٌ، وهو جنسٌ من العظمة والعلو والاستقامة» مقاييس اللغة: ١/ ٥٠١، وبالتالي فإنّ الملك الجبري يتصف بالقهر والغلبة والتكبّر والإفساد في الأرض، وإجبار الملوك للناس على ما لا يريدون. انظر: العين، الخليل بن أحمد: ٦/ ١١٥، ١١٧، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٢٤٨.

(٣) رواه الطيالسي في مسنده: ح٤٣٩، وأحمد في مسنده: ح١٨٤٠٦، واللفظ له، والبزار في مسنده «البحر الزخار»: ح ٢٧٩٦، والبيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ٤٩١، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات» مجمع الزوائد: ٥/ ١٨٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٥، وحسنه في مشكاة المصابيح: ح ٥٣٧٨.

(٤) هي هند بنت أبي أمية المخزومية القرشية، زوج النبي ﷺ، وإحدى أمهات المؤمنين، توفيت سنة ٦٢هـ وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات الكبرى: ٨/ ٦٩-٧٦، والاستيعاب: ٤/ ٤٧٢، ٤٧٣، وأسد الغابة: ٦/ ١٣٣.

فيخرجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه بين الركن والمقام»[1].

قالوا فهذا الحديث نصٌّ «على وجود اختلاف بعد موت **خليفة**، فدلّ على وجود خلافة قبله -أي قبل المهدي-، يكون في نهايتها خصامٌ ونزاع»[2].

واستدلوا أيضاً بما جاء في:

٣- حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمران بيت المقدس** خراب يثرب[3]، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[4].

---

(١) رواه عبدالرزاق في مصنفه: ح٢٠٧٦٩، وأحمد في مسنده: ح٢٦٦٨٩، **وأبو داود في كتاب المهدي**: ح٤٢٨٦، وأبو يعلى في مسنده: ح ٦٩٤٠، وابن حبان في صحيحه: ٦٧٥٧، والطبراني في المعجم الأوسط: ح١١٥٣، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن، موقوفاً على أم سلمة رضي الله عنها: ح٥٩٥، **وقد اختلف العلماء في الحكم على هذا الحديث**: قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: ٧/ ٣١٥، وصححه الهيتمي في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٤٦٩، وحسّنه ابن القيم، فقال: «الحديث حسن، ومثله مما يجوز أن يُقال فيه صحيح» المنار المنيف: ١٤٥، وصحّحه القنوجي في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: ١٠١، وحسنه إبراهيم العلي في الأرض المقدسة: ١٨٦، ٢٢٧، ٢٢٨، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ح١٩٦٥، وغيرها، والبستوي في الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة: ٣٣٥، والخلاف هو في تدليس قتادة وعنعنته، وقد دافع العظيم آبادي بأنّ تدليس قتادة لا يخفى على أبي داود، ولاسيما ولم ينكره المنذريّ وابن القيم مما يدلّ على ثبوت السماع عندهم. انظر: عون المعبود: ١١/ ٣٨٠.

(٢) المسيح المنتظر ونهاية العالم: ٥٦.

(٣) يثرب: اسم المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، وسميت بيثرب لأن أول من سكنها يثرب بن قانية بن مهلائيل من العماليق، ولما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة، وطابة، كراهية التثريب، وهو الإفساد والتخليط، وسميت مدينة الرسول ﷺ لنزوله بها. انظر: تاريخ المدينة: ١/ ١٦٤، وتهذيب اللغة: ١/ ٤٧٦، وغريب الحديث، ابن الجوزي: ١/ ١١٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٤٩، ومعجم البلدان: ٥/ ٤٩٣.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٨٣٦٤، وأحمد في مسنده: ح٢٢٠٢٣، ٢٢١٢١، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب في أمارات الملاحم، ح٤٢٩٤، والطبراني في المعجم الكبير: ح٢١٤، والحاكم موقوفاً في المستدرك على الصحيحين وصححه، ووافقه الذهبي في التلخيص: ٤/ ٤٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٤٠٩٦، وحسنه في صحيح سنن أبي داود: ح٤٢٩٤.

قالوا: إنّ اليهود اليوم جاثمون على بيت المقدس، وعمرانه لن يكون قبل إخراجهم منه، وإخراجهم متوقفٌ على عودة الجهاد الشرعيّ الإسلاميّ، وهذا ما سيكون على يد الخلافة الراشدة قبل ظهور المهدي.

واستشهدوا على صحة ما ذهبوا إليه: بأنّ المهدي إذا ظهر، فإنّه سيجد بيت المقدس خالياً من سلطان اليهود، فيتخذه عاصمةً له، ثم يأتي بعد ذلك الدجال وأتباعه من اليهود، فيحاصرون بيت المقدس!، وهذا الحصار دليلٌ آخر على أنّ بيت المقدس لن يكون تحت سلطان اليهود في ذلك الوقت، وهؤلاء اليهود المصاحبون للدجال هم الذين سيقاتلهم المهدي وعيسى عليه السلام، وهم غير اليهود المحتلِّين لبيت المقدس الآن[1].

وبعد: فهذا أقوى ما استدلوا به على عودة الخلافة الراشدة قبل ظهور المهدي وأنّها ستُحرِّر بيت المقدس من احتلال اليهود الغاصبين، مما يجعله مهيأً لنزول الخلافة فيه، حيث جاء في حديث عبدالله الحواليّ[2] رضي الله عنه أن النبي ﷺ وضع يده على رأس الحواليّ

(١) انظر: الجماعات الإسلامية: ٩٣، ٩٤، وفقه أشراط الساعة: ٢٢٨، وقبل أن يُهدم الأقصى: ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) هو أبو محمد وقيل أبو حوالة عبدالله بن حوالة الأزديّ، له صحبة، ذكره بعضهم في أهل الصفّة، سكن الشام، وتوفي سنة ٥٨هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٥/ ٣٣، والاستيعاب: ٣/ ٢٩، وأسد الغابة: ٣/ ١٢٠.

أوهامته وقال له: «يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة[1]، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك»[2]، وبنزول الخلافة في بيت المقدس يتحقق عمرانه الذي نطق به الحديث[3]، والله تعالى أعلم.

وصفوة القول: إنّ المهدي يُسبَق بخلافة إسلامية، وإنّ الكيان الصهيوني المعاصر بفلسطين، سيزول حتماً قبل ظهور المهدي؛ إما بسبب هذه الخلافة ـ كما ذكروا ـ، وإما بغيرها مما يقدره الله عز وجل، والله تعالى أعلم.

---

(١) **ههنا أمران: أولهما: أنّ العلماء اختلفوا في المراد بالأرض المقدسة**، فقيل: إنّها بيت المقدس، وقيل: إنّها الشام كلّه، وقيل: إنّها جبل الطور، وقيل: إنّها لا تخرج من أن تكون من الأرض التي بين الفرات وعريش مصر، **وقد صرّح الحافظ ابن كثير** رحمه الله بأنّ الصحيح في الأرض المقدسة أنّها بيت المقدس، انظر: تفسير القرآن العظيم: ٣/ ٧٥، **ويمكن القول**: بأنّ الأصل في الأرض المقدسة أنّها: بيت المقدس، وأمّا ما حولها من سائر أرض الشام، فهي أرضٌ مباركةٌ، تزيد بركتها وخيريتها بقدر قربها من الأرض المقدّسة، والله تعالى أعلم، انظر: جامع البيان: ٨/ ٢٨٤-٢٨٦، وتاريخ مدينة دمشق: ١/ ١٤٥، وزاد المسير: ٢/ ٣٢٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٣، والجواب الصحيح: ٣/ ٣٧٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٧/ ٤٣٨، وعمدة القاري: ٨/ ١٤٧.

الأمر الثاني: في بيان المراد بنزول الخلافة في الأرض المقدسة:

منذ بعثة النبي ﷺ وإلى هذه الساعة لم يسبق أن نزلت الخلافة الراشدة بأرض الشام، وذلك لأن الخلافة الأولى كانت في المدينة ثم انتقلت إلى العراق، بانتقال عليٍ ﷺ إليها، وباستشهاده ﷺ انتهت الخلافة، وبدأت فترة الملك العضوض؛ وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، كان ملكاً مهديّاً، ولم يكن خليفةً راشداً، قال عنه الإمام أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله: «ملك الناس كلّهم عشرين سنةً منفرداً بالملك يفتح الله به الفتوح ويغزو الروم ويقسم الفيء والغنيمة ويقيم الحدود والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً» معرفة الصحابة: ٥/ ٢٤٩٧، ووصفه الحافظ الذهبي رحمه الله بأنّه «أمير المؤمنين ملك الإسلام» سير أعلام النبلاء: ٣/ ١٢٠، والمقصود أنّه بعد الخلفاء الراشدين لم تقم حقبة متكاملة يصدق عليها وصف الخلافة الراشدة، وأمّا خلافة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، فكانت عارضاً وليست حقبةً متكاملة، ثم إنّها لم تنزل بيت المقدس، ومن هنا فإنّ الربط في الحديث بين الخلافة وبين نزولها في الأرض المقدسة، يدل على أنّها خلافة على منهاج النبوة تكون في آخر الزمان عند دنو الزلازل والبلايا والأمور العظام، ويكون مستقرّها ببيت المقدس، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح٢٢٤٨٧، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص: ٤/ ٤٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٧٨٣٨.

(٣) وللاطلاع على أدلّتهم الأخرى، انظر: فقه أشراط الساعة: ٢٢٨، ٢٣١.

وأما **المَعْلَمُ الأظهر في الزمن الذي يسبق ظهور المهدي، فهو امتلاء الأرض بالظلم والجور**؛ ولذا فقد كثرت الإشارة إليه في النصوص المبشرة بظهور المهدي في آخر الزمان، ومنها: حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تَمْتَلِئَ الأرض ظلماً وعدواناً، قال: ثم يخرج رجلٌ من عترتي أو من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»[(1)]، وعن علي بن أبي طالب ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[(2)].

وصور امتلاء الأرض بالجور والظلم والعدوان كثيرةٌ، ولعل من أعظمها أنّ **المهدي لا يظهر إلا وقد استحكمت غربةُ الدين**، وضاقت على أهلهِ الأرضُ بما رحبت، فمن ذكّر بالله أو جهر بطاعته قُتل!، فعن محمد بن الحنفية[(3)] رحمه الله أن رجلاً سأل علياً ﵁ عن المهدي؟ فقال علي ﵁: «هيهات ثم عقد بيده سبعاً فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان، إذا قال الرجل: الله الله، قُتل!»[(4)].

ومعلومٌ أنّ عليّاً ﵁ لا يقول هذا القول من قبيل الرأي، وليس ممن عُرف بالأخذ عن أهل الكتاب، ومن ثمّ فقوله هذا يأخذ حكم الحديث المرفوع إلى النبيّ ﷺ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح١١٣١٣، وأبو يعلى في المسند: ح٩٨٧، وابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن خروج المهدي إنما يكون بعد ظهور الظلم والجور في الدنيا وغلبهما على الحق والجد، ح٦٨٢٣، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص: ٤/ ٥٥٧، وقال البستوي: «رجال الحديث كلهم ثقات من رجال الصحيحين» المهدي المنتظر: ٣١٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٨٨٠٣، وأحمد في مسنده: ح٧٧٣، وأبو داود في كتاب المهدي: ح٤٢٨٣، واللفظ له، وقال الذهبي في تلخيص العلل المتناهية: «سنده صالح» نقلاً عن المهدي المنتظر، للبستوي: ٣٣٩، ورمز له السيوطي بالحسن في الجامع الصغير: ١٣١، وقال العظيم آبادي: «الحديث سنده حسن قوي» عون المعبود: ١١/ ٣٧٣، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ح٧٧٣، والألباني في صحيح أبي داود: ح٤٢٨٣، والبستوي في المهدي المنتظر: ٢٣٨.

(٣) هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، المعروف بابن الحنفية: أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، نُسب إلى أمّه خولة بنت جعفر الحنفيّة، توفي سنة ٨١هـ. انظر: التاريخ الكبير: ١/ ١٨٢، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ٤/ ١٦٩-١٧٣، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ١١٠-١١٦.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥٥٤، وحسّنه البستوي في المهدي المنتظر: ٢٠٨.

وقد أورد الإمام مسلم رحمه الله الأحاديث التي تلمح بظهور المهدي في كتاب الفتن وأشراط الساعة ضمن: «باب لا تقوم الساعة حتى يمرُّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء»!!.

المطلب الأول: ظهور المهدي:

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

- **التمهيـــــد:**

ظهور المهدي في وقتٍ امتلأت الأرض فيه ظلماً وجوراً، هو بمثابة إنقاذٍ للأمة مما وصلت إليه في أوضاعها الدينية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية والأمنية، وتخليصاً لها من حالة الغُربة التي يعانيها أهل الإيمان.

فإذا حان وقت ظهوره أصلحه الله للدور الذي سيقوم به، كما في حديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة»[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في المراد بإصلاح الله تعالى للمهدي في ليلة: «أي يتوب عليه، ويوفقه، ويفهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك»[2].

والحديث عن ظهور المهدي، يشتمل على ثلاثة فروع:

- **الفرع الأول: نسبه وصفاته:**

يذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أنّ المهدي هو محمد بن عبدالله، من ولد فاطمة[3] وعلي

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٨٧٩٩، وأحمد في مسنده: ح٦٤٥، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب خروج المهدي: ح٤٠٨٥، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ح٦٤٥، والألباني في صحيح الجامع: ح٦٧٣٥، وحسنه البستوي في المهدي المنتظر: ١٥٧.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٤٥، وانظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٥١، وإتحاف الجماعة: ٢/ ٢٧٧.

(٣) هي فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ﷺ، سيدة نساء العالمين في زمانها، زوجة علي بن أبي طالب، وأم الحسنين ﷺ، توفيت سنة ١١هـ. انظر: الاستيعاب: ٤/ ٤٤٧-٤٥٢، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ١١٨-١٣٤، وتهذيب التهذيب: ١٢/ ٣٩١، ٣٩٢.

رضي الله عنهما[1]؛ استناداً إلى قول النبي ﷺ: «لا تذهب أو لا تنقضي الدنيا حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي يواطىء اسمُه اسمي»[2]، وفي رواية: «واسمُ أبيه اسمَ أبي»[3]، ولقوله ﷺ: «المهدي من عِتْرَتي[4] من ولد فاطمة»[5].

قال الحافظ أبو الحسن الآبري[6] رحمه الله: «تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي»[7].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديثُ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٨٠، ومنهاج السنة النبوية: ٤/ ٩٥، ٩٨، ٨/ ٢٥٥، والمنار المنيف: ١٤١- ١٥٥، والبداية والنهاية: ١٣/ ٥٤١، ١٩/ ٥٦، ٥٩، والصواعق المحرقة: ٢/ ٤٦٩، ٤٧٦، ٦٧٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح٣٥٧٣، وأبو داود في كتاب المهدي، ح٤٢٨٢، واللفظ له، والترمذي، في كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي، ح٢٢٣٠، وقال: «حديث حسن صحيح»، وقال ابن الجوزي: «فأما طريق الترمذي فإسناد حسن وقد حكم له بالصحة» العلل المتناهية: ٢/ ٣٧٨، وصحّح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، ح٣٥٧٢، والألباني في صحيح الجامع: ح٧٢٧٤، وصححه لغيره البستوي في المهدي المنتظر: ٢٥٢.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٨٨٠٢، وأبو داود في كتاب المهدي: ح٤٢٨٢، وصحح إسناده الألباني في صحيح الجامع: ح٥٠٧٣، وصححه لغيره البستوي في المهدي المنتظر: ٢٦٨.

(٤) قال الإمام ابن الأثير رحمه الله: «عترة الرجل أخص أقاربه، وعترة النبي ﷺ بنو عبدالمطلب، وقيل: أهل بيته الأقربون وهم: أولاده، وعلي وأولاده، وقيل: عترته الأقربون والأبعدون منهم» النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٧٧.

(٥) رواه أبو داود في كتاب المهدي، ح٤٢٨٤، واللفظ له، وابن ماجه، في كتاب الفتن، باب خروج الفتن: ح٤٠٨٦، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير: ١٨٧، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ح ٤٢٨٤، وحسّنه البستوي في المهدي المنتظر: ٢٠٣.

(٦) هو الحافظ الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبري السجستاني، نُسب إلى آبر وهي قرية من قرى سجستان، توفي سنة ٣٦٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/ ٩٥٤، والمشتبه في الرجال: ١/ ٣، وتبصير المنتبه: ١/ ٣٠، واللباب في تهذيب الأنساب: ١/ ١٧، ومعجم البلدان: ١/ ٦٧.

(٧) الحاوي للفتاوى: ٢/ ١٦٥، وانظر: الشفا: ١/ ٦٥٦، وشرح السنة، البربهاري: ٦٧، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن لبّان: ١٥/ ١٥٨، ٢٣٦-٢٣٩، ومنهاج السنة: ٨/ ٢٥٤، ٢٥٨-٢٦٠، والمنار المنيف: ١٤٢، والاعتصام: ٢/ ٩١، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٩، ولوامع الأنوار: ٢/ ٨٤، والمهدي، المقدم: ٧٧-٩١.

صحيحةٌ رواها أبو داود[1] والترمذي[2] وأحمد وغيرهم[3]»[4].

وقد وصف النبيُ ﷺ المهديَ بصفتين ظاهرتين في خِلْقته، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني[5] **أجلى الجبهة**[6]، **أقنى الأنف**[7] يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين[8]»[9].

---

(١) هو الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، إمام أهل الحديث في زمانه، وأحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظاً ونسكاً وورعاً وإتقاناً، توفي سنة ٢٧٥هـ. انظر: الثقات، ابن حبّان: ٨/ ٢٨٢، ووفيات الأعيان: ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥، وتذكرة الحفاظ: ٢/ ٥٩١-٥٩٣.

(٢) هو الإمام الحافظ محمد بن عيسى السلمي البوغي الترمذي: من أئمة حفاظ الحديث، صاحب الجامع الكبير، أحد الكتب الستة، عمي في آخر عمره. توفي سنة (٢٧٩)هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٣/ ٢٧٠-٢٧٧، وتقريب التهذيب: ٤٣٥، والأعلام: ٦/ ٣٢٢.

(٣) ولذا فقد قرر العلامة يوسف السلمي رحمه الله أنّ من ينكر خروج المهدي، فلا يلتفت إليه، إذ ليس له مستند يرجع إليه. انظر: عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي ﷺ: ٦٠.

(٤) منهاج السنة النبوية: ٨/ ٢٥٤، وانظر: ٤/ ٩٥، والمنتقى للذهبي: ٥٦٢.

(٥) أي من نسلي وذريتي. انظر: عون المعبود: ١١/ ٣٧٥.

(٦) أي منحسر الشعر من مقدم رأسه، أو واسع الجبهة. انظر: عون المعبود: ١١/ ٣٧٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ٤٥٨، وفيض القدير: ٦/ ٣٦٢.

(٧) أي طويل الأنف مع دقة في أرنبته، وحدب في وسطه، أي ليس بأفطس. انظر: عون المعبود: ١١/ ٣٧٥، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ٤٥٨، وفيض القدير: ٦/ ٣٦٢.

(٨) قال الإمام ابن حجر الهيتمي رحمه الله: «الذي اتفقت عليه الأحاديث؛ سبع سنين من غير شك» الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٤٧٤، وانظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٥١، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٤٨٧، والمهدي المنتظر، للبستوي: ٣٥٧، **وجاء في بعض الروايات بالشك من الراوي**: «إن في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً، زيد الشاك، قال قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين»، رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في المهدي: ح٢٢٣٢، وقال: «هذا حديث حسن وقد روي من غير وجه»، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح٢٢٣٢، **وقال الإمام ابن كثير** رحمه الله: «وهذا يدلّ على أنّ أكبر مدّته تسع، وأقلّها خمس أو سبع» النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٤٦.

(٩) رواه أبو داود في كتاب المهدي: ح٤٢٨٥، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» ولم يوافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥٥٧، وقال ابن القيم: «رواه أبو داود بإسناد جيد» المنار المنيف: ١٤٤، ورمز له السيوطي في الجامع الصغير بالصحة: ١٨٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ح٦٧٣٦، والبستوي بشواهده في المهدي المنتظر: ١٧٥.

وأما أخلاقه وسجاياه فأَظْهرُها العدل، وسخاء النفس، ولين الجانب، ومجانبة الفتن!؛ لما جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من خلفائكم خليفة يحثو المال حثياً لا يعده عدداً»(١)، وفي رواية: «يخرج في آخر الزمان خليفة يعطي الحقّ بغير عددٍ»(٢).

فهو لعدله يعلم أنّ المال حقٌّ للناس، فلا مِنّة له عليهم بإعطائهم إيّاه، ولكنّه يُضيف إلى ذلك لمسةً من طيب نفسه، فيعطيهم الحق الذي لهم بغير عدد.

فيكافئه الله على عدله؛ بصلاح المعيشة، وبأن تعظم الأمة الإسلامية في زمنه فيكون لها شأن عظيم بين الأمم، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً(٣)، وتكثر الماشية، وتعظم الأمّة»(٤).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافراً، والسلطان قاهراً، والدين قائماً، والعدو راغماً، والخير في أيامه دائماً»(٥).

وعن ابن عباس(٦) رضي الله عنهما قال: «لا تمضي الأيام والليالي حتى يلي منا أهل البيت فتى

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء: ح٢٩١٤، قال: «وفي رواية بن حجر: يحثي المال».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٨٧٩٥، وصحّح البستوي إسناده في المهدي المنتظر: ٣١٨.

(٣) أي يقسم المال بينهم بالتساوي، لا يُفضِّلُ أحداً على أحد. انظر: مسند الإمام أحمد: ح١١٣٤٤، والحاوي للفتاوى، السيوطي: ٢/ ١٣٢، وسبل الهدى والرشاد: ١٠/ ١٦٨.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥٥٨، وصحّحه الألبانيّ في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح٧١١، والبستوي في المهدي المنتظر: ١٦٥.

(٥) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٤٦.

(٦) هو حبر الأمة: عبدالله بن عباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ، روى (١٦٦٠) حديثاً، شهد الجمل وصفين مع علي ﷺ، ينسب إليه كتاب تفسير القرآن، توفي سنة ٦٨ هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ٦٢-٧١، والإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١٤١-١٥٢، وتقريب التهذيب: ٣٠٩.

لم تَلبَسْهُ الفتنُ ولم يَلبَسْها[1]». قال -أي الراوي عنه- قلنا: يا أبا العباس تعجز عنها مشيختكم وينالها شبابكم! قال: «هو أمر الله يؤتيه من يشاء»[2].

- **الفرع الثاني: ولاية المهدي وعلاقتها بملاحم آخر الزمان:**

تدلّ أحاديث الملاحم بمجموعها على أنّ المهدي هو خليفة المسلمين، وقائدهم في ملاحم آخر الزمان، حيث جاء فيها ما يفيد:

١ - أنّ المهدي هو الذي يؤم عيسى عليه السلام في الصلاة.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا إنّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة»[3]، وجاء في **رواية أخرى النصُّ** على أنّ هذا الأمير هو المهديّ، حيث قال ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي...**»[4].

قال الإمام ابن القيّم رحمه الله: «تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر

---

(١) سلامة المهدي من ملابسة الفتن، رغم ملئها للأرض في زمنه!!، يدلّ على حياة قلبه وصلاحه، وسلامة صدره من الغش، وبعده عن مواطن الفتن، وتجرّده عن الحظوظ الدنيوية، وهذه الصفات التي صحّت للمهدي، فرفعته إلى المقامات الرفيعة في الدين والدنيا، من شأنها فيمن كتبها الله له أن ترفعه عند ربه درجات، وتهيئه للمنازل العاليات؛ في الدنيا بالإمامة في الدين، إن استكمل الصبر واليقين، وفي الآخرة ببلوغ منازل الصدّيقين، والله تعالى أعلم، وإيّاه نسأل أن يجعلنا ممن لم تلبسه الفتن ولم يلبسها، ووالدينا وأزواجنا وذرياتنا وقراباتنا وأحبابنا، إنّه جوادٌ كريم.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٨٧٩٦، وأحمد في فضائل الصحابة: ح١٨٩٠، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن: ح٥٥٩، وصحح البستوي إسناده في المهدي المنتظر: ٣٤٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ: ح١٥٦.

(٤) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، كما ذكر ذلك ابن القيّم رحمه الله ، وجوّد إسناده، انظر: المنار المنيف: ١٤٢، وذكره السيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي ضمن الحاوي للفتاوي: ٢/ ١٣٤، وتابع الألباني ابن القيم في تجويد إسناده وقال: «رجاله كلهم ثقات من رجال أبي داود» سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٢٢٣٦، وصحح البستوي إسناده في المهدي المنتظر: ١٨٢.

المهدي... وأنّه يؤم هذه الأمة، ويصلي عيسى عليه السلام خلفه»[1].

٢- شهود ولاية المهدي للأحداث السابقة لنزول المسيح عليه السلام.

إذا نزل عيسى عليه السلام فإنّه سينزل إماماً مقسطاً، وحاكماً عادلاً، يحكم الأرض قاطبةً بكتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ، وهذا يعني:

- انتهاء ولاية المهدي.
- أنّ السبع سنين التي يملك فيها المهدي تكون قبل نزول المسيح عليه السلام.
- أنّ خروج المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام يكونان في آخر ولاية المهدي.
- أنّ الأحداث المترابطة السابقة لنزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال، كقتال العدو المشترك، والملحمة الكبرى، وفتح القسطنطينية -التي يعقبها خروج المسيح الدجال- تكون في ولاية المهدي، والله تعالى أعلم.

قال العلامة صدّيق حسن خان رحمه الله في معرض تعليقه على حديث حذيفة رضي الله عنه في وصف الملحمة الكبرى[2]: «ظاهر هذا الحديث أنّ هذه الواقعة تكون بعد ظهور المهديّ»[3].

- **الفرع الثالث: مبايعة الناس للمهدي:**

يظهر المهدي في أواخر الخلافة الإسلامية، والأمّة في حال فرقة واختلاف، قد امتلأت الأرض ظلماً وجوراً، فيوقن المصلحون أن لا سبيل إلى إصلاح الأحوال إلا بظهوره؛ فإذا رأوه وعرفوه، بايعوه عند الكعبة -المعظّمة- مُكرهاً.

---

(١) المنار المنيف: ١٤٢، وبنحو قوله قال الإمام محمد بن سيرين، والإمام ابن حجر الهيتمي رحمهم الله، وغيرهم. انظر: مصنف ابن أبي شيبة: رقم ٣٨٨٠٤، والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ٢/ ٤٨٠، والفتاوى الحديثية: ٣٢، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٩، والقول المختصر في علامات المهدي المنتظر: ٢٣، وفيض القدير: ٦/ ٣٦٢، وفيض الباري للكشميري: ٤/ ٤٤-٤٨، والمهدي المنتظر، للبستوي: ١٨٢.

(٢) انظر: ص ٢٠٣ من الرسالة.

(٣) السراج الوهّاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: ١١/ ٣٥٤، وانظر: منّة المنعم في شرح صحيح مسلم، صفي الرحمن المباركفوري: ٤/ ٣٥١.

فعن أم سلمة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام»[1].

وعند ذلك يتحرّك صوبه جيشٌ من هذه الأمة، بهدف القضاء عليه؛ فيُخْسَفُ بهم، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال: «العجب إنّ ناساً من أمتي يؤمون بالبيت، برجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء، خسف بهم فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس؟! قال: نعم، فيهم المستبصر[2]، والمجبور[3]، وابن السبيل[4]، يَهْلِكُون مهلكاً واحداً، ويصدُرُون مصادرَ شَتَّى، يبعثُهُمُ الله على نِيَّاتهم»[5].

وقد أورد الإمام أبو داود رحمه الله حديث الخسف بهذا الجيش في **كتاب المهدي**[6]، وعنون له الإمام ابن حبان[7] رحمه الله بـ«ذكر الخبر المصرح **بأنّ القوم الذين يُخسف بهم إنّما هم القاصدون إلى المهدي** في زوال الأمر عنه»[8].

فإذا خُسف بهذا الجيش، فقد ظهر لعموم المسلمين أنّ العائذ بالحرم، هو المهدي الذي أخبر

---

(١) تقدّم تخريجه: ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) المستبصر هو: المستبين للشيء، يعني أنّهم كانوا على بصيرةٍ من ضلالتهم. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ١٠، ولسان العرب: ٤١/ ٤٣٠.

(٣) المجبور هو: المُكره. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ١٠.

(٤) ابن السبيل هو: سالك الطريق معهم وليس منهم. انظر: المرجع نفسه: ١٨/ ١٠.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، ح٢٨٨٤.

(٦) انظر: ص ١٧٠ من الرسالة.

(٧) هو الحافظ الإمام العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تولى قضاء سمرقند مدة، أحد المكثرين من التصنيف، قيل: إنّ الرحلة في خراسان إلى مصنفاته، توفي سنة ٣٥٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/ ٩٢٠-٩٢٤، وميزان الاعتدال: ٦/ ٩٨-١٠٠، وسير أعلام النبلاء: ١٦/ ٩٢-١٠٤.

(٨) صحيح ابن حبّان بترتيب ابن لبّان: ١٥/ ١٥٨.

عنه النبي ﷺ، فيأتيه أبدال[1] الشام[2]، وعصائب[3] العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام، لما جاء في حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنّه قال: «ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء، بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك؛ أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام»[4].

ويؤيده الله تعالى بناسٍ من أهل المشرق يوطّدون سلطانه، فعن ثوبان[5] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلى واحد منهم **ثم تطلع الرايات السود من قبل المشـرق، فيقتلونكم قتلاً لم يُقتَلْهُ قومٌ** ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: فإذا رأيتموه

(١) الأبدال هم: العلماء والأولياء والعباد، الواحد منهم بدل، وسمّوا بذلك؛ لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر، وقيل: لأنّهم أبدال الأنبياء وقائمون مقامهم حقيقة، فهذا ينوب عن الأنبياء في العلم والمقال، وهذا في العبادة والحال وهذا في الأمرين جميعاً، وهؤلاء الأبدال غير أبدال المتصوفة الذين لا يُعرف لهم حقيقة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٠٧، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٤/ ٩٧، ١١/ ٤٣٣-٤٤٤، وعون المعبود: ١١/ ٣٧٦.

(٢) يتردد الشام كثيراً في كتب السير والمغازي، وله ثلاثة اصطلاحات: الشام في عرف العرب كل ما هو في جهة الشمال، والشام في عرف بعض العامة هو دمشق فحسب، أما الشام تاريخياً فيشمل: سورية والأردن ولبنان وفلسطين، وهذه الأقطار تسمى أيضاً «سورية الكبرى»، وهي تسمية متأخرة. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٣٥٣-٣٥٧، والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية: ١٦٧.

(٣) اختلف في المراد بالعصائب، فقيل خيار أهل العراق، وقيل العصائب جمع عصابة وهم الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٣/ ٢٤٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٥٣.

(٤) تقدم تخريجه: ص ١٦٩، ١٧٠.

(٥) هو أبو عبدالله ثوبان بن بُجدُد، مولى رسول الله ﷺ، اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه إلى أن مات، فخرج ثوبان إلى الشام فنزل الرملة «في فلسطين» ثم انتقل إلى حمص فابتنى فيها داراً، وتوفي بها سنة ٥٤هـ. انظر: الاستيعاب: ١/ ٢٩٠، ٢٩١، وأسد الغابة: ١/ ١١٤، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ١٥-١٨.

فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنّه خليفة الله المهدي»(١).

فهذا الحديث يدلّ على أنّ أهل المشرق يغزون جزيرة العرب، لتوطيد سلطان المهدي، لقول النبي ﷺ: «فيقتلونكم» والخطاب لأهل الجزيرة العربية.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ويؤيده -أي الله تعالى- بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشدّون أركانه»(٢).

ويحتمل أن يكون توطيد حكم المهدي في الجزيرة العربية، هو المقصود في الغزوات المقترنات، في حديث نافع بن عتبة بن أبي وقاص(٣) رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ قال: فأتى النبيَّ ﷺ قومٌ من قبل المغرب(٤) عليهم ثياب الصوف فوافقوه عند أكمةٍ(٥) فإنهم لقيام ورسول الله ﷺ قاعد

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح٢٢٣٨٧، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب خروج المهدي: ح٤٠٨٤، واللفظ له، والحاكم في المستدرك وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي في التلخيص: ٤/ ٤٦٣، ٤٦٤، وقال ابن كثير: «تفرد به ابن ماجه. وهذا إسناد قوي صحيح» النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٤٤، وقال الهيتمي على رواية أحمد: «وفي سنده مُضَعَّف له مناكير» الصواعق المحرقة: ٢/ ٤٧٤، وقال البوصيري على إسناد ابن ماجه: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» مصباح الزجاجة: ٣/ ٢٦٣، وصححه البستوي في المهدي المنتظر: ١٩٢، ومصطفى العدوي في الصحيح المسند من أحاديث الفتن: ٣٣٧، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة: ح٨٥، وقال: «لكن الحديث صحيح المعنى، دون قوله : فإنّ فيها خليفة الله المهدي ... وإسناده حسن بما قبله ... وهذه الزيادة «خليفة الله» ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكرة ... ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله».

(٢) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٤٥.

(٣) هو نافع بن عتبة بن أبي وقاص القرشي الزهري، أسلم يوم فتح مكة، وقُتل بصفّين. انظر: التاريخ الكبير: ٨/ ٨١، ٨٢، والاستيعاب: ٤/ ٥٣، وأسد الغابة: ٤/ ٢٩٢، والإصابة في تمييز الصحابة: ٦/ ٣٢٢.

(٤) أي مغرب المدينة المنورة، لقوله في رواية أبي نعيم الأصفهاني: «ناس من العرب» معرفة الصحابة: ح٦٣٩٩، ورواه المزّي بلفظ: «قومٌ من العرب» تهذيب الكمال: ٢٩/ ٢٨٥، ٢٨٦، وانظر: إكمال إكمال المُعلم، الأبيّ: ٩/ ٣٥١، ومكمل إكمال الإكمال، السنوسي: ٩/ ٣٥١.

(٥) الأكمة: هي الموضع المرتفع من الأرض. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٤١٦.

قال: فقالت لي نفسي: ائتهم فقم بينهم وبينه لا يغتالونه[1]، قال: ثم قلت: لعلّه نجيٌّ[2] معهم، فأتيتهم فقمت بينهم وبينه، قال فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله». قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم[3].

فهذا الحديث أورده الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال.

وقد أصاب في ذلك، لأنّ راوي الحديث أسلم عند فتح مكة!، وبعد فتحها انتشر الإسلام في الجزيرة العربية، مما يدل على أنّ هذا الحديث ذُكر لبيان بعض ما يكون في آخر الزمان، ويدلّ على ذلك أيضاً: أنّ بعض الفتوحات الواردة في هذا الحديث، جاء ما يفيد أنّها ستقع في زمن المهدي، كقتال الروم، والمسيح الدجال وتوطيد أهل المشرق لحكم المهدي في جزيرة العرب بالقوّة، ولم يبق إلا فتح فارس!، وقد ثبت أنّ المهدي سيقاتل مع الروم عدوّاً مشتركاً!، وسيأتي الإشارة إلى ما ذكره بعض الكُتّاب من احتمال أن يكون هذا العدو هو الفرس[4]، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) الاغتيال: هو أن يُقتل الإنسان بغتة من حيث لا يشعر. انظر: المرجع السابق: ١٠/ ٤١٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٥.

(٢) أي لعلّه يحدّثهم سرّاً. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٥، ٣٦، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٨.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال: ح٢٩٠٠.

(٤) انظر: ص ١٩٣ من الرسالة.

المطلب الثاني: عمران بيت المقدس، وخراب يثرب:

يسبق الملحمة الكبرى بعض التغيرات في أحوال بعض المدن: حيث تعمر بيت المقدس، وتخرب المدينة؛ لما ثبت في حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عمران بيت المقدس خراب يثرب[1]، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[2].

قال الملا علي القاري[3] رحمه الله: «كلّ واحدٍ من هذه الأمور أمارة لوقوع ما بعده وإن وقع هناك مهلة»[4].

فأمّا عمارة بيت المقدس، فقيل: إنّها تكون بكثرة الرجال والعقار والمال، وقيل: عمارته بأن

---

(١) هي المدينة النبوية، ويُلاحظ أنّ النبي ﷺ أطلق عليها لفظ يثرب مع أنّه لفظٌ مكروهٌ، وثمّة بعض الاحتمالات التي يمكن من خلالها أن يظهر شيءٌ من وجه الحكمة في هذا الإطلاق:

الاحتمال الأول: أن يكون خروج خيار أهل المدينة مع المهدي للجهاد في سبيل الله، قد أدّى إلى أن تكون الكثرة بالمدينة للمنافقين وضعاف الدين، فأطلق عليها لفظ يثرب، لذهاب خيار الناس عنها، فاجتمع لها بذلك خرابٌ حسيٌّ ومعنويٌّ.

فإن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين وجود الأخيار في المدينة عند قدوم الدجال؟

فالجواب أن يُقال: يُحتمل أن يعودوا إليها، بعد الانتهاء من ملحمة الروم، وقبل ظهور الدجال، والله تعالى أعلم.

الاحتمال الثاني: أن يكون لهذا الخراب علاقة بأمراء السوء، لما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: «ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ما كانت نصفاً زهواً، ونصفاً رطباً. قيل: من يخرجهم منها يا أبا هريرة؟ قال: أمراء السوء» رواه عمر بن شبّة موقوفاً في تاريخ المدينة: ح٦٢٢. فلعلّ أمراء السوء يحيون في المدينة النبوية بعض معالم الجاهلية، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: وجود أمراء السوء، يُشكل مع وجود المهدي! فالجواب: أن يُقال: يُحتمل أنّ أمراء السوء يوجدون قبل المهدي، وبسببهم يهرب من المدينة إلى مكة، فيكون وجودهم سبباً في بداية الخراب الجزئي، ثم يزداد بانتقال المهدي إلى بيت المقدس، وعمارته إياها، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٢) تقدّم تخريجه: ص ١٧٠.

(٣) هو الملا علي بن سلطان محمد، نور الدين الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، له العديد من الكتب، منها: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، سكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤هـ. انظر: الأعلام: ٥/ ١٢.

(٤) مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٦، وقال الشيخ محمد أنور شاه الكشميري: «ولا يتوهم اتصال جميع هذه الأشياء، بل يمكن الفصل الطويل بين علامتين، فإنّ صاحب الشريعة جمع في الحديث عدداً من العلامات» العرف الشذي شرح سنن الترمذي: ٣/ ٤٢٤ «بتصرّف».

يبلغ الكمال في العمارة، فيكون وقت خراب يثرب كامل العمارة، مجاوزاً للحد المعتاد[1]، وقيل: إنّ عمارته تكون بسبب جعله عاصمة الخلافة الإسلامية؛ لحديث عبدالله بن حوالة المتقدم[2]، ويحتمل أن يكون ذلك في زمن المهدي[3]، لما جاء في محاصرة الدجال له ببيت المقدس[4]، والله تعالى أعلم.

وأمّا خراب يثرب «المدينة النبوية» على ساكنها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم فقد تنوعت فيه الأحاديث، ويظهر من مجموعها: أنّ المدينة المنورة تتعرض لنوعين من الخراب[5]: خراب جزئي، يقع أكثر من مرة، ومنه هذا الخراب الوارد قبل الملحمة والدجال، وخراب كلّي يكون قُبيل الساعة[6].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «وليس المراد أن المدينة تخرب بالكلية قبل خروج الدجال، وإنما ذلك في آخر الزمان»[7].

وقد ذكر العلماء احتمالين للخراب الجزئي الذي يقع للمدينة قبل الملحمة، وهما:

الاحتمال الأول: أن يكون خرابها، بسبب نزول الخلافة في الأرض المقدّسة فينتقل أعدادٌ من أهل المدينة ليسكنوا بيت المقدس.

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٥، وعون المعبود: ١١/ ٤٠٠.

(٢) انظر: ص ١٧٢ من الرسالة.

(٣) وقيل غير ذلك. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٥، وعون المعبود: ١١/ ٤٠٠، والمسيح المنتظر ونهاية العالم، الطويلة: ٥٦.

(٤) انظر: ص ٢٥٦، ٢٥٧ من الرسالة.

(٥) للتعرف على أقوال العلماء في خرابات المدينة، انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي: ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ٢٢٧، ٢٢٨، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٦٤، وفتح الباري: ٤/ ١٠٨، ١٠٩، والإشاعة: ٣٢.

(٦) ودليله حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي -يريد عوافي السباع والطير- ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما، فيجدانها وحشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع، خرّا على وجوههما» رواه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب من رغب عن المدينة، ح١٨٧٤، ومسلم في كتاب الحج، باب في المدينة حين يتركها أهلها، ح١٣٨٩، واللفظ له. وقوله: «**ينعقان**» أي يصيحان. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٨٢.

(٧) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٧٥.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «تكون عمارة بيت المقدس سبباً في خراب المدينة النبوية»[١].

الاحتمال الثاني: أن يكون خرابها بسبب خروج كثيرٍ من أهلها مع المهدي للجهاد في سبيل الله[٢]، ولاسيّما وقد جاءت الإشارة في الأحاديث إلى الجيش الذي يخرج من المدينة لملاقاة الروم في الملحمة الكبرى[٣].

وبناءً على هذا الاحتمال، فإنّ عمران بيت المقدس، ليس سبباً في خراب يثرب وإنّما علامةٌ على قرب خرابها[٤]، والله تعالى أعلم بالصواب.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ الخراب الجزئي للمدينة النبوية قد حدث وانتهى؛ لأنّ المدينة كانت بعد النبي ﷺ معدن الخلافة وموضعها، فلما انتقلت الخلافة[٥] عنها إلى الشام ثم إلى العراق، وتغلّبت عليها الأعراب؛ تعاورتها الفتن وخلت من أهلها، فقصدتها عوافي الطير والسباع[٦].

والصواب أنّ هذا الخراب لم يقع بعد، وهو خراب مرتبط بعمران بيت المقدس

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٧٥، وانظر: التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ١٤٨، وفيض القدير: ٤/ ٤٧٥، وعون المعبود: ١١/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) انظر: السنن الواردة في الفتن: ٤/ ٨٩٤، والإشاعة: ٣٢، ٨٣، ولوامع الأنوار: ١٢/ ١٢٥، ١٢٦.

(٣) انظر: ص ٢٠٤ من الرسالة.

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٥، والتيسير بشرح الجامع: ٢/ ١٤٨، وعون المعبود: ١١/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٥) إطلاق الناس للفظ الخلافة على أكثر الفترات التي جاءت بعد عهد الخلفاء الراشدين، يُقصد به أنّ تلك الأزمنة تتصف باجتماع كلمة المسلمين في سائر أقطارهم على إمام واحد، ولا يلزم منه أن تكون تلك الخلافة سائرةً على منهاج النبوة في جميع أمورها، انظر: منهاج السنة: ٨/ ٢٣٨.

(٦) ممن قال بهذا القول: القاضي عياض والإمام القرطبي رحمهما الله. انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ٤/ ٥٤٦، والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، القرطبي: ٢/ ٢٨٥، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ٢٢٧، وفتح الباري: ٤/ ١٠٨، وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك: ٤/ ٢٧٧.

آخر الزمان، وبالملحمة الكبرى، كما جاء في الحديث، وأما ما ذهب إليه بعض أهل العلم من القول بوقوع خراب المدينة النبوية وانتهائه، فيمكن أن يُحمل على القول بتعدد الخرابات وأنّه واحد منها، والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني: علاقة المسلمين بالنصارى قُبيل الملحمة

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

❁ تمهـــيد:

يظهر من خلال سياق أحاديث الفتن والملاحم أنّ المسلمين والنصارى يكونون قبيل الملحمة في حالة هدنة، ينتج عنها اشتراكهم في قتال عدوٍ آخر، فيسلمون ويغنمون، ثم تغدر الروم بعد ذلك فتجمع للملحمة.

وفي المطالب الثلاثة الآتية تفصيل ما يتعلق بطبيعة العلاقة بين المسلمين والنصارى قبيل الملحمة الكبرى.

المطلب الأول: مهادنة المسلمين للنصارى قُبيل الملحمة:

دلّت الأحاديث على أن المسلمين والنصارى يتهادنون فيما بينهم قبيل الملحمة كما في حديث عوف بن مالك[1] ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك[2] وهو في قبة من أدم[3] فقال: «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس[4]، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينارٍ فيظلُّ ساخطاً، ثم فتنةٌ لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته، **ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر**[5]، فيغدرون[6] فيأتونكم تحت ثمانين غاية[7]، تحت كل غاية

---

(١) هو أبو عبدالرحمن وقيل أبو عمرو عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، صحابي من الشجعان الرؤساء، أول مشاهده خيبر، وكان معه راية قبيلته يوم الفتح، نزل حمص وسكن دمشق، وله (٦٧) حديثاً، توفي سنة ٧٣هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٧/ ٥٦، والثقات: ٣/ ٣١٩، ٣٢٠، والاستيعاب: ٣/ ٢٩٧، ٢٩٨.

(٢) تَبُوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط، وهي الآن مدينة معروفة في شمال الجزيرة العربية، وقد توجّه إليها النبي ﷺ في سنة تسع للهجرة، لما بلغه من تجمع الروم وبعض أتباعهم من العرب لحربه، فوجدهم قد تفرّقوا فلم يلق كيداً، وهي آخر غزواته ﷺ. انظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٤/ ٥١٥، ٥٢١، ومعجم البلدان: ٢/ ١٧، ١٨، ومراصد الاطلاع: ١/ ٢٥٣.

(٣) أي بيت صغير مستدير من جلد، وقيل ما يُرفع للدخول فيه. انظر: لسان العرب: ١/ ١٠٣، وتاج العروس: ٣/ ٥١١، وعون المعبود: ١٤/ ٢٥.

(٤) وقد تم فتحه في عهد عمر بن الخطاب ﷺ وعلى يديه سنة ست عشرة من الهجرة، وبنى بها مسجداً في قبلة بيت المقدس. انظر: البداية والنهاية: ٩/ ٦٥٥، وأشراط الساعة للوابل: ٨٥

(٥) مصطلح «بني الأصفر» يُراد به الروم، وفي نسبتهم لبني الأصفر أقوال أشهرها: أنّهم نُسبوا إلى عيصو وكان أصفر، وقيل: إلى ابنه الروم وكان أصفر، وقيل: إلى الأصفر بن الروم بن عيصو، وقيل سمّوا بني الأصفر لشقرتهم، وقيل غير ذلك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٣٧، والتذكرة، القرطبي: ٢/ ٢٦٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٢/ ١٥٧، ولسان العرب: ٥/ ٣٥٢، والبداية والنهاية: ١٩/ ١٠٧، وفتح الباري: ٦/ ٣٢١.

(٦) أي ينقضون عهد الهدنة. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٥، ٣٠٦، وعون المعبود: ١١/ ٣٩٩.

(٧) أي رايةً. انظر: التذكرة: ٢/ ٢٦٧، وفتح الباري: ٦/ ٣٢١.

اثنا عشر ألفاً[1]»[2].

وفي رواية: «وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، يجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم»[3].

وجاء في بعض الأحاديث إطلاق لفظ «الصلح» على ما يكون بين المسلمين والنصارى في هذه الفترة، كما في حديث ذي مخبر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً...»[4]، وفي رواية: «ستصالحكم الروم صلحاً آمناً...»[5].

وأصل الهدنة في اللغة: السكون بعد الهيج.

وتطلق أيضاً على: **المصالحة** بعد الحرب، وربما جعلت للهدنة مدةً معلومةً، فإذا انقضت عادوا إلى القتال[6].

وهي في الاصطلاح: «مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدّةً معينةً، بعوضٍ أو غيره، سواءً فيهم من يُقرُّ على دينه، ومن لم يُقر»[7].

وأمّا الصلح فهو في اللغة: ضدّ الفساد، ويُطلق على السلم، وإنهاء الخصومة وحالة الحرب،

---

(١) نقل ابن حجر عن ابن المنير رحمهما الله، أنه قال: «أما قصة الروم فلم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد فهي من الأمور التي لم تقع بعد» فتح الباري: ٦/ ٣٢١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يحذر من الغدر وقوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ الآية: ح٣١٧٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح٢٣٩٨٥، واللفظ له، والطبراني في المعجم الكبير: ح٧٠، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، انظر: ٣/ ٥٤٧، وقال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني وفيه أبو جناب الكلبي وهو مدلس» مجمع الزوائد: ٧/ ٣٢٢، وقال ابن كثير: «هذا الإسناد فيه نظر من جهة رجاله، ولكن له شاهد من وجه آخر صحيح» النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٦٦، وحسّنه لغيره شعيب الأرناؤوط، انظر تحقيقه للمسند: ح٢٣٩٨٥، وضعفه العسود في أحاديث الملحمة الكبرى: ٢٧٣.

(٤) تقدّم تخريجه: ص ٢٨، ٢٩.

(٥) رواه أحمد في مسنده: ح١٦٨٢٥، وصححه الأرناؤوط في تحقيق المسند: ح١٦٨٢٥.

(٦) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٦/ ٤١، ولسان العرب: ٩/ ٥٨، ٥٩.

(٧) مغني المحتاج: ٤/ ٢٦٠، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٥٢، وفتح الباري: ٦/ ٣١٨.

وعلى الاتفاق والتوفيق بين طرفين[1].

وهو في الاصطلاح: عقد اتفاق بين المسلمين والكفار على رفع حالة الحرب[2].

ويُفاد من التعريفات السابقة أنّ الهدنة والصلح يشتركان فيما يكون من اتفاقٍ على وقف القتال بين المسلمين والكفار[3].

ويظهر من لفظ الحديث «وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر» وما تقدّم من أنّ الهدنة هي السكون بعد الهيج، والمصالحة بعد الحرب؛ أنّ علاقة المسلمين بالروم قبل الهدنة، يحيط بها التوتر والمشاحنة، وربما وقعت بينهم الحروب.

وتدل روايات الصلح «ستصالحون الروم»، «ستصالحكم الروم»، على أن في الصلح حاجة للفريقين ومصلحة لهما، وأنّه يقع منهما موقع القبول، ويتحقق به الأمن والطمأنينة بينهما، ويحتمل أن يكون من أسباب انعقاده: وجود عدو مشترك لكليهما فيظهر لهما أن يتصالحا ليشتركا في مواجهته.

ولم تبين النصوص الصحيحة ما إذا كان عقد الهدنة أو الصلح مطلقاً أو مقيداً[4]، **ولكنّها بيّنت أنّ الروم تنقض الهدنة، وتغدر بالمسلمين؛ فيكون القتال!!**[5].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٣٠٣، والنهاية في غريب الحديث: ٣/ ٤٦، ولسان العرب: ٥/ ٣٧٤.

(٢) انظر: التعريفات: ٢٠٩، وفتح الباري: ٥/ ٣٥١، والتوقيف على مهمات التعاريف: ٢١٨.

(٣) تجدر الإشارة إلى **اتفاق العلماء على جواز عقد الصلح أو الهدنة مع غير المسلمين**، عند الحاجة أو المصلحة. انظر: بداية المجتهد: ١/ ٣٤٥، وأحكام القرآن، الجصاص: ٣/ ١٨٩، والمغني: ١٣/ ١٥٤، والصفدية: ٢/ ٣٢٢، وزاد المعاد: ٣/ ٤٢١، والروضة الندية: ١/ ٧٦٠، ٧٦١، والفقه الإسلامي وأدلته: ٦/ ٤٣٧.

(٤) جاء في إحدى روايات حديث ذي مخمر ﷺ: «تصالحون الروم عشر سنين صلحاً آمناً» رواه نعيم بن حماد في الفتن: ح١٢٦٧، وأبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني: ح٢٦٦٢، والطبراني في المعجم الكبير: ح٤٢٣١، وأبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة: ح٢٦٣٤، وهذه الرواية فيها انقطاع، وذلك لأنّ يحيى بن أبي عمرو السيباني لم يلق ذي مخبر، إذ بينهما عمرو بن عبدالله الحضرمي، وقد أسقط من الإسناد. انظر: كتاب المراسيل، ابن أبي حاتم: ٢٤٦، وتهذيب التهذيب: ١١/ ٢٢٧، وجامع التحصيل: ٣٦٩.

(٥) انظر: فستذكرون ما أقول لكم، محاضرة للدكتور سفر الحوالي، وهي مفرّغة في موقعه.

المطلب الثاني: اجتماع المسلمين والروم على قتال عدو مشترك:

تقدّم في حديث ذي مخبر ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدوّاً من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون وتسلمون»(١).

فهذا الحديث يدلّ على اشتراك المسلمين والنصارى في قتال عدوٍّ آخر(٢)، دون تحديد هويته، وإنما اكتُفي بالإشارة إلى الموقع الجغرافي لهذا العدو، ونتيجة قتالهم إياه.

فأما الموقع الجغرافي للعدو المشترك، فظهر من سياق الحديث السابق أنّه سيكون من وراء المسلمين، وجاء في رواية أخرى أنّه من وراء الروم، كما في قوله ﷺ: «تصالحون الروم صلحاً آمناً، وتغزون أنتم وهم عدواً من **ورائهم**»(٣).

فيُؤخذ من هاتين الروايتين أنّ هذا العدو سيكون من وراء المسلمين ومن وراء الروم.

وأصل الوراء في اللغة: الخلف، ويطلق أيضاً على الأمام(٤).

ويؤخذ من هذه النصوص عدّة أمور، منها:

١- وجود ثلاث قوى في منطقة الصراع وهم: المسلمون «وخصوصاً العرب»، والروم، والعدوّ المشترك.

٢- أنّ العدوّ المشترك يُعادي المسلمين والروم في وقتٍ واحد.

٣- أنّه يحتمل أن يكون للعدوّ المشترك حدودٌ جغرافيةٌ مع: المسلمين والروم.

---

(١) تقدّم تخريجه: ص ٢٨،٢٩.

(٢) اختلف العلماء في **حكم الاستعانة بالكفار على القتال** إلى قولين: الجواز وعدمه، واستثنى بعضهم من المنع حال الضرورة، ولبحث هذه المسألة انظر: المدونة الكبرى: ٢/ ٤٠، ومختصر اختلاف العلماء: ٣/ ٤٢٨، والمغني: ١٣/ ٩٨، ومغني المحتاج: ٤/ ٢٢٢، والدراري المضية: ٢/ ٤٥٩، والاستعانة بغير المسلمين: ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٦٨٢٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وصحّحه الذهبي في التلخيص موقوفاً، انظر: ٤/ ٤٢١، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٣٦١٢، والأرناؤوط في تحقيق المسند: ح١٦٨٢٦.

(٤) انظر: جمهرة اللغة: ١/ ١٠٨، والجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ١١٩، ١٢٠، ولسان العرب: ٩/ ٢٨٧.

٤- أنّ انتساب المسلمين يكون للإسلام، وانتساب النصارى للروم!، وأما الطرف الثالث فلم تحدّد النصوص حقيقة انتمائه! ولكن إذا كان المسلمون وعلى رأسهم العرب قوّةً مجتمعةً، والروم بأطيافهم ومذاهبهم قوّةً مجتمعةً!، فمن بقي؟!

والجواب: أنّه لم يثبت عن النبيّ حديثٌ صحيحٌ صريحٌ في تحديد العدوّ المشترك، ومن ثمّ فإنّ الجزم بأمر لم يأت فيه نصٌّ قاطعٌ مظنّةُ الزلل، وهو خلاف منهج أهل السنة في التعامل مع نصوص الفتن والملاحم، كما أنّ محاكمة النص إلى الواقع الذي نعيشه الآن هو أيضاً من مسالك الخطأ.

وقد حاول بعض الكتّاب والباحثين الكشف عن العدو المشترك، الذي لم يصرّح به حديث ذي مخبر، فذهب بعضهم إلى أنّه: الولايات المتّحدة الأمريكية بوصفها بلاد الروم الجديدة الواقعة بين بلاد الروم القديمة «أوروبا» وبين بلاد آسيا وإفريقيا، مما سيؤدي إلى اجتماع دول أوروبا وروسيا والمسلمين على حربها(١).

وهذا لا دليل عليه، بل هو مخالفٌ لحديث ذي مخبر الدالّ على أنّ الروم ستقاتل العدو المشترك فكيف تقاتل أمريكا الروميّة نفسها؟!

وجاء في بعض المرويّات الضعيفة التي انفرد بها نعيم بن حمّاد تعيين العدوّ المشترك بأنّهم: الترك وكَرْمَان(٢)، وجاء في بعضها الآخر: أنّهم الفُرْس(٣).

---

(١) انظر: هلاك ودمار أمريكا المنتظر، هشام كامل: ١٤٦، ١٤٧.

(٢) عن يونس بن سيف الخولاني قال: (تصالحون الروم صلحاً آمناً، حتى تغزوا أنتم وهم الترك وكرمان، فيفتح الله لكم...) كتاب الفتن: ح١٢٦٦.

(٣) عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح حتى يقاتلوا معهم عدواً لهم فيقاسمونهم غنائمهم، ثم إنّ **الروم يغزون مع المسلمين فارس** فيقتلون مقاتلتهم ويسبون ذراريهم، فيقول الروم: قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم، فيقاسمونهم الأموال وذراري الشرك، فيقول الروم قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم، فيقولون لا نقاسمكم ذراري المسلمين أبداً، فيقولون: غدرتم بنا، فترجع الروم إلى صاحبهم بالقسطنطينية، فيقولون: إنّ العرب غدرت بنا، ونحن أكثر منهم عدداً وأتمّ منهم عُدّةً وأشدّ منهم قوّةً فأمدّنا نقاتلهم، فيقول: ما كنت لأغدر بهم؛ قد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا، فيأتون صاحب روميّة فيخبرونه بذلك، فيوجّه ثمانين غايةً، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً في البحر...» كتاب الفتن: ح١١٦٣، **وهذه الرواية مخالفة للرواية الصحيحة التي تدلّ على أنّ الرومَ هم الذين غدروا بالمسلمين بعد حادثة رفعهم للصليب.**

ويظهر من خلال البحث أنّ الحديث الضعيف الذي صرّح بأنّ هذا العدو هو الفرس قد لقي قبولاً لدى بعض الباحثين والكُتّاب؛ حيث أخذوا بموجبه وقرّروا بأنّ فارس هي العدوّ الذي سيجتمع على قتاله المسلمون والروم(١).

وأضاف حسام الأسعد بأنّ الشيعة الإيرانيين قد لا يعترفون بالمهديّ السُنيّ محمّد بن عبدالله؛ لانتظارهم مهديّاً آخر، مما يدفعه إلى قتالهم(٢).

واستند -في قوله بأنّ العدو المشترك هو الفرس- إلى الحديث الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن نافع بن عتبة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله...**»(٣).

وقبل النظر في مدى صحّة القول بأنّ الفرس هم العدوّ المشترك للمسلمين والروم، يمكن الإشارة -على وجه الاختصار- إلى بعض الأمور التي قرّرها بعض أهل العلم حول طبيعة العلاقة بين الفرس والروم والمسلمين العرب عبر التاريخ ومن ذلك:

أولاً: أنّ فارس من أقدم أمم العالم وأشدّهم قوّةً وآثاراً في الأرض، وكانت دولتهم معاصرةً لدولة الروم بالشام، فهم **الأمة الثالثة بإزاء العرب والروم**(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «**العرب والروم والفرس**، هذه الأمم هي التي ظهرت فيها الفضائل الإنسانية، وهم سكّان وسط الأرض طولاً وعرضاً وأما من سواهم فتبع»(٥).

ثانياً: أنّ العداوة متبادلةٌ بين العرب والروم والفرس من قديم الزمان.

(١) انظر: الإشاعة: ٩٣، ٩٥، والجفر أخطر مخطوطة على وجه الأرض: ٢٥٩، والفتن والمحن بين يدي الساعة، عفاف عبدالغفور: ٣٢٨، ونبوءات الرسول ﷺ: ١٠٣، ١٠٤.

(٢) انظر: نبوءات الرسول ﷺ: ١٠٣، ١٠٤.

(٣) تقدم تخريجه: ص١٨٢، ١٨٣، وانظر: نبوءات الرسول ﷺ: ١٠٣.

(٤) انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ٣٣٤، ولسان العرب: ٧/ ٦٢، وتاريخ ابن خلدون: ٢/ ١٨٠، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٤/ ٤١١، ولقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان: ١٠٨.

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٥/ ٤٣١ «بتصرف».

فأما العداوة بين الفرس والروم، فترجع إلى سببين:

السبب الأول: الحقد العنصري، حيث يعتقد الفرس بتفوق أصلهم الآريّ عقليّاً ونفسيّاً، على الرّوم والعرب ذوي الأصل الساميّ[1].

والسبب الثاني: البغض العقائدي الناتج عن اختلاف الدين، فالفرس مجوس وثنيون، والروم نصارى أهل كتاب.

وظهرت هذه العداوات على شكل نعرات، وحروب تهدف إلى السيطرة على أكبر قدر من المعمورة، وكانت الساحة التقليدية -عبر التاريخ- للصراع الفارسي الرومي- قديماً وحديثاً!- تمتد من أقصى شرق العراق، إلى أقصى غرب الشام، مع أجزاء من شمال الجزيرة العربية وشرقها[2].

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم خبر هزيمة الفرس للروم، ثم هزيمة الروم لهم، فقال سبحانه: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾﴾[3].

وذكر بعض المؤرخين أنّ المسلمين حين كانوا يفتتحون بلاد الشام في زمن عمر ﷺ، كانت الروم تغريهم بقتال الفرس، وتمنّيهم أن تعينهم عليهم، شريطة أن ينصرفوا عن بلادهم[4].

وأما عداوة الفرس والروم للعرب، فعداوةٌ قديمةٌ، حيث اشتهر بغضهم للعرب، وازدراؤهم لهم، وتعاليهم عليهم، عنصرياً ودينياً.

---

(١) جاء الإسلام ليقرر أن الناس سواسية من حيث الأصل الإنساني، ولا فرق بين عربي ولا عجمي إلا بالتقوى؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ سورة الحجرات: آية (١٣)، وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع وسط أيام التشريق: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر؛ إلا بالتقوى» رواه أحمد في مسنده: ح٢٣٤٨٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٢٧٠٠، والأرناؤوط في تحقيق المسند: ح٢٣٤٨٩.

(٢) انظر: أزمة الخليج الرابعة: هل تعيد الصراع بين الفرس والروم؟، عبدالعزيز كامل، مقال منشور في مجلة البيان، عدد: ٢٢٦، ص ٦١، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٤/ ١٩٣، ١٩٤.

(٣) سورة الروم: الآيتان (٢، ٣).

(٤) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله: ٣/ ١٩٣، وجمهرة خطب العرب: ١/ ٢٤٧.

وقد ذكر الدكتور عبدالعزيز كامل أنّ الفرس والروم: «على الرغم مما بينهما من بغضاء وعداء على مرّ التاريخ، كانا ـ ولا يزالان ـ يشتركان في النظر إلى العرب نظرةً دونيّةً، ملؤها الاحتقار، وهاجسها السيطرة والاحتكار، وفق مصالح الطرفين فقط.

-بالإضافة إلى- أنّ هذه الكراهية المشتركة والممتدة عبر التاريخ للعرب، كانت تمزج دائماً بين الحقد العنصري، والبغض العقائدي.

فالفرس كانوا قبل الإسلام يزدرون العرب عنصرياً، وبعد الإسلام كانوا -إلا من طهّره الله بالدين الصحيح- يتعالون على العرب دينياً ومذهبياً، ويحاولون أن يجعلوا من أنفسهم حماة دين الإسلام الذي اختصروه كلّه في محبة أهل البيت بزعمهم[1].

وأما النصارى الغربيّون، فقد كانوا قبل الإسلام وبعده يجمعون في موقفهم من العرب بين بغضٍ عنصريٍّ وحضاريٍّ وبُغضٍ دينيٍّ»[2].

وقد كان العرب يبادلون الفرس والروم «الشعور بالتعالي العنصري، فقد كانوا على ذلتهم وقلتهم يستنكفون أن يصاهروا أمم العجم، حتى ولو كان العرب أدنى منهم وتحت هيمنتهم،

(١) منذ تحطّمت القلاع الفارسية على أيدي أصحاب النبي ﷺ، وجمهرةٌ من الفرس -إلا من رحم الله- تغلي قلوبهم على الإسلام وأهله، فكان منهم من قتل عمر بن الخطاب ﷺ، وهو أبو لؤلؤة المجوسي، ومنهم من دخل في الإسلام نفاقاً، وبتعاونهم مع اليهود نشأت بعض الفرق الغالية كالسبئية، وعلى أيديهم نمت وترعرعت، وكان شعارهم في ضرب الإسلام من الداخل، ادعاء محبة آل بيت النبي ﷺ!. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم: ٢/ ٢٧٣، والفرق بين الفرق: ٢١، ٢٣٣، وتاريخ مدينة دمشق: ٤٤/ ٤٤١، ومنهاج السنة النبوية: ١/ ٢٣، ٢٤، ٥٠، ٦/ ٣٧٠، ٣٧١، ٨/ ٢٤٠، ٤٧٩، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي: ٢/ ٣٦٢، والمدخل، ابن بدران: ٦٣، ٦٤، وأصول مذهب الشيعة: ١/ ١٠٢-١٠٦.

(٢) أزمة الخليج الرابعة، مجلة البيان، عدد: ٢٢٦، ص ٦١ «بتصرف».

ولما طلب (كسرى[1] إبرويز[2]) إحدى النساء من أسرة (ابن المنذر)[3] ليتزوجها، رفض النعمان[4] تزويجها لأعجمي، فاستعظم ذلك من أحد عمّاله، وعزم على الفتك بالنعمان، فتحالفت القبائل العربية مع المناذرة ضدّ الفرس، ووقعت معركة (ذي قار)[5] التي انتصر فيها العرب على الفرس لأول مرة في التاريخ»[6].

ثالثاً: موقع الفرس الجغرافيّ بالنسبة للروم والمسلمين، فهم منذ القديم: متاخمون للروم في موقع بلادهم[7]، وينافسونهم على السيادة، وإذا استولى الروم على القسطنطينية، قبل الملحمة الكبرى[8]، واقتربوا من بلاد الشام، فإنهم سيتاخمون الفرس.

---

(١) اسم كل ملك للفرس وهو بالفارسية «خسرو» أي واسع الملك. انظر: المخصص: ١/ ١٣٦.

(٢) هو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، يُقال: اجتمع له تسعمائة وخمسون فيلاً، وهذا شيءٌ لم يجتمع عند ملك قط، وقيل إنّه أشد ملوك الفرس بطشاً، وأنفذهم رأياً، وأبعدهم غوراً، وبلغ مبلغاً عظيماً في البأس والنّجدة، والنصر والظفر، وجمع الأموال والكنوز، ولذلك سمي «أبرويز» وتفسيره بالعربية المظفر، وهو الذي غُلبت الروم في عهده، وقد بعث النبي ﷺ إليه عبدالله بن حذافة السهمي، فمزّق كتاب النبي ﷺ، فدعا عليه، فمزّق الله ملكه وملك قومه، وكان قتله سنة ٩هـ. انظر: كتاب الحيوان، الجاحظ: ٧/ ١٨١، وتاريخ الطبري: ٢/ ١٧٦-١٨٧، والكامل في التاريخ: ١/ ٢٧٩، وزاد المعاد: ١/ ١٢١.

(٣) المناذرة هم ملوك الحيرة والعراق من قبل الفرس، وأساسهم من اليمن، من ذرية لخم «واسمه مالك» بن عدي بن الحارث، من كهلان، من قحطان، هاجروا من اليمن، بعد سيل العرم. انظر: الأعلام: ٥/ ٢٤١، ٧/ ٢٩٥، ودراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران: ٥٧٧-٥٩٧.

(٤) هو النعمان «الثالث» ابن المنذر «الرابع» ابن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، كان داهيةً مقداماً، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه، نحو سنة ٥٩٢ م، وكانت تابعةً للفرس، نقم عليه كسرى فعزله ونفاه إلى خانقين، فسجن فيها إلى أن مات، وقيل: ألقاه تحت أرجل الفيلة، فوطئته، فهلك سنة ١٥ ق.هـ. انظر: الكامل في التاريخ: ١/ ٢٨٩، وتاريخ ابن الوردي: ١/ ٦٠، وتاريخ ابن خلدون: ٢/ ٢١٤، والأعلام: ٨/ ٤٣.

(٥) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط. انظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٣٣.

(٦) أزمة الخليج الرابعة، مجلّة البيان، عدد: ٢٢٦، ص ٦١، وانظر: الكامل في التاريخ: ١/ ٤٨٢-٤٩٠، وتاريخ ابن الوردي: ١/ ٦٠، وتاريخ ابن خلدون: ٢/ ٢١٤.

(٧) انظر: تاج العروس: ٧/ ١٨٧.

(٨) يظهر من أحداث الملحمة الكبرى وما قبلها أنّ القسطنطينية ستكون في حوزة النصارى، مما يستدعي إعادة فتحها بعد الملحمة، انظر: ص ٢٢٧ من الرسالة.

وهم أيضاً: متاخمون للجزيرة العربية، قديماً وحديثاً.

رابعاً: يفتخر الفرس بعرقهم الفارسي، ويلحقون لقب الفرس باسم دولتهم حتى إنّهم يطلقون على ما يعرف بالخليج العربي، اسم: الخليج الفارسي، فعصبيّة كثير منهم للفارسية، أعظم من عصبيّتهم للإسلام، ويحتمل أن يقابل الروم هذه العصبية الفارسية بعصبيّةٍ روميّة، كأن يطيب لهم في آخر الزمان أن يحيوا اسم الروم(١)، ويؤخذ هذا من تسمية النبي ﷺ لهم -في أحاديث الملاحم- بالروم(٢).

وبعد هذا العرض -الذي ظهر منه أنّ الأمم الرئيسة في الأرض هي «العرب والروم والفرس»، وأنّ بين العرب والفرس اشتراكاً جغرافياً، وأنّ الروم باستيلائها على القسطنطينية قبل قتال العدوّ المشترك، ستكون مجاورةً للفرس وللعرب، وأنّ هذه الأمم الثلاث تتبادل العداوة العرقيّة والدينيّة من قديم الزمان- **يمكن القول**: إنّ اختيار بعض الباحثين لأن تكون فارس هي العدوّ المشترك الذي يقاتله المسلمون والروم في آخر الزمان، اختيارٌ يحتمل الصواب، ومن ثمّ فلا ينبغي إنكاره بالكليّة لوجاهة بعض الأدلّة التي تسنده، كما إنّه يحتمل الخطأ؛ لافتقاده للدليل الصحيح الصريح، والله تعالى أعلم بالصواب.

وأما نتيجة قتال المسلمين والنصارى للعدو المشترك، فتتلخص في تحقيق ثلاثة مكاسب للمسلمين والنصارى وهي:

- تحقيق نصر حاسم لصالح المسلمين والروم.
- إحراز الغنائم والأموال وتملكها.

---

(١) أشار الباحث فيصل الكاملي في مواطن كثيرة من كتابه: «اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد» إلى أنّ الكنيسة الكاثوليكية تسعى بجدّ عبر تنظيماتها السرية المتعددة إلى إعادة الإمبراطورية الرومية الوثنية التي تخضع للبابا نائب المسيح، ولها تخضع كل الأمم والشعوب، وهو ما يعبّر عنه بالنظام العالمي الجديد، وقد بدأ يظهر توجّه الأمم الغربية للتوحد تحت راية البابا، لإقامة هذه الإمبراطورية الرومية، ومن ذلك أن توقيع دستور الاتحاد الأوربي تمّ في روما مقرّ بابا الفاتيكان. انظر على سبيل المثال: ٢٧١-٣٤٩.

(٢) انظر: أزمة الخليج الرابعة، مجلّة البيان، عدد: ٢٢٦، ص ٦١.

- السلامة من القتل والجرح في القتال[1].

وهذا يدل على هشاشة العدو المشترك، فبمجرد التقائه بالقوات الإسلامية والنصرانية، فإنّه يخور ويضعف وينهزم، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث: رفع النصارى للصليب وغدرهم بالمسلمين:

ينتهي الغزو المشترك وتقفل الجيوش المنتصرة آيبةً، مُحرزةً النصرَ والغنائم، فبينما هم نازلون بمرجٍ ذي تُلول، وعصابة[2] من المسلمين قد جاوروا النصارى في المنزل إذا برجل من الروم يصعد على تلٍّ من التلال رافعاً الصليب، وزاعماً أنّ الانتصار كان ببركته، فيقول: غلب الصليب؛ فيسمعه رجل من المسلمين، فيرد عليه ناسباً النصر لله تعالى وحده لا شريك له، فيقول: بل الله غلب، فيتداولونها بينهم، المسلمون ينسبون النصر لله، والنصارى ينسبونه للصليب، فيعمد رجل من المسلمين إلى صليبهم فيحطمه، وإلى الرومي الذي نسب النصر للصليب فيقتله، فيثور النصارى إلى المسلم فيقتلونه، فتنتصرُ عصابة المسلمين لأخيهم المقتول، فيُستشهدون جميعاً.

وقد ورد تفصيل هذه الحادثة في مرويات حديث ذي مخبر ﷺ ومنها أنّ النبي ﷺ قال: «ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتُنصرون وتغنمون وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرجٍ ذي تُلُول، فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب، فيقول: غلب الصليب. فيغضب رجلٌ من المسلمين فَيَدُقُّهُ، فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة»[3].

وفي رواية: «فيقول قائل من الروم: غلب الصليب. ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيتداولانها بينهم، فيثور المسلم إلى صليبهم وهم منهم غير بعيدٍ فيدقه، ويثور الروم إلى كاسر

---

(١) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٨.

(٢) اختلف في تحديد عدد من يُطلق عليهم عصابة، فقيل: العصابة ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل: ما بين العشرة إلى الأربعين، وقيل: العصبة: أربعون، وقيل: سبعون، وقد يقال: أصل معناها الجماعة مطلقاً. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٣، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٥٤، ومرقاة المفاتيح: ١٠/ ٣٥٤.

(٣) تقدّم تخريجه: ص ١٨٢، ١٨٣.

صليبهم فيقتلونه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم؛ فيقتتلون فيكرم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين بالشهادة[1]»[2].

وفي رواية: «ثم تنزلون بمرج ذي تُلول، فيقوم إليه رجلٌ من الروم فيرفع الصليب، ويقول: الأغلب الصليب. فيقوم إليه رجلٌ من المسلمين فيقتله، فعند ذلك تغدر الروم، وتكون الملاحم»[3].

ويظهر من مرويات حديث ذي مخبر أنّ النصارى يخيّل إليهم بعد قتلهم للفئة الصغيرة من المسلمين، أو بعد القضاء على العدو المشترك، أنّ بإمكانهم الاستيلاء على جزيرة العرب!!، حيث جاء أنّهم يرجعون إلى ملكهم[4]، فيحرّضونه على الغدر بالمسلمين قائلين له: «كفيناك جزيرة العرب»[5]، وفي رواية: «فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب»[6]، وفي رواية: «فيقول

---

(١) وجاء في رواية ضعيفة لحديث ذي مخبر ما يفيد أنّ المسلمين لا يعلمون بخبر هذه العصابة التي استشهدت على أيدي عبّاد الصليب: «تصطلحون أنتم والروم صلحا آمنا عشر سنين ثم يغدرونكم في السنة الثالثة أو الخامسة فينزل في ذلك الصلح جيش منكم في مدينتهم ثم تغزون معهم عدواً من ورائهم فيرجعون سالمين غانمين حتى تنزلون في مرج ذي تلول فيقول قائلهم غلب الصليب ويقول قائلكم غلب الله عز وجل فيتداولونها بينهما والصليب منهم غير بعيد فيقوم صاحبكم إلى الصليب فيكسره فيقومون إليه فيقتلونه فتنهضون إلى سلاحكم وينهضون إلى سلاحهم فيهزم الله عز وجل تلك العصابة من المسلمين **فلا ينجو منهم مخبر**» رواه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني: ح٢٦٦٣، قال محقّق الكتاب الدكتور باسم فيصل الجوابرة: (في إسناده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف) ٥/ ١٢٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٤٢١، والطبراني في المعجم الكبير: ح٤٢٣١، وابن حبان في صحيحه: ح٦٧٠٨، وقد روى أبو داود رحمه الله اللفظة الأخيرة وهي قوله: «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة» في كتاب الملاحم، باب ما يذكر من ملاحم الروم، ح٤٢٩٣، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح ٤٢٩٣.

(٣) تقدم تخريجه: ص ١٩٢.

(٤) فيه إشارة إلى احتمال توحّدهم آنذاك، والله تعالى أعلم.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه: ح٦٧٠٩، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه: ح٦٧٠٨، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

الروم لصاحب الروم: كفيناك جدّ العرب فيغدرون»[1].

فإذا عزموا على الغدر؛ فإنّهم يستعدون لخوض ملحمة صليبية عظيمة، تهدف إلى القضاء على عرب الجزيرة العربية!، وفي هذا دليلٌ على أن الملحمة ستكون بالدرجة الأولى بين العرب والروم[2].

وفي المبحث الآتي وصف استعدادات النصارى لخوض الملحمة الكبرى ضد المسلمين، وما يتبع ذلك من أحداث تنتهي بكسر شوكة الروم، ورفع راية الإسلام في القسطنطينية.

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٤٢١.

(٢) انظر: إتحاف الجماعة، حمود التويجري: ١/ ٤٠٤.

المبحث الثالث: الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وقوع الملحمة الكبرى بين المسلمين والنصارى:

وفيه فرعان:

- الفرع الأول: اجتماع المسلمين والنصارى لخوض الملحمة.

بعد أن يعزم النصارى على نقض الهدنة، والغدر بالمسلمين، فإنّهم يجمعون للملحمة، كما جاء في حديث ذي مخبر ﵁ أن النبي ﷺ قال: «فعند ذلك تغدر الروم، وتجمع للملحمة»[1]، وفي رواية: «فعند ذلك تغدر الروم، وتكون الملاحم»[2].

ويظهر من مرويات الملحمة أنّ الروم يستنفرون جميع طاقاتهم في تسعة أشهر، كما جاء في الحديث: «يجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة»[3]، فيأتون في جيشٍ عظيمٍ، قوامه: تسعمائة وستون ألف مقاتل، موزعون على ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألف مقاتل[4]، لقول النبي ﷺ -في تتمة الحديث السابق-: «فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً»[5]، وفي رواية: «فيجتمعون للملحمة فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية

(١) تقدّم تخريجه: ص ٢٨،٢٩.

(٢) تقدم تخريجه: ص ١٩٢.

(٣) تقدم تخريجه: ص ١٩٠.

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٦.

(٥) تقدم تخريجه: ص ١٨٩،١٩٠.

تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»[١].

وجاء في بعض الروايات أنّ قوام جيش الروم ثمانمائة ألف مقاتل: «فيجتمعون إليكم فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف»[٢].

وروايات الاثني عشر ألفاً أكثر، ومنها ما هو مخرّج في الصحيح، وهي مع ذلك لا تخلو من زيادة ثقةٍ مقبولة[٣].

ويظهر من جمع النصارى للملحمة أنّها تقع من أكثرهم موقع القبول فيشتركون في الإعداد لها، ويتّخذون تنظيماً عسكرياً من شأنه أن يقوي عزائمهم ويخيف بعض عدوهم، حيث يجمعون كل اثني عشر ألف مقاتل تحت راية مستقلة.

ويبدو أن خبر استعدادهم للملحمة، يصل إلى المسلمين فيستعدّون لمواجهتهم، تحت قيادة إمامهم: محمد بن عبدالله الهاشمي المهدي؛ لما صحّ في حديث يسير بن جابر[٤] رحمه الله قال: «هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرَى[٥] إلا يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة. قال: فقعد وكان متكئاً، فقال: إنّ الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام **ويجمعُ لهم أهل الإسلام**...»[٦].

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الملاحم: ح٤٠٨٩، وحسّن إسناده الكناني في مصباح الزجاجة: ٣/ ٢٦٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه: ح ٤٠٨٩.

(٢) تقدم تخريجه: ص ١٩٢.

(٣) انظر: مقدمة ابن الصلاح: ١٨٥، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ٧٥.

(٤) هو يسير بن جابر البصري، وقيل أُسير، عداده في التابعين، وثقه العجلي ويحيى بن معين، وغيرهم، وقال ابن حزم: ليس بالقوي، وقد خلط بعض العلماء بينه وبين يسير بن عمرو الشيباني الكوفي ﷺ. انظر: معرفة الثقات، العجلي: ١/ ٢٣١، والثقات، ابن حبّان: ٤/ ٦١، ٥/ ٥٥٧، وميزان الاعتدال: ٧/ ٢٧١، وتهذيب الكمال: ٣٢/ ٣٠٢، وتهذيب التهذيب: ٧/ ٣٢٢، والبرق اليمني، الحميدي: ٦٢-٦٧.

(٥) أي ليس له عادة أو شأن إلا مناداة عبدالله بن مسعود بقوله: «يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة». انظر: مشارق الأنوار: ٢/ ٣٣٢، وكشف المشكل: ١/ ٣٤٠، وشرح النووي على صحيح مسلم: ١٨/ ٣٣.

(٦) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال: ح٢٨٩٩.

وبعد أن يُعِدّ النصارى العُدّة لملاقاة المسلمين، تتحرك جيوشهم حتى تصل إلى الأعماق أو دابق، وهما «موضعان بالشام بقرب حلب[1]»[2]؛ فيخرج لملاقاتهم جيشٌ من المدينة النبوية، من خيار أهل الأرض يومئذٍ، لما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق[3] أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة[4] من خيار أهل الأرض يومئذٍ»[5].

(١) حلب: مدينة عظيمة من مدن الشام «سوريا»، واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء، سميت حلب نسبة إلى حلب من بني عمليق، وقيل غير ذلك. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٣٢٥-٣٣٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٢٩، وانظر: الديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٤، والإشاعة: ٩٣.

(٣) قال ياقوت الحموي عن لفظة «الأعماق»: «لعلّه جاء بلفظ الجمع، والمراد به العمق، وهي كورة قرب دابق بين حلب وأنطاكية» معجم البلدان: ١/ ٢٦٤.

(٤) تقدّم أنّ الروم تهدف بالدرجة الأولى إلى القضاء على عرب الجزيرة العربية، مما يعني أنّهم يرومون التقدّم إلى مقدسات المسلمين داخل الجزيرة، ومن ثم فلا غرابة أن يخرج جيش من المدينة النبوية لملاقاة الروم في بلاد الشام، خارج حمى الجزيرة العربية، وكون «المدينة» الواردة في الحديث هي المدينة النبوية هو المتبادر إلى الذهن من لفظ الحديث، لأن الأصل في السنة النبوية أن ينصرف إطلاق «المدينة» المعرّفة بأل التعريف، إلى مدينة النبي ﷺ، مع ما تقدّم من كون خروجهم من المدينة المنورة هو مقتضى الحال، انظر: إكمال إكمال المعلم، الأبيّ: ٩/ ٣٤٥، ومكمل إكمال الإكمال، السنوسي: ٩/ ٣٤٥، والإشاعة للبرزنجي: ٩٣، وإتحاف الجماعة، للتويجري: ١/ ٤٠٤، والأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى: ٣٠٠، ورحلات للديار المباركة، أنس القوز: ٢٣٥، و«فقد جاء أشراطها»، محمود عطية: ٢٥٦، ٢٦١.
وذهب ابن أبي جرادة، إلى أنّ المدينة التي يخرج منها الجيش هي مدينة حلب؛ لأنها أقرب المدن إلى دابق، ولأنّهم في تلك الناحية يطلقون اسم المدينة على حلب. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب: ١/ ٤٠، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٦، ويمكن الجواب عنه: بانتفاء الدليل على إنها حلب، وقربها من الأعماق لا يلزم منه أن تكون هي المدينة التي ذكرها النبي ﷺ، والعبرة بعُرف المتكلم لا بعُرف أهل حلب!.
وقيل إنّها دمشق؛ لأنّ الجيش الذي يخرج هو جيش المهدي، وتكون المدينة المنورة حينها خراباً. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٦، ويمكن الجواب عنه بأنّ المدينة لا تخرب بالكلية قبل الدجال، بل خرابها يكون جزئياً بخروج بعض أهلها منها وليس جميعهم، ثم يحتمل أن يرجع إليها المهدي لتجميع الجيوش، وللحفاظ عليها خشية أن يسبقه الروم إليها؛ لما أضمروه من القضاء على عرب الجزيرة العربية، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم: ح٢٨٩٧.

ويحتمل أن يكون هذا الجيش هو جيش المهدي، وقد يكون لخروجه من المدينة علاقة بما صح من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة، حتى يكون أبعد مسالحهم[1] سلاح[2]»[3].

قال الملا علي القاري رحمه الله: «أي يحبسوا ويضطروا ويلتجئوا[4]. «إلى المدينة» أي مدينة النبيّ ﷺ؛ لمحاصرة العدو إياهم، أو يفرّ المسلمون من الكفار ويجتمعون بين المدينة وسلاح وهو موضعٌ قريبٌ من خيبر، أو بعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حواليها احتراساً عليها. وهذا المعنى أظهر»[5].

فرجوع المسلمين إلى المدينة لم يقع إلى الآن[6]، ولعله يكون قبل الملحمة، بحيث يضطر المسلمون في زمن المهدي إلى الانتقال من بيت المقدس إلى المدينة، خوفاً على الحرمين الشريفين من الروم الذين تحرّكوا بهدف الاستيلاء على الجزيرة العربية أو لتجميع الجيوش الإسلامية في المدينة،

(١) المسالح: جمع مسلحة، وهم القوم الذين يحفظون الثغور من العدو، وسموا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب، يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٠، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٣٨٨، والتذكرة، القرطبي: ٢/ ٢٦٧، وتاج العروس: ٦/ ٤٧٩.

(٢) قال الزهري رحمه الله: «وسلاح قريب من خيبر» رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، ح٤٣٠٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٣٠٠، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٣٨٨، ولسان العرب: ٤/ ٦٤٠.

(٣) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، ح٤٢٩٩، واللفظ له، وأحمد في مسنده: ح٩٢١٦ من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يوشك أن يرجع الناس إلى المدينة حتى تصير مسالحهم بسلاح»، وابن حبان في صحيحه، في ذكر الإخبار بأنّ المدينة تحاصر في آخر الزمان على أهلها وقاطنيها: ح٦٧٧١، والطبراني في المعجم الأوسط: ح٦٤٣٢، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥١١، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر» مجمع الزوائد: ٤/ ١٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٢٩٩.

(٤) في الأصل: ويلتجؤا، وما أثبت هو الصواب.

(٥) مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٧، وقد أشار إلى أن انحسار المسلمين بحيث يكون «أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر، يدل على كمال التضييق عليهم وإحاطة الكفار حواليهم» المرجع نفسه «باختصار».

(٦) انظر: إتحاف الجماعة، للتويجري: ١/ ٣٨٥.

قبل الانتقال بهم إلى الشام لمواجهة الروم فيعود إليها كثير من المسلمين، ويجتمعون فيها، وقريباً منها(١)، والله تعالى أعلم بالصواب.

وجاء في الحديث الإشارة إلى مجيء مددٍ من اليمن قوامه اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله ﷺ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من عدن أبين(٢) اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله هم خير من بيني وبينهم»، وفي رواية أبي يعلى(٣): قال المعتمر(٤): أظنه قال: «في الأعماق»(٥).

فقوله: «في الأعماق» يدلّ على أنّهم يشاركون في الملحمة الكبرى؛ لما تقدّم قريباً من أنّ الروم ينزلون بالأعماق أو بدابق(٦).

---

(١) جاء في إحدى روايات حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «فيجتمع المسلمون إلى صاحبهم ببيت المقدس وأجمعوا في رأيهم أن يسيروا إلى مدينة الرسول ﷺ حتى يكون مسالحهم بالسرح وخيبر» رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي في التلخيص: «فيه انقطاع» انظر: ٤/ ٥٥٢.

(٢) اسم قرية على سيف البحر ناحية اليمن. انظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٢٣٦٤، وغريب الحديث، ابن الجوزي: ١/ ٩، ومعجم البلدان: ٤/ ١٠٠.

(٣) هو الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، من علماء الحديث، ثقة مشهور، توفي سنة ٣٠٧هـ. انظر: الثقات، ابن حبان: ٨/ ٥٥، ٥٦، وتذكرة الحفّاظ: ٢/ ٧٠٧-٧٠٩، وسير أعلام النبلاء: ١٤/ ١٧٤-١٨٢.

(٤) هو الحافظ الثقة أبو محمّد معتمر بن سليمان بن طرخان، محدّث البصرة في عصره، توفي سنة ١٨٧هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٨/ ٤٩، والثقات، ابن حبان: ٧/ ٥٢١، ٥٢٢، وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٥) رواه أحمد في مسنده: ح٣٠٧٩، وأبو يعلى في مسنده: ح٢٤١٥، والطبراني في المعجم الكبير: ح١١٠٢٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٦٣/ ٣٦٦، وقال الهيثمي: «رواه أبو يعلى والطبراني وقال: «من عدن أبين» ورجالهما رجال الصحيح غير منذر الأفطس وهو ثقة» مجمع الزوائد: ١٠/ ٥٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٢٧٨٢.

(٦) انظر: إتحاف الجماعة: ١/ ٤٠٤، وجاء في أثر موقوف على عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «ويستمد المسلمون بعضهم بعضاً حتى يمدهم أهل عدن أبين، فيقول لهم المسلمون الحقوا بهم، فكونوا فاجاً واحداً» رواه البزار في مسنده «البحر الزخار»، برقم: ٢٤٨٦، وقال الهيثمي: «رواه البزار موقوفاً، وفيه علي بن زيد وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات» مجمع الزوائد: ٧/ ٣١٩، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ح٦١٦٩، لكنّه يصلح للاستئناس به على أنّ هذا المدد في الملحمة الكبرى، والله تعالى أعلم.

وممن نصّ الخبر على مشاركتهم في الملاحم، وأشاد بحسن بلائهم فيها، قبيلة بني تميم[1]، لما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: لا أزال أحب بني تميم من ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشدُّ أمتي على الدجال. قال: وجاءت صدقاتهم، فقال النبي ﷺ: هذه صدقات قومنا، قال: وكانت سبيةٌ منهم عند عائشة -رضي الله عنها-[2]، فقال رسول الله ﷺ: أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل[3]»[4].

وفي لفظ لمسلم قال: «ثلاث خصال سمعتهن من رسول الله ﷺ في بني تميم لا أزال أحبهم بعدُ، وساق الحديث بهذا المعنى غير أنه قال: **هم أشدُّ الناس قتالاً في الملاحم**، ولم يذكر الدجال»[5].

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: «وهي -أي رواية الشعبي التي فيها ذكر الملاحم- أعم من رواية أبي زرعة- التي فيها ذكر الدجال - ويمكن أن يحمل العام في ذلك على الخاص، فيكون المراد بالملاحم أكبرها وهو قتال الدجال، أو ذَكر الدجال ليدخل غيره بطريق الأولى»[6].

وفي هذا الحديث فضيلة ظاهرة لبني تميم، وأنهم يكونون متوافرين بكثرة عند وقوع الملاحم،

---

(١) هي القبيلة الكبيرة المشهورة ينتسبون إلى تميم بن مُر بن أُدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، قال الشيخ عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله: «تميم قبل الإسلام وبعده هم رؤوس نجد وسادته، ولغتهم أفصح اللغات بعد لغة قريش» مصباح الظلام: ٣٧٠، وانظر: فتح الباري: ٥/ ٢٠٤.

(٢) استدلّ به العلماء على جواز استرقاق العرب، وأنّ الأفضل عتقهم. انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ٧/ ٥٨، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٣١/ ٣٧٦، وفتح الباري: ٥/ ٢٠٥.

(٣) وسبب ذلك أنّ عائشة رضي الله عنها نذرت أن تعتق محرراً من ولد إسماعيل. انظر: فتح الباري: ٥/ ٢٠٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد تميم، ح٤٣٦٦، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيىء، ح٢٥٢٥، واللفظ له

(٥) رواه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم: ح٢٥٢٥.

(٦) فتح الباري: ٥/ ٢٠٤.

ويبلون فيها بلاءً حسناً، ولاسيّما في مواجهة المسيح الدجال[1].

وجاء عن النبي ﷺ أنّ الله تعالى يؤيد المسلمين في الملاحم ببعثٍ من الموالي[2] فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقعت الملاحم بعث الله بعثاً من الموالي -في رواية: من دمشق- هم أكرم العرب فرساً وأجوده سلاحاً يؤيد الله بهم الدين»[3].

ويكون مجتمع هذه الجيوش يوم الملحمة بأرض يُقال لها الغوطة[4] قريباً من دمشق، لما جاء

---

(١) إنكار الباطل، والاستعصاء على إغراءاته، والشدة في مدافعته، حين يقتضيها الحال، وتدل عليها الحكمة، من الأمور الممدوحة، التي لا يطيقها إلا الأفذاذ من الرجال، وقد شهد النبي ﷺ لبني تميم بصلابتهم في مواجهة الدجال الأعظم!! وشدّتهم عليه، وهذا الموقف البطولي لبني تميم، يُعطي للأمة الأمل، بأنّه لا يزال فيها من يستطيع إنكار الباطل ومدافعته بما يستحقّه، فإذا كان فيهم من يقف للدجال شامخاً أبياً، ويشتدّ عليه، فإنّ فيهم ولا شك من يستطيع أن يعلي راية الحق، ويدحر راية الباطل، ولئن كان بنو تميم أشدّ الناس على الدجال، **فإنهم على دفع ما دونه من الباطل أقدر، من باب أولى!!**، وفي الحديث فائدة لطيفة: وهي أنّ اجتماع كلّ فرد من أفراد بني تميم مع غيره من بني عمومته يكوّن قوةً في مواجهة الدجال!، وهذه فضيلة تزيدهم ولا تُنقِصُ غيرهم، فلكلّ فرد أو جماعة أو أهل بلد في الإسلام من حيث العموم مناقب يمتازون بها، ولكنّ المهمَ هو أن يستثمروا فضائلهم فيما يقربهم من الله تعالى، فالأمة في كلّ زمان ومكان بحاجة إلى كلّ فضيلة يمتاز بها أي فرد أو جماعة من أهل الإسلام.

(٢) يُطلق المولى في كلام العرب على: المالك، والعبد، والمُعتِق، وهو مولى النعمة أنعم على عبد بعتقه، والمُعتَق، لأنه ينزل منزلة ابن العم يجب عليك أن تنصره وأن ترثه إن مات ولا وارث له، والصاحب، والقريب كالابن والعم، وابن العم، وابن الأخت، والنزيل، والشريك، والرب، والناصر، والمنعِم، والمُنْعَم عليه، والمحب، والتابع، والصهر. انظر: مختار الصحاح: ٧٣٦، وتاج العروس: ٤٠/ ٢٤٣.

ويحتمل أن يكون المقصود بالموالي هنا: من كانوا على دين النصارى، ثم صاروا مملوكين لأهل الإسلام؛ فأسلموا، فأعتقهم المسلِمون من الرقّ، ويؤيده أنّ الروم يطلبون من العرب عند التقاء الصفوف في الملحمة الكبرى أن يُسلِموا إليهم الذين سُبُوا منهم، حيث يكون هؤلاء ضمن الجيش الإسلامي، يقاتلون أهل دينهم السابق.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الملاحم: ح٤٠٩٠، بدون لفظ: من دمشق، والحاكم بالزيادة في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» وسكت عنه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/٥٤٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ١/ ٢٦٣، وقال البوصيري: «هذا إسناد حسن، عثمان مختلف فيه» مصباح الزجاجة: ٤/ ٤١٦، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٢٧٧٧.

(٤) الغوطة: اسم البساتين والمياه التي حول دمشق، وهي غوطة دمشق، وقيل: هي إحدى جنان الدنيا الأربع، والثانية: أبلة البصرة، والثالثة: شعب بوان، والرابعة: سغد سمرقند، والغوطة أفضلهنّ، انظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ١/ ٣٦٦، ٣٦٧، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٣٩٦، ومعجم البلدان: ٤/ ٢٤٨.

في حديث أبي الدرداء ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ فسطاط[1] المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام»[2].

- **الفرع الثاني: أحداث الملحمة الكبرى.**

تلتقي جيوش التوحيد مع جيوش الصليب في الأعماق أو دابق شمال مدينة حلب، فإذا تصافّوا للقتال، بادرت الروم بطرح حيلةٍ ترمي إلى تمزيق الصف المسلم وإثارة الفرقة والاختلاف بين جيوش المسلمين، إذ يطلبون أن يقاتلوا الذين سبوا منهم فقط!، وكأنّهم ما جاؤوا من بلادهم إلا لقتال هذه الفئة![3].

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافّوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم...إلخ»[4].

وقد اختلف العلماء في المراد بهذه الفئة التي يطلبها النصارى، -بناءً على اختلافهم في ضبط كلمة «سبوا»- حيث جاءت فيها روايتان:

الرواية الأولى: بضمّ السين والباء «سُبُوا» وعلى هذه الرواية فهم قومٌ من الروم سباهم

(١) الفسطاط هو البلدة الجامعة للناس، وأصله الخيمة، والمراد مجتمعهم وحصنهم من الفتن، انظر: تهذيب اللغة: ٣/ ٢٧٨٨، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٢٨٧، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ١/ ٣٢٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح٢١٧٢٥، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب في المعقل من الملاحم، ح٤٢٩٨، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٢٩٨.

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

المسلمون في إحدى المعارك ثم أسلموا، فالروم يطلبونهم ليقاتلوهم، وصوّب القاضي عياض[(1)] رحمه الله هذه الرواية، وذكر أنّها رواية الأكثرين.

الرواية الثانية: بفتح السين والباء «سَبَوا» وعلى هذه الرواية فهم القوم الذين سَبَوا ذراري النصارى ونساءهم في بعض المعارك، فيريد النصارى أن يقاتلوهم دون غيرهم[(2)].

قال الإمام النووي رحمه الله: «قلت: كلاهما صواب لأنهم سُبُوا أولاً ثم سَبَوا الكفار وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سُبُوا ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد سَبَوهم في زماننا مراراً كثيرةً، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفاً، ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه»[(3)].

وقد استنبط الشيخ صفي الرحمن المباركفوري من رواية «سَبَوا» وقوع بعض المعارك بين المسلمين والنصارى قبل الملحمة الكبرى، فقال: «وهذا يُفيد أنّ بعض الحروب تقع في هذه الجهة- وهي جهة الشام وتركيا- بين المسلمين والنصارى قبل نزول الروم، فينتصر فيها المسلمون، ويأسرون النصارى، وحينئذٍ تنزل الروم بحجّة إنقاذهم، وتبدي أنّها لا تريد غير من أسرهم، ولكنّها تكون مُخادعةً في ذلك»[(4)].

وفي قول المسلمين: «لا والله -!!- لا نخلّي بينكم وبين إخواننا»!!، موقف مشرِّفٌ لأهل الإسلام، تتجلّى فيه أعمق أواصر الأخوة الإسلامية، وأوثق عرى الإيمان، الحب في الله، والموالاة فيه ﷻ.

فإذا رفض المسلمون التخلية بين النصارى وبين من سبوا منهم، فقد حانت ساعة القتال، ودنت لحظة الالتحام.

---

(١) هو عياض بن موسى اليحصبي السبتي، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، توفي سنة ٥٤٤هـ. انظر: وفيات الأعيان: ٣/ ٤٨٣-٤٨٥، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٣٠٤-١٣٠٦، وسير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٢١٢-٢١٨.

(٢) انظر: مشارق الأنوار: ٢/ ٢٥٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٢٩، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٤، والإشاعة، البرزنجي: ٩٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٧، ومنّة المنعم: ٤/ ٣٥١.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٢٩، ٣٠.

(٤) منّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٥١.

وقد جاء وصف شِدّة القتال في حديث حذيفة ﷺ حيث قال: «وتكون عند ذاكُمْ القتالِ رَدَّةٌ[١] شَدِيدَةٌ، فيشترط[٢] المسلمون شُرطةً[٣] للموت لا ترجع إلا غالبةً فيقتتلون حتى يَحْجُز بينهم الليل، فيفيءُ[٤] هؤلاء وهؤلاء كلٌ غيرُ غالبٍ، وتفنى[٥] الشُرطةُ، ثم يشترط المسلمون شُرطةً للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يَحْجُز بينهم الليل، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلٌ غيرُ غالبٍ، وتفنى الشُرطةُ، ثم يشترط المسلمون شُرطةً للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يُمسُوا، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء كلٌ غيرُ غالبٍ، وتفنى الشُرطة، فإذا كان يومُ الرابعِ نَهَدَ[٦] إليهم بقيّةُ أهلِ الإسلام، فيجعلُ الله الدَّبْرَةَ[٧] عليهم، فَيَقْتُلُونَ مقتلةً إما قال: لا يُرى مثلُها، وإما قال: لم يُر مثلها، حتى إنّ الطائر ليمرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ[٨] فما يُخَلِّفُهُمْ حتى يخرَّ مَيْتاً، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائةً،

---

(١) الرَدَّة هي العطفة والشدة القوية على الأعداء والرغبة الأكيدة في القتال. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٣٥٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٢١٤، ولسان العرب: ٤/ ١١٤، وتاج العروس: ٨/ ٩٣.
وذهب صفي الرحمن المباركفوري إلى أنّ المراد بالردة هنا: الارتداد عن الإسلام، إمّا ظاهراً بالخروج عنه والدخول في الكفر، وإمّا معنىً باختيار عقائد وأمور توجب الكفر مع بقائهم على ظاهر الإسلام. انظر: منّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٥٣.

(٢) ضُبطت هذه الكلمة بوجهين: فيشترط، فيتشرّط، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٣، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٧.

(٣) الشُرطة بالضم: طائفة من خيار الجيش وقيل هم أول طائفة من الجيش تشهد الوقعة، انظر: مشارق الأنوار: ٢/ ٣٠٩، ولسان العرب: ٥/ ٧٩، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٧، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٠.

(٤) الفيء هو الزوال، والمقصود أن الجيوش تتراجع انتظاراً للصباح. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٣، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٧، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٠.

(٥) الفناء ضد البقاء. انظر: مختار الصحاح: ٥١٣، ولسان العرب: ٧/ ١٧٨، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٠.

(٦) أي تقدّم ونهض إليهم بقية الجيش بقصد قتالهم. انظر: مشارق الأنوار: ٢/ ٣٧، وجامع الأصول: ١٠/ ٣٨٠، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١١.

(٧) أي الهزيمة على الروم. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٣١٥، ٣١٦، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٧، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١١.

(٨) أي جهاتهم ونواحيهم، وحُكي عن بعض الرواة أنها: «بجُثْمانهم» أي شخوصهم. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ١٩٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٤، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٧، ومرقاة المفاتيح: ٣/ ٣١٢.

فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأيِّ غنيمةٍ يُفرح أو أيُّ ميراثٍ يُقاسم»[(١)].

ويؤخذ من هذا الحديث أنّ المسلمين في كلّ يومٍ من الأيام الثلاثة الأولى[(٢)]، يهيئون طائفةً من الجيش تتقدم للقتال، يكونون كالعلامة على من وراءهم من جيوش المسلمين، ويشترط هؤلاء على أنفسهم، أو يشترط عليهم المسلمون: أن يستعدوا لإحراز النصر أو الموت في سبيل الله، فلا رجعة بغير أحد هذين الأمرين، فيثبتون ويقاتلون الروم حتى يحجز بينهم دخول الليل، فيتركون القتال، ويرجع المسلمون كما يرجع الكفار، وكلٌّ غير غالب ولا مغلوب:

- إمّا لأن المقاتلين من الطرفين قد قُتلوا.
- أو لأنّ شُرطة المسلمين فنوا أي قُتلوا، ولكن منع دخول الظلام من إحراز الكفّار للنصر.
- أو لأنّهم قُتلوا ولكن لم يستطع الكفّار تحقيق الغلبة على جميع المسلمين.
- أو لأنّ الشُرطة فنيت بمعنى أنّ سبب انعقادها وهو القتال في ذلك اليوم قد انتهى بدخول الظلام ورجوع كلّ طرفٍ إلى محلّه، مما يستلزمُ عقد شُرطةٍ جديدةٍ، والله أعلم بالصواب.

فإذا كان اليوم الرابع تقدّم جميع من حضر من أهل الإسلام، وفيهم الجيش الذي يأتي من المدينة، والآخر الذي يأتي من اليمن، والموالي وغيرهم، بقصد قتال الروم، فيجعل الله الهزيمة على عُبّاد الصليب، بعد أن يقتتلوا مقتلة عظيمة، لم يُبصر مثلها، أو لم يُعرف أو يُسمع بمثلها، ولا يكون بعدها ما يشبهها، حتى إن الطائر يمر بنواحيهم، فما يجاوزهم حتى يسقط ميتاً، إما بسبب نتن روائح الموتى، أو بسبب طول مسافة مسقط الموتى، فيشرع المسلمون في عدّ من

---

(١) تقدّم تخريجه: ص ٢٠٣.

(٢) ذهب صفيّ الرحمن المباركفوري إلى أنّ المراد بالأيام هنا: مراحل، فكلّ مرحلة تُسمّى يوماً، والمرحلة قد تستغرق عدّة أيام، وفي المرحلة الرابعة يقوم أهل الإسلام لنصرتهم من كلّ البلاد، لما قد أحاط بهم من حرب الإبادة. انظر: منّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٥٣، **ويظهر أنّ الصواب بخلاف ما ذهب إليه**، وذلك لأنّ الحديث يدلّ على أنّ المسلمين الحاضرين يشترطون في كلّ يوم شرطة!، وفي اليوم الرابع ينهضون جميعاً لمقاتلة عدوّهم، ثمّ إنّها وقعةٌ واحدة عدّد النبيّ ﷺ أيامها فجعلها أربعة أيام، فلا وجه للقول بأنّ اليوم يساوي مرحلة، والله تعالى أعلم.

بقي منهم، فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائةً، فلا يجدون بقي منهم إلا الرجلُ الواحدُ!(١).

المطلب الثاني: نتائج الملحمة الكبرى:

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

- التمهيـــــد:

جاء في حديث أبي هريرة ﵁ بيانُ نتائج الملحمة، وفيه إشارة إلى أن ثلث الجيش الإسلامي سينهزمون، ويستشهد ثلثهم، وينتصر الثلث الباقي، فيفتتحون القسطنطينية، فعنه ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلّي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم؛ فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يُفتنون أبداً؛ فيفتتحون قسطنطينية»(٢).

وفي الفروع الثلاثة الآتية تفصيل القول فيما يتعلق بنتائج الملحمة على المسلمين والروم كما جاءت في حديث أبي هريرة ﵁، ويُستثنى منها فتح القسطنطينية، حيث سيأتي الحديث عنه في مطلبٍ مستقلٍّ:

- الفرع الأول: انهزام ثلث الجيش الإسلامي.

تقدّم أن ثلث الجيش الإسلامي ينهزمون(٣)، فيفرون من ساحة الملحمة الكبرى ومن ثمّ

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٣-٣٥، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٢٥، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٦-٣١٣، وإكمال إكمال المعَلم، الأبيّ: ٩/ ٣٤٩، ٣٥١، ومكمل إكمال الإكمال، السنوسي: ٩/ ٣٤٩، ٣٥١.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٣) لم تحدد النصوص وقت انهزامهم.

يُعاقبون بأن لا يتوب الله تعالى عليهم أبداً[1].

ويمكن بيان هذه العقوبة من خلال أمرين:

الأمر الأول: المقصود بنفي توبة الله تعالى عليهم:

اختلف العلماء في المقصود بقول النبي ﷺ في حق المنهزمين يوم الملحمة: «لا يتوب الله عليهم أبداً»، إلى قولين:

القول الأول: إن الله تعالى لا يلهمهم التوبة، وبه قال الإمام النووي رحمه الله [2].

وعلى هذا القول: يكون انهزامهم بسبب خوفهم ونحوه، مع وجود أصل الإيمان في قلوبهم، فيكون فرارهم من قبيل التولي يوم الزحف[3]، وهو كبيرة[4] من كبائر الذنوب[5].

وعلى هذا القول فإنّ قوله ﷺ: «لا يتوب الله عليهم أبداً»، إخبارٌ منه بأنّهم يموتون على غير توبةٍ، وذلك لأنّ التوبة من الأعمال الصالحة التي تكون قبل الموت وموتهم على غير توبةٍ من أعظم العقوبات، فكلّما عظُم الذنب عظم تأثيره على العبد، ولا يزال الذنب يتعاظم حتى يُحال بين العبد

(١) يظهر من خلال أحاديث الملحمة أنّه لا ينهزم أحد من الجيشين الإسلاميين المدني والعدني؛ لوصف النبي ﷺ للجيش المدني بأنّهم «من خيار أهل الأرض يومئذ»، ووصفه للجيش العدني بأنّهم «خير من بيني وبينهم»، والله تعالى أعلم، انظر: ص ٢٠٤، ٢٠٦ من الرسالة.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٠، وإكمال إكمال المُعَلم، الأبيّ: ٩/ ٣٤٦، ومكمل إكمال الإكمال، السنوسي: ٩/ ٣٤٦.

(٣) الزحف هو الجيش يزحفون بمشقة إلى العدو أي يمشون إليهم، والتولي يوم الزحف هو الفرار من صفوف الجهاد عند لقاء الكفار في الحرب، انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٦٢٥، ٦٢٦، ١١/ ٣٨٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٢٩٧، ٢٩٨، ومرقاة المفاتيح: ١/ ٢٢٣، ٢٣١.

(٤) جمعها كبائر: وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعاً، ويُفرّقُ بين الكبيرة والصغيرة، بأنّ الكبيرة هي: كلّ ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٤٢، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ١١٢-١١٦، وفتح الباري: ١٠/ ٤٢٣، ٤٢٤، ١٢/ ٢٠٢.

(٥) انظر: ص ٢١٦، ٢١٧ من الرسالة.

وبين التوبة[1].

فعقوبتهم في الدنيا أن يموتوا على غير توبة[2]، وأما في الآخرة فلا يُقال بتخليدهم في النار؛ للأصل المجمع عليه عند أهل السنة والجماعة، وهو أنّ ما دون الكفر لا يُخلّد صاحبه في النار، وإنّما هو تحت المشيئة، فإن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عذّبه[3].

القول الثاني: إنّهم يموتون على الكفر، فيعذّبهم الله عذاباً أبدياً، وعليه فيكون انهزامهم بسبب نفاقٍ أو رِدّةٍ، وممن قال به: الملا علي القاري رحمه الله [4].

وهذا القول يفتقر إلى دليلٍ صحيحٍ ينصُّ على وقوعهم في الكفر، ولم يذكره القائلون به، ولم أقف عليه، فظهر أنّ القول الأول هو الصواب، والله تعالى أعلم.

الأمر الثاني: حكمة التشديد في عقوبة من ينهزم في الملحمة الكبرى:

يلاحظ التشديد في عقوبة من ينهزم أمام الروم في الملحمة الكبرى؛ حيث نفى سبحانه توبته عليهم، ولله جلّ وعلا في ذلك حكمةٌ بالغةٌ، وهي وإن لم يأت النصّ عليها في الأحاديث إلا أنّه من الممكن تلمُّس شيءٍ منها، من خلال النظر في ثلاثة جوانب:

الجانب الأول: تشديد الشريعة الإسلامية في حكم التولي يوم الزحف.

نهى الله ﷻ في كتابه الكريم عن الفرار عند ملاقاة الكفار في الحرب فقال جلّ وعلا: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ

---

(١) انظر: الجواب الكافي: ٣٢، ومفتاح دار السعادة: ١/ ٤٧٤.

(٢) تجدر الإشارة إلى أنّ عدم توبة الله تعالى على المنهزمين في الملحمة لا يُعارض الأصل العام في قبول توبة التائبين، وذلك لأن هؤلاء المنهزمين لا يتوبون أصلاً؛ إذ يكلهم الله تعالى إلى أنفسهم، فلا يلهمهم التوبة عقوبة لهم.

(٣) للاطلاع على موقف أهل السنة من مرتكب الكبيرة انظر: كتاب التوحيد، ابن خزيمة: ٢/ ٨٣٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٦٧٤، ٢٠/ ٢٨٧-٢٩٠، وموانع إنفاذ الوعيد: ٢٠، ٢٠٢-٢١٢.

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٧، والأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى: ٣٣٦، وصراع النهاية: ٢٥.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾(1).

وعدّه النبي ﷺ من السبع الموبقات(2)؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، **والتولي يوم الزحف**، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(3).

وعن أبي أيوب الأنصاري(4) ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، ويُقيم الصلاة، ويُؤتي الزكاة، ويجتنب الكبائر كان له الجنة. فسألوه عن الكبائر؟ فقال: الإشراك بالله، وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف»(5).

قال العلامة صديق حسن خان رحمه الله: «يجب ثبات المسلمين يوم الزحف في مقابلة زحفهم

---

(1) سورة الأنفال: الآيتان (١٥، ١٦)، وانظر: حاشية السندي على سنن النسائي: ٦/ ٥٦٨، ونيل الأوطار: ٧/ ٢٥٧، والروضة الندية: ٢/ ٧٢٩، ٧٣٠، وقد استثنت الآية من النهي من تولّى إلى فئة المسلمين، أو تولى بقصد الاستعداد لهجوم آخر يكون أنكى في العدو، وذكر بعض أهل العلم حالات أخرى تُستثنى من النهي: مثل أن يكون الكفار أكثر من ضعفي عدد المسلمين، أو إذا علم أنه إن ثبت فسيُقتل من غير أن يُحدث نكاية في العدو، فلا حرج عليه حينها أن يفر، بل قد يجب ذلك عليه. انظر: الزواجر، الهيثمي: ٢/ ١٧٤، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ١/ ٤٨٠، ٤٨١، وفيض القدير: ١/ ١٩٩، وتيسير العزيز الحميد: ٣٤٠، وعون المعبود: ٧/ ٣٠٨.

(2) الموبقات هنّ كبائر الذنوب، وسميت موبقات؛ لأنها سبب لإهلاك مرتكبها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ١٤٦، وفتح الباري: ١٠/ ٤٢٣، ١٨٩، ٢٠٢، والزواجر: ١/ ٢٧.

(3) رواه البخاري في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات: ح٦٨٥٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها: ح٨٩.

(4) هو خالد بن زيد، من بني النجار: صحابيٌّ، شهد العقبة وسائر المشاهد، وهو الذي نزل النبي ﷺ ببيته حين هاجر إلى المدينة، كان في الجيش الذي غزا القسطنطينية مع يزيد بن معاوية، وتوفي هناك سنة ٥٢هـ. انظر: الاستيعاب: ٢/ ٩، ١٠، وأسد الغابة: ١/ ٢٠٨، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٤٠٢-٤١٣.

(5) رواه النسائي في كتاب الدم، ذكر الكبائر: ح٤٠٠٩، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي: ح٤٠٠٩.

من الكفار، والفرار حينئذ كبيرة»[1].

الجانب الثاني: التشديد الخاص في التخلف عن جهاد أهل الكتاب.

بالإضافة إلى تشديد الشريعة في النهي عن الفرار عند ملاقاة الكفار عموماً وعَدِّ الفارِّ لغير عذرٍ قد أوبق نفسَه؛ إذ عرّضها لسخط الله وعقابه، بمقارفته كبيرةً من كبائر الإثم، فإنها قد خصّت قتال أهل الكتاب بمزيد حضٍّ وتأكيد، حيث قال الله تعالى: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى أنّ سورة براءة التي نزلت في غزوة تبوك، حين توجّه النبي ﷺ إلى قتال الروم، بعد أن أذعنت أكثر قبائل الجزيرة العربية لحكم الله ورسوله ﷺ، قد جاء فيها ذمُّ الذين تخلّفوا عن جهاد النصارى، فقال رحمه الله: «أخذ ﷺ في غزو النصارى، فأرسل أولاً زيد بن حارثة[3]، وجعفر بن أبي طالب[4] وعبدالله بن رواحة[5]،

(١) الروضة الندية: ٢/ ٧٣٠، وانظر: الروض الأنف: ٧/ ٢٠٨.

(٢) سورة التوبة: آية (٢٩).

(٣) هو زيد بن حارثة الكلبي، كان مملوكاً لخديجة رضي الله عنها فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها، فتبنّاه النبي ﷺ -قبل الإسلام- ثم أعتقه وزوّجه بنت عمّته، وكان ﷺ يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها سنة ٨هـ. انظر: أسد الغابة: ١/ ٢٩٩، وسير أعلام النبلاء: ١/ ٢٢٠-٢٣٠، وتهذيب التهذيب: ٣/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٤) هو جعفر بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، صحابي من شجعانهم، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فقدم عليه وهو بخيبر سنة ٧ هـ، وكانت وفاته في سنة ٨هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٢/ ١٨٥، والاستيعاب: ١/ ٣١٢-٣١٥، وأسد الغابة: ١/ ١٦٨.

(٥) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية، وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة فاستشهد فيها سنة ٨هـ. انظر: الثقات، ابن حبان: ٣/ ٢٢١، والاستيعاب: ٣/ ٣٣-٣٦، وأسد الغابة: ٣/ ٢٠٢-٢٠٤.

في جيشٍ فقاتلوا النصارى بمؤتة[١] من أرض الكرك[٢]، ثم إنّه بعد هذا غزا النصارى بنفسه، وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة، ولم يأذن في التخلف عنه لأحدٍ، وغزا في عشرات ألوفٍ غزوة تبوك، فقدم تبوك وأقام بها عشرين ليلةً؛ ليغزو النصارى عربهم وورومهم وغيرهم، وأقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به وأحجموا عن قتاله، ولم يقدموا عليه. وأنزل الله تعالى في ذلك أكثر سورة براءة، وذمّ تعالى الذين تخلّفوا عن جهاد النصارى ذمّاً عظيماً، والذين لم يروا جهادهم طاعةً جعلهم منافقين كافرين لا يغفر الله لهم إذا لم يتوبوا، وقال لنبيه ﷺ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[٣]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[٤]، فإذا كان هذا حكم الله ورسوله فيمن تخلّف عن جهادهم إذ لم يره طاعةً، ولا رآه واجباً، فكيف حكمه فيهم أنفسهم»[٥].

ويُحتملُ أن يكون تشديد الشريعة في التخلف عن جهاد أهل الكتاب، راجعاً إلى كونهم إنّما يقاتلون لنصرة دين باطلٍ بخلاف من يقاتل لأجل الدنيا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وذلك لأنّ هؤلاء -أي أهل الكتاب- يقاتلون على دين، وأما الكفار الترك ونحوهم، فلا يقاتلون على دين، فإذا غَلَبُوا أولئك -أي أهل الكتاب- أفسدوا الدين والملك، وأما الترك فيفسدون الملك وما يتبع ذلك من الدين، ولا يقاتلون على الدين»[٦].

---

(١) مُؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وبها كانت تطبع السيوف، وقد بعث النبي ﷺ إليها جيشاً في سنة ثمان. انظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٤/ ٣٧٧، ومعجم البلدان: ٥/ ٢٥٤، ٢٥٥، ومراصد الاطلاع: ٣/ ١٣٣٠.

(٢) الكَرَك: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام، وهي على سنّ جبلٍ عالٍ. انظر: معجم البلدان: ٤/ ٥١٤.

(٣) سورة المنافقون: آية (٦).

(٤) سورة التوبة: آية (٤٨).

(٥) الجواب الصحيح: ١/ ٣٠٠- ٣٠٢ «باختصار»، وانظر: ٢/ ٣٧٨.

(٦) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٧/ ٥٣، وانظر: المغني: ١٣/ ١٣، والجواب الصحيح: ١/ ٣٠١، ٣٠٢، ٢/ ٣٧٨.

الجانب الثالث: خصوصية التولي في الملحمة الكبرى.

وبيان ذلك في ثلاث نقاط:

الأولى: أنّ الملحمة الكبرى هي أعظم وأقوى المواجهات الحربية بين المسلمين والنصارى على وجه الأرض؛ إذ يجتمع فيها النصارى، وقد جمعوا كل ما يمكن جمعه لاستئصال الإسلام من جزيرة العرب!، مأرز الإيمان، ومهبط الوحي، فإمَّا قضاءً على قوى الغدر والظلم والعدوان الصليبية، وإمَّا قضاءً على الإسلام وأهله!

الثانية: أنّ النصارى في هذه الملحمة قد خرجوا حميّة للصليب ونصرةً له، وجمعوا لهذا الغرض مئات الآلاف من المقاتلين، وخرج المسلمون حميّةً لله، ونصرةً له، ودفاعاً عن مقدسات المسلمين، وأرضهم وديارهم، ونسائهم وأطفالهم أن يسبيهم عُبّادُ الصليب!.

وفي هذا الموطن العظيم تُراق الدماء، وتُقدّمُ الأنفس لله تعالى، ولذا كان من سمات هذه الملحمة أنّ فيها عطفةٌ قويّةٌ على الأعداء، ورغبةٌ أكيدةٌ في القتال، فتخرج الشُرطة من المسلمين تلو الشُرطة، يتعاهدون أن لا يرجعوا إلا غالبين، ويصدقون الله فيصدقهم إذ يتقبّلهم، فيجعلهم أفضل الشهداء، ويعصم الثابتين منهم من مضلات الفتن.

الثالثة: أنّ يوم الملحمة الكبرى، يومٌ عظيمٌ من أيّام الله، حيث خلت الأرض من القوى الظاهرة، إلا من قوّتين: المسلمين والروم، وفي انتصار الروم تسلّطٌ لهم على كامل بلاد المسلمين، والله تعالى قد وعد أن لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً فقال سبحانه: ﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (1).

فالفرار في معركةٍ بهذه الأهمية، هو خذلانٌ للإسلام والمسلمين، وإيثارٌ للدنيا على الدين، وهؤلاء المنهزمون قد أحدثوا شرخاً في صفوف أهل الإسلام، وقد يكون انهزامهم أحد أسباب وقوع كثرة القتل في صفوف المسلمين، ومن ثم كانت عقوبة من يفر في هذا اليوم أن لا يتوب

(1) سورة النساء: آية (١٤١).

الله عليه أبداً، نسأل الله تعالى برحمته أن يجنبنا غضبه وعقابه، وأن يثبّتنا على دينه، ويعصمنا من الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

- **الفرع الثاني: استشهاد ثلث الجيش الإسلامي، وانتصار الثلث.**

يُكْرِمُ الله تعالى ثلث الجيش الإسلامي بالشهادة، ويرفعهم مكاناً عليّاً، بأن يجعلهم أفضلَ الشهداء، لما تقدّم من قوله ﷺ: «ويُقتلُ ثلثهم أفضل الشهداء عند الله»(١).

ومن مات من شُرط المسلمين الثلاث التي تعاهد أفرادها أن لا يرجعوا إلا غالبين، يدخلون في هذا الوعد دخولاً أولياً، ثم يلحق بهم من يتخذه الله شهيداً في اليوم الرابع.

وباستشهاد ثلث الجيش الإسلامي، وانهزام ثلثه، فإنّه سيبقى الثلث، وهؤلاء هم الذين ينتصرون في الملحمة، فيكرمهم الله تعالى بأنهم لا يُفتنون أبداً، لما تقدّم في قوله ﷺ: «ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبداً»(٢).

أي لا يُبتلون ببليّة، ولا يُعذّبون، ويحتمل أن لا يُفتنوا عند الموت ولا في قبورهم، وفيه إشارة إلى حسن خاتمتهم(٣).

فيجتمع الثلث المنتصرون؛ ليبحث كلٌّ عن أهله وقرابته، «فيتعادّ بنو الأب كانوا مائةً، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأيِّ غنيمةٍ يُفرح أو أي ميراثٍ يُقاسم»(٤)!!.

- **الفرع الثالث: انهزام النصارى وتشتت أمرهم.**

تقدّم أن الحرب ترفع أوزارها، وقد غُلبت الروم!.

غُلبت الجيوش العظيمة، على أيدي كتائب الإيمان، وقُتل عُبّاد الصلبان مقتلة لم يُر مثلها،

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٣) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٠٧.

(٤) تقدّم تخريجه: ص ٢٠٣.

فما أغنت عنهم صُلبانهم، وما كانوا مهتدين.

تنتهي الملحمة الكبرى وقد أسفرت عن زوال هيبة الروم ذات القرون(١)، وتشتُّت أمرهم، **وبداية هلاك قيصر**(٢)؛ فلا قيصر بعده؛ لما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله»(٣).

فهذا الحديث ينصُّ على هلاك كسرى وقيصر، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله لكنّ الواقع يشير إلى زوال ملك كسرى زمن الصحابة ﷺ، وبقاء ملك قيصر وراء بلاد الشام، مما يبعثُ على التساؤل عن وجه الجمع بين الحديث القاضي بهلاكهما، وبين الواقع الدال على تأخر هلاك قيصر؟

وللجواب عن ذلك يُقال: إنّ العلماء اختلفوا في الجمع بين هذا الحديث وبين بقاء قيصر وراء الشام إلى قولين(٤):

القول الأول: إنّ المقصود بالحديث: خلوّ أرض فارس من كسرى، والشام من قيصر.

قال أصحاب هذا القول: إنّ كسرى قد مزق ملكه بأرض العراق وفارس إلى الأبد، وأما قيصر فتنحّى عن بلاد الشام، وثبت ملكه ببلاد الروم.

واستدلوا على ذلك بأن الحديث له سبب، وهو أن قريشاً كانت معيشتها من تجارتها في الشام والعراق، فلما أسلمت خافت أن تنقطع تجارتها بأن يَحُوْلَ الكفرة في تلك البلاد بينهم وبينها،

---

(١) سيأتي الحديث عن الروم ذات القرون. انظر: ص ٢٢٤ من الرسالة.

(٢) قيل بداية هلاكه، لأن تمام هلاكه سيكون بفتح القسطنطينية وروما، والله تعالى أعلم.

(٣) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ح٣٦١٨، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت: ح ٢٩١٨.

(٤) انظر: الأم: ٥/ ٣٩٧-٣٩٩، ومختصر المزني: ٢٧٦، وشرح مشكل الآثار: ١/ ٤٤٦-٤٥١، والحاوي الكبير: ١٤/ ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ودلائل النبوة: ٤/ ٣٩٣، وسنن البيهقي الكبرى: ٩/ ٣٠٦، ومعرفة السنن والآثار: ٧/ ١٠٥-١٠٧، والجواب الصحيح: ٦/ ٩٧.

فذكرت ذلك للنبيّ ﷺ، فأخبرهم بما فهموا معه أنّ العراق ستخلو من كسرى كما أنّ الشام ستخلو من قيصر.

قال الإمام البيهقي[1] رحمه الله: «إنما أراد هلاك قيصر الذي كان ملك الشام وتنحية ملك الأقاصرة عنها»[2].

وأخذ الإمام ابن كثير رحمه الله من هذا الحديث أن الروم لا يملكون جميع بلاد الشام إلى آخر الدهر، فقال رحمه الله: «وقد حرّم الله على الروم أن يملكوا بلاد الشام برُمّتها إلى آخر الدهر[3] ... وسيكون ما أخبر به جزماً لا يعود ملك القياصرة إلى الشام أبداً[4]؛ لأنّ قيصر علم جنسٍ عند العرب يُطلق على كلِّ من ملك الشام مع بلاد الروم، فهذا لا يعود لهم أبداً[5]»[6].

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، قال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف، توفي سنة ٤٥٨هـ. انظر: وفيات الأعيان: ١/ ٧٥، ٧٦، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ٤٤٥-٤٤٧.

(٢) دلائل النبوة: ٦/ ٣٢٥.

(٣) والمقصود والله تعالى أعلم المُلك الأبدي.

(٤) وهذا لا يعارض تقدمهم في الملحمة إلى قرب حلب؛ لأنهم يدخلونها دخول حرب يبادون فيها، وليس دخول تملك، كما لا يُشكل عليه فترة الاستعمار الحديث؛ لأنّها كانت فترة اضطراب، ولم تستمر طويلاً، والله أعلم.

(٥) جاء في كتب التاريخ أنّ هرقل لما شعر باقتراب الفتوحات الإسلامية من بلاد الشام، فرّ من سورية إلى القسطنطينية، وخاطب سورية قائلاً: «**عليك السلام يا سورية، سلاماً لا اجتماع بعده، ولا يعود إليك روميٌّ أبداً إلا خائفاً، حتى يولد المولود المشؤوم ويا ليته لا يولد، ما أحلى فعله وأمرّ عاقبته على الروم**» تاريخ الطبري: ٣/ ٦٠٣، قال ياقوت الحموي: «وهذا دليل على أن سوريا، هي بلاد الشام» معجم البلدان: ٣/ ٣١٧، وأما الغلام المشؤوم فهو الذي ذُكر في بعض الكتب أنه يجمع الروم للملحمة الكبرى مع المسلمين، وقد وصف هرقل فعل الغلام بالحلاوة؛ لأنّه يجمع الروم على نصرة الصليب، والقضاء على العرب، إلا أن عاقبة فعله ستكون مُرّةً على الروم، إذ يُقضى فيها على دولتهم، وتُفتح القسطنطينية، انظر: فتوح البلدان: ١/ ١٣٦، وكتاب الفتن: ح١١٦٥، ١٢٣٩، ومستدرك الحاكم: ٤/ ٤٢١، ٤٦٣، ومعجم البلدان: ٣/ ٣١٧، والكامل في التاريخ: ٢/ ٤٩٣، ٤٩٤، والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله: ٣/ ٢١٣، وبغية الطلب: ١/ ٧٩، والبداية والنهاية: ١٩/ ١٠٧.

(٦) البداية والنهاية: ٩/ ٦٥٢.

القول الثاني: تعجيل هلاك كسرى وتأخير هلاك قيصر بسبب موقفهما من كتب النبي ﷺ.

جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ لما كتب إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام، مزّق كسرى الكتاب، «فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»(١)، فلم يكن بعده كسرى بخلاف قيصر الذي أكرم كتاب النبي ﷺ فثبت ملكه دهراً، وتأخر هلاكه إلى قبيل الساعة، عندما تفتح القسطنطينية بعد الملحمة(٢).

وقد رجّح هذا القول، الإمام الطحاوي رحمه الله(٣)، واستدلّ على ترجيحه له بدليلين:

الأول: قول النبي ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لتنفقنّ كنوزهما في سبيل الله»(٤).

قال رحمه الله: «فقد أنفق كنز كسرى في ذلك، ولم يُنفق كنز قيصر في مثله إلى الآن ولكنه سينفق في المستأنف في مثل ذلك؛ لأنّ قول رسول الله ﷺ إنّما هو عن الله تعالى ولا يخلف الميعاد»(٥).

والثاني: قوله ﷺ: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله». قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم(٦).

قال رحمه الله: «فأخبر رسول الله ﷺ أن فتح الروم المقرون بفتح كسرى لم يكن وأنه كائن، وأن كونه إذا كان، ككون فتح كسرى الذي قد كان»(٧).

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر: ح٤٤٢٤.

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار: ١/ ٤٤٥، والحاوي الكبير: ١٤/ ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ودلائل النبوة: ٤/ ٣٨٧-٣٩٤، وسنن البيهقي الكبرى: ٩/ ٣٠٦، ومعرفة السنن والآثار: ٧/ ١٠٥-١٠٧، والجواب الصحيح: ٦/ ٩٧.

(٣) انظر: شرح مشكل الآثار: ١/ ٤٤٩.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٢١.

(٥) شرح مشكل الآثار: ١/ ٤٤٩ «بتصرّف».

(٦) تقدم تخريجه: ص ١٨٢، ١٨٣.

(٧) شرح مشكل الآثار: ١/ ٤٥٠.

وتأخير هلاك قيصر مناسبٌ لما جاء في حديث التابعي عبدالله بن محيريز[1] رحمه الله -الذي يُستأنس به ويشهد له الواقع[2]- قال: قال رسول الله ﷺ: «فارسٌ نَطْحةٌ أو نطحتان، ثم لا فارس بعدها أبداً[3]، والروم ذات القرون[4]، أصحاب بحرٍ وصخرٍ، كلما ذهب قرنٌ خلف قرن مكانه، هيهات إلى آخر الدهر، هم أصحابكم ما كان في العيش خير[5]»[6].

---

(١) هو عبدالله بن محيريز القرشي، كان من العبّاد، وكان الأوزاعي لا يذكر خمسةً من السلف إلا ذكر فيهم ابن محيريز، ورفع من ذكره وفضله، وقال: من كان مقتدياً فليقتد بمثل ابن محيريز، توفي سنة ٩٩هـ. انظر: الثقات: ٥/ ٦، وتهذيب الكمال: ١٦/ ١٠٦-١١١، والإصابة: ٦/ ٤٤، وتهذيب التهذيب: ٨/ ٤٨٢.

(٢) انظر: إتحاف الجماعة، التويجري: ٣/ ٢٢٩.

(٣) أي إنّ فارس تقاتل المسلمين مرة أو مرتين فيبطل ملكها ويزول أمرها، وذهب بعض أهل العلم إلى أن هاتين المرتين هما: القادسية ونهاوند. وانتهاء ملك فارس في نطحة أو نطحتين لا يلزم منه زوال الفرس بالكلية، بل يضعف شأنهم، وينضمر سلطانهم، وتنكسر شوكتهم، فلا يكون لهم تسلط على العالم. انظر: لسان العرب: ٨/ ٥٩٧، والمطالب العالية، ابن حجر: ٩/ ١٩٢، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ١٦٦، وفيض القدير: ٤/ ٥٥٣، ٥٥٤، والفتن والمحن بين يدي الساعة: ٣٠٩، ومحاضرة بعنوان: لماذا نستدعي أمريكا؟، مفرّغة ومنشورة في موقع الدكتور سفر الحوالي على شبكة الانترنت، وهكذا ظهر جيل صلاح الدين، للكيلاني: ٤٠٩.

(٤) اختلف العلماء في المقصود بقرون الروم، ويظهر من سياق الحديث أنّ النبيّ ﷺ أراد أنّه كلّما هلك جيلٌ خلفه جيل، فهم الذين تستمر مدافعتهم للمسلمين إلى قرب قيام الساعة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٥١، ولسان العرب: ٧/ ٣٣٨، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ١٦٦، وصدام الحضارات: ٣٤٣.

(٥) أي سيبقون معكم وستستمر الحرب بينكم مادام في العيش خير، وقيل: إنهم يسالمونكم ويصاحبونكم ما دمتم أقوياء متمسكين بدينكم، وأما عند ضعفكم فإنهم لا يأبهون لكم. انظر: الفتن والمحن بين يدي الساعة: ٣٠٩، وهكذا ظهر جيل صلاح الدين: ٤٠٩.

وجاء في حديث المستورد رضي الله عنه أنّه سمع النبي ﷺ يقول: «**أشدّ الناس عليكم الروم وإنّما هلكتهم مع الساعة**» رواه أحمد في مسنده: ح١٨٠٢٣، والبيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ٣٣٥، وقال الهيثمي: «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: ٦/ ٢١٢، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ح١٨٨١، وحسنه العسود في الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى: ١٢٨-١٣١.

(٦) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح١٩٦٨٨، والحارث كما في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ح٧٠٢، وقال ابن قتيبة: «هذا حديث منقطع فإن صح فهو ما قال ﷺ» غريب الحديث: ١/ ٢٦٠، وضعّف إسناده: المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ١٦٦، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ح ٣٩٩٩، وضعيف الجامع: ح ٣٩٥٤، وقال حمود التويجري: «رواه: ابن أبي شيبة، والحارث بن أبي أسامة مرسلاً. والواقع يشهد له بالصحة» إتحاف الجماعة: ٣/ ٢٢٩، وحسّنه وائل العسود في الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى: ١٤٣-١٤٥، على اعتبار أن محيريز تابعي كبير ثقة.

والمقصود أنّ الملحمة الكبرى ستفتح الطريق لتحرير سائر بلاد الروم من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

***

المطلب الثالث: فتح القسطنطينية:

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

- **التمهيـــــــد:**

جاء في بعض الأحاديث النبوية الترغيب في غزو القسطنطينية، وضمّها إلى حياض المسلمين، فعن أمّ حرام[1] رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا[2]. قالت أم حرام قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم. ثم قال النبي ﷺ: أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا»[3].

فأما أول غزوة في البحر فهي غزوة قبرص، وكانت سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، فصالح أهلها وبنى بها مسجداً، **وأما مدينة قيصر فهي القسطنطينية**، وأول من غزاها جيش يزيد بن معاوية[4]، في خلافة أبيه معاوية ﷺ سنة ثنتين وخمسين، وقيل غير ذلك، فحصل لمن غزاها أجر الغزو، بيد أنها لم تفتح[5].

ولم يتمكن المسلمون من فتحها **الفتح الأول** إلا في يوم الأربعاء الموافق للعشرين من جمادى

---

(١) هي أم حرام بنت ملحان بن خالد النجارية الأنصارية، صحابية، كانت تخرج مع الغزاة، وتشهد الوقائع، وحضرت فتح قبرص فسقطت عن بغلتها فاندق عنقها، فماتت ودفنت في الجزيرة، وذلك سنة ٢٧هـ. انظر: الاستيعاب: ٤/ ٤٨٤، ٤٨٥، وأسد الغابة: ٦/ ١٤٦، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ٣١٦، ٣١٧.

(٢) أي فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنّة. انظر: كشف المشكل: ٤/ ٤٦٨، وفتح الباري: ٦/ ١٢١.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم، ح٢٩٢٤.

(٤) هو يزيد بن معاوية الأموي: ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام، وأوسط الأقوال فيه أنّه أحد ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، وأنّه لا يُسبّ ولا يُحبّ، كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وقد توفي سنة ٦٤هـ. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ٣٩٢، وميزان الاعتدال: ٧/ ٢٦٢، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٥-٤٠.

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال: ٥/ ١٠٧، والجواب الصحيح: ٦/ ١١٨، والبداية والنهاية: ٩/ ٢١٧، ١٩/ ٩، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٤، وفتح الباري: ٦/ ١٢٠، ١٢١، ١١/ ٧٦-٧٨، وعمدة القاري: ١٤/ ١٩٨، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ١/ ٣٨٩، وفيض القدير: ٣/ ١٠٩، وشرح الزرقاني: ٣/ ٥٧.

الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة للهجرة، على يد السلطان العثماني: محمد الفاتح، حيث سيّر إليها الجيوش برّاً وبحراً، وحاصرها خمسين يوماً أشدّ الحصار وضيّق على من فيها من الكفّار، حتى فتحها في اليوم الحادي والخمسين، وصلّى في أكبر كنائس النصارى -وهي أياصوفيا- صلاة الجمعة، وبعد فتحها جُعلت عاصمةً للدولة العثمانية[(١)].

- **الفرع الأول: الفتح الأخير للقسطنطينية بعد الملحمة الكبرى:**

جاء في الخبر الصحيح عن النبي ﷺ أنّ ثلث الجيش الإسلامي الذي سينتصر في الملحمة الكبرى، سيتجهون إلى القسطنطينية فيفتتحونها، فقال ﷺ: «ويفتتح الثلث لا يُفتنون أبداً؛ فيفتتحون قسطنطينية»[(٢)].

وفي هذا الحديث دليلٌ على أنّ القسطنطينية ستعود إلى سلطان الروم قبل الملحمة، فيحتاج المسلمون إلى فتحها مرةً أخرى.

قال الشيخ صفيّ الرحمن المباركفوري: «هذا فتحٌ آخر لها على أيدي المسلمين غير الفتح الذي قام به السلطان محمد الفاتح العثماني، فإنّ هذا الفتح يحصل للمسلمين في آخر الزمان قرب خروج الدجال»[(٣)].

ولعل هذا الفتح الثاني هو المراد بقول أنس بن مالك[(٤)] ﷺ -الذي له حكم الرفع-: «فتح

---

(١) انظر: شذرات الذهب: ٧/ ٣٤٤، وسمط النجوم العوالي: ٤/ ٧٩، وإتحاف الجماعة: ١/ ٤٠٣، ٤٠٤، وتاريخ الدولة العلية العثمانية: ٥٩-٦١،

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٣) منّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٥١.

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، له (٢٢٨٦) حديثاً، رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، وكان آخر الصحابة موتًا بها في سنة ٩٣ هـ. انظر: الاستيعاب: ١/ ١٩٨-٢٠٠، وسير أعلام النبلاء: ٣/ ٣٩٥-٤٠٦، والإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٢٧٥-٢٧٨.

القسطنطينية مع قيام الساعة[1]»[2].

وثبت عن النبي ﷺ أنّ الفتح الأخير للقسطنطينية، يكون بكرامةٍ من الله تعالى يُكرم بها عباده الذين لا يُفتنون؛ فييسرُ لهم فتحها بالتهليل والتكبير.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منها في البر وجانبٌ منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق[3]، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاحٍ ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط أحد جانبيها. قال ثورٌ[4]: لا أعلمه -أي أبا هريرة- إلا قال الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ، فقال: إنّ الدجال قد خرج فيتركون كلّ شيءٍ ويرجعون»[5].

(١) أي مع قرب قيام الساعة. انظر: تحفة الأحوذي: ٦/ ٤٩٨.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في علامات خروج الدجال: ح٢٢٣٩، والبيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ٣٣٥، وصحح الألباني إسناده موقوفاً في صحيح سنن أبي داود: ح٢٢٣٩.

(٣) قال الإمام القرطبي رحمه الله: «هكذا صحّت الرواية عند الجميع وفي الأمّهات» المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ٢٤٨، ٢٤٩، وسيأتي الحديث عن فتح بني إسحاق للقسطنطينية في ص ٢٣٠.

(٤) هو ثور بن زيد الديلي المدني، وهو صدوق، وقيل: ثقة، صالح الحديث، توفي سنة ١٣٥هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٢/ ١٨١، والثقات، ابن حبان: ٦/ ١٢٨، ١٢٩، وتهذيب التهذيب: ٢/ ٢٩، ٣٠.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء: ح٢٩٢٠.

ويظهر أنّ هذه المدينة هي القسطنطينية[1]، كما قرّر ذلك الأئمة: الحاكم[2]، وابن الجوزي[3]، والنووي[4]، وابن كثير[5]، والسخاوي[6] رحمهم الله تعالى.

ويدلّ على صحّة كلامهم أنّ النبي ﷺ قال في المدينة التي جانبٌ منها في البر وجانب منها في البحر -كما في الحديث السابق-: «فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا فبينما هم يقتسمون المغانم إذ **جاءهم الصريخ، فقال: إنّ الدجال قد خرج**، فيتركون كلّ شيءٍ ويرجعون»، **وبمعنى هذا النص جاء في فتح القسطنطينية**، حيث قال ﷺ: «ويفتتح الثلث -أي ينتصرون في الملحمة الكبرى- لا يُفتنون أبداً؛ فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: **إن المسيح قد خلفكم في أهليكم**، فيخرجون وذلك باطلٌ فإذا جاؤوا

---

(١) ذهب الملا علي القاري إلى أنّ هذه المدينة ليست القسطنطينية، فقال: «يحتمل أنها مدينة غيرها، بل هو الظاهر؛ لأن قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير، وهذه المدينة تفتح بمجرد التهليل والتكبير» مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٤، وكلامه مُتعقّب بأنّ القسطنطينية سبق أن فُتحت بالقتال على يد محمد الفاتح، وأمّا هذا الفتح المذكور هنا، فهو فتح آخر يكون في آخر الزمان، بعد الملحمة وقُبيل الدجال، والله أعلم. وذهب آخرون إلى أن هذه المدينة هي روما، وهو وإن كان وصف المدينة الوارد في هذا الحديث يصدق عليها أيضاً، إلا أنّ كونها القسطنطينية هو الذي يترجح بدلالة ما سيأتي من الجمع بين هذا الحديث وحديث فتح القسطنطينية، وبمثل ذلك يُرد على من احتمل أن تكون مدينة البندقية. انظر: الإشاعة، البرزنجي: ٩٥- ٩٧، والأرض المقدسة للعلي: ٢٠١، ٢٠٢، والفتن والمحن بين يدي الساعة: ٣٢٩ «الحاشية: ٧٥»، ٣٦٠، والقيامة الصغرى للأشقر: ٢٣٠، ونبوءات الرسول ﷺ: ١٢٠.

(٢) انظر: المستدرك على الصحيحين: ٤/ ٤٧٦.

والحاكم: هو الحافظ الكبير إمام المحدّثين: محمد بن عبدالله النيسابوري، الشهير بالحاكم، أبو عبدالله، توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر: وفيات الأعيان: ٤/ ٢٨٠، ٢٨١، وتذكرة الحفاظ: ٤/ ١٥٥-١٥٧، وسير أعلام النبلاء: ١٧/ ١٦٢-١٧٧.

(٣) انظر: كشف المشكل: ٣/ ٥٥٢.

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٦٢.

(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٧٤.

(٦) انظر: القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة: ١١٦.

وهو العلامة محمد بن عبدالرحمن السخاوي، مؤرخ حجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب، توفي بالمدينة النبوية سنة ٩٠٢هـ. انظر: الضوء اللامع: ٨/ ٢-٣٢، والبدر الطالع: ٢/ ١٨٤-١٨٧، والأعلام: ٦/ ١٩٤.

الشام خرج»[1]، ولا يُعقل أنّ الشيطان يصرخ فيهم بخروج الدجال مرتين في مدينتين وفي كلِّ مرّةٍ يتركون غنائمهم ويرجعون!!، والله تعالى أعلم.

والمقصود: أنّ المسلمين بعد أن ينتهوا من الملحمة يتجهون إلى القسطنطينية فينزلون حواليها محاصرين لأهلها، فيهلّلون ويكبّرون، فيسقط أحد جانبي المدينة، أي يسقط أحد طرفي سورها، وهو الذي في البحر كما رجحه الراوي، ثم يهللون ويكبرون المرة الثانية فيسقط جانبها الآخر الذي في البر، ثم يهللون ويكبرون الثالثة فيُفتح لهم فيدخلوها فيغنموا ما فيها من الأموال وغيرها[2].

ويحتمل -والله تعالى أعلم- أنّ هذا الفتح الثاني للقسطنطينية هو الذي يعقبه فتح روما، كما في حديث عبدالله بن عمروٍ رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتبُ إذ سُئل رسول الله ﷺ أيُّ المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو روميّة؟[3] فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أوّلاً. يعني قسطنطينية»[4].

- **الفرع الثاني: الإشكال في نسبة فتح القسطنطينية الأخير لبني إسحاق.**

تقدّم أنّ الروم حين تتحرّك للقضاء على عرب الجزيرة العربية، يخرج لملاقاتهم جيشٌ من

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٤.

(٣) «رومية» هي روما، وهي عاصمة إيطاليا اليوم، **وقد نص الحديث على فتحها بعد القسطنطينية**، ولكن لم يرد أي إشارة إلى طريقة هذا الفتح، ولا على يد من يكون، بيد أنّ الإشارة في الأحاديث الصحيحة إلى أنّ الدجال يخرج بعد فتح القسطنطينية، فيه ما يُشعر أن فتح روما قد يتأخر إلى بعد الخلاص من فتنته، ولاسيما وأنّ عيسى عليه السلام بعد أن يقتل الدجال، يقوم بالقضاء على ما تبقى من شعائر النصرانية؛ وهذا يعني أنه يطوف بلاد النصارى، فلعل روما تكون منها، ولعل تأخير فتحها ليكون على يد المسيح عليه السلام أبلغ في القضاء على النصرانية، لأنّها من أكبر معاقلها، إن لم تكن أكبرها، ففتحها على يد عيسى عليه السلام له أثره العظيم على النصرانية وأهلها، كما كان لفتح مكة على يد النبي ﷺ أثره العظيم على قريش وسائر العرب، والله تعالى أعلم.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ح٦٦٤٥، والحاكم في المستدرك، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥٠٨، ٥٥٥، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة» مجمع الزوائد: ٦/ ٢١٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٤.

المدينة النبوية، وهؤلاء كلّهم أو أكثرهم من العرب بني إسماعيل ﷺ، والثلث الباقي من هذا الجيش هم الذين يفتتحون القسطنطينية، لما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق **فيخرج إليهم جيش من المدينة** من خيار أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، **ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً؛ فيفتتحون قسطنطينية**»[1].

ولكن جاء في حديث أبي هريرة ﷺ -المتقدّم في الفرع السابق- ما يوهم التعارض مع هذا الحديث، لأنّه نصَّ على أنّ القسطنطينية يغزوها سبعون ألفاً من بني «إسحاق»[2]، حيث جاء في أوله أنّ النبي ﷺ قال: «سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق»[3].

ووجه الإشكال: هو في تعيين جنس الفاتحين هل هم من العرب أبناء إسماعيل «الجيش المدني»؟ أم من «بني إسحاق»؟.

وللعلماء في الجواب عن هذا الإشكال قولان:

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، وهو أخو إسماعيل ﷺ، وقد ولد لإسحاق ولدان هما: يعقوب «إسرائيل» وإليه ينتسب اليهود، والعيص وهو أبو الروم، ويُقال إن العيص تزوج بسمة بنت عمّه إسماعيل، فولدت له الروم. انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٣١٦-٣٢١، وتهذيب اللغة: ٢/ ١٣٣٣، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١/ ٣٠٤-٣٠٨، والبداية والنهاية: ١٩/ ١٠٣.

(٣) تقدّم تخريجه: ص ٢٢٨.

القول الأول: إنّ الذين يفتتحون القسطنطينية هم العرب من ذرية إسماعيل عليه السلام.

وهو قول: الإمام القرطبي[1]، والقاضي عياض[2]، والإمام النووي[3]، والإمام السيوطي[4]، والعلامة صديق حسن خان[5]، رحمهم الله تعالى.

وقد اختلف أصحاب هذا القول في توجيه لفظة «بنو إسحاق» الواردة في صحيح مسلم إلى توجيهين:

التوجيه الأول: إن المراد بهم بنو إسماعيل، ونسبهم النبي ﷺ لعمّهم إسحاق.

وهو توجيه الإمام القرطبي رحمه الله حيث قال: «المراد بـ«بنو إسحاق» في الحديث العرب، ونسبهم إلى عمّهم. وأطلق عليهم ما يُطلق على ولد الأب، كما يُقال ذلك في الخال، حتى قد قيل: الخال أحد الأبوين»[6].

وقال بقية الأئمة السابق ذكرهم بـ:

التوجيه الثاني وهو: إنّ لفظة «بنو إسحاق» غير محفوظة، والمحفوظ هو «بنو إسماعيل»، وهو الذي يدلّ عليه سياق الأحاديث.

قال القاضي عياض رحمه الله: «كذا في سائر الأصول «بنو إسحاق». قال بعضهم: المعروف

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ٢٤٩.

(٢) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٨/ ٤٦٤.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٦٠-٦٢.

(٤) انظر: الديباج على مسلم: ٦/ ٢٣٦.

وهو العلامة عبدالرحمن بن أبي بكر الخيضري الشافعي، كان عالماً فاضلاً بارعاً في الحديث الشريف وغيره من العلوم، توفي سنة ٩١١هـ انظر: بدائع الزهور: ٤/ ٨٣، والكواكب السائرة: ١/ ٢٢٦، والأعلام: ٣/ ٣٠١، ٣٠٢.

(٥) انظر: السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: ١١/ ٣٢٥، ٣٢٦.

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ٢٤٩.

المحفوظ[1] «من بني إسماعيل». وهذا الذي يدلّ عليه الحديث وسياقه؛ لأنّه إنّما يعني العرب»[2].

قال الشيخ حمود التويجري[3] رحمه الله: «مما يدلّ على أنّه إنّما أراد العرب -وهم بنو إسماعيل- ما تقدّم في حديث ذي مخبر ﷺ: أنّ الروم يقولون لصاحبهم كفيناك حدّ العرب، ثم يغدرون ويجتمعون للملحمة. فدلّ هذا على أن الملحمة تكون بين العرب وبين الروم. وظواهر أحاديث هذا الباب تدلُّ على ذلك أيضاً، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذي يفتتحون القسطنطينية»[4].

القول الثاني: إن الذين يفتتحون القسطنطينية هم بنو إسحاق.

وهو قول: الإمام الطيبي[5] رحمه الله، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري[6]، والشيخ محمد

---

(١) يظهر أنَّ القاضي عياض لا يقصد المعروف والمحفوظ بمعناهما الاصطلاحي، وإنّما يقصد مطلق المخالفة الموجودة في رواية «بنو إسحاق» لرواية «بنو إسماعيل» المعروفة عند المحدثين والمحفوظة عنهم؛ وذلك لأنّ المحفوظ هو: ما رواه المقبول مخالفاً لمن هو أدنى منه، والمعروف هو: ما رواه الضعيف مخالفاً لمن هو أضعف منه. والحديث صحيح ومن ثمّ فلا يُطلق عليه لفظ المعروف!، والله تعالى أعلم.
انظر: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ٦، وفتح المغيث: ٢/ ٦، ١٣، وقفو الأثر في صفو علوم الأثر، الحنفي: ١٨، وشرح شرح نخبة الفكر، القاري: ٣٣٠، ٣٣٧، ٣٣٨، واليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، عبدالرؤوف المناوي: ١/ ٢٨٠، ٢٨١، ومقدمة في أصول الحديث، عبدالحق الدهلوي: ٦١-٦٣، وإشكال وجوابة في حديث أبي هريرة ﷺ في الملاحم، سالم العمّاري: ٧.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٨/ ٤٦٤، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٦٠-٦٢، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٧/ ٢٤٩.

(٣) هو حمود بن عبدالله التويجري، أحد علماء نجد، أُلزم بتولّي القضاء في مدينة الزلفي وغيرها، حفظ القرآن ولم يتجاوز الحادية عشرة، توفي سنة ١٤١٣هـ. انظر: تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف: ١/ ١٥٤-١٥٦، وعلماء نجد خلال ثمان قرون: ٢/ ١٤١-١٤٥.

(٤) إتحاف الجماعة: ١/ ٤٠١.

(٥) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمّى بـ«الكاشف عن حقائق السنن»: ١٠/ ٨١.
والطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبدالله، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من عراق العجم، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، توفي سنة ٧٤٣هـ. انظر: الأعلام: ٢/ ٢٥٦.

(٦) انظر: منّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٦٥.

تقيّ العثماني[1]، واحتمله الإمام ابن كثير[2] رحمه الله .

قال الإمام الطيبي رحمه الله: «أي من أكراد الشام، وهم من بني إسحاق النبي عليه السلام، وهم مسلمون»[3].

وقال صفي الرحمن المباركفوري: «أراد بهم أهل الشام، ومعظمهم من بني إسحاق، وقليلٌ منهم من غيرهم، فعبّر عنهم ببني إسحاق تغليباً، وقد كان لإسحاق عليه السلام ولدٌ أكبر من يعقوب اسمه العيص، نشأت ذريّته في الشام وغير الشام، وقد أسلموا حين دخل المسلمون في بلادهم وافتتحوها. والله أعلم»[4].

وقال الشيخ محمد تقي العثماني: «لم أجد في الروايات الأخرى صريحاً أنّهم يكونون من العرب خالصةً. ولم لا يجوز أن يكون ذلك الجيش مشتملاً على عددٍ كبيرٍ من بني إسحاق قد اعتنقوا الإسلام؟ وعلى هذا فلا حاجة إلى القول بالوهم أو إلى التأويل الذي ذكره القرطبي والله أعلم»[5].

وفي تعليق الإمام ابن كثير رحمه الله على قول النبي ﷺ: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»[6]، قال: «وهذا يدلّ على أنّ الروم يُسلمون في آخر الزمان، ولعلّ فتح القسطنطينية يكون على يدي طائفةٍ منهم كما نطق به الحديث المتقدم أنّه يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، والروم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل»[7].

(١) انظر: تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم: ٦/ ١٧٢.

(٢) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٧٧.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمّى بـ «الكاشف عن حقائق السنن»: ١٠/ ٨١.

(٤) منّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٦٥.

(٥) تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم: ٦/ ١٧٢.

(٦) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس: ح٢٨٩٨.

(٧) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٧٤.

وقال الدكتور همّام عبدالرحيم سعيد وابنه الدكتور محمد: «والذي نراه من خلال الجمع بين الروايات: أنّ ذكر بني إسحاق صحيحٌ، ومقصودٌ لذاته، حيث ورد في الرواية السابقة عند مسلم بما معناه، أنّ قسماً كبيراً من الروم سيدخل الإسلام، فيأتي الروم فيطلبون التخلية بينهم وبين من أسلم منهم... ويظهر من خلال الحديث أنّ عدد الذين سيسلمون من الروم سيصل إلى سبعين ألفاً، وأنهم يشتركون مع المسلمين الآخرين بفتح القسطنطينية وروميّة، والله أعلم»(1).

وعلى هذا القول: فيُحتمل أن يكون «بنو إسحاق» هم السبي الذين طلب الروم أن يخلي المسلمون بينهم وبين الروم، أو أنهم يُسلمون بعد الهزيمة التي تقع لهم في الملحمة، فيكون فتح القسطنطينية على أيديهم، أو أنّهم من بعض أهل الشام الذين هم من ذرية إسحاق، وكونهم يغزونها، فهذا لا يعني أنّ غيرهم من العرب ونحوهم لا يغزونها أيضاً، **فالحديث إنما صرّح بعدد من يغزوها من بني إسحاق، ودلّ الحديث الآخر على أن ثلث الجيش الإسلامي سيفتتحها، وفيهم المهدي وعربٌ آخرون**(2)، وفي هذا جمعٌ بين النصوص، والله تعالى أعلم بالصواب.

- **الفرع الثالث: خروج المسلمين من القسطنطينية:**

جاء في الأحاديث أن المسلمين يفتتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون غنائمها، إذ صرخ فيهم الشيطان كاذباً بأنّ الدجال خرج وخلفهم في ذراريهم؛ فيتركون ما في أيديهم من الغنائم، ويُقبلون مسرعين إلى الأهل والأولاد لإنقاذهم من الدجال، ويُقدِّمون أمامهم عشرة رجالٍ، كلُّ واحدٍ منهم قد ركب فرساً، ليتأكدوا من صحّة الخبر، فإذا رجعوا إلى أهليهم بالشام علموا أنّ الخبر غير صحيح، وحينها يخرج الدجال(3).

---

(1) موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة: ٧٠٤.

(2) انظر: السنن الواردة في الفتن: ٦/ ١١٤١، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٧٤، والقناعة، السخاوي: ١١٧، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٤، وإتحاف الجماعة، التويجري: ١/ ٤٠١، وأشراط الساعة، الوابل: ٢١٥-٢١٧.

(3) انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٤، ٣١٥.

ومن الأحاديث الدالّة على ذلك:

١- حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنّ المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشام خرج»[(١)].

٢- حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «... ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون»[(٢)].

٣- حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال: «فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائةً، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجلُ الواحدُ، فبأي غنيمةٍ يُفرح أو أيُّ ميراث يُقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأسٍ هو أكبرُ من ذلك[(٣)]؛ فجاءهم الصريخ: إنّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم، ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعةً، قال رسول الله ﷺ: إنّي لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذٍ[(٤)]»[(٥)].

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٢) تقدّم تخريجه: ص ٢٢٨.

(٣) أي بحرب شديدةٍ أعظم على نفوسهم من الملاحم التي شهدوها، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٣٤.

(٤) قوله «على ظهر الأرض يومئذ» فيه احترازان مكاني وزماني، فالمكاني احتراز ممن هم في بطن الأرض من الأنبياء وكبار الصالحين، وممن هم في السماء كعيسى عليه السلام والملائكة المقربين، والاحتراز الزماني: احتراز ممن كان قبلهم من الرسل والصحابة ونحوهم، وممن يكون بعدهم كعيسى عليه السلام. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣١٣.

(٥) تقدّم تخريجه: ص ٢٠٣.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «يخرج -أي الدجال- عند فتح المسلمين القسطنطينية»[1].

ويؤخذ من هذه الروايات:

١- أنّ الأحداث المفرحة في الملاحم يحصل ما يفسد بهجتها، فَفَرَحُ المسلمين بانتصارهم في الملحمة الكبرى، أفسده كثرة القتلى فيهم، وفرحهم بفتح القسطنطينية أفسده صوت المستصرخ يستغيث بهم، ويخبرهم: أنّ المسيح الدجال قد خلفهم فقعد مكانهم فيمن وراءهم من أولادهم وأهليهم.

٢- أنّ وقوع ملاحم آخر الزمان، يوافق رجوع الناس إلى حالهم الأولى فيقاتلون بالسيوف، ويركبون الخيول، وتتقابل الجيوش وجهاً لوجه![2]، وتندثر وسائل الاتصال المعاصرة، والله تعالى أعلم.

٣- أنّه يحتمل أنّ المسلمين الذين يفتتحون القسطنطينية ليس لديهم علمٌ بأحاديث الملاحم التي تضمّنت أنّ الصارخ كاذبٌ، وأنّ الدجال لم يخرج بعد وإلا لما تركوا الغنائم وأرسلوا العشرة فوارس ليتأكّدوا من صحّة الخبر، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) فتح الباري: ١٣/ ٩٧.

(٢) وعليه فيُقال: إن ما زعمه بعضهم من أنّ الملحمة الكبرى تكون حرباً نووية، قولٌ بلا علم؛ لمخالفته للنصوص الثابتة. انظر: خروج يأجوج ومأجوج وزوال إسرائيل في مذبحة هرمجدون على أيدي أبناء النيل: ١٥١.

الفصل الثاني: الملحمة مع المسيح الدجال وأتباعه.

وفيه تمهيد وثلاثـــة مباحـــث: -

- تمـــهيـــد
- المبحث الأول: ظهور المسيح الدجال في آخر الزمان.
- المبحث الثاني: القضاء على المسيح الدجال وأتباعه.
- المبحث الثالث: أحوال العالم بعد القضاء على المسيح الدجال إلى وفاة عيسى عليه السلام.

تمهيد

يحسن قبل البدء بذكر خروج الدجال والقضاء عليه الإشارة بإيجازٍ إلى شيءٍ مما يتعلق بوجوب الإيمان بخروجه في آخر الزمان، وبعض ما جاء في وصفه والتحذير من فتنته، وذلك من خلال الأمور الثلاثة الآتية:

- **الأمر الأول: الاعتقاد بظهور المسيح الدجال في آخر الزمان:**

جاء التصريح بذكر المسيح الدجال في السُنة النبوية الثابتة، وكثرت الأحاديث الواردة في الإخبار بظهوره آخر الزمان، وتحذير الأمة منه، حتى بلغت حدّ التواتر كما نصّ على ذلك جمعٌ من أهل العلم[1].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «وتواترَ ذلك -أي الإخبار عن الدجال- عن سيد ولد آدم إمام الأتقياء ﷺ»[2].

ومن هذه الأحاديث: حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، وما من نبيٍ إلا وقد أنذره قومَه، ولكنّي سأقول لكم فيه قولاً، لم يقله نبيٌّ لقومه: إنّه أعورُ وإنّ الله ليس بأعورَ»[3].

ونصَّ العلماء على أنّ الإيمان بخروجه في آخر الزمان، أصل من أصول الاعتقاد، فقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ... والإيمان أنّ المسيح الدجال خارجٌ مكتوب بين عينيه كافر»[4].

(١) انظر: النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٢٧، ١٢٩، وإتحاف الجماعة: ٣/ ٨٦.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٢٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح٧١٢٧، واللفظ له، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، ح١٦٩.

(٤) طبقات الحنابلة، أبو يعلى: ١/ ٥٩، ٣/ ٤١، وانظر: الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري: ٢٦، ومتن العقيدة الطحاوية: ١٥، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، اللالكائي: ١/ ١٧٦-١٨٥، ولمعة الاعتقاد:٢٩، والمدخل، ابن بدران: ٥٦، ٧٤، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: ١٢١.

- **الأمر الثاني: وصف المسيح الدجال:**

وصف النبي ﷺ المسيح الدجال، وصفاً جامعاً مانعاً من الخطأ في تعيينه[1]؛ فذكر أنه شابٌّ، يهوديٌّ، عقيمٌ، أعور العينين، قصيرٌ، ضخمٌ، متباعد الساقين، يجمع في لونه بين البياض والسمرة، شعر رأسه كأنّه أغصان شجرةٍ، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، يقرأه كلُّ مسلم كاتب أو أمي.

فمن الأحاديث الدالّة على هذه الصفات، قول النبي ﷺ في الدّجال إنّه: «شابٌّ[2]»[3]،

---

(١) ثبت أن النبي ﷺ رأى المسيح الدجال على الحقيقة ليلة أسري به ورآه مرّةً أخرى في المنام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس ... ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس رؤيا منام ...» رواه أحمد في مسنده: ح٣٥٤٦، وصحح إسناده الطبري في تهذيب الآثار «مسند ابن عباس»: ١/ ٤٠٨، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ٥/ ٢٨، وقال الهيثمي رحمه الله: «رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن هلال ابن خباب قال يحيى القطان: أنه تغير قبل موته، وقال يحيى بن معين: لم يتغير ولم يختلط، ثقة مأمون» مجمع الزوائد: ١/ ٦٧، وحسنه الألباني في الإسراء والمعراج: ٧٥-٧٧، وعن عبدالله بن عمرٍ رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم ... ورأيت وراءه رجلاً جَعْدًا قَطَطًا أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِ من رأيت من الناس بابْنِ قَطَنٍ واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هذا المسيح الدجال» رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ح ٣٤٤٠، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ح١٦٩، واللفظ له.

(٢) جاء في بعض الروايات: «فإذا هم برجل موثق شديد الوثاق» رواه أحمد في مسنده: ح٢٧١٠١، وصحح الأرناؤوط إسناده في تحقيقه للمسند، وفي بعضها: «فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق» رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح٤٠٧٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٢٥٠٨، ويمكن الجمع بين هذه الروايات بأن يُقال رآه تميم وهو شيخ، فأخبر بما رآه، ووصفه النبي ﷺ بأنّه شابٌّ بوصفه هذا حاله عند خروجه آخر الزمان، والله تعالى قادرٌ على أن يبعثه شاباً، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال: ح٢٩٣٧، عن النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

«يهوديٌّ، عقيمٌ لا يولد له»[1]، «رجل أحمرُ[2] - وفي روايةٍ: «آدم[3]»[4] -، جسيمٌ، جعد الرأس[5]، أعور[6] العين اليمنى كأنّ عينه عِنبةٌ طافية[7]»[8]، «أعور العين الشمال عليها ظَفَرَةٌ[9] غليظة»[10]،

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد: ح٢٩٢٧.

(٢) رجل أحمر أي أبيض، والعرب تقول: امرأة حمراء أي بيضاء، وكانت العرب تطلق على العجم: الحمراء؛ لبياضهم ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤٣٧، ولسان العرب: ٢/ ٥٨٧، وسير أعلام النبلاء: ٢/ ١٦٨، والمسيح المنتظر، المقوشي: ٣/ ١٠٥٠.

(٣) الآدم هو الأسمر، وقيل: شديد السمرة، ويمكن الجمع بين الوصفين بأن يُقال: إنه متقارب بين الحمرة والأدمة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٣٠١، وكشف المشكل: ٢/ ٤٩١، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ح٢٣٦٨٤، وقال الهيثمي رحمه الله: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٢٩٣٤.

(٥) أي جعد الشعر وهو الذي فيه تقبض والتواء ضد البسط وهو المسترسل. انظر: طرح التثريب: ٥/ ١٠٠.

(٦) أصل العور: العيب، فكل واحدة من عيني الدجال عوراء من وجه. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥، وفتح الباري: ١٣/ ١٠١، ١٠٥، والديباج على مسلم: ١/ ١٨٢.

(٧) معنى عنبة طافية: أي ناتئة، وهي الحبة التي قد خرجت عن حد نبتة أخواتها من الحب فنتأت وظهرت، وجاء في لفظ لمسلم: «عنبة طافئة»: أي قد انطفأ نورها، فلا يبصر بها، وعليه فإن عينه اليمنى: قد جمعت بين نتوئها وبروزها، وبين انطفاء نورها، فهي جاحظة كأنها نخامة، عوراء لا يبصر بها. انظر: مشارق الأنوار: ٢/ ١١٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥، ١٨/ ٧٩، ٨٠، ولسان العرب: ٦/ ٤٥٨، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٢٧، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٣، ١٣/ ١٠٤، ١٠٥.

(٨) رواه البخاري في كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام، ح٧٠٢٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، ح١٦٩.

(٩) الظَفَرة: هي لحمة أو جلدة تغشى العين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٥٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٨٣، ٨٤، وفتح الباري: ١٣/ ١٠٥.

(١٠) رواه أحمد في مسنده: ح١٢١٤٥، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال: ٥٠، وفي رواية في المسند: «ممسوح العين اليسرى عليها ظَفَرةٌ» ح١٣٢٠٦، وصححها الألباني في صحيح الجامع: ح ١٦٠٦.

«قصيرٌ[1] أفحجُ[2]»[3]، «جُفَالُ الشَّعَرِ[4]»[5]،«كأن شَعَرَ رأسه أغصانُ شجرةٍ[6]»[7]، «كَأَنَّ رَأْسَهُ أَصَلَةٌ[8]»[9]، «مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ ثم تهجّاها: ك ف ر يقرؤه كلُّ مسلم»[10].

- **الأمر الثالث: التحذير من فتنة المسيح الدجال:**

لقد اعتنى النبي ﷺ عنايةً خاصةً بالتحذير من فتنة المسيح الدجال، حتى لَيُخيّل إلى من يستمع إلى شدّة تحذيره منه، أنّ الدجال قريبٌ من مسجده ﷺ[11]؛ وما ذاك إلا لأنّ فتنته «أعظم

---

(١) القصر في كل شيء: خلاف الطول، والجمع قصار؛ وعليه فالدجال قصير القامة. انظر: معجم مقاييس اللغة: ٥/ ٩٦، ولسان العرب: ٩/ ٣٨٠، وعون المعبود: ١١/ ٤٤٣.

(٢) الفحج هو تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة، والأفحج: هو الذي في رجليه اعوجاج، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٤١٥، ولسان العرب: ٧/ ٣١، وفتح الباري: ١٣/ ١٠٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح٢٢٨٦٤، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح٤٣٢٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٣٢٠.

(٤) الجُفال هو الكثير من كل شيء، وجُفال الشعر أي شعره كثير مجتمع، وشعر جفال أي منتفش. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٢٠٣، والنهاية في غريب الحديث: ١/ ٢٧٩، ٢٨٠، ولسان العرب: ٢/ ١٥٥.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال: ح٢٩٣٤.

(٦) أي أن شعر رأسه كثير متفرق قائم. انظر: فتح الباري: ١٣/ ١٠٨.

(٧) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٨) الأصلة: حيّةٌ ضخمة كبيرة الرأس قصيرة الجسم وفيها استدارة، وهي أخبث الحيّات، تثب على الفارس فتقتله، فرأسُ الدجال وشَعره قد جمع أنواع القبائح، وأصناف القذارة، حتى شابه أخبث الأفاعي، في سوء المنظر، والتوثب لإلحاق الأذى بالآخرين، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٥٢، ولسان العرب: ١/ ١٦٣، ١٦٤.

(٩) رواه أحمد في مسنده: ح٢١٤٨، وابن حبان في صحيحه: ح٦٧٩٦، وصحح الهيثمي إسناده في مجمع الزوائد: ٧/ ٣٣٨، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح ١١٩٣.

(١٠) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، تغذى، وقوله جل ذكره: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، ح٧٤٠٨، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال: ح٢٩٣٣، واللفظ له.

(١١) عن النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل...» تقدم تخريجه: ص ٢٤٠.

فتنةٍ تكون في الدنيا»[1]، فعن عمران بن حصين ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق -وفي رواية: أمر- أكبر من الدجال»[2].

ولذا فقد أمر النبي ﷺ أصحابه ﷺ وسائر أمته بالاستعاذة من فتنته في كلّ صلاة، فقال ﷺ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمات، ومن شر المسيح الدجال»[3].

وأخبر ﷺ أنّ الدجال يدّعي النبوة أولاً، ثم يترقّى فيدّعي الربوبية، فعن أبي أمامة[4] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وإنّه -أي الدجال- يبدأ فيقول: أنا نبي. ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنّه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور»[5].

وأخبر ﷺ أنّ الله تعالى يجعل على يد الدجال فتناً يُضل بها من شاء الله من عباده، ومن ذلك أنّه: يستعين بالجنّ والشياطين، لقوله ﷺ: «وإنّ من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك»[6]، ويأتي معه بمثال الجنة والنار يفتن بها العباد، لقوله ﷺ: «إنّ معه

---

(١) بغية المرتاد، ابن تيمية: ٥١٧، وانظر: إتحاف الجماعة، للتويجري: ٣/ ٦٨.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، ح٢٩٤٦.

(٣) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة،ح٥٨٨.

(٤) هو صدي بن عجلان، صحابي من المكثرين في الرواية، له في الصحيحين (٢٥٠) حديثاً، توفي سنة ٨١ هـ وقيل سنة ٨٦هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٤/ ٣٢٦، ومعرفة الصحابة: ٣/ ١٥٢٦، وأسد الغابة: ٣/ ١٨٩.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة: ح٤٢٩، وصححه الألباني في ظلال الجنة: ح٤٢٩، وقد رواه غيره بأسانيد ضعفها الألباني، انظر: ضعيف سنن ابن ماجه: ح٤٠٧٧، وظلال الجنة: ح٣٩١.

(٦) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح٤٣٢٢، وقد ذكر إسناد الحديث دون متنه، وابن خزيمة في كتاب التوحيد «مختصراً»: ح٤٧٠، ورواه بطوله حنبل بن إسحاق في كتاب الفتن: ح٣٧، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح٤٠٧٧، قال ابن حجر: «أخرجه ابن ماجه مطوّلاً، وأصله عند أبي داود» فتح الباري: ٦/ ٧٠٦، وصحح الألباني رواية ابن خزيمة في صحيح الجامع: ح٧٨٧٥، وصحح حديث أبي داود بما قبله، انظر: صحيح سنن أبي داود: ح٤٣٢٢، وضعف رواية ابن ماجه، في ضعيف ماجة: ح٤١٥١.

ماءاً وناراً، فناره ماءٌ باردٌ، وماؤه نارٌ فلا تَهْلِكُوا»[1] ويصيب الناسَ قبل خروجه جوعٌ شديد، لقوله ﷺ: «وإنّ قبل خروج الدجال ثلاث سنواتٍ شدادٍ، يصيب الناس فيها جوعٌ شديدٌ، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلّه فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كلّه فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذاتُ ظِلْفٍ إلا هلكت إلا ما شاء الله، قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام»[2]، فيأتيهم بالطعام والشراب، لما ثبت من أنّ معه «جبل خبزٍ ونهر ماءٍ»[3]، ووصف ﷺ سرعته بأنّه: «كالغيث استدبرته الريح»[4]، وسأله الصحابة ﷺ عن مدة إقامة الدجال في الأرض؟، فقال لهم: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره»[5]، وكلّ ذلك ابتلاء من الله لعباده، واختبار لهم ولا يُقبلُ عذر من يتبعه؛ لأنّ النبي ﷺ أخبر بخروجه، وحذّر أمته منه.

وبعد هذا التمهيد الموجز بين يدي الملحمة التي ستكون مع المسيح الدجال وأتباعه، فهذا أوان الشروع في الحديث عن ظهور المسيح الدجال، والقضاء عليه، وما ستؤول إليه حال العالم عد الخلاص من فتنته، وبيان ذلك في المباحث الثلاثة الآتية.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال: ح٧١٣٠، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال: ح٢٩٣٤، واللفظ له.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

(٣) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، ح٧١٢٢.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النواس ﷺ، والمقصود أنّه كالغيم السريع بسبب الريح. انظر: كشف المشكل: ٤/ ٢٠٤.

(٥) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاس بن سَمْعان ﷺ.

المبحث الأول: ظهور المسيح الدجال في آخر الزمان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خروج المسيح الدجال للناس:

جاء في الأحاديث أنّ المسيح الدجال يخرج على الناس آخر الزمان؛ بسبب غضبةٍ يغضبها، لما جاء في حديث أم المؤمنين حفصة[1] رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «إنّما يخرج -أي الدجال- من غضبةٍ يغضبها[2]»[3].

ويظهر من مجموع الأحاديث: أنّ خروجه يكون من جهة المشرق، وتحديداً من حي اليهود بمدينة أصبهان[4] الإيرانية الفارسية، الواقعة ضمن بلاد خراسان[5]، فيتّجه صوب خَلَّةٍ[6] بين

---

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، من أزواج النبي ﷺ، لها في الصحيحين (٦٠) حديثاً توفيت سنة ٤٥هـ. انظر: الاستيعاب: ٤/ ٣٧٢، ٣٧٣، وتهذيب الكمال: ٨/ ٥٢٦، والإصابة: ٨/ ٨٥، ٨٦.

(٢) لم يثبت في الدافع لهذه الغضبة نصٌّ صحيح، بيد أنّ اقتران خروجه بفتح القسطنطينية، وعلو راية التوحيد في الأرض، بحيث لا يوجد في تلك اللحظة، قوةٌ شيطانيّةٌ ظاهرةٌ تصارع قوةَ الإسلام، قد يكون الدافع لها، ولاسيّما وأنّ للشيطان دوراً في إشاعة خبر خروج الدجال، بصرخته الكاذبة التي أشغل المسلمين بها عن غنائمهم. والله تعالى أعلم. انظر: أشراط الساعة في ضوء القرآن الكريم: ٥٠ «حاشية: ١»، والفتن والمحن بين يدي الساعة: ٣٦٠.

(٣) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر بن صياد، ح٢٩٣٢، وانظر: فتح الباري: ١٣/ ٩٧.

(٤) أصبهان مدينة فارسية عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وذُكر أنّ بختنصر أخذ بيت المقدس وسبى أهلها فحمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان. انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٤٤، وفتح الباري: ١٣/ ٣٣٩، ٣٤٠.

(٥) خراسان بلاد معروفة بين بلاد ما وراء النهر وبلدان العراق، وهي الآن مقسمة بين إيران، وأفغانستان، وتركمانستان، وأوزبكستان، ويُقال: إن أكثر سكانها من الشيعة، وقلّة من نصارى الأرمن، وجالية يهودية. انظر: معجم البلدان: ٢/ ٤٠١، ٤٠٢، وأفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي، محمد البار: ٣٥٢، والمسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، له أيضاً: ٢/ ٥٥٥-٥٥٧، والمسيح المنتظر، للطويلة: ١٢١ «الحاشية».

(٦) الخَلة هي: الطريق الذي ينفذ من الرمل المتراكم، والمقصود أنّه سيخرج من طريق بين العراق والشام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٧٣، ٧٤، ولسان العرب: ٣/ ٢٠٣، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٨٧، ٨٨.

الشام والعراق؛ ليخرج منها قاصداً مدينة رسول الله ﷺ[1]، لقول النبي ﷺ: «إنّه يخرج في يهودية أصبهان»[2]، وقوله ﷺ: «إنّ الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان»[3]، وقوله ﷺ: «إنّه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق»[4]، وقوله ﷺ: «يأتي المسيح من قبل المشرق همَّتُه المدينة»[5].

وجاء في الأحاديث: أنّه سيطوف الأرض، في أربعين يوماً وليلةً، إلا أربعة مواطنٍ، هي: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، ومسجد الطور[6]، والمسجد الأقصى، لما جاء في حديث تميم الداري أنّ الدجال قال لهم: «فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرّمتان عليّ كلتاهما»[7]، وقال ﷺ: «وإنّه يلبث فيكم أربعين صباحاً يرد فيها كلّ منهل[8] إلا أربع مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، والطور، ومسجد الأقصى»[9].

(١) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢/ ٣٧١، وفتح الباري: ١٣/ ٩٧، ٩٨، والأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل، العلي: ١٦٤، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى، عز الدين الشيخ: ٨٨، وصراع النهاية، الحميدي: ٤٣، والمسيح المنتظر، المقوشي: ١٠٥٧-١٠٥٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح٢٤٤٦٧، من حديث عائشة - رضي الله عنها -، وقال الهيثمي رحمه الله: «رواه أحمد -بلفظ يخرج من يهودية أصبهان-ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة» مجمع الزوائد: ٧/ ٣٣٨، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال: ٦٠، ١٣٠.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٢، من حديث أبي بكر ﷺ، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال: ح٤٠٧٢، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء من أين يخرج الدجال، ح٢٢٣٧، والحاكم في المستدرك، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥٢٧، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح٢٢٣٧.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

(٥) رواه مسلم في كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها: ح١٣٨٠.

(٦) نسبة إلى جبل الطور بسيناء، ويسمى جبل الشام، وجبل بيت المقدس. انظر: جامع البيان: ٢١/ ٥٦٠، ومعجم البلدان: ٤/ ٥٣، والبداية والنهاية: ٢٠/ ١١٧.

(٧) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة، ح٢٩٤٢.

(٨) المنهل هو الماء الذي يرده الناس. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٥/ ١٣٨، ولسان العرب: ٨/ ٧٢٣، ٧٢٤.

(٩) رواه أحمد في مسنده: ح٢٣٦٨٤، ٢٣٦٨٥، وحنبل في الفتن: ح٤٢، وصحح الألباني إسناده في قصة المسيح الدجال: ٧١، ١٣٧.

المطلب الثاني: أتباع المسيح الدجال:

يتبع المسيح الدجال طوائف من الناس، وقد صحّ الخبر ببعضهم وهم: اليهود والخوارج، والأعراب[1]، والمنافقون[2]، وأقوامٌ كأنّ وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ[3]، وكثيرٌ من النساء؛ لقول النبي ﷺ: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة[4]»[5]، وقوله ﷺ: «لا يزالون يخرجون -أي الخوارج- حتى يخرج آخرهم مع الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شرّ الخلق والخليقة»[6]، وقوله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج الله كلّ كافر ومنافق»[7] وقوله ﷺ: «إن الدجال... يَتْبَعُهُ أقوامٌ كأن وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَةُ»[8]،

---

(١) انظر: ص ٢٤٣ من الرسالة، والأعراب جمع أعرابي وهو من جمع بين الأصل العربي، وسكنى البادية. انظر: لسان العرب: ٦/ ١٥٤، وفتح الباري: ٢/ ٥٢، ١٣/ ١١٣.

(٢) النفاق: مصطلح إسلامي لم تعرفه العرب بمعناه الشرعي، وإن كان أصله معروفاً لهم، والمنافق: هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٩٧، ولسان العرب: ٨/ ٦٥٦، ٦٥٧، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٧/ ٢٠١، ومدارج السالكين: ١/ ٣٤٧-٣٤٩، وظاهرة النفاق، عبدالرحمن الميداني: ٥٢، ٥٣.

(٣) المجان جمع مجن، وهو : أن يقدر جلد بمقدار الترس ثم يُلصق به، والمراد تشبيه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترس. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ١٢٢، ولسان العرب: ٨/ ٢١٠.

(٤) الطيالسة جمع طيلس، وهو نوعٌ من الأردية، تُجعل فوق العمائم. انظر: الأنساب، السمعاني: ٤/ ٩١، ولسان العرب: ٥/ ٦٢٤، ٦٢٥.

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال: ح٢٩٤٤، عن أنس رضي الله عنه.

(٦) رواه الطيالسي في مسنده: ح٩٦٥، من حديث أبي برزة رضي الله عنه، وأحمد في مسنده:ح١٩٧٨٣، واللفظ له، والنسائي في السنن الكبرى في كتاب تحريم الدم، من شهر سيفه ثم وضعه في الناس: ح٤١٠٣، وقال الهيثمي رحمه الله: «رواه أحمد، والأزرق بن قيس وثقة ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: ٦/ ٢٢٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة عند تصحيحه لحديث: ٢٤٠٦.

(٧) رواه البخاري في كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة: ح١٨١٨، من حديث أنس رضي الله عنه، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة: ح٢٩٤٣.

(٨) تقدم تخريجه: ص ٢٤٦ من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

وقوله ﷺ: «ينزل الدجال في هذه السبخة بمرِّقناةَ[1] فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إنّ الرجل ليرجع إلى حميمه[2]، وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً، مخافة أن تخرج إليه»[3].

(١) مرُّقناةَ: واد بالمدينة، سمي قناة لأن تبّعاً مرَّ به، فقال: هذه قناة الأرض. انظر: معجم البلدان: ٤/ ٤٥٥.

(٢) هم أقرباء الرجل وخاصّته. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤٤٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح٥٣٥٣، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ح٥٣٥٣، وقال الألباني: «وإسناده حسن لولا عنعنة محمد بن إسحاق» قصة المسيح الدجال: ٨٨.

المطلب الثالث: وسائل الوقاية من المسيح الدجال:

ما من فتنةٍ صغيرةٍ ولا كبيرةٍ إلا وقد حذّر منها النبي ﷺ، وأبان لأمّته سبيل النجاة منها، ولعظم فتنة المسيح الدجّال، فقد حرص ﷺ على تحذير أمته منه وإرشادهم إلى مجموعةٍ من الوسائل التي تقيهم فتنته، وفيما يأتي ذكر شيءٍ من ذلك:

١- الاستعاذة بالله من فتنة المسيح الدجال:

وقد سبق ذكر أمر النبيّ -ﷺ- بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال في الصلاة[(١)].

٢- تجنب مقابلة الدجال:

قد يأنس المؤمن من نفسه ثباتاً عندما يظهر الدجال، ومع ذلك فيجب عليه الابتعاد عنه؛ لما جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه؛ فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنّه مؤمنٌ فيتّبعه مما يبعث به من الشبهات[(٢)]»[(٣)].

٣- سكنى المؤمن للأماكن التي لا يدخلها الدجال:

جعل الله تعالى لبعض البلاد والمساجد مكانةً تميّزُ بها عن سائر المعمورة، ومن هذه البلاد: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والمسجد الأقصى، ومسجد الطور، فهذه الأماكن الأربعة يحرم على الدجال دخولها، ومن ثم فإنّ اعتصام المؤمن بها، وسكناه فيها، وانتقاله

---

(١) انظر: ص ٢٤٣ من الرسالة.

(٢) ويؤخذ من الحديث: الحثُّ على تجنّب مواطن الشبهات والشهوات، وأن لا يغتر المسلم بإيمانه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «فما استعين على التخلّص من الشرّ، بمثل البعد عن أسبابه ومظانّه» عدة الصابرين: ٨٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٩٨٧٥، ١٩٩٦٨، وأبو داود في كتاب الفتن، باب خروج الدجال، ح٤٣١٩، واللفظ له، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: ٤/ ٥٣١، وصححه ابن مفلح في الآداب الشرعية: ١/ ٢٢٠، والألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٣١٩.

إليها؛ مما يعصمه من فتنة الدجال(1).

٤- حفظ الآيات العشر الأولى أو الأخيرة من سورة الكهف:

يُكرمُ الله تعالى من يحفظ العشر آيات الأولى أو الأخيرة من سورة الكهف بالعصمة من الدجال، فعن أبي الدرداء ﷺ أن النبيّ ﷺ قال: «من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف؛ عُصم من الدجال»، وفي رواية: «من آخر الكهف»(2).

٥- تكذيب الدجال عند ملاقاته:

الأصل أن يبتعد المسلم عن المسيح الدجال، فإذا اضطر لمقابلته فليُكذّبه، وليقل ما أوصاه به النبي ﷺ حين قال: «إنّ من بعدكم الكذّاب المضلّ ... وإنّه سيقول: أنا ربكم!، فمن قال: لست ربّنا؛ لكنّ ربّنا الله، عليه توكّلنا، وإليه أنبنا، نعوذ بالله من شرّك، لم يكن له عليه سلطان»(3).

٦- الثبات على الإسلام وعدم الاغترار بفتن الدجال:

يدعو الدجالُ الناسَ إلى الكفر بالله، فيرميهم بسهام الشبهات، ويتصيّدهم بشباك الشهوات، ويرهبهم ويمنّيهم، غيرَ أنّ المؤمن لا تغرّه بُنيّات الطريق، فهو دائماً يواجهها بالثبات على الدين، والاستقامة على العقيدة.

وبذلك أوصى النبي ﷺ من يلقى الدجال، فقال ﷺ: «يا عباد الله فاثبتوا»(4).

---

(1) سبق الحديث عن هذه الأماكن الأربعة وأدلتها في: ص ٢٤٦ من الرسالة، قال الإمام السخاوي رحمه الله: «وعلى كلّ حال فالمقيم بواحد منها عصمته من الله عز وجل، وإلا فقد ثبت أنّه يخرج إليه كلّ منافقٍ ومنافقةٍ» القناعة فيما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة: ٣٦.

(2) رواه مسلم في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ح٨٠٩.

(3) رواه أحمد في مسنده عن رجل من الصحابة: ح٢٣٤٨٧، وقال الهيثمي: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد: ٧/ ٣٤٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٢٨٠٨، وفي رواية: «فمن قال: كذبت لست ربنا، ولكن الله ربنا، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، ونعوذ بالله منك، قال: فلا سبيل له عليه» رواه أحمد في مسنده: ح٢٣٤٨٧، وصححه الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: ح٢٣٤٨٧.

(4) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاس بن سَمْعان ﷺ.

وفي فتنة الدجال عبرة؛ فإنّه يطوف الأرض، ويُبهر الخلق، وما هي إلا أيامٌ معدوداتٌ حتى يذهب جُفاءً كأن لم يكن!، ويبقى الحقُّ بصفائه ونضارته!!، وفي هذا معلمٌ تربويٌّ للمسلم بأن يثبت على دينه، دون تأثّرٍ بمضلات الفتن، ومزالق الشهوات والشبهات.

المبحث الثاني: القضاء على المسيح الدجال وأتباعه

وفيه تمهيد، وثلاثة مطالب:

تمهيد

فتنة المسيح الدجال هي أعظم فتنة تمرّ بالبشرية، ولذلك فقد أراد الله عز وجل أن يتصدى لها نبيٌّ من أنبيائه الكرام عليهم السلام، يكون على يديه إظهار الحق، وإزهاق الباطل؛ ولمّا كان اليهود أكثر أتباع الدجال، وأشدّ أعداء الأنبياء عليهم السلام، وقد سعوا فيما مضى من الزمان في قتل عيسى عليه السلام، وزعموا كذباً أنّهم صلبوه، وأضلّوا بذلك أكثر النصارى، ناسب أن يكون المسيح عيسى عليه السلام هو من يقضي على الدجال وأتباعه، انتقاماً من اليهود، وليتبيّن للنّاس أنّه لم يُصلب، بل رفعه الله إليه، تصديقاً عمليّاً لما أخبر به القرآن الكريم[1].

وقبل البدء بذكر نزول عيسى عليه السلام وقضائه على المسيح الدجال، تجدر الإشارة إلى شيءٍ مما يتعلق بوجوب الإيمان بنزوله من السماء في آخر الزمان، وبعض ما جاء في وصفه:

أولاً: الاعتقاد بنزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان.

أجمع أهل السنة والجماعة على أنّ الله تعالى رفع المسيح عيسى عليه السلام إلى السماء ببدنه وروحه، وأنّه سينزل إلى الأرض في آخر الزمان، ليقتل المسيح الدجال[2].

---

(١) للاطلاع على المزيد من الحكم التي علل بها العلماء نزول عيسى عليه السلام دون غيره من النبيين، انظر: التذكرة، القرطبي: ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٨، وعمدة القاري: ١٢/ ١٤٥، ١٦/ ٣٩.

(٢) انظر: الإبانة عن أصول الديانة: ١٠١، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ١٠٠، وبيان تلبيس الجهمية: ٢/ ٤١٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/ ٢٢٦، والصواعق المرسلة: ٤/ ١٢٥٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٤٩-٤٥٢، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٩، ولوامع الأنوار البهية: ٢/ ٩٤، ٩٥، وإتحاف الجماعة: ٣/ ٩٧، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح، الكشميري: ٦١، ٦٢.

ونصّ الإمام ابن كثير رحمه الله على تواتر الأحاديث الدالّة على نزوله في آخر الزمان، فقال رحمه الله: «تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً[(١)]»[(٢)].

ومن هذه الأحاديث: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً ...»[(٣)]، وفي رواية: «لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً ...»[(٤)].

ثانياً: صفات المسيح عيسى عليه السلام.

جاء في وصف عيسى عليه السلام أنّه رجل متوسط الطول، نحيف الجسد، عريض الصدر، قويّ النظر، يجمع في لونه بين البياض والسمرة، وشعره أقرب إلى النعومة ويبلغ إلى منكبيه، قد سرّحه بمشطٍ مع ماءٍ أو دهنٍ أو غيره، إذا طأطأ رأسه أي خفضه قطر منه مثل الماء، وإذا رفع رأسه انحدر منه جمانٌ كاللؤلؤ.

---

(١) الحكم : الحاكم. والمقسط: العادل، يقال: أقسط فهو مقسط: إذا عدل، وقسط فهو قاسط: إذا جار. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥٠، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٢٣٦، وانظر: عون المعبود: ١١/ ٤٥٧، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح: ٥٨، ٥٩، وأضواء البيان: ٧/ ٢٦٣، وإتحاف الجماعة: ٣/ ٩٧.

(٣) تقدم تخريجه: ص ٤٢،٤٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه: ح٣٧٤٩٥، وابـن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح٤٠٧٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ح٤٠٧٨.

فمن الأحاديث الدالة على هذه الصفات قول النبي ﷺ في وصف عيسى ؑ: «جعدٌ[1] مربوعٌ[2]»[3]، «حديد البصر[4]، مُبَطَّنُ الخلق[5]»[6]، «عريض الصدر»[7]، «إلى الحمرة والبياض»[8]، «رجلٌ آدم، سبط الشعر[9]»[10]، «له لِـمَّةٌ[11] كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمَم»[12]، «تضرب لِـمَّتُهُ بين منكبيه[13]، رَجِلُ الشعر، يقطر رأسه ماءً»[14]،

---

(١) الجعد هنا معناه جعودة الجسم وهو اجتماعه واكتنازه وليس المراد جعودة الشعر. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٢٠١، ٢٠٢، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٩٤.

(٢) المربوع هو الرجل معتدل الخلق، بين الطويل والقصير في القامة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٩٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: ح٣٣٩٦، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات: ح١٦٥.

(٤) أي نافذه، كناية عن قوة النظر. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٧/ ٢٩٩، والديباج: ٦/ ٢٠٥.

(٥) معنى مبطن الخلق: أي ضامر البطن خميصه، والمراد وصفه بالنحف. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٣٧، ولسان العرب: ١/ ٤٤٥.

(٦) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾: ح٣٤٣٨.

(٨) رواه البخاري في كتاب بدأ الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى: ح٣٢٣٩، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ: ح١٦٥.

(٩) الشعر السبط هو الذي لا جعودة فيه، وهو المنبسط المسترسل ليس فيه تكسر. انظر: تهذيب اللغة: ١/ ٦١١، وجامع الأصول: ٤/ ٣٣، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٩٥.

(١٠) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾: ح٣٤٤١.

(١١) تُطلق اللِّمة على الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٣٠٢، ٣٠٣، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٠.

(١٢) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب الجعد: ح٥٩٠٢.

(١٣) المنكب مجمع عظم العضد ورأس الكتف وحبل العاتق من الإنسان والطائر ونحوه، وهما منكبان لأنهما في الجانبين، وجمعه مناكب. انظر: لسان العرب: ٨/ ٦٨٩، وفتح الباري: ٢/ ٢٥٩.

(١٤) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، ح٣٤٤٠.

«كأنما خرج من ديماس[1]»[2]، «إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعهُ تَحَدَّرَ منه جُمانٌ كاللؤلؤ[3]»[4].

وجاء في الحديث أنّه ﷺ ينزل آخر الزمان: «بين مَهْرُودَتَيْنِ»[5]، وفي رواية: «بين مُمَصَّرَتَيْنِ[6]»[7].

وذكر النبيّ ﷺ أن نَفَسَ عيسى ﷺ ينتهي حيث ينتهي بصره، ولا يجد ريح نَفَسِه كافر إلا هلك، قال ﷺ: «فلا يحل لكافرٍ يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات[8]، وَنَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفُه»[9].

وبعد هذا التمهيد الموجز حول وجوب الاعتقاد بنزول عيسى ﷺ من السماء في آخر الزمان، وبعض ما يتعلق بصفاته، فهذا أوان الشروع في ذكر ما يتعلق بقضائه على المسيح الدجال وأتباعه.

---

(١) الديماس هو الحمّام، والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه حتى كأنه كان في حمّام فخرج منه وهو عرقان. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: : ٢/ ٣٠١، ولسان العرب: ٣/ ٤١٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، ح٣٤٣٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، ح١٦٨.

(٣) يتصف شعر عيسى ﷺ بأنه إذا خفض رأسه خرج منه عرق مثل الماء، وإذا رفع رأسه انحدر منه قطرات نورانية تشبه الجمان في الكبر، والجمان حب يتخذ من الفضة، يشبه اللؤلؤ في الصفاء والبياض. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٠١، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٠، ٩١.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

(٥) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

(٦) المهرودتان والممصرتان كلاهما بمعنى ثوبين مصبوغين بالصفرة من زعفران أو غيره. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٣٣٦، ٥/ ٢٥٧، ولسان العرب: ٨/ ٣٠١، ٩/ ٧٢، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٠.

(٧) رواه أحمد في مسنده: ح٩٩٧٤، واللفظ له، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح٤٣٢٤، وصحح ابن حجر إسناده في فتح الباري: ٦/ ٥٦٩، والألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٣٢٤.

(٨) أي أنّه حقٌّ وواجبٌ أن لا يجد ريح نفس عيسى ﷺ كافر إلا مات. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٢٤٥، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤٣٢.

(٩) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

المطلب الأول: نزول عيسى عليه السلام للقضاء على المسيح الدجال:

بعد أن تصدّ الملائكةُ المسيح الدجال عن المدينة وتمنعه من دخولها، تصرف وجهه قبل الشام ليلاقي حتفه هناك، ويخلّص الله الأرض وأهلها من شر فتنته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يأتي المسيح من قبل المشرق همَّتُه المدينة، حتى ينزل دُبُر أحدٍ، ثم تصرف الملائكة وجهَه قبل الشام، وهنالك يَهلِك»(١).

فإذا وصل إلى الشام، اتجه صوب بيت المقدس(٢)، فيجدُ عصابةً من المسلمين متحصّنين به؛ فيحاصرهم، فيعزمُ المسلمون على مقاتلته إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى عليه السلام.

فعن حذيفة بن أسيد(٣) رضي الله عنه قال: «ثم -يأتي الدجال- جبل إيلياء(٤) فيحاصر عصابةً من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يُفتح لكم؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيُصبحون ومعهم عيسى ابن مريم»(٥).

وجاء في بعض الأحاديث أنّه يُصلّي معهم الصبح ثم يخرج لملاقاة الدجال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم»(٦).

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٤٦ من رواية مسلم.

(٢) انظر: فتح الباري: ١٣/ ٩٨.

(٣) هو أبو سريحة حذيفة بن أسيد بن خالد الغفاري، وكان ممن بايع تحت الشجرة بيعة الرضوان، توفي سنة ٤٢هـ. انظر: التاريخ الكبير: ٣/ ٩٦، والثقات: ٣/ ٨١، والاستيعاب: ٤/ ٢٣١، وأسد الغابة: ١/ ٧١.

(٤) إيلياء هي: مدينة بيت المقدس، ومعناها: بيت الله، وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء» رواه مسلم، في كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ح١٣٩٧، وانظر: جامع البيان: ١/ ٧١٤، وكشف المشكل: ٤/ ٩٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٨٥، ومعجم البلدان: ١/ ٣٤٨، ٣٤٩، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٩/ ٢٣٩.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص: ٤/ ٥٢٩، ٥٣٠، وقال الألباني: «وهو كما قالا» قصة المسيح الدجال: ١٠٥، ١٠٦.

(٦) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

وعن أبي أمامة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «وإمامهم رجلٌ صالحٌ[1]، فبينما إمامهم قد تقدّم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكُصُ يمشي القَهْقَرَى[2]؛ ليتقدّم عيسى يصلي بالناس، فيضعُ عيسى يدهُ بين كتفيه ثم يقول له: تقدّم فصلِّ؛ فإنّها لك أقيمت، فيصلّي بهم إمامُهم، فإذا انصرف قال عيسى ﷺ: افتحوا الباب، فيُفتحُ ووراءَه الدجال معه سبعون ألف يهوديٍّ، كلهم ذو سيفٍ محلّى وساجٍ[3]، فإذا نظر إليه الدجال ذابَ كما يذوب الملح في الماء؛ وينطلقُ هارباً»[4].

فهذه الأحاديث تدلُّ بمجموعها على أنّ عيسى ﷺ ينزل على المسلمين، وهم ببيت المقدس محاصرون، فيصلي معهم الصبح، ثم يخرج للقضاء على المسيح الدجال.

وجاء في حديث صحيح أنّه ﷺ ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فعن النَّوَّاسَ بن سَمْعان[5] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثم يدعو -أي الدجال- رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعُهُ جَزْلَتَيْنِ رميةَ الغَرَضِ، ثم يدعوه فيُقبِلُ، وَيتهلَّلُ وَجْهُهُ يضحك، فبينما هو كذلك؛ إذ بعث الله المسيح ابن مريم، **فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشقَ**، بين مَهْرُودَتَيْنِ، واضعاً كفيّه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يحلُّ لكافرٍ يجد رِيحَ نَفَسِهِ

---

(١) تقدّم أنّ المهدي هو الإمام الذي يصلي خلفه عيسى ﷺ، انظر: ص ١٧٨ من الرسالة.

(٢) القَهْقَرَى: الرجوع إلى الخلف. انظر: لسان العرب: ٩/ ٥٢٥.

(٣) غادر عيسى ﷺ الأرض وأتباعه في شدّة وضيق بسبب اليهود، ولم يكن باستطاعته فعل شيء لهم، وهو حين يعود سيكون أتباعه من المسلمين -أيضا- في شدّة وضيق، بسبب اليهود، ولكن المسيح ﷺ في هذه المرة، سينتقم من أعدائه وسيريح منهم العباد والبلاد، انظر: الإسلام ونبوءات المسيح والقرن الحادي والعشرون، عبدالوهاب نوشاد: ٩١.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

(٥) هو النَّوَّاسَ بن سَمْعان بن خالد بن عبدالله الكلابي، له ولأبيه صحبة، معدود في الشاميين، ويُقال إنّ عمّته هي الكلابية التي تزوجها رسول الله ﷺ، فلما دخل عليها تعوّذت منه فتركها. انظر: الثقات، ابن حبان: ٣/ ٤١١، والاستيعاب: ٤/ ٩٤، وأسد الغابة: ٤/ ٤٤٤، ٤٤٥، والإصابة: ٦/ ٣٧٧، ٣٧٨.

إلا مات، وَنَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طرفه، فَيَطْلُبُهُ حتى يدركه بباب لُدٍّ[1] فيقتُلُه»[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد أخبر -ﷺ- أنّ المسيح عيسى ابن مريم مسيح الهدى ينزل إلى الأرض على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيقتل مسيح الضلالة»[3].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذا هو الأشهر في موضع نزوله: أنّه على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق، وقد ورد في بعض الأحاديث أنه ينزل ببيت المقدس»[4].

والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أنّه لا تعارض بين الأحاديث؛ لأنّ لفظ «النزول» يعني في اللغة: النزول من علوّ إلى سفل، والحلول بالمكان، وعلى القوم تقول: نزل عليهم فلان، أي حلّ ضيفاً[5]، ومن هنا يمكن القول: أنّ عيسى عليه السلام ينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، لما ثبت في صحيح مسلم، ثم يتجه إلى المسلمين المحاصرين ببيت المقدس، فينزل عليهم، بمعنى أنه يحلُّ عليهم، فيصلي معهم الصبح، ثم يخرج لملاقاة الدجال[6]، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) بلدة قريبة من بيت المقدس بفلسطين، ويُقال إنها تقع على ٢٦ كلم شمال غرب القدس، قريباً من مدينة الرملة. انظر: معجم البلدان: ٥/ ١٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩١، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٨٧، والأرض المقدسة للعلي: ٢٢٣، والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود، للبار: ١٧، ومعجم بلدان فلسطين، محمد شراب: ٦٣٧، ٦٣٨.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان رضي الله عنه.

(٣) الجواب الصحيح: ٢/ ٣٣٤.

(٤) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٤٩ «باختصار»، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٠، والفتاوى الحديثية، ابن حجر الهيتمي: ١٥٨، وصراع النهاية، الحميدي: ٥٢، ٥٣، ونهاية التاريخ للعبدلي: ٨٨-٩١.

(٥) انظر: لسان العرب: ٨/ ٥٢٣، ٥٢٤.

(٦) انظر: المسيح المنتظر، علي القوشي: ٣/ ١٢٠٤-١٢١٢.

المطلب الثاني: الخلاص من المسيح الدجال:

إذا انصرف المسيح عيسى عليه السلام من صلاة الصبح مع المسلمين المحاصَرين ببيت المقدس، أمرهم أن يفتحوا الباب، ليقضي بنفسه على المسيح الكذاب، كما تقدم في قول النبي ﷺ: «فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيُفتحُ ووراءَه الدجال معه سبعون ألف يهوديٍّ، كلهم ذو سيفٍ محلّى وساجٍ، فإذا نظر إليه الدجال ذابَ كما يذوب الملح في الماء؛ وينطلقُ هارباً»[1].

فلو تركه عيسى عليه السلام لهلك، ولكنه يطلبه حتى يدركه عند الباب الشرقي لمدينة لُدّ فيقتله بحربته ويُري الناسَ دمه فيها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فإذا رآه عَدُوُّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلِك، ولكن يقتُلُه الله بيده [أي بيد عيسى عليه السلام] فيريهم دمَهُ في حربته»[2].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود[3] فيطلُبُه فيُهلِكُه»[4]، وفي رواية: «فيطلُبُه حتى يُدركَهُ بباب لُدٍّ فيقتُلُهُ، ثمّ يأتي عيسى ابن مريم قومٌ[5] قد عصمهم الله منه -أي من الدجال-

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٠٤.

(٣) هو عروة بن مسعود الثقفي، صحابي مشهور، بعثته قريش قبل إسلامه رسولاً إلى النبي ﷺ في الحديبية، توفي سنة ٩هـ. انظر: الاستيعاب: ٣/ ١٧٦، والإصابة: ٤/ ٤٩٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض...: ح٢٩٤٠.

(٥) هذه رواية مسلم وهي تفيد أنّهم يأتون إلى عيسى عليه السلام، وهي هكذا في الجمع بين الصحيحين للحميدي: ح٣٠٨٢، وشرح السنة للبغوي: ح٤٢٦١، وجامع الأصول: ح٧٨٤٠، وجاء عند غيرهم بلفظ «قوماً» فيكون عيسى عليه السلام هو الذي يذهب إليهم. انظر: الإيمان، ابن مندة: ح١٠٢٧، والمستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٤/ ٤٩٤، وتاريخ مدينة دمشق: ٢/ ٢١٩، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٠، ٩١، وبغية المرتاد: ٤٧٩، وتهذيب الكمال: ١٥/ ٢٢٤، وتفسير القرآن العظيم: ٢/ ٤٦٣، ٤٦٤، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ٩٥.

فيمسحُ عن وجوههم ويُحدِّثُهُم بدرجاتهم في الجنّة[(١)]»[(٢)].

وجاء في حديث آخر أنّ الدجال يهلك عند عقبة أَفِيقَ[(٣)].

فعن سفينة[(٤)] ﷺ مولى رسول الله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «ثم يسير -أي الدجال- حتى يأتي الشام فيهلِكُه الله عز وجل عند عقبة أَفِيقَ»[(٥)].

وقد انتقد الإمام ابن كثير رحمه الله متن هذا الحديث فقال: «وإسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة، والله أعلم»[(٦)]، وعلى كُلٍّ فإنّ هذه الرواية لا تقوى على دفع الصحيح المشهور من قتل عيسى ﷺ للدجال عند باب لُدٍّ، والله تعالى أعلم.

---

(١) قيل: أي يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغزو مبالغةً في إكرامهم ومباركتهم، وقيل: يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩١، والقناعة: ٤٦، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٨٧، ٣٨٨.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

(٣) عقبة أفيق تنسب إلى قرية أفيق، وهي قرية في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، وتنحدر هذه العقبة إلى الغور من أرض الأردن ومن أعلاها تبين طبرية وبحيرتها، وهي عقبة طويلة، نحو ميلين، والعامة تسميها: فيق. انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٧٦، ٢٧٧، وتاج العروس: ٢٥/ ١٥.

(٤) هو أبو عبدالرحمن وقيل أبو البختري سفينة وقيل اسمه رباح وقيل عمير، وقيل غير ذلك، أصله من فارس، وكان عبداً لأم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها -، فقيل: إنّها أعتقته واشترطت عليه خدمة النبي ﷺ ما عاش، توفي بعد سنة ٧٠هـ. انظر: الاستيعاب: ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، وأسد الغابة: ١/ ٣٥٤، والإصابة: ٣/ ١١١.

(٥) رواه أحمد في مسنده: ح٢١٩٢٩، وحسّنه الكشميري في التصريح بما تواتر في نزول المسيح: ٢٠٠، وحسنه بشواهده الألباني في قصة المسيح الدجال: ٧٤.

(٦) النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٠٧.

المطلب الثالث: الخلاص من اليهود:

إذا رأى اليهود أنّ ملكهم الدجال قد ولّى هارباً خوفاً من المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم رأوه مقتولاً بيد عيسى عليه السلام؛ فإنّهم ينهزمون، ويبحثون عن ما يسترهم من المسلمين، فيكرم الله المؤمنين بكرامةٍ ظاهرةٍ، ويريهم من آياته ما يقوّي إيمانهم، فيُنطقُ لهم الحجر والشجر، فيخبرونهم بمن يستتر بهم من يهود، في مشهدٍ فريدٍ يشترك فيه الإنسان والحيوان والنبات والجماد، كُلّهم يطلبون الخلاص من خبث اليهود إلا شجر الغرقد[١]؛ فإنه من شجرهم.

فيقتل المسلمون اليهودَ، ويُطهّرون الأرض من شرّهم وفسادهم[٢].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهوديّ من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله[٣]، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[٤].

---

(١) الغرقد: شجر له شوك مثل الطلح والسلم والسدر، واحدته: غرقدة، وقيل: إذا عظمت العوسجة، فهي: الغرقدة، وقيل لمدفن أهل المدينة بقيع الغرقد؛ لأنه كان ينبته فقُطع، ويذكر أن اليهود يحرصون على زراعته في هذا العصر بفلسطين للزينة. انظر: غريب الحديث، ابن الجوزي: ٢/ ١٥٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٣٦٢، ولسان العرب: ٦/ ٦١٣، وميثاق النبيين، الطويلة: ١٥٢.

(٢) وهذا القتال لا علاقة له بالكيان الصهيوني المعاصر بفلسطين فقد تقدم في ص ١٧١ من الرسالة أن هذا الكيان سيزول قبل ظهور المهدي إما بأيدي المسلمين أو بغير ذلك مما يقدره الله تعالى، وعسى أن يكون قريباً. انظر: نهاية اليهود، محمد عزت: ١٣١.

(٣) وهذا تكليمٌ حقيقيٌّ، وهو كرامة من كرامات الأولياء، ومن أصول أهل السنة: التصديق بكراماتهم، ففتح الباب لاحتمال آخر: وهو أن ينطق الحجر والشجر بلسان الحال لا بلسان المقال، تأويل للنص، وصرف له عن ظاهره من غير قرينة، ونصُّ الحديث يكذب هذا الاحتمال ويرده. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣/١٥٦، وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر: ١٠٢، وإتحاف الجماعة: ١/ ٤٠٠، والمبشرات بنصر الإسلام، القرضاوي: ٣٥، ٣٦.

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح٢٩٢٢.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتلكم[1] اليهود فَتُسَلَّطُونَ عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم هذا يهوديٌّ ورائي فاقتله»[2].

وتكليم الحجر والشجر الوارد في هذه الأحاديث وغيرها يكون بعد قتل المسيح الدجال[3]، لما جاء في حديث أبي أمامة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «فإذا نظر إليه الدجال ذابَ كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ويقول عيسى: إنّ لي فيك ضربةً لن تسبقني، فيدركه عند باب لُدٍّ الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتواقى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجر ولا حجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبدالله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله»[4]، وفي رواية: «ويُهزمُ أصحابه حتى أنّ الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله»[5].

---

(١) الخطاب لهم والمراد غيرهم؛ وذلك لاشتراكهم مع القادمين في أصل الإيمان، ولأنّ الماضي والآتي أمة واحدة، يفرح أولها لآخرها، والعكس. انظر: فتح الباري: ٦/ ١٢١، وإتحاف الجماعة: ١/ ٤١١.

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: ح٣٥٩٣، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل: ح٢٩٢٢.

(٣) انظر: الجواب الصحيح: ٣/ ٣٥٥، وهداية الحيارى: ٢٠٨.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

(٥) تقدم تخريجه: ص ٢٥٦ من حديث حذيفة ﷺ.

المبحث الثالث: أحوال العالم بعد القضاء على المسيح الدجال إلى وفاة عيسى عليه السلام

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: علوّ الإسلام وأهله على سائر الأديان:

بالقضاء على المسيح الدجال ومن تبعه من اليهود، تتهيأ الأرض لمرحلةٍ جديدةٍ يتولّى فيها عيسى عليه السلام الحكم بالعدل، فيكون حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، فيقضي على الصليب، ويقتل الخنزير، ولا يقبل الجزية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم إماماً مقسطاً، وحكماً عدلاً، فيكسرَ الصَّليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ[1]، ويضعَ الجزيةَ[2]»[3].

وجاء في رواية: «فَيَدُقُّ الصليبَ»[4]، وفي أخرى: «ويمحو الصليب»[5].

وهذا يعني أنّ عيسى عليه السلام سيأتي على كلّ حالٍ من حالات صليبهم بما يناسبها من الكسر والدق والمحو، فلا يبقى له أثرٌ، ويبطل شعائر الدين الذي قام عليه، وخُصّ الصليبُ بالذكر؛

(١) وجاء في رواية عن النبي ﷺ أنّ عيسى عليه السلام: «يقتل الخنزير والقرد» رواه الطبراني في المعجم الأوسط: ح١٣٤٢، وقال ابن حجر: «إسناده لا بأس به» فتح الباري: ٦/ ٥٦٧.

(٢) الجزية: هي المقدار من المال الذي تعقد للكتابي عليه الذمة. انظر: المفردات في غريب القرآن: ٩٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٧١، والمصباح المنير: ١/ ١٠٠.

(٣) تقدم تخريجه: ص ٤٢،٤٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ح٩٢٧٠، وأبو داود في كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، ح٤٣٢٤، واللفظ له، وصحح ابن حجر إسناده في فتح الباري: ٦/ ٥٦٩، والألباني في صحيح سنن أبي داود: ح٤٣٢٤.

(٥) رواه أحمد في مسنده: ح٧٩٠٣، وصححه الألباني فقال: «إسناده صحيح على شرط مسلم» قصة المسيح الدجال: ٩٩، وكذلك قال الأرناؤوط في تحقيق المسند: ح٧٩٠٣.

لأنّهم زعموا ارتباطه بالمسيح ﷺ، وجعلوا ذلك شعاراً له فحسُن أن يظهر براءته منه[1]، والله تعالى أعلم.

وكذلك فإنّه عليه السلام سيأمر بقتل الخنزير «مبالغةً في تحريم أكله، وفيه توبيخٌ عظيمٌ للنصارى الذين يدّعون أنّهم على طريقة عيسى، ثم يستحلّون أكل الخنزير، ويبالغون في محبّته»[2].

وسيضع الجزية، وجاء في رواية صحيحة: «ويضع الخراج[3]»[4]، والأول أشهر، وحينها لن يبقى إلا الإسلام أو السيف[5]، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه أنّ النبي ﷺ قال عن عيسى عليه السلام: «فيقاتل النّاس على الإسلام ... ويهلك الله في زمانه الملل كلّها إلا الإسلام»[6].

وبذلك تعلو راية الإسلام، وتتوحد الأرض على الإيمان بالله تعالى ونبيه محمد ﷺ، وتبطل سائر الأديان الأخرى، والملل والنحل.

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥٠، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٧.

(٢) فتح الباري: ٤/ ٤٨٣، وانظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٤٣٨.

(٣) الخراج هو ما يحصله المسلمون من غلّة الأرض التي يفتحونها صلحاً، وقيل عنوة، وعلى غلّة العبد، وهذه كلها تسقط، إذ لا عبيد، ولا جزية، ولا صلح، إما الإسلام مع الحرية، أو السيف. انظر: تهذيب اللغة: ١/ ١٠٠٣، ومشارق الأنوار: ١/ ٢٨٩، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٧١، ٢/ ١٩.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٦٣ من رواية أحمد لحديث ٧٩٠٣.

(٥) لا شك أن من يعيش إلى زمان عيسى عليه السلام، ويشاهد الأحداث العظام التي ظهر فيها صدق الإسلام، ثم لا يقبل بالدين الحق، فهو يستحق أن تتطهر منه الأرض. انظر: المسيح المنتظر، علي المقوشي: ٣/ ١٢٥٧.

(٦) تقدم تخريجه: ص ٤٣.

المطلب الثاني: خروج يأجوج ومأجوج والقضاء عليهم:

يأجوج ومأجوج: اسمان أعجميان، لأمتين مضرّتين مفسدتين كافرتين، من ذريّة آدم من ولد يافث[1].

وجاء في الأحاديث أنّ خروجهم يكون بعد قضاء عيسى عليه السلام على المسيح الدجال وأتباعه، ومحوه لمظاهر الأديان الباطلة من على وجه الأرض، فيوحي[2] الله تعالى إليه[3] بخروج يأجوج ومأجوج على أهل الأرض، وأنّه لا طاقة لأحدٍ بمواجهتهم، ومن ثمّ فإنّ الله تعالى يأمره أن يتحصّن هو والمسلمون بجبل الطّور، إلى أن يُخلّص الله بقدرته الأرض من أذى يأجوج ومأجوج؛ فيتحصّن المسلمون في مدائنهم وحصونهم، ويضمّون إليهم مواشيهم، فيخرج يأجوج ومأجوج، فيمرّون على المياه والبحيرات فيشربون ما فيها، ويصيبُ الناسَ جَهدٌ في عيشهم، فيرغب عيسى عليه السلام والمؤمنون إلى الله تعالى أن ينجيهم من هذا الكرب العظيم، فيستجيب الله تعالى لهم، ويقضي على يأجوج ومأجوج في ليلةٍ واحدةٍ، فيتأذّى النّاس من روائح جثثهم، ويرغبون إلى الله تعالى أن يُطهّر الأرض من نتنهم، فيستجيب الله تعالى لهم، فيرسل طيراً تأخذ جثثهم إلى مكان يعلمه الله، ثم يأمر السماء فتمطر مطراً يغسلُ الأرض، حتى يتركها كالمرآة[4].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٥/ ١٩٠، والتذكرة، القرطبي: ٢/ ٣٨٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٣/ ٣٧٧-٣٨٢، ولسان العرب: ١/ ٨٣، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٥١، ١٥٢، وفتح الباري: ٦/ ٤٤٤، وفيض القدير: ٤/ ١٧٦.

(٢) الوحي لغةً: يأتي بمعنى الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي. وفي الشرع هو: أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر. انظر: لسان العرب: ٩/ ٢٤٣، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٢/ ٣٩٧-٣٩٨، ومدارج السالكين: ١/ ٣٨، وفتح الباري: ١/ ١٤، ١٥، ومناهل العرفان: ١/ ٦٣.

(٣) قال الإمام السيوطي رحمه الله: «لا تنافي بين كونه -أي عيسى عليه السلام- ينزل متبعاً للنبي ﷺ وبين كونه باقياً على نبوته ويأتيه جبريل بما شاء الله من الوحي» الحاوي للفتاوي: ٢/ ٢٩٦، وانظر: الفتاوى الحديثية: ١٥٥.

(٤) سيأتي ذكر سياق الحديث الوارد في يأجوج ومأجوج، عند بيان الاعتقاد الحق فيهما في مقام الرد على أهل الكتاب، حيث يعدّون خروجهم من جملة ملاحم آخر الزمان، بخلاف المسلمين. انظر: ص: ٣٩٩.

المطلب الثالث: تحسن أحوال الناس:

تتصف المرحلة الزمنيّة الواقعة بين القضاء على يأجوج ومأجوج ووفاة عيسى عليه السلام، بالتحسّن العامّ في سائر أحوال الناس: المعيشيّة، والأمنيّة، والدينيّة، والاجتماعيّة، **وكأنّها بمثابة مكافأة عاجلة للمؤمنين الذين صبروا على لأواء الملاحم**، مع ما ينتظرهم من نعيم الآخرة، وفيما يأتي بيان أحوال العيش الطيّب في زمن المسيح عليه السلام:

أولاً: تحسن الأحوال المعيشية:

يظهر تحسن الأحوال المعيشيّة في عدّة أمورٍ، هي:

١- نزول البركة في الأرض.

بعد أن تعود الأرض كالمرآة، يأمرها الله أن تُنبت ثمرتها، وترُدّ بركتها(١)، ويُباركُ في الثمار واللبن؛ لقول النبي ﷺ: «ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ(٢) منه بيتُ مدرٍ(٣) ولا وبرٍ(٤) فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة(٥)، ثم يُقال للأرض أنبتي ثمرتك، ورُدّي بركتك، فيومئذٍ تأكل

---

(١) كما كانت عليه في عهد آدم عليه السلام؛ لقوله ﷺ: «وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم» تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.
والفاثور: طست من فضة أو ذهب ومنه قولهم لقرص الشمس: فاثورها، والمعنى أنها تكون مثل القرص في استوائها، وكالفضة في نضارتها، والله أعلم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٤١٢، ولسان العرب: ٧/ ٢٥.

(٢) لا يَكُنُّ: أي لا يمنع من نزول المطر على الأرض، والمعنى أنه يغسل الأماكن كلها، من بيوت البدو والحضر. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٢، والديباج على مسلم: ٦/ ٢٥٣.

(٣) بيت مدر: البيت المبنيّ من الطين الصلب والتراب والحجر. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٧، ٣٣٩، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٢.

(٤) ولا وبر: أي صوف أو شعر، وهي بيوت البدو التي تسمّى الخيام، وبيوت الشعر. انظر: لسان العرب: ٩/ ٢٠٠، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٥٠٧.

(٥) الزَّلَفَة: هي المرآة، والمقصود أنّ الأرض ستصبح كالمِرآة في الصفاء والنظافة، وقيل غير ذلك. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٦٩.

العصابة من الرمّانة ويستظلّون بقِحْفِهَا[1]، ويُبارَك في الرِّسلِ[2] حتى أن اللِّقْحَةَ[3] من الإبل لتكفي الفئام[4] من الناس، واللِّقْحَةَ من البقر لتكفي القبيلة[5] من الناس، واللِّقْحَةَ من الغنم لتكفي الفخذ[6] من الناس»[7].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «طوبى لعيشٍ بعد المسيح[8]، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النّبات، حتى لو بذرت حبّك على الصفا لنبت وحتى يمرَّ الرّجل على الأسد فلا يضُرُّهُ، ويطأ على الحيّة فلا تضُرُّهُ، ولا تشاحّ[9]ولا تحاسُد[10] ولا تباغض[11]»[12].

(١) بقحفها أي قشرها. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٣.

(٢) الرِسل هو اللبن. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٣.

(٣) اللقحة: أي الناقة الحلوب. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٤٥٤، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٦٢.

(٤) الفئام هي الجماعة الكثيرة. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٣.

(٥) القبيلة هم الجماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جدٍّ واحدٍ، وجمعها قبائل. انظر: مختار الصحاح: ٥٢٠، ولسان العرب: ٩/ ٢٣١، والمعجم الوسيط: ٢/ ٧١٣.

(٦) الفخْذ هنا جماعة من الأقارب، وهم دون البطن، والبطن دون القبيلة. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٨، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٣.

(٧) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

(٨) قوله: «بعد المسيح» أي بعد نزوله ﷺ؛ لأنّ هذا يكون حال الأرض ومن عليها بعد نزوله وموت يأجوج ومأجوج. انظر: فيض القدير: ٤/ ٣٦٣، وصحيح أشراط الساعة، مصطفى الشلبي: ٢٦٢ «حاشية: ٣».

(٩) التشاح مأخوذ من الشح، وهو البخل والحرص، ويقال: تشاح الرجلان على الأمر إذا أراد كلّ واحدٍ منهما الفوز به ومنعه من صاحبه، فالتشاح فيه حرص، ومنافسة وبخل، وقد يؤدي إلى التناحر، وهذا منتفٍ في زمن المسيح ﷺ. انظر: مشارق الأنوار: ٢/ ٣٠٦، والنهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٤٤٨، ولسان العرب: ٥/ ٤٢.

(١٠) الحسد هو أن يتمنى الحاسد زوال النعم عن المحسود، وانتقالها إليه، وقيل: لا يشترط أن يتمنى انتقالها إليه، وهو حرام، بإجماع المسلمين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٣٨٣، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٦/ ١٤٠، ١٦/ ١٧٤، ولسان العرب: ٢/ ٤٣٨، ٤٣٩.

(١١) أصله البغض، وهو نقيض الحب، وهو المقت والكره، والتباغض تعاطي أسباب البغض، والسعي في تحصيله. انظر: لسان العرب: ١/ ٤٦٥، وطرح التثريب: ٨/ ٩٦، وفتح الباري: ١٠/ ٤٩٨.

(١٢) رواه أبو سعيد النقّاش في فوائد العراقيين: ح٢٨، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح١٩٢٦.

٢- إفاضة المـال.

يعمُّ الخير في زمن عيسى عليه السلام جميع الأرض، حتى يفيض المال، فلا يقبله أحد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد»[(١)]، وفي رواية: «والله لينزلنّ ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرنّ الصليب، وليقتلنّ الخنزير، وليضعنّ الجزية، ولتُتركنّ القِلاصُ[(٢)] فلا يُسعى عليها، ولتذهبنّ الشحناء[(٣)] والتباغض والتحاسد، وَلَيَدْعُوَنّ إلى المال فلا يقبله أحد[(٤)]»[(٥)].

٣- الاستغناء عن الإبل.

لما تقدّم من قول النبي ﷺ -في الحديث السابق-: «ولتُتركنّ القِلاصُ فلا يُسعى عليها[(٦)]».

٤- غلاء الثور، ورخص الفرس:

بعد هلاك يأجوج ومأجوج، ونزول البركة في الأرض، يتّجه النّاس إلى عمارة الأرض،

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٤٢، ٤٣.

(٢) القلاص جمع قلوص: وهي الأنثى من الإبل، وقيل القلوص: الباقية على السير من النوق، وقيل: هي الناقة الشابة. انظر: كشف المشكل: ٣/ ٣٢٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) أي العداوة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٤٣٩.

(٤) قال الإمام النووي رحمه الله: «معناه يكثر -المال- وتنزل البركات وتكثر الخيرات بسبب العدل، وعدم التظالم، وتقل أيضاً الرغبات -في الدنيا عموماً، والمال خصوصاً سواء كان صدقةً أو هبةً أو زكاةً- لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة، فإنّ عيسى ﷺ علم من أعلام الساعة والله أعلم» صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥٠، ٢٥١ «باختصار»، وقيل في سبب عدم قبولهم المال: «لكثرته واستغناء كل واحد بما في يده» عمدة القاري: ١٢/ ٣٥، وانظر: طرح التثريب: ٧/ ٢٦٧، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٧، ٥٦٨.

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ، ح١٥٥.

(٦) يحتمل أن يزهد الناس فيها ولا يرغبون في اقتنائها لكثرة الأموال، أو لقلة الآمال، أو لعدم الحاجة إليها لكثرة غيرها، أو أن عيسى عليه السلام لا يأمر أحداً بأن يسعى على أخذها وتحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها، والله تعالى أعلم. انظر: كشف المشكل: ٣/ ٣٢٦، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥٣.

بحرثها وزرعها، فيغلو ثمن الثور؛ للاحتياج إليه في الحرث، ويرخص الفرس؛ لتوقف الجهاد، فلا يُحتاج إليه، كما في قول النبي ﷺ: «ويكون الثور بكذا وكذا من المال!، ويكون الفرس بالدريهمات»[1].

ثانياً: سيادة الأمن وإشاعة السلام:

من سمات العيش الطيّب في عهد المسيح ﷺ: تحقق الأمن في الأرض، وقد جاء في الأحاديث الإشارة إلى ظهور هذا الأمن في أمرين:

الأول: توقف القتال وإشاعة السلام.

فالنّاس بعد هلاك يأجوج ومأجوج، يجتمعون على توحيد الله وطاعته، مما يكون سبباً في إيقاف القتال بينهم، كما في قول النبي ﷺ: «وتضع الحرب أوزارها»[2].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل عيسى ابن مريم إماماً عادلاً، وحكماً مُقسطاً، فيكسرُ الصليب، ويقتلُ الخنزير، ويُرجِعُ السَّلمَ، ويَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ[3]»[4].

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره، وروي في الحديث: «قالوا: يا رسول الله وما يرخص الفرس؟ قال: لا تُركبُ لحرب أبداً. قيل له: فما يُغلي الثور؟ قال: تُحرثُ الأرضُ كلها» رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال، ح٤٠٧٧، وضعف الألباني هذه الزيادة في ضعيف سنن ابن ماجه: ح٤٠٧٧.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

(٣) المنجل هو الآلة التي يحصد بها الحشيش والزرع، والمراد أن الناس يتركون الجهاد ويشتغلون بالحرث والزراعة، فتستخدم السيوف في قطع الحشيش، ونحوه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٣، ولسان العرب: ٨/ ٤٦٩، وإتحاف الجماعة: ٣/ ١٠٥.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ح١٠٢٦١، وقال ابن كثير: «تفرد به أحمد وإسناده جيد قوي صالح» النهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٤٤، وقال التويجري: «رجاله رجال الصحيح» إتحاف الجماعة: ٣/ ١٠٥، وتعقب الألباني ابن كثير في حكمه على الحديث، فقال: «الأولى أن يقال: إنه قوي بما قبله» قصة المسيح الدجال: ١٠١.

الثاني: الأمن من غائلة الحيوانات المؤذية:

من طيب العيش في زمن المسيح، أنّ الله تعالى ينزع طبيعة الأذى من الحيوان، حتى يلعب الصبيّ مع الثعبان فلا يضرّه، وترعى الوحوش مع الأغنام والأبقار فلا تضُرُّها، كما في تتمة حديث أبي هريرة ﷺ السابق قال: قال رسول الله ﷺ: «وتذهب حُمَةُ[1] كلّ ذات حُمَةٍ وتُنزل السماء رزقها، وتُخرج الأرض بركتها، حتى يلعب الصبيّ بالثعبان فلا يضُرُّهُ، ويراعي الغنمَ الذئبُ[2] فلا يضُرُّها، ويراعي الأسدُ البقرَ فلا يضُرُّها»[3].

ثالثاً: اجتماع الناس على التوحيد، وإقبالهم على الطاعة:

أعظم الثمار التي يجنيها الناس في تلك الفترة، اجتماعهم على توحيد الله تعالى وإقبالهم على عبادته تبارك اسمه، وفيما يأتي بيان هذين الأمرين:

الأول: اجتماع كلمة الناس على التوحيد:

تقدّم أن المسيح ﷺ يُبطل الأديان كلّها سوى الإسلام، فلا يبقى في الأرض إلا المؤمنون، كما في قول النبي ﷺ: «وتُملأ الأرض من السّلم كما يُملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدةً فلا يُعبدُ إلا الله، وتضعُ الحربُ أوزارها»[4].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبي -يعني عيسى-، وإنّه نازلٌ فإذا رأيتموه فاعرفوه؛ رجلٌ مربوعٌ إلى الحمرة والبياض، بين مُمَصَّرَتَيْنِ، كأنّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل النّاس على الإسلام، فيدقُّ الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك

(١) أي سُمّها وضرها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤٤٦، ولسان العرب: ٢/ ٦١٨.

(٢) أي يرعى معها. انظر: لسان العرب: ٤/ ١٨٣، وتاج العروس: ٣٨/ ١٦٤.

(٣) وفي رواية: «وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضُرُّهُ، ويطأ على الحية فلا تضُرُّهُ» تقدم تخريجه: ص ٢٦٧، وفي رواية أخرى: «وتقع الآمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيّات لا تضُرُّهُم» تقدم تخريجه: ص ٢٦٣ من رواية أحمد وأبي داود.

(٤) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»[(١)].

الثاني: الإقبال على العبادة:

من سمات العيش الطيب في زمن المسيح ﷺ: الإقبال على العبادة، والتلذّذ بها، وهو ثمرةٌ طبيعيّةٌ لسلامة التوحيد، واجتماع الناس عليه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها[(٢)]»[(٣)].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «كأنّه يشير إلى صلاح الناس وإيمانهم، وإقبالهم على الخير، فهم لذلك يؤثرون الركعة على الدنيا»[(٤)].

رابعاً: شيوع التآلف والتحابّ بين الناس:

يمتاز زمن المسيح ﷺ، باجتماع الناس، وصفاء قلوبهم، وتآلفهم فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ولتذهبنَّ الشَّحناء والتباغض والتحاسـد»[(٥)].

وعنه ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «طوبى لعيشٍ بعد المسيح ... ولا تَشَاحَّ ولا تحاسُد ولا تباغُض»[(٦)].

---

(١) تقدم تخريجه: ص ٤٣.

(٢) وذلك لأنّ الناس يجتمع لهم أمور منها: ١- سلامة التوحيد ٢-علمهم بقرب قيام الساعة، وأنهم في آخر الزمان ٣- معاينتهم لأشراط الساعة الكبرى ٤- مجالستهم لعيسى ﷺ، وتأثرهم به، ومعاينتهم لعبادته ٥- توافر الأرزاق، وخلو البال من الانشغال بتحصيلها ٦- انتشار الأمن، وصفاء القلوب.

(٣) تقدم تخريجه: ص ٤٢،٤٣ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) كشف المشكل: ٣/ ٣٢٥، ٣٢٦، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٥١.

(٥) تقدم تخريجه: ص ٢٦٨.

(٦) تقدم تخريجه: ص ٢٦٧.

المطلب الرابع: وفاة عيسى عليه السلام:

بعد أن يقضي عيسى عليه السلام على المسيح الدجال، ويحكم في الأرض بالعدل ويجمع الناس على توحيد الله وطاعته، ويزور البيت الحرام(١)، وتُجمع له الصلاة(٢)، وتتخلص الأرض من شرور يأجوج ومأجوج، وينعم المسلمون بالعيش الرغيد، يكون قد استوفى مهمّته على الأرض(٣)، واستكمل عمره الذي قدّره الله له، فيتوفّاه الله تعالى كسائر عباده،

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليُهلَّنَّ ابن مريم بفَجِّ الرَّوحاء حاجّاً أو مُعتمِراً أو ليَثْنِيَنَّهُما» رواه مسلم في كتاب الحج، باب إهلال النبي ﷺ وهديه، ح١٢٥٢.
والروحاء: سميت روحاء لانفتاحها ورواحها وهي من عمل الفرع بين المدينة ووادي الصفراء، على نحو من أربعين ميلاً، وقيل: على ستة وثلاثين ميلاً، أو ثلاثين، انظر: مشارق الأنوار: ١/ ٣٧٦، ٣٧٧، ومعجم البلدان: ٣/ ٨٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ٤/ ١١٩، وفتح الباري: ٢/ ١٠٢، ولوامع الأنوار البهية: ٢/ ١١٢، ١١٣.

(٢) جاء في الحديث: «وتجمع له الصلاة» تقدم تخريجه: ص ٢٦٣ من رواية أحمد لحديث ٧٩٠٣، وفي رواية: «فيصلي الصلوات الخمس ويجمع الجمع» رواه الطبراني في مسند الشاميين: ح٥٥٨، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق: ٤٧/ ٤٩٥، ويحتمل أن يكون المعنى خاصاً بعيسى عليه السلام كنايةً عن اتباعه لمحمد ﷺ، وذلك لأنّه قبل رفعه إلى السماء لم يجتمع له خمس صلوات في اليوم والليلة، ولا صلاة جمعة، انظر: الفتاوى الحديثية: ١٥٤، ويحتمل أن الصلاة في زمنه، تكون لله وحده لا شريك له، فيجتمع له الناس على عبادة الله وتوحيده، وهذا المعنى مناسب مع ذكر محو الصليب لقوله ﷺ: «ويمحو الصليب، وتجمع له الصلاة»، وفيه إشارة إلى اجتماع الناس، وألفتهم وعدم تفرقهم. انظر: تحقيق الأرناؤوط للمسند: ١٣/ ٢٨٠ «حاشية: ٢»، وقال عبدالفتاح أبو غدة في تحقيقه للتصريح بما تواتر في نزول المسيح: «أي يصير هو الإمام في الصلاة، مع قيامه بأعباء الإمامة العظمى. وإمامته بالصلاة إنما تكون بعد صلاته الصبح فور نزوله مؤتماً بإمام المسلمين إظهاراً لكرامة هذه الأمة وفضلها» ١٠٠ «حاشية: ٣».

(٣) جاء في بعض الكتب أن عيسى عليه السلام يتزوج ويولد له، وفي بعضها أنه يتزوج من قبيلة جذام وهم قوم شعيب الذين تزوج منهم موسى عليه السلام، وذكر بعضهم أنّه يولد له ولدان يسمي أحدهما محمد والآخر موسى.
والصواب بعد البحث في كتب الصحيح: أنّه لم يثبت عن النبيّ ﷺ في زواج عيسى عليه السلام حديثٌ صحيحٌ، والله تعالى أعلم، وقد ذكره القرطبي رحمه الله من كلام كعب الأحبار، فإن ثبت عن كعب، فهو مما لا يصدق ولا يكذب، إلا أن يُصدّقه الواقع، والله تعالى أعلم. انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: ٢/ ٣٦٤، ٣٦٥، ونظم الدرر: ٢/ ٧٩، ٨٠، والحاوي للفتاوي: ٢/ ٢٨٨، ٢٩٤، وعمدة القاري: ١٦/ ٤٠، وروح المعاني: ١٥/ ٣٢٨، ٣٢٩، والتصريح بما تواتر في نزول المسيح: ٢٩٣.

ويصلّي عليه المسلمون، ويدفنونه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال عن عيسى عليه السلام: «فيمكث في الأرض أربعين سنة[1]، ثم يتوفى فيصلّي عليه المسلمون»[2]، وفي رواية: «ويدفنونه»[3].

وهذا هو الذي صحّ في خبر وفاة عيسى عليه السلام، ولم أقف على دليلٍ صحيحٍ صريحٍ يدلُّ على مكان وفاته ودفنه عليه السلام[4].

وفي وفاة المسيح عليه السلام وصلاة المسلمين عليه، ودفنهم إيّاه، تحقيقٌ لما حكاه الله تعالى من قول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل وهو طفلٌ رضيعٌ: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[5].

---

(١) تعدّدت الروايات الواردة في مدة إقامة عيسى عليه السلام من حين نزوله إلى الأرض، وأظهر ما صحّ في هذا المقام روايتان: إحداهما أنّه: يمكث أربعين سنة، والأخرى أنّه: يمكث سبع سنين، فأما رواية الأربعين فهي التي أثبتت أعلاه، وأما رواية السبع؛ فقد صحّ من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنّه سمع النبي ﷺ يقول: «فيطلبه -أي يطلب عيسى عليه السلام الدجال- فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة» تقدّم تخريجه: ص ٢٥٩، وقد **اختلف العلماء** في هاتين الروايتين، فمنهم من سلك مسلك الترجيح، فقال: إنّه يمكث في الأرض سبع سنين، ومنهم من جمع بينهما، وهؤلاء اختلفوا في صورة الجمع، **ولعل الصواب**: أن يُجمع بينهما بأنّ مجموع مكث عيسى عليه السلام في الأرض بعد نزوله أربعون سنة، يُمضي منها ثلاثاً وثلاثين سنة في قتل الدجال وأتباعه، وإقامة العدل في الأرض، وإبطال الأديان سوى الإسلام، والاحتراز من يأجوج ومأجوج حتى هلاكهم، ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس فيها عداوات، يتم بها الأربعين سنة، والله تعالى أعلم. انظر: التذكرة، القرطبي: ٢/ ٣٦٤، وتخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي: ١/ ٣٦٧، والنهاية في الفتن والملاحم: ١/ ١٥٠، والإصابة: ٤/ ٧٦٦، وفتح الباري: ٦/ ٥٤٥، ٥٦٩، والفتاوى الحديثية: ١٥٩، والإشاعة: ١٣٥، والفواكه الدواني: ١/ ١١١.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٤٣ من رواية أبي داود.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح٧٥٢٩، ٩٩٧٤، والطبري في جامع البيان: ٥/ ٤٥١، وصححه الألباني في قصة المسيح الدجال: ١٠٠، والأرناؤوط في تحقيقه للمسند: ح٧٥٢٩، ٩٩٧٤.

(٤) انظر: البداية والنهاية: ٢/ ٥٢٥، ٥٢٦، وفتح الباري: ١٣/ ٥٦٩، والحاوي للفتاوي: ٢/ ١٧٣، وعون المعبود: ١١/ ٤٥٤، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٤٨٩، ونهاية العالم، مصطفى مراد: ٢٦٣.

(٥) سورة مريم: آية (٣٣).

فعيسى عليه السلام لما بُعث إلى بني إسرائيل، رفع إلى السماء، وقبل يوم القيامة سينزل إلى الأرض، ويموت بعد نزوله كما يموت سائر الناس، ثم يُبعث يوم القيامة حيّاً[1].

(١) انظر: المسيح المنتظر، المقوشي: ٣/ ١٢٨٣-١٢٨٦.

الفصل الثالث

الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند المسلمين

وفيه تمهيد وثلاثـة مباحـث : -

- تمهيـــد.
- المبحث الأول: آثار الملاحم في نظرة المسلمين للمستقبل.
- المبحث الثاني: آثار الملاحم في موقف المسلمين الفكري من أهل الكتاب.
- المبحث الثالث: آثار الملاحم في تعزيز بعض المفاهيم الإسلامية.

تمهيـــــــد.

تُعدُّ الملاحم عند المسلمين من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، وتنفيذ ما تضمّنته من توجيهاتٍ وإرشاداتٍ، دون أن يسعى المؤمن إلى التعجيل بها؛ طالما لم يؤمر بذلك شرعاً، بل جاء في النصوص ما يستحثُ المسلم أن يطلب الوقاية من بعضها، كما أمر النبي ﷺ بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال(١)، وأرشد إلى حفظ آياتٍ من سورة الكهف(٢)، رجاء أن تعصم قارئها من فتنته، وفي حفظها وقراءتها استعدادٌ إيجابيٌ بتحصيل العلم والعمل الذي يقي من فتنة المسيح الدجال.

وكما أنّ أخبار الملاحم لا تدعو المؤمن إلى استعجالها، فهي أيضاً لا تدعوه إلى السلبية والتواكل والتقاعس عن العمل، بل المسلم مطالبٌ بأن يبذل الخير، ويسعى في تحصيله، ما دامت الروح لم تفارق البدن، لما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»(٣).

ومن هنا، فإنّ الإيمان بالغيب، ومنه ما جاء في أخبار الملاحم، لا يحول دون إيجابية المؤمن، ولذا فمن تقاعس أو توانى، أو توقّف عن المشاركة الإيجابية في بناء المجتمع المسلم، أو لم يقم بما يجب عليه من الجهاد في سبيل الله أو الاستعداد المأمور به شرعاً، لإرهاب الأعداء، أو أعرض عن نصيبه من الحياة الدنيا؛ بحجة انتظار المهدي(٤) ونحوه، فقد ابتدع في الدين، وأحدث فيه ما لم يأذن به رب العالمين.

ولقد ذكر النبي ﷺ الدجال، فخفّض فيه ورفّع، حتى ظنّه بعض الصحابة في طائفة النخل(٥)،

---

(١) انظر: ص ٢٤٣ من الرسالة.

(٢) انظر: ص ٢٥٠ من الرسالة.

(٣) رواه أحمد في مسنده: ح١٢٩٨١، وعبدُ بن حميدٍ في المنتخب: ح١٢١٤، واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد: ح٤٧٩، وصحح إسناده المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير: ١/ ٣٧٢، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٩، والأرناؤوط في تحقيقه لمسند الإمام أحمد: ح١٢٩٨١.

(٤) انظر: القيامة الصغرى، عمر الأشقر: ١٢٨.

(٥) انظر: ص ٢٤٠ من الرسالة.

وغلب على ظنّ بعضهم أنّهم سيدركونه، حتّى كان منهم من يجزم أنّ الدجال هو ابن صيّاد[1]، ومع ذلك ما تقاعسوا عن عمل، ولا تأخروا عن جهاد!.

وأحب قبل البدء بتلمس الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند المسلمين، أن أنبّه إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أنّ المراد بالملاحم هو ما صحّ به الخبر عن سيّد البشر ﷺ وأمّا ما ركّبه الروافض والوضّاعون، فليس من الملاحم في شيء! وما بنوه على ذلك من الاستعداد لمجيء الغائب المنتظر[2]، فهو من الباطل الذي لا يُعتدُّ به.

والأمر الثاني: أنّ الدراسة تُعنى بالدرجة الأولى **بآثار الملاحم نفسها وما نتج عنها** من إعزاز الدين، وتوحيد كلمة العالمين على عبادة الله وحده لا شريك له، دون آثار مقدّماتها ونحوها، مما لا يُعدُّ في صلبها، وإنّما هو من ممهداتها أو مكمّلاتها.

والأمر الثالث: أنّ للملاحم آثاراً في نظرة المسلمين للمستقبل، وموقفهم من أهل الكتاب، ولها أثر في تعزيز بعض المفاهيم الإسلامية، بيد أنّ تأثيرها ليس تأثير إنشاءٍ، بمعنى أنّ الآثار التي أُفيدت من الملاحم، قد تقرّرت بدونها، تقريراً واضحاً جليّاً، ومن ثمّ فتأثير الملاحم هو من جهة تأكيد هذه المعاني وتعزيزها، بالإضافة إلى تجسيدها في أحداثٍ واقعيةٍ تشهدُ بصحة ما سبق أن قرّرته الشريعة حول نظرة المسلمين للمستقبل، وموقفهم من أهل الكتاب، ونحو ذلك، وفي المباحث الثلاثة الآتية تلمس شيءٍ من هذه الآثار ودراستها بإيجاز.

---

(١) انظر: ص ٦٦ من الرسالة.

(٢) دلت النصوص الشيعية على أهمية الاستعداد لمجيء الغائب المنتظر، فمن ذلك ما رواه النعماني في كتاب الغيبة عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «ليعدّن أحدكم لخروج القائم ولو سهماً، فإنّ الله تعالى إذا علم من نيته رجوت لأن ينسئ في عمره حتى يدركه فيكون من أعوانه وأنصاره» نقلاً عن الإمام المهدي ومفهوم الانتظار، كاظم جعفر المصباح: ١٥، ومن الاستعداد الإيجابي -عندهم- لمجيئه، إقامة الدولة الشيعية، قال عبدالهادي الفضلي: «إنّ التوطئة لظهور الإمام المنتظر -عليه السلام- تكون بالعمل السياسي، عن طريق إثارة الوعي السياسي، والقيام بالثورة المسلحة» في انتظار الإمام: ٧٠، وانظر: الإمام المهدي ومفهوم الانتظار: ٢٤٤.

المبحث الأول: آثار الملاحم في نظرة المسلمين للمستقبل

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيـــــد:

تتضمن أخبار الملاحم أنّ المستقبل سيشهدُ حروباً عظيمةً بين المسلمين وأهل الكتاب، ينتصرُ فيها المسلمون على أعداء الله، الجاحدين وحدانيته، والكافرين برسله.

ومن خلال هذه الرؤية يُمكنُ تلخيص نظرة المسلمين للمستقبل في أنّه يحوي آلاماً وآمالاً، فأما الآلام فهي مقتضى قول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[2]، وذلك أنّ أخبار الملاحم التي ستسفر عن جرحى وقتلى، تبعث في النفس آلاماً وإشفاقاً منها.

وأما الآمال فهي نتائج الصبر والتضحية والبذل للدين، فما أجمل أن يعلم الصابر أنّه ظافرٌ منصور، وأنّ المستقبل مُبشِّرٌ بنصره وعزّه، ولو بعد حين!.

إنّ هذه الآمال كفيلةٌ أن تخفّف من عناء الآلام، وأن تزرع في نفس صاحبها روح التفاؤل، ليرى في باطن المحن منحاً، ولتثبت قدماه في مواجهة الصعاب، ليقينه بالأجر والنصر، وأنّه يقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله[3].

فالملاحم في وجدان المؤمن خيرٌ على كلّ حال، إن أصابه من آلامها شيء، صبر فأُجِر وأُثيب،

(١) سورة آل عمران: آية (١٤٢).

(٢) سورة البلد: آية (٤).

(٣) انظر: فقه أشراط الساعة: ٢٢.

وإن شهد من آمالها شيئاً؛ شَكَرَ فكان خيراً له.

وفي الثلاثة المطالب الآتية وصفٌ لألمٍ وأملين!، فأما الألم فهو استمرار الصراع مع أهل الكتاب إلى أن ينزل عيسى عليه السلام فيحكم بالإسلام، وأما الأملان فهما أنّ هذه الأمة لن تخلو من بقيّةٍ يجاهدون بكلّ أنواع الجهاد المشروع لإعلاء كلمة الله، وأنّ الإسلام سينتصر على سائر الأديان، فالمستقبل له، والخزي والخسران لمن ناوأه!.

المطلب الأول: استمرار الصراع مع أهل الكتاب إلى نزول عيسى عليه السلام:

من العقائد المستقرّة عند المسلمين أنّ الجهاد ماضٍ إلى قرب قيام الساعة[1]، وفي أخبار الملاحم تأكيدٌ لهذا المعتقد[2]، وإشارةٌ إلى معلمٍ مهمٍّ من معالم الصراع الأخير، وهو أنّه صراعُ أديان؛ لأنّ الملحمة الكبرى ستكون مع الصليبيين، بعد أن تعود دولة الروم قوّةً عظمى، تملأ الأرض بطغيانها، الذي سينتهي على أيدي المسلمين[3].

وأمّا الملحمة مع المسيح الدجال وأتباعه فستكون مع اليهود، بعد أن يُصبح لليهود ودجّالهم سلطانٌ ظاهرٌ في الأرض.

ومن ثمّ فهو صراعٌ تظهر فيه ألوية التوحيد، وأخشبة الصلبان، وطيالسة اليهود، وتختفي فيه المذاهب المادّية، والتجمّعات اللادينيّة.

وفي الملاحم إشارةٌ إلى أنّ الصراع مع أهل الكتاب، كما أنّه قديمٌ بقدم الإسلام فهو حديثٌ ومتجددٌ إلى أن يُقضى على الأديان الباطلة، بنزول عيسى عليه السلام[4].

---

(١) بوّب البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد والسير من كتابه الصحيح، باباً قال فيه: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر لقول النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

(٢) يحسن التنبيه إلى أن استمرار الصراع لا يعني نفياً للفترات التي تشهدُ شيئاً من الهدوء النسبي، غير أنها فترات طارئة، غالباً ما يتبعها صراعٌ مع أهل الكتاب!.

(٣) انظر: الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى، وائل العسود: ١٨.

(٤) سبق الحديث عن نزول عيسى عليه السلام وإنهائه للصراع مع أهل الكتاب، انظر: ص ٢٥٢-٢٦٤ من الرسالة.

فعن نافع بن عتبة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله». قال: فقال نافع: يا جابر لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً؛ فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية»(٢).

فهذان الحديثان وأمثالهما تدلُّ على استمرار الصراع مع أهل الكتاب، حتى يقضي المسيح عيسى عليه السلام على الأديان الباطلة، فيجتمع الناس في زمنه على توحيد الله تعالى، وحينها تتوقف الحروب والصراعات بين الناس، كما في قول النبي ﷺ عن زمن المسيح عليه السلام: «وتُملأ الأرض من السِّلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدةً فلا يُعبدُ إلا الله، وتضعُ الحربُ أوزارها»(٣).

قال الملا علي القاري رحمه الله: «وبعد قتل الدجال لا يكون الجهاد باقياً؛ إمّا على يأجوج ومأجوج فلعدم القدرة والطاقة عليهم، وعند ذلك لا وجوب عليهم، وإمّا بعد إهلاك الله إيّاهم، حيث لا يبقى على وجه الأرض كافرٌ ما دام عيسى عليه السلام حيّاً في الأرض، وإمّا على من كفر من المسلمين بعد عيسى عليه السلام فلموت المسلمين كلّهم عن قريبٍ بريحٍ طيبةٍ، وبقاء الكفار إلى قيام الساعة»(٤).

وتجدر الإشارة إلى أنّ التصور الإسلامي بمضي الجهاد وخصوصاً مع أهل الكتاب، لا يحول دون اتجاه المسلمين إلى إعمار الأرض، وغرس الأشجار، وكري الأنهار، وبناء الديار، وذلك أن العقلية الإسلامية تستوعب الأمرين معاً، وترى فيهما طريقاً واحداً يوصل إلى الله والدار الآخرة!(٥).

(١) تقدم تخريجه: ص ١٨٢، ١٨٣.

(٢) تقدم تخريجه: ص ٤٢، ٤٣ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) تقدم تخريجه: ص ٢٤٣ من رواية أبي داود وغيره.

(٤) مرقاة المفاتيح: ١/ ٢٣٣ «بتصرّف».

(٥) انظر: مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب: ٢٨٣-٢٩٣.

المطلب الثاني: استمرار وجود الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة:

تُرسِّخ أخبار ملاحم آخر الزمان عند المسلم، أنّ هذه الأمة ودودٌ ولودٌ، وأنّها وإن مرضت وأصابها الإعياء بسبب ذنوبها وتقصيرها، إلا أنّها لا تموت![1]؛ لأنّ الله تعالى أحبّها، فهيأ لها ما به يرحمها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكان من رحمة الله بها وإحسانه إليها، أن قضى بحفظ دينها، وتوفيق طائفةٍ منها للقيام بأمر ربها، باللسان والبنان والسنان، وجعْلِهم ظاهرين على أعدائهم، قاهرين لهم، منصورين عليهم.

كما في حديث معاوية ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمّةٌ قائمةٌ بأمر الله لا يضرّهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» قال معاذ: وهم بالشام[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض تعليقه على هذا الحديث وأمثاله: «وهذا أخبر به -النبي ﷺ- حين كانت أمّته أقلّ الأمم، فانتشرت الأمّة في مشارق الأرض ومغاربها، وكان كما أخبر به، فإنّ هذه الأمة ولله الحمد والمنة لم يزل فيها طائفةٌ ظاهرةٌ بالعلم والدين والسيف لم يصبها ما أصاب من قبلها من بني إسرائيل وغيرهم حيث كانوا مقهورين مع الأعداء، بل إن غُلبت طائفةٌ في قطر من الأرض كانت في القطر الآخر أمّةٌ ظاهرةٌ منصورةٌ ولم يُسلّط على مجموعها عدوّاً من غيرهم ولكن وقع بينهم اختلافٌ وفتنٌ»[3].

---

(١) انظر: الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل الكيلاني، مقدمة عمر عبيد حسنة: ١٢.

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية: ح٣٦٤١، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»: ح١٠٣٧.

(٣) الجواب الصحيح: ٦/ ١٢١، ١٢٢.

فهذه الطائفة المنصورة[1] لا تزال قائمةً بالحق، عزيزةً لا يضرّها من خالفها ولا من خذلها، ولو كانوا من بأقطارها، فهي باقيةٌ على الجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمته، إلى قرب قيام الساعة، فيشهد مجاهدوها الملحمة الكبرى، والمسيح الدجال ونزول عيسى ﷺ، ويأجوج ومأجوج، ثم يُرفع الجهاد، ويبقى أفرادها إلى أن تقبض الريح الطيبة أرواحهم[2].

ومصداق ذلك في قول النبي ﷺ: «ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه -أي من الدجال-، فيمسحُ عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ... فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيّبةً فتأخُذُهم تحت آباطهم، فتقبضُ روح كلّ مؤمنٍ وكلّ مسلمٍ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم السّاعة»[3].

وفي حديث ثوبان رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «عصابتان من أمتي أحرزهم الله من النار: عصابةٌ تغزو الهند، وعصابةٌ تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام»[4].

وفي أحداث ملاحم آخر الزمان، تظهر بشكل جليٍّ، تلك الطائفة المنصورة، التي تغضب حين ينال أحدٌ من ربها، فيثور ثائرها حين ينسب النصارى النصر لصليبهم، ويصدع المسلمون بأنّ الله -هو الذي- غلب[5].

---

(١) الطائفة المنصورة هم الذين جمعوا بين الاستقامة على منهج أهل السنة والجماعة، وبين العمل للدين، وهم أنواع من المؤمنين منهم شجعان مقاتلون، ومنهم فقهاء ومحدثون وزهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣/ ٩٧، وفيض القدير: ٦/ ٥١٤، وصفة الغرباء، سلمان العودة: ٢٠٦-٢١٥.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ٢/ ٢٤٩، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١٨/ ٢٩٥، ٢٩٦، والديباج على مسلم: ١/ ١٣٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٤٥١، ٤٥٢، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ٣٠٣.

(٣) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان رضي الله عنه.

(٤) رواه أحمد في مسنده: ح٢٢٣٩٦، والنسائي في كتاب الجهاد، غزو الهند: ح٣١٧٥، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي: ح٣١٧٥.

(٥) انظر: ص ١٩٩ من الرسالة.

وما إن تجتمع جيوش النصارى لاستئصال الإسلام من جزيرة العرب إلا ويُعلن المسلمون الجهاد في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله ودحر أعدائه[1].

وحين يحاصرهم اليهود ودجّالهم ببيت المقدس، يعقدون العزم على منازلة الكفرة الظالمين إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى عليه السلام[2].

وهكذا فقد جعل الله عز وجل من أعظم أسباب اجتماع كلمة هذه الأمة، أن ينال أحدٌ من ربها أو دينها أو نبيها ﷺ، فما يقع شيءٌ من ذلك، إلا وقد دبّت الحياة في عروقها، وانبعثت روح الجهاد والحميّة للدين في ربوعها.

فمهما حاول أعداء الأمة والمتربصون بها -من داخلها أو خارجها- أن يقضوا عليها، أو أن يطمسوا شيئاً من معالم دينها، أو أن يحولوا دون سريان الخير بين أبنائها، فإنّهم فاشلون ومهزومون، وفي الآخرة محاسبون ومعاقبون، إلا أن يتوبوا إلى الله ويتّقوه[3].

وفي استمرار وجود الطائفة المنصورة ما يُبشّر بنصر الإسلام، وظهوره على سائر الأديان، وأنّ المسلم لن يعدم أن يجد على الخير أعواناً، وأنّه مهما أظلمت الأرض بالجور والظلم، والفسوق والفجور، فإنّ فيها بقيّة من قومٍ صالحين، يبعثون الطمأنينة والأمل في نفوس الخائفين، ويرشدون إلى الخير الحائرين[4].

(١) انظر: ص ٢٠٣ من الرسالة.

(٢) انظر: ٢٥٦ من الرسالة، وأشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين: ٢/ ٥٧٤.

(٣) انظر: المبشرات بانتصار الإسلام، يوسف القرضاوي: ٤٨-٥٤.

(٤) انظر: أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد: ٢/ ٥٧٤، والمبشرات بانتصار الإسلام: ٣٧.

المطلب الثالث: انتصار الإسلام والقضاء على سائر الأديان:

من الآثار الفكرية الظاهرة لملاحم آخر الزمان: اليقين بأنّ المستقبل للإسلام[1]، فهو الدين الذي سيعم الأرض ومن عليها، لما جاء في حديث تميم الداري رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: «ليبلغن هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيزٍ أو بذلّ ذليل، عزّاً يعزُّ الله به الإسلام، وذُلاً يُذِلُّ الله به الكفر»[2].

وهو الدين الذي سيورث الله تعالى أتباعه الأرض قاطبة، كما في وعد الله في الزبور[3]، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[4].

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بِسَنَة عامّةٍ، وأن لا يُسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بَيْضَتَهُمْ، وإنّ ربي قال: يا محمد إني إذا قضيتُ قضاءً فإنّه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا أهلكهم بِسَنَة عامّةٍ، وأن لا أُسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بَيْضَتَهُمْ ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً ويَسبي بعضهم بعضاً»[5].

وقد نصّ الإمام ابن بطّال[6] رحمه الله على أنّ جميع الناس في زمن عيسى عليه السلام «يدخلون في

(١) انظر: فقد جاء أشراطها، محمود عطيّة: ٢٥٢.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح١٦٩٥٧، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ١٤، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ح٣.

(٣) الزبور هو أحد الكتب السماوية، وقد أنزله الله تعالى على عبده ونبيه داود عليه السلام، حيث قال جلّ وعلا: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ سورة الإسراء: آية (٥٥)، والزبور هو المزامير التي يلحقها اليهود والنصارى بكتابهم المقدّس وينسبونها إلى داود عليه السلام. انظر: الجواب الصحيح: ٣/ ٨٤، ٤٥٢.

(٤) سورة الأنبياء: آية (١٠٥).

(٥) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح٢٨٨٩.

(٦) هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطال المالكي، ويُعرف بابن اللجّام، من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، وكان ينتحل الكلام على مذهب الأشعري، توفي سنة ٤٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٨/ ٤٧، ٤٨، وتاريخ الإسلام: ٩/ ٧٤١، والوافي بالوفيات: ٢١/ ٥٦.

الإسلام، ولا يبقى من يخالفه»(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: «إذا نزل -عيسى عليه السلام- كسر الصليب، وقتل الخنزير، وأباد الملل كلّها؛ سوى ملّة الإسلام»(٢).

وهذا النصر المبين، لن يكون إلا للإسلام الصحيح الذي يوصل إلى الجنة، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، قبل الابتداع والتحريف!!.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(٣).

فالله جلّ شأنه أرسل رسوله محمداً ﷺ «ببيان فرائض الله على خلقه، وجميع اللازم لهم، وبدين الحق وهو الإسلام، ليظهره على الدين كله، يقول: ليعلي الإسلام على الملل كلها، ولو كره المشركون»(٤).

فالإسلام ظاهر على سائر الأديان بالحجّة والبيان، وسيتحقق كمال ظهوره بالسيف والسنان بعد نزول عيسى عليه السلام(٥)، حيث لا يبقى إلا دين الإسلام(٦).

قال الإمام أبو المظفّر السمعاني(٧) رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: «قال المفسرون: هذا عند نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، لا يبقى في الأرض أحدٌ

---

(١) شرح صحيح البخاري: ٦/ ٣٤٥.

(٢) المنار المنيف: ١٥٥.

(٣) سورة التوبة: آية (٣٣)، وسورة الصف: آية (٩).

(٤) جامع البيان: ١١/ ٤٢٢، وانظر: معالم التنزيل، البغوي: ٤/ ٣٩، ٤٠، وزاد المسير: ٣/ ٤٢٧، ٤٢٨.

(٥) قال الدكتور يوسف القرضاوي وفقه الله: «ومعنى ظهوره على الدين كله، غَلَبَتُهُ على جميع الأديان، وفي القرون الإسلامية الأولى غلب الإسلام على اليهودية والنصرانية والوثنية العربية والمجوسية الفارسية، وبعض أديان آسية وأفريقية، ولكنَّه لم ينتصر على جميع الأديان، فلا زلنا ننتظر هذه البشارة، ولن يُخلف الله وعده» المبشرات بانتصار الإسلام: ٢٩.

(٦) انظر: تفسير القرآن: ٥/ ٤٢٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٠/ ١٧٩، وتيسير الكريم الرحمن: ٦٤٩.

(٧) هو الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد التميمي السمعاني المروزي، توفي سنة ٤٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/ ١١٤-١١٩، والأعلام: ٧/ ٣٠٣، ٣٠٤.

إلا أسلم»[1].

فهذه الآية بشارة للمسلمين «بأنّ المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلّها»[2]، وأما ما يعيشه بعض المسلمين اليوم من ذُلٍّ وتفرّقٍ -بسبب بُعدِ بعضهم عن منهج الله، وتفلّت بعضهم من بعض التكاليف الشرعية-، فما هو إلا مرحلةٌ من مراحل التاريخ، وسيعقبها بإذن الله نصرٌ وعزٌّ وإيمانٌ.

وحين يعود المسلمون إلى الله، فيثقون به، ويلتزمون بدينه، ويلتفّون حول أئمة العدل، والعلماء الربانيين، ويبذلون جهدهم في نصرة الإسلام، فسينصرهم الله، وستنهار قوى الشر أمام كتائب الإيمان عاجلاً، كما ستنهار في ملاحم آخر الزمان.

(١) تفسير القرآن: ٢/ ٣٠٤، وانظر: زاد المسير: ٣/ ٤٢٨، وروح المعاني: ١٠/ ٨٦.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ٣١، وانظر: المبشرات بانتصار الإسلام: ٢٩.

المبحث الثاني: آثار الملاحم في موقف المسلمين الفكري من أهل الكتاب

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيـــــــد:

ينطلق المسلمون في موقفهم من أهل الكتاب من خلال رؤية شرعية مؤصلة، جاء بيانها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، مستقلّةً عن أخبار الملاحم، وروعي فيها تحقيق ما فيه مصلحةٌ للإسلام والمسلمين، ودفعُ ما فيه مفسدة، مع الالتزام بمقتضى العدل، الذي أمر الله به عباده[1].

وينبغي التنبه إلى أنّ مدار البحث هنا ليس عن التفصيلات العلمية والعملية لموقف المسلمين من أهل الكتاب[2]، وإنّما هو عن تأثير الملاحم في موقف المسلمين الفكري من أهل الكتاب، وهل استجدّ جديدٌ في هذا الموقف نتيجة أخبارها؟

ولئلا يتشعب البحث فسأقتصر على بحث ثلاث قضايا لها صلةٌ وثيقة بهذا الموضوع، وهي:

- الثقة بالنصارى.
- معاداة أهل الكتاب.
- السلام مع أهل الكتاب.

وبيان هذه القضايا في المطالب الثلاثة الآتية:

---

(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ سورة النحل: آية (٩٠).

(٢) للوقوف على شيء من الأحكام التفصيلية المتعلقة بتعامل المسلمين مع غيرهم، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم، ابن تيمية، وأحكام أهل الذمة، ابن القيم، والاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبدالله الطريقي، والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود.

المطلب الأول: موقف المسلمين من الثقة بالنصارى:

جاء في نصوص الملاحم أنّ النصارى يهادنون المسلمين قبل الملحمة الكبرى ثم يغدرون بهم![1]، وهذا الغدر ليس غريباً على النصارى، فإنّ تاريخ المسلمين القديم والحديث حافلٌ بذكر أخبار غدر النصارى وخيانتهم لعهودهم مع المسلمين[2].

وقد عقد الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «أحكام أهل الذمة» فصلاً بعنوان: «فصل في سياق الآيات الدالة على غشّ أهل الذمّة للمسلمين، وعداوتهم وخيانتهم وتمنيهم السوء لهم، ومعاداة الرب تعالى لمن أعزّهم أو والاهم، أو ولاهم أمور المسلمين»[3].

فإذا كان هذا حال أهل الذمة الذين يعيشون تحت كنف المسلمين ورعايتهم فما القول في غيرهم ممن لا سلطان للمسلمين عليهم؟!

---

(١) انظر: ص ١٨٩ من الرسالة.

(٢) ومن ذلك ما ذكره بعض المؤرخين من أنّ نصارى بيت المقدس حين طلبوا الأمان من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ والتزموا دفع الجزية، وافقهم على ما أرادوا، وفتح الله للمسلمين بيت المقدس، فلما كان يوم الجمعة وحانت صلاتها، وتقدم عمر ليصلي بالمسلمين، همّت الروم بالغدر، استغلالاً منهم لاشتغال المسلمين بالصلاة وبعدهم عن آلة الحرب، لولا أن نهاهم عن ذلك بعض من حضرهم فكفّ الله بأسهم، **ومن صور غدر النصارى بالعرب في التاريخ الحديث** ما ذُكر من تحالف الشريف حسين أمير مكة المكرمة مع الإنجليز، بهدف مناصرتهم له ضد العثمانيين، ليتمكن من إقامة خلافة إسلامية عربية، فرحبوا به وأظهروا له المناصرة، ونادوه بالألقاب الرنانة «قبلة الإسلام والمسلمين، سلالة مهبط الوحي المحمدي، الشريف ابن الشريف، أمير مكة المعظم...»، فأعلن الثورة العربية في ٩ شعبان ١٣٣٥هـ - ١٠ يونيه ١٩١٦م، فأغدقوا عليه المساعدات، ثم انصرفوا عنه بسبب فهمه الإسلامي للقضية العربية، إلى ابنه فيصل ذي النزعة القومية، واتضح بعد ذلك أنّ الإنجليز كانوا في الوقت نفسه يقدمون الوعود لليهود بمنحهم فلسطين، وللفرنسيين بتسهيل احتلالهم الشام، وقلبوا للعرب ظهر المجنّ بعد أن فتحوا لهم بلادهم وديارهم، وقد اعترف لورانس بالغدر الذي مارسه ودولته مع العرب، وهو ما يعيش العرب آثاره إلى اليوم. انظر: فتوح الشام، الواقدي: ١/ ٢٣٣، والثورة العربية الكبرى: ١٢٥-١٦٢، وحاضر العالم الإسلامي: ٢/ ٤/ ٢٨٣-٢٨٦، وجزيرة العرب في القرن العشرين: ١٧٦-١٨٩، ٣٥٤-٣٥٦، والاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٩٩-١١٠.

(٣) ١/ ٤٩٤.

ومن الآيات التي استشهد بها رحمه الله على خيانتهم للمسلمين وغدرهم بهم، قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ (١).

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ﷺ ينهى عن الثقة بأهل الكتاب ونحوهم من المشركين(٢)، ومن ذلك أنّه كتب إليه معاوية ﷺ: «أما بعد يا أمير المؤمنين: فإنّ في عملي كاتباً نصرانياً؛ لا يتم أمر الخراج إلا به، فكرهت أن أقلّده دون أمرك.

فكتب إليه: عافانا الله وإياك قرأت كتابك في أمر النصراني، أما بعد: فإنّ النصراني قد مات(٣)، والسلام»(٤).

وقد استثنى بعض أهل العلم من عموم النهي عن الثقة بهم واستعمالهم في أمور المسلمين؛ استعمالهم في غير القتال، بشروط منها: أن لا يوجد من يحسن عملهم من المسلمين، وأن يكون في استعمالهم مصلحة، وأن لا يكون فيما استعملوا فيه إعزاز لهم أو تسليطٌ لهم على المسلمين، أو تمكينٌ لهم من الاطلاع على أمور المسلمين الخاصة(٥).

---

(١) سورة آل عمران: آية (١١٨).

(٢) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح: ٢/ ٤٢٩، وأحكام أهل الذمة: ١/ ٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) أي عُدّ أنّ النصراني قد مات، فما كنت ستفعله حينها، فافعله الآن!.

(٤) أحكام أهل الذمة: ١/ ٤٥٥.

(٥) انظر: المغني: ١٣/ ٩٨، والفتاوى الفقهية الكبرى: ٤/ ١٩٤، والاستعانة بغير المسلمين: ٢٧٠، ٢٧١.

المطلب الثاني: موقف المسلمين من معاداة أهل الكتاب:

تعددت آيات القرآن الكريم المخبرة ببغض أهل الكتاب وغيرهم من المشركين للمسلمين، وحسدهم إيّاهم، وبغيهم عليهم، ومن ذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[2]، وقال جل جلاله لرسوله ﷺ -والخطاب له ولأمته-: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[3].

وهم في عداوتهم لأهل الإيمان درجات، فاليهود والذين أشركوا أشدُّ عداوة للمؤمنين من النصارى غير المتصهينين، لما جاء في قول الله تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[4].

فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم ويقتلونهم، فكيف ببغضهم وعداوتهم للمؤمنين؟!، وأما النصارى فترجع مودتهم للمؤمنين إلى أنهم ليس في دينهم- المبدَّل- بغض لأعداء الله الذين كفروا به وحاربوا رسله، فكيف يعادون المؤمنين بالله؟![5] هذا من حيث الجملة؛ ولكن لما دخل بعض اليهود في النصرانية لإفسادها، تأثرت بعض طوائف النصارى بحقد اليهود على المؤمنين

---

(١) سورة البقرة: آية (١٠٥).

(٢) سورة البقرة: آية (١٠٩).

(٣) سورة البقرة: آية (١٢٠).

(٤) سورة المائدة: آية (٨٢).

(٥) انظر: الجواب الصحيح: ٣/ ١٠٩، ١١٠.

وحسدهم إيّاهم، فأخذوا عنهم بغض المسلمين ومعاداتهم، في حين بقيت بعض الطوائف النصرانية التي سلمت -إلى حدٍّ ما- من التأثر باليهود، أقرب إلى المسلمين من النصارى المتأثرين باليهود.

وملاحم آخر الزمان تُظهر بشكلٍ جليٍّ مقدار العداوة التي يُكنّها أكثر اليهود والنصارى للمسلمين، حيث يجتمع النصارى أوّلاً في جيوشٍ ضخمةٍ بهدف القضاء على الإسلام والمسلمين، وخصوصاً في جزيرة العرب[1]، ثم يجتمع اليهود تحت قيادة دجّالهم المنتظر، ويغزون بلاد المسلمين بهدف إضلالهم وفتنتهم عن دينهم وقتل من ناوأهم.

فعداء أكثر اليهود والنصارى للإسلام، وكيدهم بالمسلمين في زمن الملاحم وغيره من الأمور البيّنة التي تُشعرُ المسلمين بأنّ المستقبل حافلٌ بظلم أهل الكتاب لهم، وعدوانهم عليهم، ونقضهم للعهود التي يقطعونها معهم.

والمسلمون بطبيعة الحال يقابلون العِداء بما يستحقه، ويعتقدون أنّه لا بدّ من صراعٍ أخيرٍ يُقضى فيه على الظالمين والمعتدين من أهل الكتاب[2]؛ ولكنّ اعتقادهم بهذا الصراع المستقبليّ لا يؤثّر في تعاملاتهم مع **المسالمين** من اليهود والنصارى؛ وذلك لأنّ المسلمين يضبطون تعاملاتهم مع أهل الكتاب وغيرهم بالضوابط الشرعية، ولذا فهم يُفرّقون بين المحارب الظالم، والمسالم المهادن، وبين الذميّ والمُعاهد، فيتعاملون مع كلّ إنسانٍ بما يستحقّه، دون ظلمٍ أو اعتداءٍ بغير وجه حقٍّ[3].

بل إنّ المسلمين من حيث الأصل يتجاوزون العدل في التعامل مع أهل الكتاب إلى الإحسان إلى المسالمين منهم، وقد أشار إلى ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله حين قال: «فإنّ الله سبحانه لما نهى في أول السورة[4] عن اتخاذ المسلمين الكفّار أولياء، وقطع المودة بينهم وبينهم، توهّم بعضهم أنّ

---

(١) انظر: الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى: ٢٧٩.

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، أحمد القاضي: ١/ ٢٣٢-٢٣٧.

(٣) انظر: الاستعانة بغير المسلمين: ٢٤، ٤٥، ٤٦، ٦٢-٦٤، والموالاة والمعاداة: ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٤) يقصد رحمه الله «سورة الممتحنة».

برّهم والإحسان إليهم من الموالاة والمودة، فبيّن الله سبحانه أنّ ذلك ليس من الموالاة المنهي عنها، وأنّه لم ينه عن ذلك، **بل هو من الإحسان الذي يحبه ويرضاه**، وكتبه على كلّ شيء؛ وإنّما المنهي عنه تولي الكفار والإلقاء إليهم بالمودة»[1].

وقد ذهب الإمام القرافي[2] رحمه الله إلى القول بأنّ البر بالمسالمين من أهل الكتاب مأمورٌ به، فقال: «وبالجملة **فبرهم والإحسان إليهم مأمورٌ به**. وودُّهم وتولّيهم منهيٌّ عنه. فهما قاعدتان إحداهما محرّمة، والأخرى مأمورٌ بها»[3].

وأشار رحمه الله إلى أنّ سبب الإحسان إليهم، هو أنّ لهم حقاً؛ إما حقّ الذمّة أو القرابة، أو الدعوة، أو المكافأة، ونحو ذلك، وقرّر أنّ كلّ خيرٍ يحسنُ بالأعلى أن يفعله مع الأدنى، أو يحسنُ بالعدو أن يفعله مع عدوه فهو من مكارم الأخلاق[4].

وذكر صوراً من البرّ بهم فقال رحمه الله: «وأما ما أُمر به من برّهم من غير مودّة باطنةٍ: **فالرفق بضعيفهم، وسدّ خُلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة**، لا على سبيل الخوف والذلّة»[5].

وقد شهد إيلي ليفي أبو عسل «يهودي مصري» بحسن تعامل المسلمين مع اليهود، فقال: «لسنا نعجب إذا رأينا ذلك التسامح النبيل الذي تجلّى من جانب العرب المسلمين نحو اليهود... فكان العرب في كلّ مكانٍ وزمانٍ يعاشرون اليهود معاشرةً قائمةً على الإخلاص وحسن النية»[6].

---

(١) أحكام أهل الذمة: ١/ ٦٠٢.

(٢) هو الإمام العالم الفقيه الأصولي أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي من علماء المالكية، كان متبحراً في عدة فنون، مجدد في الفقه وأصوله، تميز في الفتوى والقواعد العربية، توفي سنة ٦٨٤هـ. انظر: الوافي بالوفيات:١٤٦، ١٤٧، والديباج المذهب: ١/ ٢٢٦-٢٣٩، والأعلام: ١/ ٩٤، ٩٥.

(٣) الفروق: ٣/ ١٧.

(٤) انظر: الفروق: ٣/ ١٦، ١٧.

(٥) الفروق: ٣/ ١٦، ١٧.

(٦) يقظة العالم اليهودي: ٩٦، وانظر: المسيحية والتوراة: ١٢٣، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ٥٢.

وقال الدكتور أحمد سوسة[1] -وقد كان يهودياً فأسلم-: «وجدوا -أي اليهود- تحت راية الإسلام أمناً وعدلاً، اتقوا به شرّ الاضطهاد والاعتداء، وقد مضت عليهم قرون عديدة وهم في خيرٍ وثراءٍ»[2].

وأما النصارى فقد ذكر الفيلسوف والمؤرخ الأمريكي «ول ديورانت»[3] أنّهم كانوا في كثيرٍ من الأحيان يفضّلون حكم المسلمين على حكم أهل دينهم[4]!!.

وقال: «كان أهل الذمّة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئيون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في المسيحيّة هذه الأيام»[5].

وقال أيضاً: «غير أنّ المسلمين -كما يلوح- كانوا رجالاً أكمل من المسيحيين فقد كانوا أحفظ منهم للعهد، وأكثر منهم رحمةً بالمغلوبين، وقلّما ارتكبوا في تاريخهم من الوحشية مثل ما ارتكبه المسيحيون عندما استولوا على بيت المقدس في عام ١٠٩٩م[6]»[7].

---

(١) مهندس عراقي، ولد في الحلة بالعراق. أتم دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت عام ١٩٢٣م، سافر إلى أمريكا حيث حصل على بكالوريوس الهندسة المدنية، والماجستير والدكتوراه، توفي سنة ١٤٠٢هـ. انظر: في طريقي إلى الإسلام: ٣٩-٤٢، والموسوعة العربية العالمية: ١/ ٢٩٨.

(٢) في طريقي إلى الإسلام: ٨٥.

(٣) ولد سنة ١٨٨٥م، ويعتبر كتابيه: «قصّة الفلسفة»، و«قصّة الحضارة» من أفضل ما كُتب في موضوعيهما. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبدالمنعم الحفني: ١/ ٦١٣، ٦١٤.

(٤) انظر: قصة الحضارة: ١٣/ ٢٩٧.

(٥) المرجع نفسه: ١٣/ ١٣٠، ١٣١ «بتصرّف».

(٦) قال ف. م. هلير: «عندما دخل الصليبيون القدس قتلوا الألوف من المسلمين حتى يقال بأنّ شوارع المدينة المقدّسة جرت بالدماء، ولعمري إنّ هذا التصرف ليبدو غريباً من أتباع المسيح الذي كان يبشر ضد القتال، ويأمر بقوله: ألقوا السيف جانباً» مجمل تاريخ العالم من بدء الخليقة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية: ٢٨٠، وانظر: المسيح الدجال، لسعيد أيوب: ١٩٠، ١٩٨، وتساؤلات في المسيحية: ١٩٧.

(٧) قصة الحضارة: ١٣/ ٣٨٣، وانظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله: ٣/ ٢٣٨.

المطلب الثالث: موقف المسلمين من السلام مع أهل الكتاب:

يظهر من نصوص الملاحم أنّ إشاعة التحارب، وتشويش حالة السلام في آخر الزمان إنّما تكون على أيدي النصارى أولاً ثم على أيدي اليهود ثانياً، بخلاف المسلمين الذين يسالمون من سالمهم، ولا يقاتلون إلا من اعتدى عليهم.

وأما عن تأثير هذا التصور على موقف المسلمين من السلام مع أهل الكتاب اليوم، فيُقال فيه: إنّ المسلمين لا ينشئون قيمهم ونظراتهم للأمور من خلال ردود الأفعال، فرغم معرفتهم بما يعتمل في نفوس أكثر أهل الكتاب من حسدهم للمسلمين، وبغضهم إيّاهم، وتمنيهم صدّ المسلمين عن دينهم[1]، إلا أنّهم ينظرون نظرةً إيجابيةً إلى السلام العادل، الذي يحفظ الحقوق، ولا يتضمن ظلماً أو باطلاً.

فالمسلمون بطبيعتهم يؤثرون السِلم على الحرب، وهم أرغب الناس في السلام المبني على حقٍّ وعدل، لما جاء في قول الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾[2].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب إمّا بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإمّا بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ يقول: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه»[3].

وقال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم. فأخبرهم الله، أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره فقال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ

(١) انظر الآيات التي سبق إيرادها في مطلع المطلب الذي قبله.

(٢) سورة الأنفال: آية (٦١).

(٣) جامع البيان: ١١/ ٢٥١، وانظر: تفسير القرآن العظيم: ٤/ ٨٣، وفتح القدير: ٢/ ٤٦٢، ٤٦٣.

ٱللَّهُۚ﴾ [1]، أي: كافيك ما يؤذيك، وهو القائم بمصالحك ومهمّاتك، فقد سبق لك من كفايته لك ونصره، ما يطمئن به قلبك»[2].

وهذه الآية التي يُندب فيها إلى السلم حين يطلبه أهل الكتاب، لا تتعارض مع ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [3].

وذلك أنّ المسلمين يقبلون بالسلم حين يطلبه منهم أهل الكتاب، وأما هم فلا يبادرون بطلب السلم حال قوتهم وتمكنهم من جهاد أعدائهم.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قال جلّ وعلا لعباده المؤمنين: ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ أي لا تضعفوا عن الأعداء ﴿وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعُدّتكم ولهذا قال: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي في حال علوّكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفّار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة، فله أن يفعل ذلك»[4].

والمقصود: أنّ السلام مع أهل الكتاب، إذا كان مبنيّاً على عدلٍ وحقٍ، فهو مندوبٌ إليه، وأما إذا كان لا يحصل إلا بتحمل المسلمين لقدر من الظلم فإنّهم قد يقبلون به، لدفع شرٍّ أعظم منه، أو إذا رجحت مصالحه على مفاسده[5].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة

(١) سورو الأنفال: آية (٦٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ٦٢٨.

(٣) سورة محمد: آية (٣٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٣٢٣.

(٥) انظر: معالم السنن، الخطابي: ٢/ ٢٨٥، والروض الأنف: ٦/ ٤٨٣-٤٨٤، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ٢٩/ ٢٠٩، وزاد المعاد: ٣/ ٤٠٣، ٤٢١، وفتح الباري: ٥/ ٣٨٨-٤١٧، ٦/ ٣١٨.

للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شرٌّ منه»[1].

وفي حال كان السلامُ مع أهل الكتاب يستلزم أن يتنازل المسلمون عن شيءٍ من دينهم أو مقدّساتهم ونحوها فإنّهم يرفضونه[2].

وصفوة القول: إنّ الملاحم وإن كانت تكشف عن طبيعة أهل الكتاب، وأنّه لا ثقة بمسالمتهم، إلا أنّ المسلمين من الناحية النظرية والعملية لا يمانعون من مسالمتهم إذا كانت بحقٍّ وعدلٍ؛ استجابةً لأمر الله تعالى، وثقة بأنّه كافيهم غدر أعدائهم، ولا يخفى أنّ في الاستجابة لأمر الله بمسالمة أهل الكتاب وغيرهم حين يبادرون بطلب السلام: فرصة لنشر الدين[3]، وإعداد القوّة لردِّ عدوان الظالمين[4].

---

(١) زاد المعاد: ٣/ ٣٠٦، وانظر: المنتقى في الأحكام الشرعية: ٣/ ١٩٩.

(٢) انظر: معالم السنن: ٢/ ٢٨٥.

(٣) كما حصل في غزوة الحديبية حيث كان من آثار الصلح بين المسلمين والمشركين، شيوع الأمن، واستقرار النفوس، بحيث لم يُكلم بالإسلام أحدٌ يعقل إلا دخل فيه. انظر: سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٠٨، وشفاء العليل: ١٠٣، وفتح الباري: ٥/ ٣٩٣، والسيرة النبوية، أبو شهبة: ٢/ ٣٤٠، ومجلة الجندي المسلم عدد٦٠، مقال بعنوان: صلح الحديبية، محمد حامد الناصر: ١٨، وتأملات في سيرة الرسول ﷺ: ٢٠٧، وفي ظلال القرآن: ٣/ ١٤٢٩-١٤٦٩، ومعالم في الطريق: ٦٢-٩١، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، الدوسري: ١٦٦-١٦٨.

(٤) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٥/ ١٧٤، ٢٨/ ٢٠٦.

المبحث الثالث: آثار الملاحم في تعزيز بعض المفاهيم الإسلامية

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيـــــــــد:

تتضمن أخبار الملاحم التأكيد على بعض المفاهيم الإسلامية -التي تقرّرت من خلال العديد من النصوص الشرعية- كالاعتقاد بوحدة الدين الحق، وأهمية الدعوة إلى التوحيد، ومنها ومضات يمكن استفادتها من نصوص الملاحم كخطورة الفرار من الزحف في الوقائع العظيمة الحاسمة، وأنّ المسلمين هم القوة العليا في الأرض، وهم قادة البشرية إلى ما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة.

وفي هذا المبحث سيتم التركيز على بعض أهمّ هذه الآثار التي تكشفُ عنها نصوص الملاحم بشكلٍ جليّ، وهي:

- وحدة الدين الحق.
- تأكيد أهمية الدعوة إلى التوحيد.

وبيانهما في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: وحدة الدين الحق:

بعث الله تعالى جميع أنبيائه ورسله بدينٍ واحدٍ، وهو الإسلام بمفهومه العام الذي يعني عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

وأما الشرائع فقد كان لكلّ نبي شريعة تناسب حال أهل زمانه، وكلّها ترجع إلى العدل، في وقت شرعتها[3]، قال جلّ وعلا: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[4].

قال الإمام السمعاني رحمه الله: «اعلم أنّ الشرائع مختلفة، ولكلّ قوم شريعة فلأهل التوراة شريعة، ولأهل الإنجيل شريعة، ولأهل الإسلام شريعة، وأما الدين في الكلّ فواحد، وهو التوحيد»[5].

وعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: «... الأنبياء إخوةٌ من عَلَّاتٍ[6]، وأُمَّهاتُهم شتّى[7]، ودينُهُم واحد... »[8].

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٩).

(٢) سورة الأنبياء: آية (٢٥).

(٣) انظر: جامع البيان: ٨/ ٤٩٣-٤٩٥، ١٦/ ٢٥٠، ومعالم التنزيل: ٣/ ٦٦، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٨، ٣٩، ١٤/ ١٩٢، وفتح القدير: ٢/ ٦٨، وتيسير الكريم الرحمن: ٤٢٥.

(٤) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٥) تفسير القرآن: ٢/ ٤٣ «بتصرّف»، وانظر: جامع البيان: ٨/ ٤٩٤، والجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٣٩.

(٦) أصل العلّ: الشربة الثانية، والعلات: هنّ الضرائر، فمن تزوج امرأةً، ثم تزوج أخرى، فإنّه قد نال مراده من الثانية، بعدما ناله من الأولى، وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي: ١٥/ ١٧٤، وفتح الباري: ٦/ ٥٦٢، وتاج العروس: ٣٠/ ٤٤، ٤٧.

(٧) تفسير لكونهم إخوة من علات، أي إنّ أمهاتهم شتى. انظر: فتح الباري: ٦/ ٥٦٤.

(٨) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ح٣٤٤٣، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﷺ، ح٢٣٦٥، واللفظ له.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم»[1].

وفي ملاحم آخر الزمان تأكيدٌ نظريٌ وتطبيقيٌ للاعتقاد بوحدة الدين الحقّ حيث يعتقد المسلمون بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وصلاته مع المسلمين خلف إمامهم، وهو بنزوله لا ينشئ شرعاً جديداً، وإنّما يكون مصدقاً بأخيه محمد ﷺ، وعلى ملّته، وحاكماً بشريعته، وداعياً إلى التوحيد، حتى يجمع عليه أمم الأرض كلّهم مما يدل على أنّ دين الأنبياء واحدٌ، وأنّه لا فرق بين نبي ونبي، فكلّهم أنبياء الله ورسله، يصدق بعضهم بعضاً.

وكما تجاوز المسلمون حدود الزمان، باعتقادهم بوحدة الدين، فإنّهم تجاوزوا حدود المكان والجنس، حيث فهموا من هذه الوحدة أنّ الإسلام دينٌ عالميٌ، يحمل رسالةً عامةً لجميع الثقلين، فالخير في الإسلام ليس قاصراً على العرب فحسب وإنّما هو للبشرية جمعاء[2]، وهذا أحد الفوارق بين النظرتين الإسلامية والكتابية حيث يعمُّ الخير أهل الأرض كلّهم في آخر الزمان، حسب اعتقاد المسلمين، في حين تظهر النزعة القومية عند بعض المؤمنين بالملاحم من اليهود بقصرهم الخلاص على أنفسهم ومن عمّمه منهم فقد اعتقد استعباد الأمم لصالح اليهود، وأما المؤمنون بها من النصارى فإنهم اعتقدوا اختصاصهم بالخلاص حيث قالوا: باختطاف المسيح لهم، وإنجائه إيّاهم من ويلات الحروب والمجاعات والأحداث المفجعة، دون غيرهم من الناس.

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٧/ ١٩٥، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية: ١/ ٤٥٦-٤٦٠.

(٢) انظر: نصارى الغرب المتصهينون يرقصون على طبول هرمجدون، معتز الجعبري: ٦٠، ٦١.

المطلب الثاني: تأكيد أهمية الدعوة إلى التوحيد:

تبيّن من خلال نصوص الملاحم، أنّ عيسى عليه السلام يدعو الناس إلى التوحيد ويبطل ما عليه النصارى من القول بصلبه ونحوه، ويُبطلُ كلّ كفرٍ وظلم -بإبطاله لكلّ ما خالف دين الإسلام- حتى تصير الكلمةُ في زمنه واحدةً، فيجتمع الناس على عبادة الله وحده لا شريك له، مما يؤكد أهمية أن يكون التوحيد منطلق الدعوة وأساسَها وجوهرَها، فكلُّ خيرٍ وبرٍّ وإحسانٍ، فإنما مردّه إلى صلاح علاقة العبد بربه ولذلك كان جمع الناس على التوحيد، وإزالة العقائد الباطلة من أجلّ أعمال عيسى عليه السلام في آخر الزمان.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أنّ النبي ﷺ قال عن عيسى عليه السلام: «ليس بيني وبينه نبي... فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام»[(1)].

وقد كانت حياة النبي ﷺ كلها، وجهاده وسيرته، تحقيقاً للتوحيد، ودعوةً إليه، وبه أوصى أتباعه[(2)]، مما يدل على أنّ الدعوة إلى تحقيق التوحيد ظاهراً وباطناً، تكون قبل كل شيء ومعه وبعده، فهي الغاية التي لأجلها خلق الله الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب[(3)].

---

(1) تقدم تخريجه: ص ٤٣.

(2) ومن ذلك قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين أرسله إلى قتال يهود خيبر: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام» رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ح٣٠٠٩، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ح٢٤٠٦.

(3) انظر: الرد على المنطقيين: ٣٨٢، ومجموع فتاوى ابن تيمية: ١/ ١٠٥، ١٥١، ٣١١، ٢/ ٣٥١، ٣/ ٣٩٥، ٩/ ١٣٣، ١٠/ ١٨، ١٨/ ٢٢٢، ٢٤٢، ٢٨/ ٢٠٧، وطريق الهجرتين: ٤٣١، وروضة المحبين: ٨٧، ٨٨، والقول المفيد، ابن عثيمين: ١/ ٢٧، ٢٨، ومفاهيم ينبغي أن تصحح: ١٧-١٩.

الباب الثالث

ملاحم آخر الزمان عند أهل الكتاب وآثارها الفكرية

ويشتمل على ثلاثـة فصول:

الفصل الأول: ملاحم آخر الزمان عند اليهود.

الفصل الثاني: ملاحم آخر الزمان عند النصارى.

الفصل الثالث: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند أهل الكتاب.

الفصل الأول
ملاحم آخر الزمان عند اليهود

وفيه تمهيد وثلاثة مباحـــث : -

- تمهيـــــــد.
- المبحث الأول: ملحمة يوم غضب الرب.
- المبحث الثاني: ملحمة جوج وماجوج.
- المبحث الثالث: الملك الألفي عند اليهود.

التمهيـــــــد.

تشير المصادر اليهودية إلى ملحمتين رئيستين في آخر الزمان، يعقبهما تمتّعُ اليهودِ بحياةٍ هانئةٍ، وعيشٍ رغيدٍ، وذلك على النحو الآتي:

١- ملحمة يوم غضب الرب.

وهي ملحمة تقع على بني إسرائيل بأيدي الأمم، يتجرّعون فيها سوء العذاب بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وذلك بعد أن يقوم لهم كيان سياسي في بيت المقدس بفلسطين.

وتشير بعض المصادر اليهودية إلى ظهور المسيح المخلِّص بعد هذه الملحمة، وأنّه سيجمع حوله بعض اليهود، ثم يستردّ مدينة القدس، ويعيد بناءها، وسينعم بعض بني إسرائيل في زمنه بعيش آمنٍ قصيرٍ، يعقبه اجتماع «جوج وماجوج»[١] وحلفاؤه على حربهم.

٢- ملحمة جوج وماجوج والقضاء عليهم.

جاء في أسفار اليهود أنّ «جوج وماجوج» يعزم على غزو اليهود، ويجمع معه أقواماً آخرين، فينتقم الرب لإسرائيل، وينزل بجوج وجيوشه ألوان العذاب[٢].

٣- المُلك الألفي.

هو الملك الذي يتطلع إليه بعض اليهود، ليحكموا من خلاله بيت المقدس لمدة ألف سنة، يسيطرون فيها على العالم أجمع، وذهب بعضهم إلى أنّه ملكٌ أبدي.

وبيان هذه الوقائع والأحداث في المباحث الثلاثة الآتية[٣].

---

(١) هكذا كتابتها في الكتاب المقدس، وسيأتي الحديث عنهم عند البحث في ملحمتهم في المبحث الثاني.

(٢) يُشار إلى أن مخطوطات «قمران» أو ما يُعرف بمخطوطات «البحر الميت»، أفردت سفراً بعنوان «سفر الحرب»، تطرقت فيه إلى ملحمة جوج وماجوج وسيتم إفراد مطلب خاص بذلك.

(٣) لعله من المناسب التذكير بما سبق بيانه في المقدمة، من أنّ نصوص الكتاب المقدس المذكورة في هذا البحث منقولة بتشكيلها من طبعة دار الكتاب المقدس، فأيّ خطأ ظهر في التشكيل ونحوه فمردّه إلى هذه الطبعة.

المبحث الأول: ملحمة يوم غضب الرب

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيـــــــد:

تشير أسفار العهد القديم بصيغٍ متعددة إلى ملحمة يوم غضب الرب على اليهود، ومن هذه الصيغ: «يوم غضب الرب»[1]، و«يوم سخط الرب»[2]، و«يوم الغضب»[3]، و«يوم الرب»[4].

قال موسى بن ميمون «أحد علماء اليهود»: «كلّ يوم تكون فيه نصرةٌ عظيمةٌ، أو فادحةٌ عظيمةٌ، فإنّه يسمى يوم الربِّ العظيمِ الهائل»[5].

وقد نصّ بعض اليهود على أنّ مضرّاتٍ وشدائدَ ستلحق بني إسرائيل، بسبب ذنوبهم وعدم توبتهم، وربطوا هذه الشدائد باجتماعهم في فلسطين، وإقامتهم دولتهم فيها، وهو ما سيؤدي إلى محاصرة الأمم لهم، وهجومها عليهم، وقضائها على دولتهم، وضربها الذّلة والصغار على من بقي حيّاً منهم[6].

(١) انظر: سفر مراثي إرميا: ٢/ ٢٢، وسفر حزقيال: ٧/ ١٩.

(٢) انظر: سفر صفنيا: ٢/ ٢، ٣.

(٣) انظر: سفر حزقيال: ٢٢/ ٢٤.

(٤) انظر: سفر إشعياء: ١٣/ ٦، ٩، وسفر حزقيال: ١٣/ ٥، وسفر يوئيل: ١/ ١٥، ٢/ ١، ١١، ٣١، ويُشار إلى أن يوم الرب أطلق أيضاً على يوم الحساب، والملك الألفي، انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ٣٢، ٣٣، ١٠٦، ١٢٩، ١٣٠ «الحاشية»، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٢.

(٥) دلالة الحائرين: ٣٧٠.

(٦) انظر: الأمانات والاعتقادات، سعديا الفيومي: ٢٣٨-٢٤١.

وقبل البدء بذكر أحداث ملحمة يوم غضب الرب على اليهود، تحسن الإشارة -بإيجاز- إلى بعض أظهر الذنوب والمعاصي التي جلبت على اليهود غضب الرب، وهي:

١- الكفر بالله تعالى:

أخبرت النصوص اليهودية المقدّسة بأنّ اليهود عبدوا غير الله، مما أجلب عليهم غضبه وعقابه، وقد تنبأ حزقيال بشيءٍ من العقوبات التي ستحل بهم بسبب كفرهم بالله تعالى، فقال: «١وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: ٢يَا ابْنَ آدَمَ اجْعَلْ وَجْهَكَ نَحْوَ جِبَالِ إِسْرَائِيلَ وَتَنَبَّأْ عَلَيْهَا ٣وَقُلْ: يَا جِبَالَ إِسْرَائِيلَ اسْمَعِي كَلِمَةَ السَّيِّدِ الرَّبِّ. هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِلْجِبَالِ وَلِلآكَامِ[١] لِلأَوْدِيَةِ وَلِلأَوْطِئَةِ[٢]، هَئَنَذَا جَالِبٌ عَلَيْكُمْ سَيْفاً وَأُبِيدُ مُرْتَفَعَاتِكُمْ. ٤فَتَخْرَبُ مَذَابِحُكُمْ وَتَتَكَسَّرُ شَمْسَاتُكُمْ[٣] وَأَطْرَحُ قَتْلاَكُمْ قُدَّامَ أَصْنَامِكُمْ. ٥وَأَضَعُ جُثَثَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قُدَّامَ أَصْنَامِهِمْ وَأُذَرِّي عِظَامَكُمْ حَوْلَ مَذَابِحِكُمْ. ٦فِي كُلِّ مَسَاكِنِكُمْ تُقْفِرُ الْمُدُنُ وَتَخْرَبُ الْمُرْتَفَعَاتُ، لِتُقْفِرَ وَتَخْرَبَ مَذَابِحُكُمْ وَتَنْكَسِرَ وَتَزُولَ أَصْنَامُكُمْ وَتُقَطَّعَ شَمْسَاتُكُمْ وَتُمْحَى أَعْمَالُكُمْ»[٤].

(١) الآكام هي التلال. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٥٨.

(٢) الوطاء هو الوادي، والسهل، والأرض المنبسطة. انظر: المرجع نفسه: ٣٥٩.

(٣) أي تماثيل الشمس. انظر: المرجع نفسه: ٣٥٩.

(٤) سفر حزقيال: ٦/ ١-٦.

٢- سفك الدماء:

من المعاصي التي تلطخت بها أيدي اليهود، سفكهم للدماء المعصومة وقد جاء في سفر حزقيال تسمية مدينة أورشليم[١] -مركز اليهود- «مدينة الدماء»! حيث جاء فيه: «١وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: ٢وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ تَدِينُ هَلْ تَدِينُ **مَدِينَةَ الدِّمَاءِ؟** فَعَرِّفْهَا كُلَّ رَجَاسَاتِهَا[٢] ٣وَقُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: **أَيَّتُهَا الْمَدِينَةُ السَّافِكَةُ الدَّمِ فِي وَسَطِهَا** لِيَأْتِيَ وَقْتُهَا الصَّانِعَةُ أَصْنَاماً لِنَفْسِهَا لِتَتَنَجَّسَ بِهَا ٤**قَدْ أَثِمْتِ بِدَمِكِ الَّذِي سَفَكْتِ**»[٣].

ويصف السِّفْرُ تنافس رؤساء إسرائيل في سفك الدماء، كلٌّ حسب استطاعته، بل إنّهم ما وُجدوا في فلسطين، ولا ترأسوا إسرائيل إلا لسفك الدماء!: «**هُوَذَا رُؤَسَاءُ إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ كَانُوا فِيكِ لأَجْلِ سَفْكِ الدَّمِ**»[٤].

وهكذا بعد أن كانت القدس مدينة الأمن والعدل، صارت مأوى القتلة والمجرمين، كما جاء التصريح بذلك في سفر إشعياء: «**كَيْفَ صَارَتِ الْقَرْيَةُ الأَمِينَةُ زَانِيَةً! مَلآنَةً حَقّاً. كَانَ الْعَدْلُ يَبِيتُ فِيهَا. وَأَمَّا الآنَ فَالْقَاتِلُونَ**»[٥].

---

(١) هي القدس، ولها عندهم أسماء أخرى مثل: شاليم، وصهيون، ومدينة داود، وأرئيل، والمرايا وهو جبل موريا، والمدينة، ومدينة الله، ومدينة الحق، ومدينة العدل، ومدينة القدس، والجبل المقدس، والقرية الأمينة، وأطلق عليها في العهد القديم أيضاً: المدينة المقدسة. انظر: سفر التكوين: ١٨/ ١٤، وسفر يشوع: ١٠/ ١-٥، وسفر صموئيل الثاني: ٥/ ٦، ٧، وسفر أخبار الأيام الثاني: ٣/ ١، وسفر المزامير: ٤٦/ ٤، ٧٢/ ١٦، وسفر إشعياء: ١/ ٢٦، ٢٧/ ١٣، ٢٨/ ٢، ١٦، ٢٩/ ١، وسفر زكريا: ٨/ ٣، وإنجيل متّى: ٤/ ٥، وحمى سنة ٢٠٠٠، عبدالعزيز كامل: ١٢٠، ومقال بعنوان: القدس أسماؤها بين الحقائق التاريخية وتحديد الهوية العربية، أحمد صابون، منشور في مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٧، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص: ١٢-٢٧، والقدس بين رؤيتين، حسن مصطفى الباش: ٣٠-٣٦.

(٢) أي أعمالها القبيحة البغيضة المرتبطة بعبادة الأوثان. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٦٦.

(٣) ٢٢/ ١-٤، وجاء في سفر ناحوم: «وَيْلٌ لِمَدِينَةِ الدِّمَاءِ. كُلُّهَا مَلآنَةٌ كَذِباً وَخَطْفاً» ٣/ ١-٣، وفُسِّر هذا النص في النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت: بأنه يتحدث عن عقوبة مدينة أفرايم في آخر الزمان، حيث ستعمل السيوف في رقابهم، ويصيبهم الأسر والنهب والحرق والنفي والتستر خوفاً من الأعداء بسبب ذنوبهم. انظر: ٥٥١.

(٤) ٢٢/ ٦.

(٥) ١/ ٢١.

٣- ظلم الضعفاء، واضطهاد الأيتام والأرامل:

جاء في سفر حزقيال أنّ اليهود أهانوا في فلسطين الآباء والأمهات! وظلموا الغريب! واضطهدوا اليتيم والأرملة! حيث قال السيد الرب: «فِيكِ أَهَانُوا أَباً وَأُمّاً. فِي وَسَطِكِ عَامَلُوا الْغَرِيبَ بِالظُّلْمِ. فِيكِ اضْطَهَدُوا الْيَتِيمَ وَالأَرْمَلَةَ»(١).

وجاء فيه أيضاً: «شَعْبُ(٢) الأَرْضِ ظَلَمُوا ظُلْماً وَغَصَبُوا غَصْباً وَاضْطَهَدُوا الْفَقِيرَ وَالْمِسْكِينَ، وَظَلَمُوا الْغَرِيبَ بِغَيْرِ الْحَقِّ»(٣).

٤- اتصافهم بالنجاسة:

تعددت النصوص اليهودية التي تصف اليهود بالنجاسة، ومن ذلك:

ما جاء في سفر إرميا من أنّ نجاسة اليهود، ملازمة لهم، لا يتطهرون منها، مهما تنظفوا، حيث جاء فيه: «٢٢**فَإِنَّكِ وَإِنِ اغْتَسَلْتِ بِنَطْرُونٍ(٤) وَأَكْثَرْتِ لِنَفْسِكِ الأَشْنَانَ(٥) فَقَدْ نُقِشَ إِثْمُكِ أَمَامِي يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ ٢٣كَيْفَ تَقُولِينَ: لَمْ أَتَنَجَّسْ**»(٦).

ولأجل ذلك فإنّ الرب سيحلّ عليهم غضبه، حيث جاء في سفر حزقيال: «١٣فِي نَجَاسَتِكِ رَذِيلَةٌ لأَنِّي طَهَّرْتُكِ فَلَمْ تَطْهُرِي وَلَنْ تَطْهُرِي بَعْدُ مِنْ نَجَاسَتِكِ حَتَّى أُحِلَّ غَضَبِي عَلَيْكِ. ١٤أَنَا

---

(١) ١/ ٧.

(٢) كذا، ولكن يحتمل أنّ في الترجمة تحريفاً، وقد يكون الصواب «شعبَ» أي إنّ اليهود ظلموا شعبَ الأرض، ويؤكده أنّ نفس النص ورد في ترجمة «كتاب الحياة» بلفظ: (أفرطوا [أي اليهود] في ظلم شعب الأرض)!!.

(٣) ٢٢/ ٢٩.

(٤) النطرون: هو البورق، وهو ملح يُستخدم لتنظيف الأوساخ التي تستعصي على وسائل التنظيف الأخرى. انظر: المعجم الوسيط: ١/ ٧٦، وتفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٢٤.

(٥) الأشنان: شجر ينبت في الأرض الرملية يستعمل في غسل الثياب والأيدي. انظر: المعجم الوسيط: ١/ ١٩.

(٦) ٢/ ٢٢، ٢٣.

الرَّبَّ تَكَلَّمْتُ. يَأْتِي فَأَفْعَلُهُ. لاَ أُطْلِقُ وَلاَ أُشْفِقُ وَلاَ أَنْدَمُ. حَسَبَ طُرُقِكِ وَحَسَبَ أَعْمَالِكِ يَحْكُمُونَ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ»[1].

وفي المطالب الثلاثة الآتية تفصيل القول في أحداث يوم غضب الرب على بني إسرائيل.

المطلب الأول: اجتماع اليهود في فلسطين:

ذكر سعديا الفيومي «أحد علماء اليهود»: أنّ بني إسرائيل سيصيبهم في آخر الزمان بلاءٌ وشدّةٌ، بعد أن يجتمع بعضهم في فلسطين، ويقيموا لهم دولةً فيها[2].

واستدلّ على ذلك: بقول السيد الرب كما في سفر إرميا: «اِرْجِعُوا أَيُّهَا الْبَنُونَ الْعُصَاةُ يَقُولُ الرَّبُّ لأَنِّي سُدْتُ عَلَيْكُمْ فَآخُذَكُمْ وَاحِداً مِنَ الْمَدِينَةِ وَاثْنَيْنِ مِنَ الْعَشِيرَةِ وَآتِي بِكُمْ إِلَى صِهْيَوْنَ»[3].

وقوله كما في سفر زكريا[4]: «١هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ يَأْتِي فَيُقْسَمُ سَلَبُكِ فِي وَسَطِكِ. ٢وَأَجْمَعُ كُلَّ **الأُمَمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ** فَتُؤْخَذُ الْمَدِينَةُ وَتُنْهَبُ الْبُيُوتُ وَتُفْضَحُ النِّسَاءُ وَيَخْرُجُ نِصْفُ الْمَدِينَةِ إِلَى السَّبْيِ وَبَقِيَّةُ الشَّعْبِ لاَ تُقْطَعُ مِنَ الْمَدِينَةِ»[5].

وذكر «سعديا» أنّ رجوع اليهود إلى فلسطين في آخر الزمان، يكون مسبوقاً بظهور رجلٍ صالحٍ في جبل الجليل، يُقال إنّه من ولد يوسف عليه السلام -يسمونه «المسيح ابن يوسف»، يجتمع حوله

---

(١) ٢٤/ ١٣، ١٤.

(٢) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٣٨، ٢٣٩، ويوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ٥٢.

(٣) ٣/ ١٤، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٣٩.

(٤) يُقال إنّه زكريا بن برخيا، نبيٌّ عظيمٌ أقامه الرب في أيام العودة من السبي البابلي، وله سفر باسمه ضمن أسفار العهد القديم. انظر: سفر زكريا: ١/ ١، ٣/ ١، ٤/ ٦، ٦/ ١١، وسفر عزرا: ٥/ ١، ٢، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «زكريا النبي»، والكتاب المقدّس سفراً سفراً: ١٥٢-١٥٧.

(٥) ١٤/ ١، ٢، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٣٩.

قوم من اليهود، فيستولي على بيت المقدس، بعد أن كان في حيازة الروم[1]، ويكون مقامه فيه، وبسببه تنزل باليهود الشدائد والمضرّات، مما يدفعهم إلى التوبة[2].

وهذه القصة التي ذكرها «سعديا»، لا وجود لها في أسفار العهد القديم وإنّما مصدرها كتابات حاخامات التلمود[3].

(١) كأنّه يقصد أنّ الروم سوف يستولون على بيت المقدس قبل يوم الغضب، وهذا ظاهر في سياق مخطوطات البحر الميت، حيث جاء التركيز فيها على الرومان باعتبارهم القوة المناوئة لليهود، ولعل ذلك راجعٌ إلى تأثر الكتابات اليهودية بالأحداث المصاحبة لزمن كتابتها، حيث إنّ الروم سبق وأن استولوا على بيت المقدس لعدة قرون قبل الميلاد وبعده. انظر: النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت: ٢٦٢-٢٨٩، وفضح التلمود: ١٤٥.

(٢) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٣٩، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٥.

(٣) انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ١٥٨، ١٥٩، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٤/ ١٤٤.

المطلب الثاني: نزول غضب الرب على اليهود:

رغم ما يدّعيه اليهود من اجتباء الله لهم، واصطفائه إياهم[1]، إلا أنّ نصوص العهد القديم تنوّعت في وصف العقوبات الربانية التي ستحلّ بهم، إذا تحقق اجتماعهم في الأرض المقدسة، وتدنيسهم لها باستيلائهم عليها.

ففي سفر حزقيال توعّد الرب أورشليم بأنّه تكلم بعذابها وسيفعل!، حيث قال: «١٣ فَهَئَنَذَا قَدْ صَفَّقْتُ بِكَفِّي بِسَبَبِ خَطْفِكِ الَّذِي خَطَفْتِ وَبِسَبَبِ دَمِكِ الَّذِي كَانَ فِي وَسَطِكِ. ١٤ فَهَلْ يَثْبُتُ قَلْبُكِ أَوْ تَقْوَى يَدَاكِ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا أُعَامِلُكِ؟ أَنَا الرَّبَّ تَكَلَّمْتُ وَسَأَفْعَلُ»[2].

وجاء فيه أيضاً: «١ وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: ٢ يَا ابْنَ آدَمَ اجْعَلْ وَجْهَكَ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ وَتَكَلَّمْ عَلَى الْمَقَادِسِ وَتَنَبَّأْ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ ٣ وَقُلْ لأَرْضِ إِسْرَائِيلَ: هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَئَنَذَا عَلَيْكِ، وَأَسْتَلُّ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ فَأَقْطَعُ مِنْكِ الصِّدِّيقَ وَالشِّرِّيرَ»[3].

وذكر «سعديا الفيومي» أنّ الأمة اليهودية سيُصيبُها في ذلك الوقت شِدّةٌ عظيمةٌ[4]؛ لما جاء في سفر دانيال: «وَيَكُونُ زَمَانُ ضِيقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ»[5].

وتدلّ نصوص العهد القديم بمجموعها -كما سيأتي- على أنّ الرب سيرسل على اليهود جيشاً يحاصرهم، انتقاماً منهم، وجزاءً عاجلاً على عصيانهم وإفسادهم، وذهب بعض اليهود إلى

---

(١) انظر: سفر التثنية: ٧/ ٦، وسفر يوئيل: ٣/ ١، ٢، وسفر زكريا: ٨/ ٧، ٨، والصواب في هذا الاختيار أنه مشروطٌ باستماعهم لوصايا الرب، وطاعتهم إيّاه. انظر: سفر التثنية: ٢٨/ ١-١٥.

(٢) ٢٢/ ١٣، ١٤.

(٣) ٢١/ ١-٧.

(٤) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٠.

(٥) ١٢/ ١.

أنّ ذلك يكون تطهيراً لهم، واختباراً لصبرهم وإيمانهم[1].

وفيما يأتي وصفٌ للأحداث التي -ورد في نصوص العهد القديم أنّها- ستقع لليهود في يوم غضب الرب عليهم:

أولاً: تحرك الجيوش لغزو أورشليم:

جاء في سفر التّثنية أنّ الربّ توعّد بني إسرائيل إذا لم يسمعوا وصاياه، ويحافظوا على شريعته، بأنّه سيرسل عليهم أمةً، تسومهم سوء العذاب: «١٥وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ... ٤٩يَجْلِبُ الرَّبُّ عَلَيْكَ أُمَّةً مِنْ بَعِيدٍ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ كَمَا يَطِيرُ النَّسْرُ أُمَّةً لا تَفْهَمُ لِسَأنَها[2] ٥٠أُمَّةً جَافِيَةَ[3] الوَجْهِ لا تَهَابُ الشَّيْخَ وَلا تَحِنُّ إلى الوَلدِ»[4].

ولكون اليهود أبعد ما يكونون عن طاعة الرب؛ لذا فقد تنبّأت عليهم بعض أسفار العهد القديم بأنّ الرب سيعاقبهم باجتماع الأمم على حربهم، لقول السيد الرب كما في سفر زكريا: «١هُوَذَا يَوْمٌ لِلرَّبِّ يَأْتِي فَيُقْسَمُ سَلَبُكِ فِي وَسَطِكِ. ٢وَأَجْمَعُ كُلَّ الأُمَمِ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِلْمُحَارَبَةِ»[5].

وجاء في سفر يوئيل وصفٌ للجيش الذي يتحرّك للقضاء على الدولة اليهودية، بالكثرة والقوة، وبأنّه ما كان ولا يكون مثله: «٢... مِثْلَ الْفَجْرِ مُمْتَدّاً عَلَى الْجِبَالِ. شَعْبٌ كَثِيرٌ وَقَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ نَظِيرُهُ مُنْذُ الأَزَلِ وَلاَ يَكُونُ أَيْضاً بَعْدَهُ إِلَى سِنِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ[6]. ٣قُدَّامَهُ نَارٌ تَأْكُلُ وَخَلْفَهُ لَهِيبٌ يُحْرِقُ.

---

(١) وهو توجيه اليهودي سعديا الفيومي لنصوص العقوبات التي تحل باليهود حين يجتمعون في فلسطين، انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٠.

(٢) كذا، ولعلّ الصواب: لسانها.

(٣) أي قاسية أو صلبة. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٧١.

(٤) ٢٨/ ١٥، ٤٩، ٥٠.

(٥) ١٤/ ١، ٢، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٣٩.

(٦) أي جيلٌ فجيل. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٩٧.

الأَرْضُ قُدَّامَهُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ وَخَلْفَهُ قَفْرٌ خَرِبٌ وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ. ٤ كَمَنْظَرِ الْخَيْلِ مَنْظَرُهُ وَمِثْلَ الأَفْرَاسِ يَرْكُضُونَ. ٥ كَصَرِيفِ[1] الْمَرْكَبَاتِ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ يَثِبُونَ. كَزَفِيرِ لَهِيبِ نَارٍ تَأْكُلُ قَشّاً. كَقَوْمٍ أَقْوِيَاءَ مُصْطَفِّينَ لِلْقِتَالِ. ٦ مِنْهُ تَرْتَعِدُ الشُّعُوبُ. كُلُّ الْوُجُوهِ تَجْمَعُ حُمْرَةً[2]»[3].

وفي سفر إرميا ما يُشعر بأنّ الجيش يقدم من أماكن متعددة؛ لاستئصال اليهود من فلسطين، وإبادة خضرائهم: «٢٢ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا شَعْبٌ قَادِمٌ مِنْ أَرْضِ الشِّمَالِ وَأُمَّةٌ عَظِيمَةٌ تَقُومُ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ. ٢٣ تُمْسِكُ الْقَوْسَ وَالرُّمْحَ. هِيَ قَاسِيَةٌ لاَ تَرْحَمُ. صَوْتُهَا كَالْبَحْرِ يَعِجُّ[4] وَعَلَى خَيْلٍ تَرْكَبُ مُصْطَفَّةً كَإِنْسَانٍ لِمُحَارَبَتِكِ يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ»[5].

وجاء في سفر إشعياء الإشارة إلى أنّ الفلسطينيين والآراميين[6] سيكونون من الأمم التي تنقضُّ على اليهود في يوم الغضب: «الأَرَامِيِّينَ مِنْ قُدَّامُ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ وَرَاءُ فَيَأْكُلُونَ إِسْرَائِيلَ بِكُلِّ الْفَمِ. مَعَ كُلِّ هَذَا لَمْ يَرْتَدَّ غَضَبُهُ بَلْ يَدُهُ مَمْدُودَةٌ بَعْدُ!»[7].

ويلاحظ من خلال هذا النص أنّ ما سيفعله الربُّ باليهود في يوم الغضب لا يعني أنّ غضبه عليهم قد سكن!، ومن ثمّ فستظلّ يده ممدودة عليهم!![8].

وهذا يعني أنّ اليهود سيتعرضون لعقوبةٍ أو عقوباتٍ أخرى غير عقوبة يوم غضب الرب

(١) الصريف: هو صوت الباب عند غلقه أو فتحه. انظر: المرجع السابق: ٢٩٧.

(٢) أي صارت شاحبة. انظر: المرجع نفسه: ٣٩٧.

(٣) ٢/ ٢-٦.

(٤) أي يهدر أو يزأر. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٢٧.

(٥) ٦/ ٢٢، ٢٣، وانظر: ٥٠/ ٤١، ٤٢.

(٦) هم شعب من بدو الجزيرة العربية، كانت لهم دويلات في سوريا وشمال فلسطين. انظر: حضارات الشرق الأدنى القديم، محمد مهران: ١٣٢-١٤٠، ودائرة المعارف الكتابية: مادة «أرام - أراميون».

(٧) ٩/ ١٢.

(٨) انظر: شرح سفر إشعياء، ناشد حنا: ٨٢-٨٤.

عليهم! وهو خلاف ما تصوره الرؤية اليهودية لأحداث آخر الزمان حيث يظهر منها أنّ عقوبات يوم غضب الرب على اليهود هي نهاية الغضب!.

ثانياً: حصار أورشليم:

أول ما تفعله الأمة الآتية للقضاء على إسرائيل أنّها تحاصر اليهود، فتقطع أشجارهم، ثم يستحثُّ أفراد هذه الأمة بعضهم بعضاً بأن يعجلوا بالهجوم، على مدينة الظلم والخطف!، كما جاء في سفر إرميا: «٤ **قَدِّسُوا**[(١)] **عَلَيْهَا حَرْباً. قُومُوا فَنَصْعَدَ فِي الظَّهِيرَةِ**. وَيْلٌ لَنَا لأَنَّ النَّهَارَ مَالَ لأَنَّ ظِلاَلَ الْمَسَاءِ امْتَدَّتْ. ٥ **قُومُوا فَنَصْعَدَ فِي اللَّيْلِ وَنَهْدِمَ قُصُورَهَا**. ٦ لأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: **اقْطَعُوا أَشْجَاراً. أَقِيمُوا حَوْلَ أُورُشَلِيمَ مِتْرَسَةً**[(٢)]. هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُعَاقَبَةُ. كُلُّهَا ظُلْمٌ فِي وَسَطِهَا. ٧ كَمَا تُنْبِعُ الْعَيْنُ مِيَاهَهَا هَكَذَا تُنْبِعُ هِيَ شَرَّهَا. ظُلْمٌ وَخَطْفٌ يُسْمَعُ فِيهَا. **أَمَامِي دَائِماً مَرَضٌ وَضَرْبٌ**»[(٣)].

وبسبب هذا الحصار ينتشر الخوف والهلع بين اليهود، فلا يستطيعون الخروج من بيوتهم، خوفاً من سيوف الجيش المحاصر لهم، كما جاء في سفر إرميا: «٢٤ سَمِعْنَا خَبَرَهَا. ارْتَخَتْ أَيْدِينَا. أَمْسَكَنَا ضِيقٌ وَوَجَعٌ كَالْمَاخِضِ. ٢٥ **لاَ تَخْرُجُوا إِلَى الْحَقْلِ وَفِي الطَّرِيقِ لاَ تَمْشُوا لأَنَّ سَيْفَ الْعَدُوِّ خَوْفٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ**»[(٤)].

فيطلب اليهود السلام! فلا يكون، فيرجعون إلى كبرائهم يطلبون الحلّ والمشورة، فلا يجدون إلا الحيرة والنواح!، كما جاء في سفر حزقيال: «٢٥ **الرُّعْبُ آتٍ فَيَطْلُبُونَ السَّلاَمَ وَلاَ يَكُونُ**. ٢٦ سَتَأْتِي مُصِيبَةٌ عَلَى مُصِيبَةٍ... فَيَطْلُبُونَ رُؤْيَا مِنَ النَّبِيِّ... ٢٧ الْمَلِكُ يَنُوحُ وَالرَّئِيسُ

---

(١) أي أعدّوا أو خصصوا لها حرباً. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٢٦.

(٢) أي حواجز. انظر: المرجع نفسه: ٣٢٦.

(٣) ٦/ ٤-٧.

(٤) ٦/ ٢٤، ٢٥.

يَلْبَسُ حَيْرَةً[١]، وَأَيْدِي شَعْبِ الأَرْضِ تَرْجُفُ. كَطَرِيقِهِمْ أَصْنَعُ بِهِمْ، وَكَأَحْكَامِهِمْ أَحْكُمُ عَلَيْهِمْ فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ»[٢].

وبالإضافة إلى هذا الحصار العسكري والاقتصادي المضروب على اليهود وما نتج عنه من خوف وهلع، فإنّ الله تعالى يسلط عليهم الجفاف، فلا تُمطرُ عليهم السماء[٣]، فيلحقهم بسبب الحصار والجفاف، جوع شديد، يضطرون معه إلى أن يأكل بعضهم بعضاً، حيث جاء في سفر حزقيال: «**لأَجْلِ ذَلِكَ تَأْكُلُ الآبَاءُ الأَبْنَاءَ فِي وَسَطِكِوَالأَبْنَاءُ يَأْكُلُونَ آبَاءَهُمْ**»[٤].

وسواء كان المراد أنّه أكلٌ حقيقيٌّ، أو كان كنايةً عن استئثار كلّ واحدٍ بما في يده، أو سعيه لامتلاك ما في يد الآخر، فهو دليلٌ على سوء الحال التي يصلون إليها.

وجاء في سفر إشعياء أنّ اليهود يستصرخون حلفاءهم، يطلبون نجدتهم، ولكن دون جدوى، فقد **قضى الرب أنّ القدس لا يملكها إلا المتوكلون عليه وحده لا شريك له**: «إِذْ تَصْرُخِينَ فَلْيُنْقِذْكِ جُمُوعُكِ. وَلَكِنِ الرِّيحُ تَحْمِلُهُمْ كُلَّهُمْ. تَأْخُذُهُمْ نَفْخَةٌ. أَمَّا الْمُتَوَكِّلُ عَلَيَّ فَيَمْلِكُ الأَرْضَ وَيَرِثُ جَبَلَ قُدْسِي»[٥].

ثالثاً: هجوم الجيوش على أورشليم:

تحين ساعة الهجوم، فتتداعى جيوش الأمة التي أرسلها الرب للانتقام من الدولة التي امتلأت بالظلم والدماء، وخطف المستضعفين، وإرهاب الآمنين، دون خوف من الله، فتنطلق الجيوش صوب الأسوار، ويصعدون فوق الجدر التي أحاط اليهود بها أنفسهم، كلُّ واحدٍ يسير

---

(١) أي يغمره الرعب. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٦٠.

(٢) ٧/ ٢٥-٢٧.

(٣) انظر: سفر حزقيال:٢٢ / ٢٣، ٢٤.

(٤) ٥/ ١٠، وانظر: سفر التثنية: ٢٨/ ٤٨-٥٣.

(٥) ٥٧/ ١٣، وانظر: يوم الغضب، سفر الحوالي: ١٣٦.

في طريقه، لا يزاحم بعضهم بعضاً، يتراكضون في المدينة، ويصعدون إلى البيوت، ويدخلون من النوافذ، كما جاء في سفر يوئيل: «٧يَجْرُونَ كَأَبْطَالٍ. يَصْعَدُونَ السُّورَ كَرِجَالِ الْحَرْبِ وَيَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ وَلاَ يُغَيِّرُونَ سُبُلَهُمْ. ٨وَلاَ يُزَاحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. يَمْشُونَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي سَبِيلِهِ وَبَيْنَ الأَسْلِحَةِ يَقَعُونَ وَلاَ يَنْكَسِرُونَ. ٩يَتَرَاكَضُونَ فِي الْمَدِينَةِ. يَجْرُونَ عَلَى السُّورِ. يَصْعَدُونَ إِلَى الْبُيُوتِ. يَدْخُلُونَ مِنَ الْكُوى[1] كَاللِّصِّ. ١٠قُدَّامَهُ تَرْتَعِدُ الأَرْضُ وَتَرْجُفُ السَّمَاءُ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُظْلِمَانِ وَالنُّجُومُ تَحْجِزُ لَمَعَانَهَا. ١١وَالرَّبُّ يُعْطِي صَوْتَهُ أَمَامَ جَيْشِهِ. إِنَّ عَسْكَرَهُ كَثِيرٌ جِدّاً. فَإِنَّ صَانِعَ قَوْلِهِ قَوِيٌّ لأَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ جِدّاً فَمَنْ يُطِيقُهُ؟»[2].

فيصيح اليهود بالويل، وتُطرح الجثث في كلّ موضع، وبدون مقاومة تُذكر[3].

رابعاً: نتائج يوم الغضب في أسفار الأنبياء:

تنبأت أسفار العهد القديم بنتائج يوم غضب الرب، فمنها ما أَجمل، ومنها ما فَصّل، ومنها ما ظاهره التعارض[4]، ويمكن الجمع بين هذه النصوص، بأنّ اليهود سينقسمون في يوم غضب الرب عليهم إلى ثلاثة أقسام، على النحو الآتي:

١ - ثلث اليهود يموتون من الجوع والوباء أو بالحرق:

اتفقت النصوص على أنّ ثلث اليهود يموتون في أيام الحصار بغير السيف ولكنها اختلفت في الطريقة التي يموتون بها:

أ- فجاء في بعض النصوص أنّهم يموتون؛ بسبب **تفشي الجوع والأمراض** بينهم، كما في

(١) الكوى جمع كوّة وهي النافذة الصغيرة. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٩٧.

(٢) ٢/ ٧-١١.

(٣) انظر: سفر عاموس: ٨/ ٢، ٣.

(٤) انظر: سفر التثنية: ٢٨/ ٤٨، ٦٢-٦٨، وسفر إشعياء: ١٠/ ٢٠-٢٢، ٢٤/ ١-٦، ٢٧/ ١، ٥٧/ ١٣، وسفر إرميا: ٨/ ٣، وسفر حزقيال: ٥/ ٢-٤، ١٠، ١٢، ١٣، ٦/ ٨-١٠، ٧/ ١٥، ١٦، ٢٠/ ٣٤-٣٦، ٣٨، ٢٢/ ١٥، ١٦، وسفر عاموس: ٩/ ٨-١٠، وسفر صفنيا: ٣/ ١٢، ١٣، وسفر زكريا: ١٢/ ١٠، ١١، ١٣/ ٨، ٩، ١٤/ ١، ٢، وسفر ملاخي: ٤/ ٥، ٦.

سفر حزقيال: «ثُلْثُكِ يَمُوتُ بِالْوَبَإِ، وَبِالْجُوعِ يَفْنُونَ فِي وَسَطِكِ»[1].

ب- وجاء في بعضها أنّ هذا الثلث يموت بالحرق، حيث قال السيد الرب في السفر نفسه: «وَأَحْرِقْ بِالنَّارِ ثُلْثَهُ فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ إِذَا تَمَّتْ أَيَّامُ الْحِصَارِ»[2].

وهذا تعارضٌ ظاهرٌ بين النصوص، وثمّة احتمالٌ يَرِدُ غير أنّه لا يستند إلى دليل وهو أن يُقال: يموت ثلثهم بالجوع والوبأ، فيجد بقية اليهود أنّ أيسر وسيلةٍ للتخلّص من جثثهم ونتنهم، أن يتم إحراقهم بالنار، لتعذّر دفنهم بسبب الجوع والخوف.

٢- ثلث اليهود يُقتلون بالسيف:

اتفقت النصوص على أنّ ثلث اليهود يُقتلون في يوم غضب الرب عليهم بسيوف أعدائهم، حيث جاء في سفر حزقيال: «**وَخُذْ ثُلْثاً وَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ حَوَالَيْهِ**»[3].

وبقتل هذا الثلث، يكون قد تم القضاء على ثلثي اليهود، حيث جاء في سفر زكريا: «وَيَكُونُ فِي كُلِّ الأَرْضِ يَقُولُ الرَّبُّ أَنَّ **ثُلْثَيْنِ مِنْهَا يُقْطَعَانِ وَيَمُوتَانِ** وَالثُّلْثَ يَبْقَى فِيهَا»[4].

٣- ثلث اليهود ينجون من الموت:

تدلّ نصوص العهد القديم على أنّ ثلث اليهود ينجون من الموت في يوم غضب الرب عليهم، ولكنّها تعارضت واضطربت في تحديد مصير هذا الثلث الباقي، فجاء في بعضها أنّهم يبقون في فلسطين، وجاء في بعضها الآخر أنّهم يُشتّتون في الأرض وفيما يأتي عرض هذه النصوص:

(١) ٥/ ١٢.

(٢) ٥/ ٢.

(٣) ٥/ ٢.

(٤) ١٣/ ٨.

أ- دلالة بعض النصوص على بقائهم في فلسطين:

جاء في سفر زكريا أنّ الثلث الناجي من يوم الغضب سيبقون كلّهم في فلسطين حيث قال السيد الرب: «**وَالثُّلْثُ يَبْقَى فِيهَا** ٩وَأُدْخِلُ الثُّلْثَ فِي النَّارِ وَأَمْحَصُهُمْ كَمَحْصِ الْفِضَّةِ وَأَمْتَحِنُهُمُ امْتِحَانَ الذَّهَبِ. هُوَ يَدْعُو بِاسْمِي وَأَنَا أُجِيبُهُ. أَقُولُ: هُوَ شَعْبِي وَهُوَ يَقُولُ: الرَّبُّ إِلَهِي»[1].

وفي هذا النص إشارة إلى أنّ الثلث الباقي في فلسطين، سيتعرضون لشيءٍ من البلاء، الذي يكون سبباً في تمحيصهم، وحسن علاقتهم بالله عز وجل.

وجاء في بعض النصوص أنّ هؤلاء العائدين إلى الله، ستستقيم سرائرهم وظواهرهم على ما يرضي ربهم، ومن ثم فسيكونون آمنين، لا يؤذيهم أحد، كما جاء في سفر صفنيا: «١٢**وَأُبْقِي فِي وَسَطِكِ شَعْباً بَائِساً وَمِسْكِيناً، فَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ**. ١٣بَقِيَّةُ إِسْرَائِيلَ **لاَ يَفْعَلُونَ إِثْماً** وَلاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ وَلاَ يُوجَدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ لِسَانُ غِشٍّ، لأَنَّهُمْ يَرْعُونَ وَيَرْبُضُونَ **وَلاَ مُخِيفَ**»[2].

ب- دلالة بعض النصوص على تشتيتهم في الأرض:

جاء في سفر حزقيال أنّ الثلث الناجي من يوم غضب الرب سيُشتّتون في الأرض، حيث قال السيد الرب: «وَأَحْرِقْ بِالنَّارِ ثُلْثَهُ فِي وَسَطِ الْمَدِينَةِ إِذَا تَمَّتْ أَيَّامُ الْحِصَارِ. وَخُذْ ثُلْثاً وَاضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ حَوَالَيْهِ، **وَذَرِّ ثُلْثاً إِلَى الرِّيحِ وَأَنَا أَسْتَلُّ سَيْفاً وَرَاءَهُمْ**»[3].

قال «سعديا الفيومي»: «إنّ الغازي يظفر بهم ويسبيهم ويهلكهم»[4].

وجاء في سفر إشعياء أنّ الناجين يهربون إلى البلاد التي كانوا فيها قبل أن يتجمعوا في فلسطين: «وَيَكُونُونَ كَظَبْيٍ طَرِيدٍ وَكَغَنَمٍ بِلاَ مَنْ يَجْمَعُهَا. يَلْتَفِتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شَعْبِهِ **وَيَهْرُبُونَ كُلُّ**

(١) ١٣/ ٨، ٩.

(٢) ٣/ ١٢، ١٣.

(٣) ٥/ ٢، وانظر: ٥/ ١٢، ١٣، ٢٢/ ١٥، ١٦.

(٤) الأمانات والاعتقادات: ٢٣٩.

وَاحِدٍ إِلَى أَرْضِهِ»[1].

وهذا الاضطراب والتعارض بين النصوص -التي يدلُّ بعضها على بقاء الناجين في فلسطين، ويدل بعضها الآخر على تشتتهم في الأرض- لا تفسير له، وهو يدلّ على تحريف مصادر أهل الكتاب، وتعارضها وتناقضها.

وختم «سعديا الفيومي» عرضه للعقوبات والأحداث المهولة التي تنتظر اليهود في يوم الرب بقوله: «فسبحان منْ منَّ علينا بتقديم ذكر هذه الشدائد؛ لئلا توافينا غفلةً»[2].

وهذه شهادة منه بأنّ الله تعالى قد أقام عليهم الحُجّة بتحذيره إيّاهم من المضيّ في معصيته، وبيّن لهم أنّ اجتماع بعضهم في أرض فلسطين، سيكون مقدّمة لنزول غضبه عليهم، ولكنّ اليهود في كلّ موطنٍ لا يعقلون[3]، فهاهو ذا «سعديا» بدلاً من أن يُحذّر قومه من معصية الله، ومن الاجتماع في الأرض المقدّسة، يجعلُ غاية ما تضمّنته نصوص الغضب: أنّها مِنّةٌ من الله عليهم؛ إذ أخبرهم بالخزي والنكال الذي ينتظرهم حتى لا يفاجأوا به!!.

وتجدر الإشارة إلى أنّ سفر إشعياء نصّ على أنّ يوم الرب سيشهد نزول العقوبة على الحيّتين: الهاربة والملتوية، بالإضافة إلى قتل التنّين!، حيث جاء فيه: «**فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ**[4] **وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ**»[5].

---

(١) ١٣/ ١٤.

(٢) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٠.

(٣) هذا هو حكم كعب بن أسد اليهودي على بني قومه. انظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٣/ ٢٣٥، و تاريخ الطبري: ٢/ ٥٨٣، ٥٨٤.

(٤) الحيّة المتحوّية هي الملتوية. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٠٤، وشرح سفر إشعياء: ١٥٧.

(٥) ٢٧/ ١.

والحيّتان الهاربة والملتوية والتنين: عبارة عن رموز لبعض القوى التي ستكون موجودةً عند نزول غضب الربِّ على اليهود، ولم أقف على كلامٍ لهم حول مضامين هذه الرموز؛ إلا أنّ **بعض مفسري العهد القديم من النصارى** ذكروا أنّ هذه مسمّيات للشيطان وأعوانه، وذهب بعضهم إلى أنّ التنين رمز للشر، وقالوا: إنّه سيمحى إلى الأبد(١).

وذهب **بعض الباحثين المسلمين** إلى أنّ الحيّة الهاربة هي بريطانيا التي أعطت وعد بلفور، وهيأت للعصابات الصهيونية ثم هربت، والحية الملتوية هي دولة صهيون التي التفّت على الأرض المقدسة، والحيّة العظمى أو التنيّن هي أمريكا إذ في البحر حاملات طائراتها، ومدمّراتها لإرهاب المسلمين(٢).

وعلى كُلٍّ فإنّ هذا النص ليس في دين الإسلام ما يثبته أو ينفيه، ومن ثمّ فهو لا يخلو من أن يكون ثابتاً أو محرّفاً، وعلى فرض ثبوته، فإنّ هذه التفسيرات هي من باب الاجتهاد المحتمل للصواب ولغيره، والله تعالى أعلم.

(١) انظر: التفسير التطبيقي: ١٤١٠، وشرح سفر إشعياء: ١٥٧، ومختصر شرح سفر الرؤيا: ٨٨.

(٢) انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ١٣٨.

المطلب الثالث: رفع الغضب بظهور المسيح المخلص:

يعتقد كثير من اليهود بظهور المسيح المخلِّص في آخر الزمان، بعد أن يتوبوا من ذنوبهم، ويلتزموا بالشرائع، فيجمع شملهم من جديد، ويوحد صفوفهم، ويكون على يديه استرداد بيت المقدس مرّة أخرى، وتجري أحداث «جوج وماجوج» في زمنه، وبظهوره سيتنعم اليهود بالحياة الهانئة، والعيش السعيد(1).

وقد اختلف اليهود في تحديد شخصيّة المسيح المخلِّص، فالعبرانيون يعتقدون أنّه من نسل داود عليه السلام وهو الأشهر، ويعتقد السامريون أنّه من نسل يوسف عليه السلام، ومن اليهود من يعتقد أنّه: شاول من سلالة بنيامين أصغر أبناء يعقوب عليه السلام(2).

وقد استدلّ بعض اليهود على ظهور المسيح المخلّص في آخر الزمان، وإنقاذه بني إسرائيل من حياة الذل إلى حياة العزّة والكرامة، بما جاء في سفر إشعياء: «١رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. ٢لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ وَبِيَوْمِ انْتِقَامٍ لإِلَهِنَا. لأُعَزِّيَ كُلَّ النَّائِحِينَ. ٣لأَجْعَلَ لِنَائِحِي صِهْيَوْنَ لأُعْطِيَهُمْ جَمَالاً عِوَضاً عَنِ الرَّمَادِ وَدُهْنَ فَرَحٍ عِوَضاً عَنِ النَّوْحِ وَرِدَاءَ تَسْبِيحٍ عِوَضاً عَنِ الرُّوحِ الْيَائِسَةِ فَيُدْعَوْنَ أَشْجَارَ الْبِرِّ غَرْسَ الرَّبِّ لِلتَّمْجِيدِ. ٤وَيَبْنُونَ الْخِرَبَ الْقَدِيمَةَ. يُقِيمُونَ الْمُوحِشَاتِ الأُوَلَ. وَيُجَدِّدُونَ الْمُدُنَ الْخَرِبَةَ مُوحِشَاتِ دَوْرٍ فَدَوْرٍ. ٥وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعُونَ غَنَمَكُمْ وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. ٦أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلَهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرْوَةَ الأُمَمِ وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ. ٧عِوَضاً

(١) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤١-٢٤٦، وفكرة الخلاص عند اليهود: ٢٠٨، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٥.

(٢) انظر: قبل الكارثة نذير ونفير، عبدالعزيز كامل: ١٨١، والمسيا المنتظر نبيّ الإسلام ﷺ: ٨٢، والمسيح إنسان أم إله: ٢٩، ٣٨-٤٢، ومفصل العرب واليهود في التاريخ: ٣٧٥.

عَنْ خِزْيِكُمْ ضِعْفَانِ وَعِوَضاً عَنِ الْخَجَلِ يَبْتَهِجُونَ بِنَصِيبِهِمْ. لِذَلِكَ يَرِثُونَ فِي أَرْضِهِمْ ضِعْفَيْنِ. بَهْجَةٌ أَبَدِيَّةٌ تَكُونُ لَهُمْ»[1].

(١) ٦١/ ١-٧، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤١، ٢٤٢، ولمعرفة المزيد عن الأدلّة التي يستدلّ بها اليهود على ظهور المسيح المخلّص، انظر: الجواب الصحيح: ٣/ ٤٠٦، ٤٠٧، ٥/ ٢٦٠، وفكرة الخلاص عند اليهود: ٧٥.

المبحث الثاني: ملحمة جوج وماجوج

وفيه تمهيد، وأربعة مطالب:

التمهيـــــد:

يعتقد بعض اليهود بوقوع ملحمة «جوج وماجوج» في آخر الزمان، بعد ظهور المسيح المُخلِّص، واستيلائه ببعض قومه على بيت المقدس[1].

وقد أشارت أسفار العهد القديم إلى تنبُّؤ أنبياء بني إسرائيل بهذه الملحمة المرتقبة، حيث جاء في سفر حزقيال: «١٧ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ أَنْتَ هُوَ الَّذِي تَكَلَّمْتُ عَنْهُ فِي الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ عَنْ يَدِ عَبِيدِي أَنْبِيَاءِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ تَنَبَّأُوا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ سِنِيناً أَنْ آتِيَ بِكَ عَلَيْهِمْ؟ ١٨ وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَوْمَ مَجِيءِ جُوجٍ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ»[2].

قال «موسى بن ميمون» في كتابه «مشناة التوراة»: «ويتضح من المعنى الظاهري لأقوال الأنبياء، أنّه في بداية أيام الماشيح[3] ستندلع حرب **يأجوج ومأجوج**»[4].

وقد **اضطربت وتناقضت** نصوص سفر حزقيال في ضبط المراد بـ«جوج وماجوج»، فمرّةً

---

(١) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢، والمسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ٥٧.

(٢) ٣٨/ ١٧، ١٨.

(٣) ماشيَّح كلمة عبرية تعني المسيح المخلِّص، وتصدق على كل ملوك اليهود وأنبيائهم، وعلى كل فرد يقوم بتنفيذ مهمة خاصة يوكلها الإله إليه، وأصبحت في نهاية الأمر تشير إلى شخص مُرسَل من الإله يتمتع بقداسة خاصة. انظر: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، المسيري: ٢٦٠، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٤.

(٤) نقلاً عن المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ٥٧.

تعدّ النصوص «جوج» أرضاً، ومرّة تعدّه رئيساً لشعب، كما في قوله: «٢يَا ابْنَ آدَمَ اجْعَلْ وَجْهَكَ عَلَى **جُوجٍ أَرْضِ مَاجُوجَ رَئِيسِ رُوشٍ**[١] مَاشِكَ[٢] وَتُوبَالَ[٣] وَتَنَبَّأْ عَلَيْهِ ٣وَقُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا عَلَيْكَ **يَا جُوجُ رَئِيسُ رُوشٍ** مَاشِكَ وَتُوبَالَ»[٤].

ويظهر من تناول «**سعديا الفيومي**» لهذه الملحمة أنه **يعدّ «جوج وماجوج» رئيس شعبٍ**[٥]، وجاء في «مخطوطات البحر الميت» المنسوبة إلى فرقة الأسينيين اليهوديّة ما يشير إلى أنّها تعدّهم أمّةً وهم «الرومان»[٦].

وهذه الرؤية اليهوديّة المضطربة لـ«جوج وماجوج» تعارض الرؤية الإسلاميّة الواضحة التي تعدّ «يأجوج ومأجوج» أُمّتين مؤذيتين، تخرجان على الناس في آخر الزمان[٧].

ولأجل الإحاطة المجملة بما جاء في خبر «جوج وماجوج» وجنوده عند اليهود فسيتم تخصيص المطالب الثلاثة الأولى لما ورد بشأنهم في العهد القديم، في حين يتم تخصيص المطلب الرابع لخبرهم في «مخطوطات البحر الميت»:

---

(١) يحتمل أنّ «روش» كان أحد الشعوب السرماتية أو الايرانية التي كانت تعيش فيما حول بحر قزوين، وقد جمع عالم العبرية «جيسينوس» بين هذا الاسم وبين «روسيا». ولكن ليس هناك أي علاقة بينهما. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة: «روش».

(٢) أمة آرية من الشعوب «الهندو أوربية»، ويرجعون في نسبهم إلى ماشك أحد أبناء يافث بن نوح. انظر: المرجع نفسه ، مادة: «ماشك».

(٣) شعب يرجع في نسبه إلى توبال أحد أبناء يافث بن نوح، ويتّصفون بأنّهم محاربون أشدّاء. انظر: المرجع نفسه، مادة: «توبال».

(٤) ٣٨/ ٢، ٣.

(٥) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢.

(٦) انظر: ص ٣٢٧، ٣٢٨ من الرسالة.

(٧) تقدم الحديث عنهما مختصراً في ص ٢٦٥، وسيأتي تفصيله في ص ٣٩٨.

المطلب الأول: غزو جوج لإسرائيل:

ذكر «سعديا الفيومي» أنّ «جوج وماجوج» يسمع بخبر ظهور المسيح المخلّص ابن داود، واستيلائه ببني إسرائيل على بيت المقدس عُنوةً، وما يتمتّعون به من جودة الرجال والبلاد، وكثرة الأموال، وسكناهم آمنين مطمئنّين، بلا حصون ولا أقفال فيطمع في سلبهم والاستيلاء على خيراتهم(1).

واستدلّ على ذلك بما جاء في سفر حزقيال: «١٠وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ أُمُوراً تَخْطُرُ بِبَالِكَ فَتُفَكِّرُ فِكْراً رَدِيئاً ١١وَتَقُولُ: إِنِّي أَصْعَدُ عَلَى أَرْضٍ أَعْرَاءٍ. آتِي الْهَادِئِينَ السَّاكِنِينَ فِي أَمْنٍ، كُلُّهُمْ سَاكِنُونَ بِغَيْرِ سُورٍ وَلَيْسَ لَهُمْ عَارِضَةٌ(2) وَلاَ مَصَارِيعُ(3) ١٢لِسَلْبِ السَّلْبِ وَلِغُنْمِ الْغَنِيمَةِ، لِرَدِّ يَدِكَ عَلَى خِرَبٍ مَعْمُورَةٍ وَعَلَى شَعْبٍ مَجْمُوعٍ مِنَ الأُمَمِ، الْمُقْتَنِي مَاشِيَةً وَقُنْيَةً، السَّاكِنُ فِي أَعَالِي الأَرْضِ»(4).

قال «سعديا»: «فيجمع معه قوماً من أُممٍ شتّى، ويشتقُّ البلدان حتّى يوافيهم»(5).

---

(١) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢.

(٢) العارضة هي الخشبة العليا التي يدور فيها الباب، أو التي تستخدم لغلق الأبواب وتحصينها. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة: «عارضة- عوارض».

(٣) مصراع الباب أحد جزأيه حيث كان للأبواب -عادةً- مصراعان. انظر: المرجع نفسه، مادة: «مصراع- مصاريع».

(٤) ٣٨/ ١٠-١٢، وانظر: سفر ميخا: ٤/ ١١، ١٢.

(٥) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢، وانظر: سفر حزقيال: ٣٨/ ٨، ٩، ١٥، ١٦.

المطلب الثاني: القضاء على جوج وماجوج:

يعتقد بعض اليهود أنّ الرب سينتصر لهم، بأن يجعل جيوش «جوج» صنفين:

الصنف الأول: قومٌ لا خير فيهم، وهؤلاء سيهلكهم الرب[1].

لقوله في سفر يوئيل: «أَجْمَعُ كُلَّ الأُمَمِ وَأُنَزِّلُهُمْ إِلَى وَادِي يَهُوشَافَاطَ[2] وَأُحَاكِمُهُمْ هُنَاكَ عَلَى شَعْبِي وَمِيرَاثِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ بَدَّدُوهُمْ بَيْنَ الأُمَمِ وَقَسَمُوا أَرْضِي»[3].

وإهلاك الرب لهم يكون بضروبٍ من الآفات: فبعضهم يهلك بما يرسله الرب عليهم من المطر الجارف والحجارة والبرد والنار والكبريت[4]، وبعضهم يهلك بالسيف، حيث يسلط الرب سيوف بعضهم على بعض[5]، وبعضهم يهترئ لحمه ويتحلّل عظامه، حتى إنّ أحدهم يمدّ يده إلى يد الآخر ليمسكها، فإذا بها في يده[6]، والباقون سيتعرّضون لآثارٍ تقع بهم: من قلع عينٍ، أو جدع أنفٍ، أو قطع أصبعٍ، فيخرجون بهذه الآفات ويُخبرون في الآفاق بما شاهدوا[7].

---

(١) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) وادي يهوشافاط اسم عبري معناه وادي قضاء الرب، وذهب بعض الباحثين إلى صعوبة تحديد مكانه، ويعتقد اليهود أنّ الرب سيجلس في هذا الوادي للانتقام لإسرائيل ممن اضطهدوهم. انظر: الأنبياء الصغار: ١/ ١٠٢،١٠٣.

(٣) ٣/ ٢، وانظر: ٣/ ٩-١٧.

(٤) انظر: سفر حزقيال: ٣٨/ ٢٢.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ٣٨/ ٢١.

(٦) انظر: سفر زكريا: ١٤/ ١٢، ١٣.

(٧) انظر: سفر إشعياء: ٦٦/ ١٩، والأمانات والاعتقادات: ٢٤٢، ٢٤٣.

وأما الصنف الثاني من «جوج وماجوج»: فقومٌ يمكن إصلاح حالهم، فيبقيهم الرب؛ ليدخلوا في الدِّين، وذُكر أنّ منْ هؤلاء من يتفرّغ لخدمة إسرائيل، ومنهم من يرجع إلى بلاده، مع التزامه بطاعة اليهود[1]، وسيأتي ذكرهم عند الحديث عن الملك الألفي[2].

المطلب الثالث: مصير جثث جوج وماجوج وأسلحتهم:

جاء في سفر حزقيال ما يدلُّ على أنّ الرب بعد أن يقضي على «جوج وماجوج» يجعلُ جثثهم طعاماً للبهائم والطيور، فيشبعون من لحومهم، ويسكرون من دمائهم: «١٧وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ فَهكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: قُلْ لِطَائِرِ كُلِّ جَنَاحٍ، وَلِكُلِّ وُحُوشِ الْبَرِّ: اجْتَمِعُوا وَتَعَالَوْا احْتَشِدُوا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَى ذَبِيحَتِي الَّتِي أَنَا ذَابِحُهَا لَكُمْ، ذَبِيحَةً عَظِيمَةً عَلَى جِبَالِ إِسْرَائِيلَ لِتَأْكُلُوا لَحْماً وَتَشْرَبُوا دَماً. ١٨تَأْكُلُونَ لَحْمَ الْجَبَابِرَةِ وَتَشْرَبُونَ دَمَ رُؤَسَاءِ الأَرْضِ، كِبَاشٌ وَحُمْلاَنٌ وَأَعْتِدَةٌ[3] وَثِيرَانٌ كُلُّهَا مِنْ مُسَمَّنَاتِ بَاشَانَ[4] ١٩وَتَأْكُلُونَ الشَّحْمَ إِلَى الشَّبَعِ، وَتَشْرَبُونَ الدَّمَ إِلَى السُّكْرِ مِنْ ذَبِيحَتِي الَّتِي ذَبَحْتُهَا لَكُمْ. ٢٠فَتَشْبَعُونَ عَلَى مَائِدَتِي مِنَ الْخَيْلِ وَالْمَرْكَبَاتِ وَالْجَبَابِرَةِ وَكُلِّ رِجَالِ الْحَرْبِ»[5].

وما بقي من جثثهم فسيدفن في إسرائيل، في مقبرة تقع شرق البحر الميت على طريقٍ عامٍّ، تراه العيون العابرة، ليعتبروا بما أصابهم، وسيسمّى مكان دفنهم «وادي هامون جوج» أي وادي جمهور جوج[6].

وسيكرم الرب بني إسرائيل، بتمكينه إيّاهم من سلب جوج وماجوج وإيقادهم النار من

---

(١) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢.

(٢) انظر: ص ٣٣٣ من الرسالة.

(٣) هي تيوس قوية. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٧٩.

(٤) هي الأرض السهلة الخصبة المثمرة، وهي في الطرف الشمالي من شرقي الأردن. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة: «باشان».

(٥) ٣٩/ ١٧-٢٠.

(٦) انظر: سفر حزقيال: ٣٩/ ١١.

أسلحتهم لمدّة سبع سنين![1]، لا يحتاجون فيها إلى حطبٍ[2].

قال «سعديا الفيومي»: «إنّ القوم يسجرون من الخشب الذي يكون في سلاح جوج ٧ سنين»[3].

ويظهر بعد عرض مصير جثث يأجوج ومأجوج وأسلحتهم، وجود قدر من التشابه بين بعض ما جاء في الرؤيتين اليهودية والإسلامية حيال هذا المصير[4].

المطلب الرابع: ملحمة يأجوج ومأجوج في مخطوطات البحر الميت:

في عام ١٩٤٧م تم العثور في كهوف خرائب قمران الواقعة بالقرب من شواطئ البحر الميت على مخطوطات، يُقال إنّها تعود لطائفة الأسينيين اليهودية، وكان من جملة ما احتوته هذه المخطوطات: أجزاء أو مقاطع من «**سفر قانون الحرب**»[5].

وقد تضمن هذا السِفْرُ الإشارة إلى ملحمةٍ هائلةٍ تقعُ في آخر الزمان؛ بين أبناء النور «اليهود»، وأبناء الظلام «الرومان وحلفائهم»، تستمر أربعين سنة، وتكون نهايتها لصالح اليهود، ليتسلّطوا بعدها على رقاب الأمم، ويتنعّموا بوفرة الأرزاق والبركات، ويسعدوا بالأمن وطيب العيش[6].

---

(١) ويظهر أنّ هذه الملحمة هي التي يُطلق عليها البعض «حرب التنّين» لكثرة ما يكون فيها من الهلاك، حيث جاء في التلمود: «قبل أن تحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، ويبقى اليهود مدّة سبع سنوات متوالية يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النّصر، وحينئذٍ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارجاً عن أفواههم!!» الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٧١، وانظر: رحلات للديار المباركة: ٢٢٨، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ١٣، ١٤، والمتدينون اليهود في فلسطين: ١٤٣، والمسيح المنتظر وتعاليم التلمود: ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨.

(٢) انظر: سفر حزقيال: ٣٩/ ٩، ١٠.

(٣) الأمانات والاعتقادات: ٢٥٠.

(٤) انظر: ص ٤٠٢ من الرسالة.

(٥) انظر: النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت: ١١-٢٥، ٢٦١، وموسوعة اليهود واليهودية: ٥/ ٣٢٥.

(٦) انظر: النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت: ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤.

ويظهر من سياق السِفْر أنّ الرومان وجموعهم: هم يأجوج[1] وجموعه، حيث وردت الإشارة إليهم أثناء عرض الملحمة الرومانية ضمن جزءٍ من نصٍّ مبتورٍ[2].

ويصف السِفْر زمن الملحمة بأنّه زمن المصائب والكروب والخلاص الأبديّ لليهود، حيث جاء فيه: «لأنّ هذا الزمن سوف يكون زمن المصائب والكروب لبني إسرائيل، وزمن الدعوة للحرب ضدّ جميع الأمم، ولسوف يكون زمن الخلاص الأبدي لجماعة الرب، والخراب لأمم الشر»[3].

ووصف السِفْر هذه الملحمة بأنّها: «ملحمة هائلة، أمام ربِّ بني إسرائيل»[4].

وجاء في وصف سير الملحمة: «في ثلاث هجماتٍ سوف يضمّ أبناء النور أنفسهم في المعركة للقضاء على الشر والخطيئة، وفي ثلاث هجمات سيستعد جيش الشيطان للهجوم على جماعة الرب، وعندما تضعف قلوب كتائب الرجالة عندها سيقوّي جبروتُ الرب قلوب أبناء النور، وفي الهجمة السابعة فإنّ أيدي الرب الجبّارة ستحلّ على جيش الشيطان وكلّ ملائكة مملكته، وجميع أعضائه في تدميرٍ نهائي»[5].

وبعد انتهاء المعركة تتم مطاردة الجيوش الفارّة إلى ديارهم[6].

وفي ختام هذا العرض الموجز لهذه الملحمة الرومانية، تجدر الإشارة إلى أربعة أمور:

الأول: وجود تعارض بين وصف أسفار العهد القديم لملحمة «جوج وماجوج» وبين

---

(١) يُشار إلى أنّ نسخة مخطوطات البحر الميت المترجمة إلى اللغة العربية ذكرت اسم «يأجوج ومأجوج» بهذا اللفظ، ولم تذكره بلفظ «جوج وماجوج».

(٢) وهو: «...متى سوف تعاقب يأجوج وجميع من تجمع حوله» المصدر السابق: ٢٧٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٥.

(٥) المصدر نفسه: ٢٦٥.

(٦) انظر: المصدر نفسه: ٢٧٥.

وصف مخطوطات البحر الميّت لها، ومن ذلك: أنّ الأسفار تشير إلى أنّ نهاية «جوج» ستكون ربّانيّةً، بحيث يقضي عليهم الرب دون تدخّل اليهود، بينما تجعل المخطوطات نهايتهم ربانية ولكن على يد اليهود أنفسهم بعد سلسلة من الهجمات المتبادلة.

الثاني: إذا ما قارنّا بين التصور الذي ورد في الأسفار والمخطوطات بشأن نهاية «جوج وماجوج» وبين التصور الإسلامي لنهايتهم، سنجد اتّفاق النصوص الإسلاميّة والأسفار على أنّ نهايتهم ستكون ربّانية، مما يدلّ على أنّ مخطوطات البحر الميّت لم تسلم -هي الأخرى- من التحريف والتغيير، والله تعالى أعلم.

الثالث: يلاحظ وجود شيء من التشابه بين تكرار هجوم أبناء النور ثلاث مرات على أبناء الظلام، وصدّ الروم لهذه الهجومات الثلاثة، ثم انتصار أبناء النور في المرة الرابعة، والتي عَدّها السفر هجمة سابعة، وبين تكرار هجوم المسلمين ثلاث مرات على الروم! في الملحمة الكبرى، ثم انتصار المسلمين عليهم في المرة الرابعة! ومن هنا فلا يبعد أن تكون هذه الملحمة الرومانية تحريفاً لنبوءة كتابية حول الملحمة الكبرى، والله تعالى أعلم.

الرابع: أنّ بعض الباحثين يميلون إلى أنّ كاتب «سفر الحرب» قد استفاد من سفر دانيال في صياغته لهذه الملحمة، في حين يرجّح آخرون بناءً على التنظيم العسكريّ الموصوف في المخطوط أنّ كاتبه تأثّر بالنظام العسكري الروماني، بالإضافة إلى تأثّره المحدود بنصوص الكتاب المقدس.

ومن خلال بعض الألفاظ الواردة في السفر، التي يظهر ارتباطها ببعض المسميات الشائعة في زمنها، قرَّر بعض الباحثين أنّ السِفْرَ كُتب في العقود الأخيرة من القرن الأول قبل الميلاد، أو في بداية القرن الأول الميلادي[1].

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٦٢، ٢٦٣.

المبحث الثالث: الملك الألفي عند اليهود

التمهيـــد:

يعتقد بعض اليهود أنّ ملاحم آخر الزمان، ستُسفر -بعد هلاك «جوج وماجوج»- عن فردوسٍ أرضيٍّ، يدوم -بقيادة المسيح المخلِّص- لألف عامٍ، ينعم فيها اليهود بالأمن والطمأنينة، والسعادة والرخاء، والفرح والسرور، والهيمنة على العالم(١).

قال رضا هلال: «العقيدة الألفية؛ أي حكم المسيح كملكٍ للعالم لمدّة ألف عامٍ هي عقيدةٌ يهوديةٌ، تقوم على الإيمان بمخلِّص سوف يأتي ليفدي شعب إسرائيل وينقذه من عذاب المنفى، ويقوده عائداً إلى أورشليم؛ ليفرض منها الحكم على كلّ أمم الأرض»(٢).

وقد اسْتُفِيد تحديد الملك بألف سنة من كتابات التلمود المقدّسة، والكتب الخفية التي تسمّى «أبوكريفا»(٣)، وأما أسفار العهد القديم، فلم تحدّد مدّة الخلاص بزمنٍ معين، وإنّما جعلته أبديّاً لا نهاية له، حيث جاء في سفر إشعياء: «أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَيَخْلُصُ بِالرَّبِّ خَلاَصاً أَبَدِيّاً. لاَ تَخْزُونَ وَلاَ تَخْجَلُونَ إِلَى دُهُورِ الأَبَدِ»(٤).

قال «سعديا الفيومي» في معرض تعليقه على هذا النص: «ويقيم المؤمنون على هذا الحال؛ ما أقامت الدنيا، لا تتغيّر لهم حال، ويقع لي أنّهُ لم يقل هذه اللفظة «إِلَى دُهُورِ الأَبَدِ» في هذا الموضع

(١) انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة، نورمان كوهن: ٤/ ١٦، ١٧، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٤، ويوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ٧٠.

(٢) المسيح اليهودي ونهاية العالم: ٢٥٠، وانظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٩، ١٤٠.

(٣) انظر: فكرة الخلاص عند اليهود: ١٤٨، ١٥١، والمسيحية والتوراة: ٨٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٩، ١٤٠.

(٤) ٤٥/ ١٧، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٦.

من بين المواضع؛ إلا ليحقق لنا تأكيد الخلاص بأوكد ما يجب في اللغة، وليزول قول من قال: إنّها متقضِّيَةٌ أو فانيةٌ»[1].

وفي المطالب الآتية سيتم البحث بإيجاز في أوضاع العالم خلال فترة الملك الألفي.

المطلب الأول: علاقة الأمم باليهود في زمن الملك الألفي.

تشير أسفار العهد القديم إلى أنّ ملاحم آخر الزمان، ستنتهي بانتصار اليهود على أعدائهم، وظهور فضل الرب عليهم، مما سيُطمع الأمم الأخرى في كسب ودِّهم والانضمام إليهم!.

وقد اختلفت المصادر اليهودية في تحديد الموقف الذي سيتخذه اليهود من الأمم التي تريد الانضمام إليهم، بناءً على اختلافها في نوع الخلاص من جهة كونه خاصّاً باليهود أو عامّاً لهم ولغيرهم.

فذهب بعضها إلى أنّ الخلاص خاصٌ باليهود، لكون الأمم لم يرغبوا في دين اليهودية إلا حين رأوا انتصار اليهود، وفضلَ الرب عليهم، ومن ثمّ فإنّ مصيرهم سيكون إلى العذاب والفناء، وخصوصاً الأمم التي ناصبت اليهود العداء[2].

ويشهدُ لهذا الرأي ما جاء في سفر العدد: «وَيَقُومُ قَضِيبٌ مِنْ إِسْرَائِيل فَيُحَطِّمُ طَرَفَيْ مُوآبَ[3] وَيُهْلِكُ كُلَّ بَنِي الوَغَى»[4].

---

(١) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٦ «بتصرّف».

(٢) انظر: بذل المجهود في إفحام اليهود: ١١٣، ١١٤، وهداية الحيارى: ٢٠٧، ٢٠٨، وخطر اليهودية الصهيونية، الآب طانيوس: ٥٩، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) يزعم اليهود ومن تبعهم من النصارى أنّ موآب هو الابن البكر لابنة لوط من أبيها، وذلك لأنّهم لا يتورّعون عن نسبة أنبياء الله إلى الفواحش، وهم منها منزّهون -عليهم أفضل الصلاة والسلام-، وتقع أرض موآب بجوار البحر الميّت، يُقابلها اليوم الجزء الشرقي من المملكة الأردنية الهاشميّة، وقد أظهر الموآبيّون مسرّتهم بمذلّة بني إسرائيل عندما سُبوا، فأنذرهم الرب بالقصاص. انظر: قاموس الكتاب المقدّس: ٩٢٧-٩٢٩.

(٤) ٢٤/ ١٧، وانظر: الفكر الديني اليهودي: ١٠٠، وفكرة الخلاص عند اليهود: ٧٥، والمسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ٥٤، ٧٢.

قال السموأل بن يحيى المغربي -وقد كان يهودياً فأسلم-: «ويعتقدون أيضاً: أنّ هذا المنتظر متى جاءهم؛ يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم الدولة، **ويخلو العالم من سواهم**، ويحجم الموت عن جنابهم المدة الطويلة»[1].

وذهبت بعض المصادر اليهودية إلى تعميم الخلاص بحيث يشمل جميع الأمم[2]؛ لقول السيد الرب كما في سفر صفنيا: «لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ[3]»[4].

وهذا النصُّ -كما ذكر سعديا الفيومي- ظاهر الدلالة على ما سيكون من «إيمان الخلق كلِّهم وتوحيدهم لله»[5].

وذُكر في التلمود ما يشير إلى استثناء النّصارى من عموم الخلاص، حيث جاء فيه: «وترى النّاس كلّهم حينئذٍ يدخلون في دين اليهود أفواجاً، ويُقبَلُون كلّهم ما عدا المسيحيين، فإنّهم يهلكون لأنّهم من نسل الشيطان»[6].

---

(١) بذل المجهود: ١١٣، ١١٤، وانظر: المسيّا المنتظر: ٢٦٩، والمسيحية والتوراة: ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٢، ودراسات أندلسية في القصيدة العبرية: ٤-٨، والطقوس الدينية والاجتماعية في الفلكور اليهودي في العهد القديم: ٣٨٠، وعقائد اليهود بين الحق والباطل: ٣٣١، ومفصل العرب واليهود في التاريخ: ٣٧٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٥.

(٣) هذا النصّ موافقٌ لما دلّت عليه الأخبار الإسلامية الصحيحة من اجتماع الناس على التوحيد بعد هلاك يأجوج ومأجوج، وهو مطابقٌ لحال الأمة الإسلامية، فهي الأمة التي تصلّي لله تعالى في صفوف متراصة، يلتصق كتف كل واحد منها بكتف أخيه، وهم أطهر الناس شفةً، لدعائهم باسم الربِّ وحده، وحسب شفاههم طهارةً أنّها لا تسب الله، فتقول: إنّه يجهل وينسى ويندم -تعالى الله عما يقول المشركون علوّاً كبيراً-. انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ١٤١.

(٤) ٣/ ٩، وانظر: سفر زكريا: ١٤/ ٩، والأمانات والاعتقادات: ٢٤٢، ومفصل العرب واليهود في التاريخ: ٣٧٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٤، ٢٩٥، وعقائد اليهود بين الحق والباطل: ٣٣١، والطقوس الدينية والاجتماعية في الفلكور اليهودي: ٣٨٠، ودراسات أندلسية في القصيدة العبرية: ٤-٨.

(٥) الأمانات والاعتقادات: ٢٥١.

(٦) الكنز المرصود: ٧١، وانظر: إسرائيل والتلمود: ٥٨، وخطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام: ٥٤.

والجدير بالملاحظة هو أنّ بعض اليهود الذين يعتقدون بتعميم الخلاص لهم ولغيرهم، لم يسلموا من نظرةٍ دونيّةٍ للشعوب الأخرى، وذلك من خلال اعتقادهم أنّ تلك الشعوب ستتفرغ لخدمة بني إسرائيل في منازلهم ومدنهم وقراهم ومزارعهم ومن رجع منهم إلى بلاده فإنّه سيقوم بنقل المنفيين من اليهود إلى أورشليم، والحجّ إليها كلّ سنة[1].

وقد استندوا في هذه النظرة الدونية للناجين من ملحمة «جوج وماجوج» إلى عددٍ من الأدلة، منها على سبيل المثال[2]: ما جاء في سفر إشعياء: «وَيَكُونُ الْمُلُوكُ حَاضِنِيكِ وَسَيِّدَاتُهُمْ مُرْضِعَاتِكِ. بِالْوُجُوهِ إِلَى الأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكِ وَيَلْحَسُونَ غُبَارَ رِجْلَيْكِ»[3]، وجاء فيه: «وَيَمْتَلِكُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ عَبِيداً وَإِمَاءً»[4] وجاء فيه أيضاً: «وَيَقِفُ الأَجَانِبُ وَيَرْعُونَ غَنَمَكُمْ وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَّاثِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ»[5]، وجاء فيه: «هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا إِنِّي أَرْفَعُ إِلَى الأُمَمِ يَدِي وَإِلَى الشُّعُوبِ أُقِيمُ رَايَتِي فَيَأْتُونَ بِأَوْلاَدِكِ فِي الأَحْضَانِ وَبَنَاتُكِ عَلَى الأَكْتَافِ يُحْمَلْنَ»[6].

(١) انظر: سفر إشعياء: ١٤/ ٢، ٤٩/ ٢٣، وسفر زكريا: ١٤/ ١٦، والأمانات والاعتقادات: ٢٤٣-٢٤٥، وإسرائيل والتلمود: ٥٧، ٥٨، وفكرة الخلاص عند اليهود: ٢١٢، ٢١٣، والكنز المرصود: ٧٠، ٧١.

(٢) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٣-٢٤٥، وفكرة الخلاص عند اليهود: ٢١٢، ٢١٣.

(٣) ٤٩/ ٢٣.

(٤) ١٤/ ٢.

(٥) ٦١/ ٥.

(٦) ٤٩/ ٢٢.

المطلب الثاني: اجتماع بني إسرائيل في أورشليم:

يعتقد بعض اليهود أنّ الرب سينقذهم من الشتات، وسيجمع شملهم في بيت المقدس، على يد المسيح المخلِّص جمع إكرام ومحبة وتمكين[1].

قال «سعديا الفيومي» في معرض حديثه عن وعود الرب لشعب إسرائيل: «عرّفنا ربنا جلّ وعزّ على يدي أنبيائه أنّه ينقذ جماعة بني إسرائيل من هذه الحال التي نحن عليها، ويجمع شملنا من مشرق الأرض ومغربها، ويأتي بنا إلى قدسه ويسكننا إياه، فنكون صفوته وخاصته، كما في سفر زكريا: «٧هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هَئَنَذَا أُخَلِّصُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ وَمِنْ أَرْضِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ. ٨وَآتِي بِهِمْ فَيَسْكُنُونَ فِي وَسَطِ أُورُشَلِيمَ»[2]»[3].

ويعتقد بعض اليهود أنّ الرب سيحيي صالحي أموات اليهود؛ ليتنعموا بالعيش السعيد في زمن المسيح المنتظر، وذلك على وجه الكرامة لهم، والمعجزة للمسيح المخلص.

قال سعد بن منصور بن كمّونة «أحد علماء اليهود»: «ومنهم -أي اليهود- من اعتقد أنّ بعث الأموات يحصل مرتين: **مرّةً** في زمن المسيح المنتظر عندهم، وذلك البعث مختصٌّ بالصالحين من الأمّة، على وجه المعجز للمسيح، وكرامةً لأولئك الصالحين، **وتارةً** ببعث الموتى في القيامة العامّة لكافّة النّاس، الصالحين منهم والطالحين، للجزاء بالثواب الأبدي على الطاعة، وبالعقاب على المعصية»[4].

---

(١) انظر: ص ٣١٠، ٣٢٠ من الرسالة، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ النبوءات الواردة في التمكين لبني إسرائيل؛ إن صحت فهي محمولة على ما وقع لهم من التمكين في زمن داود وسليمان عليهما السلام، حيث صارت لهم مملكة موحّدة تجمع أسباطهم. انظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام: ١٢١.

(٢) ٨/ ٧، ٨.

(٣) الأمانات والاعتقادات: ٢٢٩.

(٤) تنقيح الأبحاث للملل الثلاث: ٢٧، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢١١، وحمار المسيح «الأصولية اليهودية- الحاضر والجذور»: ٢٩.

ويعتقد بعض اليهود أنّهم إذا اجتمع شملهم في مدينة القدس، فسيُعادُ بناء هيكل الرب[1]، على وفق ما ورد من وصف أطواله وأبعاده في سفر حزقيال[2].

وجاء في نصوص العهد القديم ما يدلّ على أنّ الربّ سيهيئ لليهود مدينة القدس بأنواع النعيم والخيرات، التي يستحقّها أولياؤه وصفوته ومن ذلك:

١- أنّ ثروات الأمم ستتحول إلى أورشليم[3].

حيث جاء في سفر إشعياء: «٥حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُنِيرِينَ وَيَخْفُقُ قَلْبُكِ وَيَتَّسِعُ لأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكِ ثَرْوَةُ الْبَحْرِ وَيَأْتِي إِلَيْكِ غِنَى الأُمَمِ. ٦تُغَطِّيكِ كَثْرَةُ الْجِمَالِ بُكْرَانُ[4] مِدْيَانَ[5] وَعِيفَةَ[6] كُلُّهَا

(١) ذهب بعض الباحثين إلى أنّ الهيكل هو بيت الإله يهوه، وهو ليس معبداً، بل ولا يوجد في التوراة ما يدعو إلى تقديسه، وقد بدأ الاهتمام اليهودي به في القرن التاسع عشر الميلادي، ويعتقد اليهود أنّه كان مبنياً على جبل بيت المقدس، وقد فشلت جميع التنقيبات الأثرية في العثور على أثر له، ويذهب بعض الباحثين إلى أنّه أكذوبة يهودية، وقد اكتسب أهمّيته الواقعية من كونه يُعَدُّ رمزاً دينياً تاريخياً للكيان الصهيوني العلماني، وخطوة هامّة في تكريس الهيمنة الصهيونية على فلسطين، وإلغاء الوجود الإسلامي فيها. انظر: المتدينون اليهود في فلسطين: ٣٧-٣٩.
وللوقوف على الخلاف حول حقيقة الهيكل، وتعيين وقت بنائه، انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٥، والأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١١٧، والبعد الديني للصراع الإسرائيلي، محمد خليفة: ٣٦، وتاريخ الأديان، له: ١٩٣، وتاريخ الديانة اليهودية، له: ١٥٢، ١٥٣، وحمار المسيح: ٢٩، والمسيا المنتظر نبي الإسلام ﷺ: ٨٢، والمسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ٥١، والمسيحية والتوراة: ٣٦٦، والمتدينون اليهود في فلسطين: ٣٨، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٤/ ١٥٩-١٧٢، ٥/ ٢٨٠، ٢٩٤، ويوم الله: ١٨٠.

(٢) انظر: الإصحاحات: ٤١-٤٨، والأمانات والاعتقادات: ٢٤٥، وقال رشاد فكري: «معظم ما جاء في هذه الإصحاحات غاية في الصعوبة، لا في سفر حزقيال فقط، بل في كلّ الأسفار النبوية، لكن ما يبدو لنا صعباً الآن سيكون واضحاً ومفهوماً بكلّ تفصيلاته ومعانيه في المستقبل...» شرح سفر حزقيال: ٣٢٤، وانظر: ٣٣٣-٤٤٧.

(٣) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٥.

(٤) جمال صغيرة. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٢١.

(٥) أرض مدين تقع بالقرب من تبوك. انظر: دائرة المعارف الكتابية: مادة «مديان»، ومعجم البلدان: ٥/ ٩٢، ٩٣.

(٦) قبيلة عربية تنتسب إلى عيفة أكبر أبناء مديان بن إبراهيم عليه السلام. انظر: دائرة المعارف الكتابية: مادة «عيفة».

تَأْتِي مِنْ شَبَا[1]. تَحْمِلُ ذَهَباً وَلُبَاناً وَتُبَشِّرُ بِتَسَابِيحِ الرَّبِّ. ٧كُلُّ غَنَمِ قِيدَارَ تَجْتَمِعُ إِلَيْكِ. كِبَاشُ نَبَايُوتَ تَخْدِمُكِ. تَصْعَدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَذْبَحِي وَأُزَيِّنُ بَيْتَ جَمَالِي»[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض تعليقه على بعض نصوص سفر إشعياء: أنّ «قيدار هو ابن إسماعيل باتفاق الناس، وربيعة ومضر من ولده ومحمد ﷺ من مضر»[3].

وأمّا لفظ «نبايوت»، فقد جاء في النسخة التي اعتمد عليها الإمام ابن القيم رحمه الله بلفظ «نباوت»، وقد علّق عليه فقال: «يريد سدنة الكعبة، وهم أولاد نبت بن إسماعيل»[4].

٢- أنّ أبناء الغرباء «غير اليهود» سيبنون أسوار مدينة القدس[5]، وملوكهم يخدمونها[6].

لقوله في السفر نفسه: «وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ»[7].

٣- أنّ أبواب بيت المقدس ستكون مفتوحةً دائماً، لا تُغلق أبداً[8].

لقوله في السفر نفسه: «وَتَنْفَتِحُ أَبْوَابُكِ دَائِماً. نَهَاراً وَلَيْلاً لاَ تُغْلَقُ. لِيُؤْتَى إِلَيْكِ بِغِنَى الأُمَمِ

(١) قبيلة عربية تقع جنوب الجزيرة العربية. انظر: المرجع السابق: مادة «شبا».

(٢) ٦٠/ ٥-٧.

(٣) الجواب الصحيح: ٥/ ٢٦٢، وانظر: هداية الحيارى: ١٤٩، ١٥١، وميثاق النبيين: ٣٤٥.

(٤) هداية الحيارى: ١٤٨.

(٥) بين اليهود وبين الأسوار والحصون علاقةٌ وثيقةٌ، فهم شعبٌ جبانٌ، يحيط بهم الخوف من كلّ جانب، ولأجل ذلك، فهم يتحصّنون دوماً خلف الجدر، ولا يشعرون بالأمان إلا حين ينعزلون عن الآخرين، وتتأكّد حاجتهم للجدر أوقات الأزمات والحروب، قال تعالى: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ سورة الحشر: آية (١٤)، بل إنّ هذه العلاقة تتجاوز الحدّ لتصبح عقدةً نفسيةً، إذ ما الحاجة إلى هذه الجدر والأسوار، وقد ظهر المسيح المخلّص - كما يزعمون- وتمّ القضاء على الأعداء؟!!.

(٦) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٩.

(٧) ٦٠/ ١٠.

(٨) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٩، ٢٥٠.

وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ»[1].

٤- إبادة الأمم التي ترفض خدمة بيت المقدس[2].

لقوله في السفر نفسه: «لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ»[3].

٥- الطريق التي توصل إلى بيت المقدس لا يسير عليها الأنجاس! «وهم غير اليهود».

لقوله في السفر نفسه: «وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا **الطَّرِيقُ الْمُقَدَّسَةُ. لاَ يَعْبُرُ فِيهَا نَجِسٌ** بَلْ هِيَ لَهُمْ. مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى الْجُهَّالُ لاَ يَضِلُّ»[4].

وبعد: فإنّ المتأمل في هذه النصوص التي يذكر اليهود أنّها نبوءات أنبيائهم عن المستقبل، ويسقطونها على أورشليم، **ليجد أنّ انطباق هذه النبوءات** -على ما فيها من تحريف- **على مكة المكرمة التي فيها بيت الله الحرام وكعبته المعظّمة،** أقرب من انطباقها على غيرها، وذلك للأسباب الآتية:

١- أنّ مكة المكرمة هي المدينة التي يُؤتى إليها بالأغنام والأنعام من كلّ مكان وخصوصاً في موسم الحج؛ لتُذبح في المشاعر المقدسة.

٢- مكة المكرمة هي المدينة التي تتحول إليها ثروة البحر وكنوزه، وتُجلب إليها ثمرات كلّ شيء[5].

قال تعالى عن البلد الحرام مكة المكرمة: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾[6].

---

(١) ٦٠/ ١١.

(٢) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) ٦٠/ ١٢.

(٤) ٣٥/ ٨، وانظر: سفر يوئيل: ٣/ ٧.

(٥) انظر: الجواب الصحيح: ٥/ ٢٥٥، ٢٥٦، وهداية الحيارى: ١٤٨، وميثاق النبيين: ٣٤٤، ويوم الغضب: ٤٧.

(٦) سورة القصص: آية (٥٧).

٣- في مكة المكرمة بيت الله الحرام الذي يتولّى أبناء إسماعيل الإشراف على خدمته وإعماره، والاعتناء بشؤونه.

٤- في مكة المكرمة بيت الله الحرام الذي سخّر الله تعالى كثيراً من أبناء غير العرب ليخدموا فيه، إعماراً وتنظيفاً ونحوهما(١).

٥- في مكة المكرمة بيت الله الحرام، الذي تُفتح أبوابه ليلاً ونهاراً؛ لاستقبال الحُجّاج والعُمّار والزوّار(٢).

٦- في مكة المكرمة بيت الله الحرام، الذي يتنافس الملوك لنيل شرف خدمته(٣).

٧- مكة المكرمة هي البلد الذي حظي بدعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام كما في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾(٤).

وقد استجاب الله تعالى دعاءه فجعل مكة بلداً آمناً في الوقت الذي تُسفك الدماء ويكثر السبي والنهب والخطف فيما حوله من البلاد، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾(٥).

وقد توعّد الله من يسيء فيه، حتى ولو بمجرّد الإرادة أن يُذيقه من عذابٍ أليم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٦).

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «فمجرّد الإرادة للظلم والإلحاد في الحرم،

---

(١) انظر: ميثاق النبيين: ٣٤٦.

(٢) انظر: المرجع نفسه: ٣٤٦، ويوم الغضب: ٤٧.

(٣) انظر: ميثاق النبيين: ٣٤٦.

(٤) سورة إبراهيم: آية (٣٥).

(٥) سورة العنكبوت: آية (٦٧).

(٦) سورة الحج: آية (٢٥).

موجبٌ للعذاب»[1].

وقد عمّم بعض أهل العلم هذه الآية فجعلوها شاملةً لمنطقة الحرم كلّها[2].

وقد حمل الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره على مكة المكرمة ما جاء في سفر إشعياء من قول الرب: (إني لا أسخط عليكِ ولا أرفضكِ، وإن الجبال تزول وإن التلاع تنحط ورحمتي عليكِ لا تزول... وكل سلاحٍ يصنعه صانعٌ فلا يعمل فيكِ، وكل لسان ولغة تقوم معك بالخصومة تفلحين معها)[3].

وقد جاء هذا النص في طبعة دار الكتاب المقدس بلفظ: (هَكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لاَ أَغْضَبَ عَلَيْكِ وَلاَ أَزْجُرَكِ ١٠فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ وَالآكَامَ تَتَزَعْزَعُ أَمَّا إِحْسَانِي فَلاَ يَزُولُ عَنْكِ وَعَهْدُ سَلاَمِي لاَ يَتَزَعْزَعُ قَالَ رَاحِمُكِ الرَّبُّ. ... ١٤بِالْبِرِّ تُثَبَّتِينَ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلاَ تَخَافِينَ وَعَنِ الارْتِعَابِ فَلاَ يَدْنُو مِنْكِ. ١٥هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعاً لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْكِ فَإِلَيْكِ يَسْقُطُ. ... ١٧كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ)[4].

٨- مكة المكرمة هي المدينة التي سيُبادُ كُلُّ من لا يُقدّسها كما تدلّ عليه أخبار ملاحم آخر الزمان عند المسلمين.

٩- صيانة مكة المكرمة من دخول الكفّار إليها[5]، لقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾[6].

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٣/ ١٠٩٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن، السمعاني: ٣/ ٤٣٢، وزاد المسير: ٥/ ٤١٩، وأحكام أهل الذمة: ١/ ٢٩١.

(٣) هداية الحيارى: ١٤٩، وانظر: ميثاق النبيين: ٣٣٨، ٣٣٩.

(٤) سفر إشعياء: ٥٤/ ٩-١٧.

(٥) انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب: ٤٧.

(٦) سورة التوبة: آية (٢٨).

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنّ المقصود بهذه الآية المنع من دخول الكفّار إلى منطقة الحرم بالكلّية؛ لأنّ النهي فيها هو عن الاقتراب من المسجد الحرام، ومن دخل من الكفّار منطقة الحرم فقد اقترب من المسجد الحرام(١).

المطلب الثالث: زيادة إيمان بني إسرائيل في زمن الملك الألفي:

تشير نصوص العهد القديم إلى أنّ اليهود في زمن المسيح، ستتحسن علاقتهم بربّهم، حيث يطهرهم من نجاساتهم المتنوعة، وخصوصاً النجاسات التي تراكمت على قلوبهم، فيتجنّبون المعاصي، ويختارون الطاعات، ويلتزمون الفرائض، ويحفظون أحكام الرب، ويعملون بها، لقول السيد الرب كما في سفر حزقيال: «٢٥وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ. ٢٦وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً، وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. ٢٧وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا. ٢٨وَتَسْكُنُونَ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَكُمْ إِيَّاهَا، وَتَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلَهاً. ٢٩وَأُخَلِّصُكُمْ مِنْ كُلِّ نَجَاسَاتِكُمْ»(٢).

وقد ذهب «سعديا الفيومي» إلى أنّ هذا التغيّر الإيجابي لليهود في زمن المسيح سيكون «بسبب مشاهدتهم النور، وورود الوحي عليهم، وكونهم في الدولة والنعمة ولا يدَ تقهرهم، ولا فقر يحوجهم، وسائر أمورهم مشمولة بالسعادة»(٣).

ويبالغ اليهود في تصوير إكرام الله لهم، وتعظيمه إيّاهم إلى درجة أن يسكب عليهم روحه، مما يكون سبباً في انتشار النبّوة بين أبنائهم وبناتهم بل وبين عبيدهم وإمائهم!، حيث جاء في سفر يوئيل: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ

(١) انظر: جامع البيان: ١١/ ٣٩٨، وتفسير القرآن، السمعاني: ٢/ ٣٠٠، ومعالم التنزيل: ٤/ ٣٢.

(٢) ٣٦/ ٢٥-٢٩، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٦.

(٣) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٦ «بتصرّف»، وانظر: المسيح المخلص في المصادر اليهودية: ٥٨، ٥٩.

أَحْلاَماً وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. ٢٩وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضاً وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ»[١].

وقد علّق «**سعديا الفيومي**» على هذا النص مقرّراً ما ورد فيه من انتشار النبوة بين اليهود، فقال: «تكثر النبوة فيما بين أمتنا، حتى أولادنا وعبيدنا»[٢].

ويعتقد بعض اليهود أنّ هذه الدرجة العالية من الإيمان التي يصل إليها بنو إسرائيل، تكون سبباً في تعظيم الناس لهم[٣]، لما جاء في سفر إشعياء: «وَيُعْرَفُ بَيْنَ الأُمَمِ نَسْلُهُمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ فِي وَسَطِ الشُّعُوبِ. كُلُّ الَّذِينَ يَرُونَهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ أَنَّهُمْ نَسْلٌ بَارَكَهُ الرَّبُّ»[٤].

قال «سعديا الفيومي»: «حتى إنّ واحداً -من اليهود- إذا صار إلى بلدٍ من البلاد، فقال: أنا من المؤمنين. قالوا: له قل لنا إيش كان أمس؟ وأيّ شيء يكون غداً؟ فيما هو سرٌّ لهم. فإذا قال لهم!؛ صحّ عندهم أنّه من القوم»[٥].

وبعد: فإنّ ادعاء اليهود بإكرام الرب لهم، وتعظيمه إيّاهم، إلى درجة أن يخصّهم بما خصّ به النبيين، يتناقض ونصوص العهد القديم الحافلة بوصفهم بكُلِّ أوصاف الخِسّة والدناءة والسوء[٦]؛ مما يُثير الريبة في مصداقية هذه النصوص التي تعدهم بمستقبلٍ زاهر!.

والحقُّ في هذه المسألة: هو أنّ الربّ قد غضب على اليهود، وكفّرهم ولعنهم ونسخ شريعتهم، وتوعّدهم بنار جهنّم مع إخوانهم الكافرين، إلا أن يؤمنوا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً.

---

(١) ٢/ ٢٨، ٢٩، وانظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٥.

(٢) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٥.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ٢٤٦.

(٤) ٦١/ ٩.

(٥) الأمانات والاعتقادات: ٢٤٥، ٢٤٦.

(٦) انظر: ص ٣٠٥-٣٠٨ من الرسالة.

قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[(٤)].

وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلا كان من أصحاب النار**»[(٥)].

---

(١) سورة البقرة: آية (٨٨).

(٢) سورة النساء: آية (٤٧).

(٣) سورة المائدة: آية (٨٠).

(٤) سورة الأعراف: آية (١٦٧).

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس: ح١٥٣.

المطلب الرابع: انتشار الأمن وطيب العيش في زمن الملك الألفيّ اليهوديّ:

جاءت الإشارة في نصوص العهد القديم والتلمود وكلام بعض الباحثين اليهود، إلى بعض السِّمات العامة التي يمتاز بها زمن المسيح، وهي بمجموعها تدلُّ على انتشار الأمن وطيب العيش في ذلك الزمان، وفيما يأتي ذكر بعض هذه السمات:

١- قوة اليهود ومنعتهم وارتفاع حالة الاستضعاف عنهم.

ذكر «سعديا الفيومي» أنّ من سمات زمن المسيح «صيانة من هو من المؤمنين -اليهود- من أداء الخراج، وحمل المال والطعام إلى غيره»[١].

واستدلّ على ذلك بما جاء في سفر إشعياء: «حَلَفَ الرَّبُّ بِيَمِينِهِ وَبِذِرَاعِ عِزَّتِهِ قَائِلاً: إِنِّي لاَ أَدْفَعُ بَعْدُ قَمْحَكِ مَأْكَلاً لأَعْدَائِكِ»[٢].

٢- زوال الأمراض والأحزان والأضغان.

أشار «الفيّومي» إلى أنّ زمن المسيح، سيخلو من الأوبئة والأمراض والأحزان والأضغان[٣]، واستدلّ على ذلك بما جاء في سفر إشعياء: «١٧ لأَنِّي هَئَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضاً جَدِيدَةً فَلاَ تُذْكَرُ الأُولَى وَلاَ تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ. ١٨ بَلِ افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الأَبَدِ فِي مَا أَنَا خَالِقٌ لأَنِّي هَئَنَذَا خَالِقٌ أُورُشَلِيمَ بَهْجَةً وَشَعْبَهَا فَرَحاً. ١٩ فَأَبْتَهِجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحُ بِشَعْبِي وَلاَ يُسْمَعُ بَعْدُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلاَ صَوْتُ صُرَاخٍ»[٤].

---

(١) الأمانات والاعتقادات: ٢٥١، وانظر: المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية: ٥٨، ٥٩.

(٢) ٦٢/ ٨.

(٣) انظر: الأمانات والاعتقادات: ٢٤٦، وأبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة: ١٥.

(٤) ٦٥/ ١٧-١٩، وانظر: ٣٥/ ٥، ٦.

٣- توافر المطاعم والمشارب والأموال:

جاء في نصوص العهد القديم الإشارة إلى اتصاف زمن المسيح بتوافر المآكل والمشارب فيه، حتى إنّها لكثرتها تزيد عن حاجة اليهود، حيث جاء في سفر يوئيل: «وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الْجِبَالَ تَقْطُرُ عَصِيراً وَالتِّلاَلَ تَفِيضُ لَبَناً وَجَمِيعَ يَنَابِيعِ يَهُوذَا تَفِيضُ مَاءً وَمِنْ بَيْتِ الرَّبِّ يَخْرُجُ يَنْبُوعٌ وَيَسْقِي وَادِي السَّنْطِ[(١)]»[(٢)].

٤- ارتفاع الحروب بين الناس.

ذكر سعديا الفيوميّ أنّ زمن المسيح سيتصف بـ «ارتفاع الحروب من بين الناس، حتى لا يحمل بعضهم إلى بعضٍ سلاحاً»[(٣)].

واستدلّ على ذلك بما جاء في سفر إشعياء: «فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكاً[(٤)] وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ[(٥)]. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ»[(٦)].

وأرجع «موسى بن ميمون» سبب ارتفاع الحروب والعداوات بين الناس في ذلك الزمان؛ إلى معرفتهم بالرب، فقال: «إنّ السبب في ارتفاع هذه العداوات والمنافرات والتسلّطات هو معرفة الناس حينئذٍ بحقيقة الإله»[(٧)].

---

(١) وادٍ جافّ وغير مثمرٍ، لم يكن ينمو فيه سوى أشجار السِنط. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٩٨.

(٢) ٣/ ١٨، وانظر: المزامير: ١٤٤/ ١٢-١٥، والكنز المرصود: ٧٠، ٧١، وإسرائيل والتلمود: ٥٧، ٥٨.

(٣) الأمانات والاعتقادات: ٢٥١.

(٤) السكّة هي: حديد المحراث التي يشق بها الأرض. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة «سكة -سكك».

(٥) انظر الحديث حول طبع الرماح مناجل: ص ٢٦٩ من الرسالة.

(٦) ٢/ ٤، وانظر: ١١/ ٩، وسفر هوشع: ٢/ ١٨، وسفر زكريا: ١٤/ ١١.

(٧) دلالة الحائرين: ٤٩٥، ٤٩٦، وانظر: سفر إشعياء: ١٣/ ٩.

٥- الأمن من غائلة الحيوانات المؤذية.

ذكر «سعديا الفيومي» في معرض حديثه عن مناقب زمن المسيح، أنّه يمتاز بـ«مسالمة الحيوان بعضه بعضاً، حتى يرعى الذئب والحمل، ويأكل الأسد التبن ويلعب الصبيُّ بالحيات والأفعى»(١)، واستدلّ على ذلك بما جاء في سفر إشعياء: «٦فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعاً وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. ٧وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعاً وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْناً(٢). ٨وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ(٣) الصِّلِّ(٤) وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوانِ(٥)»(٦).

وبعد: فهذا هو مجمل التصور اليهودي لملاحم آخر الزمان وما سيترتب عليها من عيش طيب، وخير متوافر، وصحة وأمن وإيمان، **ويحسن في آخره التنبيه إلى أمرين:**

الأمر الأول: دعوى بعض الباحثين بتأثر التصور اليهودي للملاحم بتصورات الأمم السابقة:

ذهب بعض الباحثين إلى أنّ بعض الصور الواردة في سفر إشعياء حول المسيح المنتظر، الذي يقود جيوش النور في معركة كبرى ضد جيوش الظلام، وبعض مظاهر الملك الألفي كالأمن من غائلة الحيوانات المؤذية ونحوه، مستقاة من الأساطير السومرية والزرادشتية، وغيرها من المصادر التي أسهمت في تكوين العهد القديم بحجّة وجود قدرٍ من التشابه بين الديانة اليهودية، وبين

---

(١) الأمانات والاعتقادات: ٢٥١، وانظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية: ١٦.

(٢) التبن هو أغصان القمح والشعير بعد تكسيرها، ويُستخدمُ علفاً للمواشي، والأسد في العادة لا يأكل التبن، وإنّما في آخر الزمان، تتغير طبائع الحيوانات المفترسة والمؤذية، فيأكل الأسد التبن... إلخ. انظر: دائرة المعارف الكتابية، مادة: «تبن».

(٣) جُحر. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٢٩٧.

(٤) نوع من الحيّات سامٌّ وخبيثٌ جدّاً. انظر: المرجع نفسه.

(٥) هو ذَكَرُ الأفعى، الحيّة الخبيثة السامّة. انظر: المرجع نفسه.

(٦) ١١/٦-٨.

بعض الديانات السابقة لها في تصورات أحداث آخر الزمان[1].

وهذا الرأي يفتح الباب للبحث في مسألة أصول الحضارات والعقائد، وهل وجود قدرٍ من التوافق بينها في أمر ما، يكون دليلاً على تأثّر بعضها ببعض، أم أنّه من قبيل توافق ما جاءت به الأنبياء؟!

وخلاصة القول في هذه المسألة[2]: أنّ الله تعالى أنزل ميزاناً محفوظاً إلى آخر الزمان، وهو كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ، فما وافقهما من ميراث الأمم، فهو من بقايا التعاليم الصحيحة للأنبياء السابقين؛ لكون الأنبياء يُصدِّق بعضهم بعضاً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[3]، وما خالفهما فالبحث في جذوره مفتوحٌ لمن ملك الأدوات الصحيحة والتزم بأن لا يجزم من غير دليل معتبر[4].

وأمّا ما يتعلق ببعض الصور والأحداث التي سبق إيرادها، كالأمن من غائلة الحيوانات المؤذية وغيرها، فلا شك أن منها ما هو حقٌّ ثابتٌ من قبيل ما توافقت الأنبياء في الإخبار عنه، ومنها ما هو باطلٌ فيحتمل أن يكون مما أضافوه من عند أنفسهم، أو استقوه من غيرهم، ومنها ما هو محلٌّ للبحث والنظر، ومن ثمّ فالقول بتأثر اليهودية بالثقافات السابقة لها بإطلاق، قول يفتقد إلى الدِّقة، ولعلّ قائله لم يطلع على ما جاء عن النبي ﷺ في هذا الباب.

---

(١) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية: ١٥، ١٦، ودراسات أندلسية في القصيدة العبرية: ١٠، ١١، والسيف الأحمر: ٤٠، والمسيحية والتوراة: ٤٣-٤٦، ومفصل العرب واليهود في التاريخ: ٣٧٥.

(٢) انظر: الجواب الصحيح: ٢/ ١٥٤، ٥/ ١١٧، ١١٨، ودرء تعارض العقل والنقل: ٦/ ١٠٤، وإيثار الحق على الخلق: ١/ ١٥١، وإرشاد الثقات، الشوكاني: ٥-٢٤، وتاريخ الأديان: ٢٤٤-٢٦٦، والدّين، دراز: ١٧٥-١٨٢.

(٣) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٤) يجدر التنبيه إلى أنّ كثيراً من الباحثين في مقارنة الأديان، ممن لم ترسخ أقدامهم في العلوم الشرعية، عندما يحاكمون نبوءات أهل الكتاب، يُغفلون محاكمتها إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيه محمّد ﷺ، مما يزعزع الثقة في النتائج التي يتوصّل إليها كثيرٌ منهم، والله تعالى أعلم.

الأمر الثاني: إنّ في التصور اليهودي للملاحم الحق والباطل والمسكوت عنه:

وبيان ذلك في أربع نقاط:

النقطة الأولى: نماذج لما تضمنته كتبهم من أخبار صحيحة:

من أمثلة الصور الثابتة في الملاحم الواردة في كتب اليهود:

أ- فكرة ظهور منتظرٍ يكون على يديه إصلاح كثيرٍ من أحوال الناس في آخر الزمان، فهي حقٌّ لا مرية فيه، حيث جاء عن النبي ﷺ ما يدلّ على ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام، وما سيقومان به من إصلاح أحوال الناس.

ب- وكذلك ما جاء في كتبهم حول أصل خروج «يأجوج ومأجوج» في آخر الزمان، وإهلاك الرب لهم، بعد إحاطتهم بمعسكر أهل الإيمان، وإيقاد المؤمنين من أسلحتهم سبع سنين، فإنّ ذلك حقٌّ لا ريب فيه؛ لثبوته عن النبي ﷺ(١).

ج- وكذا بعض صور النعيم والأمن التي ذكروا أنّها تتحقق بعد القضاء على يأجوج ومأجوج، كالأمن من غائلة الحيوانات المؤذية، وتوافر المطاعم والمشارب وارتفاع الحروب بين الناس، وقول بعضهم: باجتماع الناس على التوحيد، فذلك كلّه مما ثبت الخبر به عن النبي ﷺ(٢).

(١) انظر: ص ٤٠٠- ٤٠٢ من الرسالة.

(٢) انظر: ص ٢٦٦-٢٧١ من الرسالة.

النقطة الثانية: نماذج لما تضمنته كتبهم من أخبارٍ باطلة:

جميع ما ورد في مصادر اليهود من أخبارٍ ستقع لهم، من حين رفع الغضب عنهم بظهور المسيح المخلّص، وإلى انتهاء الملك الألفي، فهو باطلٌ لا حقيقة له.

وذلك للأسباب الآتية:

١ - أنّ غضب الرب ملازمٌ لليهود ما داموا يهوداً، ولن يرتفع عنهم إلا بأن يؤمنوا بدين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (١).

ولهذا فإنّ جميع صور الخير والإحسان التي ذكروا أنّها ستقع لهم من الرب في أيّام المسيح المنتظر بصفتهم شعباً يهودياً، باطلةٌ لا صحّة لها.

٢ - أنّ المسيح الذي ينتظره اليهود في آخر الزمان، هو المسيح الدجّال، الذي سيقودهم إلى الهلاك، وليس إلى الخلاص!.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وقد عُوِّضوا -أي اليهود- من الإيمان بالمسيح ابن مريم بانتظار مسيح الضلالة الدجال، فإنّه هو الذي ينتظرونه حقّاً، وهم عسكره وأتبع الناس له، ويكون لهم في زمانه شوكةٌ ودولةٌ إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم، ويضع هو وأصحابه فيهم السيوف حتى يختبئ اليهوديُّ وراء الحجر والشجر، فيقولان: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله(٢)»(٣).

٣ - أنّ اليهود سينتهي وجودهم بنزول عيسى عليه السلام، وذلك لأمرين:

(١) سورة آل عمران: آية (٨٥).

(٢) انظر الحديث الوارد في هذا المعنى في: ص ٢٦١ من الرسالة.

(٣) هداية الحيارى: ٢٠٨، وانظر: الجواب الصحيح: ٣/ ٣٥٥.

الأول: ما تقدّم من أنّ عيسى عليه السلام سيضع فيهم السيف هو وأتباعه المسلمون.

والثاني: أنّ اليهود الذين سينجون من القتل، سيدخلون في دين الإسلام؛ لقول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أي يؤمن بالمسيح قبل أن يموت -عليه السلام- وذلك يكون- حين نزوله إلى الأرض، وحينئذ لا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ولايبقى إلا دين الإسلام. واليهود أنكروا مجيئه الأول، وظنّوا: أن الذي بُشِّر به ليس إياه وليس هو الذي يأتي آخراً. وصاروا ينتظرون غيره، وإنما هو بعث إليهم أولاً فكذبوه وسيأتيهم ثانياً **فيؤمن به كل من على وجه الأرض من يهوديٍّ ونصرانيٍّ؛ إلا من قُتل أو مات**»[2].

وأمّا ما صحّ عند اليهود من القول: بخروج يأجوج ومأجوج وإحاطتهم بأهل الإيمان، وما سيكون بعد هلاكهم من أنواع النعيم والخيرات الثابتة، فإنّ ذلك لن يقع لليهود؛ لأنّه إنّما يقع بعد القضاء عليهم!، ولهذا فإنّ الذين يشهدون هذه الأحداث هم الموجودون حينئذٍ من المسلمين، وهم الموعودون بخيرات زمن المسيح عليه السلام.

النقطة الثالثة: خلو عقائدهم المعاصرة من ذِكر المسيح الدجال.

تقدّم أن اليهود ينتظرون مسيحاً يهوديّاً يكون على يديه قيام مملكتهم، وارتفاع شأنهم، وأُشيرَ إلى ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره من أنّهم على الحقيقة لا ينتظرون إلا المسيح الدجال الذي يكون باتباعهم له حتفهم ونهايتهم.

ولكن الملفت للنظر أنّ المسيح الدجال الذي حذّر منه جميع الأنبياء أممهم لا ذكر له في العقائد اليهودية المعاصرة!!، ولعل هذا ما دفع بالدكتور عبدالوهاب المسيري رحمه الله -وهو صاحب

(١) سورة النساء: آية (١٩٥).

(٢) الجواب الصحيح: ٥/ ٢٥٣ «باختصار»، وانظر: ص ٤٣ من الرسالة.

اطلاع واسع على الكتب اليهودية- إلى القول بأنّ «عقيدة المسيح الدجال عقيدة مسيحية أخروية ظهرت مع بدايات المسيحية»[1].

والصحيح أنّ الإيمان بظهور المسيح الدجال عقيدة الأنبياء والمؤمنين قاطبةً، قبل ظهور النصرانية وبعدها، وهي بطبيعة الحال عقيدة يهودية أيضاً، وأما عدم ورودها في كتب اليهود المعاصرين؛ فيرجع إلى تحريفهم لكتبهم، ويمكن الاستدلال على ذلك بأمرين:

الأول: ما ثبت عن النبي ﷺ من أنّ جميع الأنبياء -بما فيهم أنبياء بني إسرائيل- قد أخبروا أقوامهم بظهور المسيح الدجال وحذّروهم منه، كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «إني لأنذركموه، **وما من نبيٍ إلا وقد أنذره قومَه...**»[2].

فهذا الحديث دليل قاطع على أنّ أنبياء بني إسرائيل قد حذّروا قومهم منه، ولاسيما والدجال من بني جنسهم.

والثاني: ما ذكره شيخ المؤرخين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله من أنّ الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب ﷺ كان بحضرته يهوديٌّ له عِلمٌ بالتوراة، حين صالح أهل بيت المقدس، فسأله عمر ﷺ عن المسيح الدجال؟ فقال اليهودي: «وما مسألتك عنه يا أمير المؤمنين، فأنتم والله معشر العرب تقتلونه دون باب لدٍّ ببضع عشرة ذراعاً»[3]، ونُقل عن اليهودي نفسه: أنّ الدجال من بني بنيامين[4].

فشهادة هذا اليهودي على أنّ المسيح الدجال منهم، وأنّ العرب يقتلونه عند باب لُدٍّ، يدلُّ على أنّ أنبياء اليهود أخبروهم بظهوره في آخر الزمان، فعدم وروده في تراثهم المعاصر دليل على أنّ

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية: ٦/ ١٤٣.

(٢) تقدّم تخريجه: ص ٢٣٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٢/ ٤٤٨ «طبعة دار الكتب العلمية».

(٤) انظر: المصدر نفسه.

القوم غيّروا وبدّلوا، وحذفوا وأضافوا وحرّفوا.

النقطة الرابعة: نموذج لما تضمنته كتبهم من أخبارٍ ليس عندنا ما يثبتها أو ينفيها:

تقدّم أنّ المصادر اليهودية تُشير إلى ما سيقع في آخر الزمان، من اجتماع اليهود في فلسطين، واستيلائهم عليها، ليحلّ عليهم غضب الله تعالى!.

وهذا الأمر الذي أشارت إليه هذه المصادر، لم يأت في نصوص الكتاب والسنّة ما يُثبته أو ينفيه، ومن ثمّ فهو محلّ توقّفٍ؛ فلا يُصدّقُ أو يُكذّب، إلا أن يصدّقه الواقع فيكون من قبيل ما أخبرت به أنبياء بني إسرائيل(١).

وأمّا عن الكيان الصهيوني الجاثم فوق أرض فلسطين في زمننا المعاصر، فقد يكون تحقيقاً لهذه النبوءة، وحينها سيكون مصيرهم إلى الهلاك والبوار بنصّ نبوءاتهم، وقد يكون غير ذلك، وحينها فإنّ مصيرهم أيضاً سيكون إلى الهلاك والبوار(٢) بنصِّ القرآن الكريم، حيث أخبر الله تعالى في كتابه العزيز: أنّه قضى على بني إسرائيل أن يفسدوا في الأرض مرّتين، وأنّه قد سلّط عليهم في المرّتين من سامهم سوء العذاب، وخرّب المسجد الأقصى، فكانت المرة الأولى بعد سليمان ﷺ، وكانت الثانية بعد زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، **ثم توعدهم الله تعالى بأنّهم كلّما عادوا إلى الإفساد في الأرض، أعاد الله عليهم العقوبة**(٣).

قال الله عزّ وجل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾

(١) انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ٩.

(٢) انظر: موقع قناة الجزيرة على شبكة الانترنت، برنامج بلا حدود، حلقة: ناطوري كارتا ومستقبل إسرائيل.

(٣) انظر: جامع البيان: ٨/ ٢٠-٤٤ (طبعة الحلبي الثالثة)، و الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح: ٥/ ٢٢٤، ٦/ ٣٣٧، ٣٣٨.

إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[1].

وقد عادوا إلى سالف عهدهم، بنجاساتهم التي أحدثوها بأرض فلسطين المسلمة؛ كسفكهم للدماء المعصومة، وتدنيسهم للمقدسات، واغتصابهم للممتلكات، وإهانتهم للأيتام والأرامل والضعفاء، وظلمهم لأهل الأرض، وقبل ذلك كفرهم بالله تعالى، وافترائهم عليه الكذب؛ ولذا فإنّنا وإيّاهم ننتظر تحقيق موعود الله تعالى فيهم، ونوقن بأنّ أرض فلسطين ستعود إلى ديار المسلمين شامخةً عزيزةً[2] -بإذن الله تعالى-، وعسى أن يكون قريباً.

(١) سورة الإسراء: الآيات (٤-٨).

(٢) انظر: ص ١٧١، ١٨٤ من الرسالة.

الفصل الثاني
ملاحم آخر الزمان عند النصارى

وفيه تمهيد وثلاثـة مباحـــث : -

- تمهيـــــــــد.
- المبحث الأول: مقدمات ملحمة هرمجدون.
- المبحث الثاني: أحداث ملحمة هرمجدون.
- المبحث الثالث: الملك الألفي وملحمة جوج وماجوج.

تمهيـــد

يعتقد بعض النصارى «البروتستانت» أنّ العالم سيشهدُ في آخر الزمان ملاحم عظيمة، ولكنهم لكثرة اختلافهم[١]، وتعارض آرائهم، وتعدّد فرقهم ومذاهبهم[٢]، لا يكاد يجمعهم تصورٌ موحَّدٌ لهذه الملاحم، فضلاً عن أن يتفقوا على تفصيلاتها.

فهم على سبيل المثال: مختلفون في عدد الملاحم المرتقبة، من جهة إن كان العالم ينتظر ملحمةً واحدةً أم اثنتين أم أكثر؟![٣]، ومختلفون في تفصيلات ملحمة «هَرْمَجَدُّون»[٤] رغم اتفاقهم على وقوعها[٥]، وأما اختلافهم في ترتيب أحداث آخر الزمان وتفسيرها، فهو مما لا يحتاج إلى بيان؛ بل يحتاج إلى وقوفٍ مباشرٍ على كتبهم لتظهر صعوبة أن يتّفق اثنان منهم على ترتيبٍ أو تفسيرٍ واحدٍ للأحداث![٦].

قال القمّص سيداروس عبدالمسيح: «إنّه لشيءٌ محيّرٌ حقّاً، أن تجد كلّ طائفةٍ، وكلّ مُعتقدٍ،

(١) انظر: الجواب الصحيح: ٢/ ١٦٦، ١٦٧.

(٢) يُذكر أنّ الفرقة البروتستانتية تنقسم في بلاد مصر وحدها إلى ستة عشر مذهباً!، وهناك أكثر من ألفٍ ومئتي مذهبٍ بروتستانتيٍّ تنتشر حول العالم. انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، يوسف الحسن: ٧٥، وشهوَد يهوه بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة الملكوت التوراتي: ١٧، والمجيء الثاني، نصر الله زكريا: ٢٢٢ «حاشية: ٤٤».

(٣) انظر: النبوءة والسياسة: ٣٥.

(٤) هكذا وردت بفتح الجيم في طبعة دار الكتاب المقدس –وهي الأكثر تداولاً–، انظر: سفر الرؤيا: ١٦/ ١٦، ووردت في طبعة كتاب الحياة: «هَرْمَجِدُّون» بكسر الجيم.

(٥) انظر: الأحداث النبوية: ١٩، ودراسات تفسيرية في سفر الرؤيا: ٣، ١٥.

(٦) ولعله يستأنس بما ذكره بروس أنيستي حيث قال: «إننا لا نستطيع أن نتكلم بشكل عقائدي جازم تجاه الترتيب التاريخي الدقيق لكلّ حادثة على انفراد، بل إنّها محاولة دقيقة لاتباع الترتيب الكتابي في تسلسله. وقد تبدو الصعوبة في بعض الشواهد الكتابية، ذلك لأنّ تفاصيل كثيرة ستجري حوادثها معاً في نفس الوقت» الأحداث النبوية: ١٩، وانظر: الأحداث العالمية: ٢٠، ٢١، ١٠١، ويد الله: ٣١.

ما يؤيدها وما يؤيده من كلمات الكتاب المقدّس»[1].

وبعد: فإنّه لأمرٌ محيرٌ حقّاً!، فعلى أيِّ الآراء والأقوال والنصوص يعتمد الباحث في تحديد تصور النصارى لملاحم آخر الزمان وما يحفُّ بها من الأحداث؟!

وحتى لا تطول الحيرة، فقد ظهر لي أن يكون عرض تصوراتهم على وجه التسديد والمقاربة، مع التركيز على الأمور الرئيسة -قدر الإمكان-، دون استطرادٍ في الأمور الجزئية التي يكثر حولها الخلاف.

ويمكن القول على وجه العموم: بأنّ سفر الرؤيا يشير إلى ملحمةٍ مدمِّرةٍ في «هَرْمَجَدُّون»، يعقبها ملكٌ ألفيٌّ، ثم ملحمة «جوج وماجوج» المشهورة[2]، وعلى هذا التصور اتّفق بعض من وقفت على شروحاتهم لسفر الرؤيا[3].

وأخيرا: **فإنّي أرجو أن يتّسع صدر القارئ الكريم لما سيقف عليه من تناقضات القوم** واضطراباتهم!، وليِّهم أعناق النصوص لتوافق مطلوبهم، واستدلالهم بأدلّة قد يحار العقل في استنباط وجه الدّلالة منها على مرادهم!، وعلى المسلم أن يتدثّر بدثار الحمد لله ربّ العالمين، الذي رحمه وأنعم عليه؛ فهداه الصراط المستقيم، وعصمه من الحيرة التي يعيشها من ضلّ؛ فاعتقد غير الحق.

وفي المباحث الثلاثة الآتية بيان هذه الأحداث على وفق الترتيب المتقدم.

---

(١) الملك الألفي: ١٥.

(٢) هذا ما يدلّ عليه سفر الرؤيا، في الإصحاحات: ١٦، ١٩، ٢٠، وإلا فإنّ بعضهم يقدّم ملحمة «جوج وماجوج» على ملحمة «هَرْمَجَدُّون»، وبعضهم يعتقد أنّ «جوج وماجوج» سيشاركون في الملحمتين!. انظر: الأحداث العالمية: ١٠١، ويد الله: ٣١.

(٣) انظر: رؤية في سفر الرؤيا: ٢٣١-٢٤٣، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آية آية: ٢٥٣، ٢٨٩-٣٠٤.

المبحث الأول: مقدمات ملحمة هرمجدون

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

التمهيـــــــد:

يعتقد بعض النصارى أنّ «هَرْمَجَدُّون» ستقع بعد تحقق عدد من العلامات، وهي على وجه الإجمال ثلاث:

- **قيام دولة يهودية في فلسطين.**
- **اختطاف المسيح لكنيسته «أتباعه أحياءً وأمواتاً».**
- **أحداث زمان الضيق، وما بعده.**

وبيان هذه المقدمات في المطالب الثلاثة الآتية.

المطلب الأول: قيام الدولة اليهودية في فلسطين:

يعتقد بعض البروتستانت من النصارى بقيام دولة يهودية بفلسطين في آخر الزمان، ويعُدُّون قيامها أهمّ مقدّمات ملحمة «هَرْمَجَدُّون»[1]، التي سيؤدي حدوثها إلى التعجيل بالمجيء الثاني للمسيح[2].

وقد استدلّوا على قيام هذه الدولة ببعض الأدلة، منها: قول المسيح كما في إنجيل متّى: «٣٢فمِنْ شَجَرَةِ التِّينِ تَعَلَّمُوا الْمَثَلَ: مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصاً[3] وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الصَّيْفَ قَرِيبٌ. ٣٣هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ»[4].

ووجه الشاهد في هذا الدليل: هو شجرة التين الواردة فيه، حيث يعتقدون أنّ شجرتي التين والعنب إذا وردتا في الكتاب المقدس فهما ترمزان لأمة إسرائيل[5]، لما جاء في سفر هوشع:

---

(١) خلافاً لما عليه الكاثوليك والأرثوذكس وغيرهم، حيث يعتقدون أنّه لا مكان لعودة اليهود إلى فلسطين في فهمهم للنبوءات، لكون الديانة اليهودية قد انتهت بصلب المسيح، ويرون أنّ نبوءات العودة قد تحقّقت وانتهت. انظر: ص ١٤٨، ١٤٩ من الرسالة، والأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ٣٦، وفي فقه الصراع على القدس وفلسطين: ٣١، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ٦٢، ٦٣، ١٧٥، ١٧٦.

(٢) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ١١، ١٢، والصهيونية المسيحية: ٨٢، وقبل الكارثة نذير ونفير: ١٩٧، ٢٠٠، والكتاب المقدس والسيف: ١/ ١٣٨، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ٤١، ٤٢، والنبوءة والسياسة: ٧٢، ٧٣، **وقد أكّد «جورج بوش الجدّ» على عودة اليهود إلى فلسطين**، وخصص كتابه: «وادي الرؤيا في تفسير رؤيا حزقيال» لهذا الغرض، وقد ربط فيه بين عودة اليهود إلى فلسطين وبين مساعي الدول الغربية في زمنه لإعطاء اليهود بعض حقوقهم، إلا أنّه لم يربط رجوعهم بأحداث الملاحم. انظر على سبيل المثال: ١٢٥-١٢٧، ١٥٨.

(٣) أي غضّاً طريّاً. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٤٣٦.

(٤) ٢٤/ ٣٢، ٣٣.

(٥) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٤٠، ٤١، والأنبياء الصغار، هنري أيرنسايد: ١/ ٥٦، وبعد الاختطاف: ٥٠، ٥١، ٨٥، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله زكريا: ١٦٨، ونبوة جبل الزيتون، رشاد فكري: ٥٥، ٥٦، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ١١٥، ١١٦.

«وَجَدْتُ إِسْرَائِيلَ كَعِنَبٍ فِي الْبَرِّيَّةِ...كَبَاكُورَةٍ[١] عَلَى تِينَةٍ فِي أَوَّلِهَا»[٢].

قال «جيرى دارت»: «لقد قال لنا يسوع هذا المثل أنّه عندما تُصبح إسرائيل دولةً، وعندما تصبح كلّ دول العالم متوحدة تحت ما يُعرف باسم الامبراطورية الرومانية الحديثة، فإنّ زمن الملكوت قد اقترب»[٣].

ويظهر من خلال سياق إنجيل متى أنّ هذا المثل لا علاقة له بإسرائيل البتّة؛ لكونه ورد عن المسيح في نهاية جوابه للتلاميذ، حين سألوه وهو جالس على جبل الزيتون، عن وقت انهدام الهيكل، وعلامة مجيئه في آخر الزمان، وانقضاء الدهر؟[٤] فبعد أن ذكر لهم شيئاً من علامات مجيئه، ختم الجواب بأنّه كما أنّ رخص أغصان شجرة التين وظهور البراعم الخضراء عليها يدلّ على اقتراب مجيء فصل الصيف فكذلك تحقق العلامات التي أخبرهم بها، دليل على قرب مجيئه، وإلا فهل يقول عاقل إنّ ضرب المثل لإسرائيل بعنب! في أحد نصوص الكتاب المقدّس، يعني أنّ كلّ عنبٍ في الكتاب المقدّس فهو إسرائيل؟!!.

وأخيراً: فإنّ «صموئيل مشرقي» طبّق مثل التين على الكيان الصهيوني المعاصر في فلسطين، بما يعني أنّ هذه المقدمة قد تحققت بقيام دولة إسرائيل، مع تنبيهه إلى أنّ رجوع اليهود الحالي إلى فلسطين رجوعٌ في غير إيمان، فقال: «رجوع اليهود إلى فلسطين حاليّاً، وإنشاء دولة إسرائيل، إنّما هو رجوعٌ في عدم إيمان، ولذلك فإنّ رجوعهم الحاليّ إنّما هو تحت غضب الله، أي مغضوباً عليهم»[٥]

(١) التين الباكوري، هو التين الجيّد جدّاً. انظر: شرح سفر هوشع آية آية، رشاد فكري: ١٥١.

(٢) ٩/ ١٠.

(٣) بعد الاختطاف: ٨٥.

(٤) جاء في إنجيل متى: «١ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. ٢فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ! وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هذَا وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» ٢٤/ ١-٣.

(٥) الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٤٢ «باختصار»، وانظر: ٤٠، ٤١.

المطلب الثاني: اختطاف الكنيسة:

يعتقد بعض النصارى أنّ المسيح عليه السلام سيختطف كنيسته -أتباعه أحياءً وأمواتاً- سرّاً إلى السماء، قبل مجيئه الثاني[1]؛ ليشهدوا زفافه بعروسه الكنيسة، ولحماية الأحياء منهم من ويلات الضيقة و«هَرْمَجَدُّون»[2].

واستدلّوا على ذلك بقول بولس[3]: «١٦لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ١٧ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ»[4].

وهذا النص يحمل في طيّاته شهادة بولس على كذبه وتزييفه؛ حيث زعم أنه سيُخطف من جملة الأحياء!، إلا أنّه قد مات دون أن يُختطف، بل ومضى على موته مئات السنين ولم يقع شيءٌ من ذلك!!.

---

(١) يُذكر أن مصطلح «المجيء الثاني» لم ينص عليه الكتاب المقدس، ولكن جاء في الآيات ما يفيده، وبعض النصارى يُفرّقون بين المجيء السري للمسيح لخطف كنيسته، وبين ظهوره العلني مع قديسيه؛ للقضاء على أعدائه، فيطلقون على الأول «المجيء»، وعلى الثاني «الظهور»، وسيكون بين المجيء السري والظهور العلني سبع سنين، هي مدّة زمان الضيق. انظر: رسالة بولس إلى أهل كولوسي: ٣/ ٤، ورسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي: ٣/ ١٣، وأشهر النبوات: ١٣٤، ١٣٥، وبعد الاختطاف: ٩٣، ٩٤، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٦٧١.

(٢) انظر: سفر الرؤيا: ١٩/ ٦-٩، وأشهر النبوات: ١٤٥-١٤٨، وبعد الاختطاف: ٥٧، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٠، ٣٦، وسفر دانيال مفصلاً آية آية، ناشد حنا: ٩، ١٠، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آيةً آيةً: ١٨٩، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ٨، ويد الله: ٥٠.

(٣) اسمه شاؤل يهودي فريسي كان من ألد أعداء النصرانية زمن المسيح وبعده، ثم زعم أن المسيح عليه السلام ظهر له وهداه إلى النصرانية، ويُطلق عليه البعض «الرسول الثالث عشر»، قُتل عام:٦٧م. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ٢/ ٩١، والخريدة النفيسة: ٤٣، ومختصر تاريخ الكنيسة: ٣٨، ٣٩، ٥٧، ٩٣، ٩٤.

(٤) الرسالة الأولى إلى مؤمني تسالونيكي: ٤/ ١٥-١٧، وانظر: ١/ ١٠، ٥/ ٩، ١٠، وسفر إرميا: ٣٠/ ٧، وسفر دانيال: ٩/ ٢٤، وإنجيل يوحنّا: ١٤/ ١-٣، وسفر الرؤيا: ٣/ ١٠، ١١.

وقد اختلفوا في تحديد وقت الاختطاف إلى عدّة أقوال، أهمها: أنّه يكون قبل الضيقة[1]، بحيث لا تتأذّى الكنيسة بمتاعب زمان الضيق[2].

المطلب الثالث: أحداث زمان الضيق وما بعده:

يعتقد بعض النصارى أنّ الأرض ستشهدُ قبل «هَرْمَجَدُّون» ضيقاً عظيماً، لقول المسيح كما في إنجيل متّى: «لأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ»[3].

وذهب بعضهم إلى أنّ الضيق سيكون خاصّاً ببني إسرائيل[4]، واستدلّوا على ذلك بما جاء في سفر إرميا: «وَهُوَ وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ»[5].

وبعضهم ذهبوا إلى أنّ الضيق سيشمل بالإضافة إلى اليهود: «النّصارى بالاسم»، وهو ما يعبّرون عنه بـ«الكنيسة الاسمية أو المرتدّة» ويعنون به كلّ من لا يوافق البروتستانت في معتقداتهم، وخصوصاً الكاثوليك، وكذلك يشمل: بقيّة الأمم الأخرى.

كما يعتقدون أنّ زمان الضيق سيستمر سبع سنين، يقسمها بعضهم إلى قسمين: مبتدأ

---

(١) وعلى هذا الرأي فإنّ مجيء المسيح للاختطاف لا تسبقه أيّ علامات بل يأتي فجأةً؛ لأنّ العلامات والأحداث والكوارث المرتبطة بآخر الزمان تكون بعد الاختطاف، حيث سينصبُّ غضب الرب على العالم، وستأتي ساعة التجربة على العالم كلّه لتجرّب الساكنين على الأرض، انظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٥، وقريب على الأبواب: ١٣-١٨، ٣٥، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٦٧٤.

(٢) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٢٨، ٢٩، والأحداث النبوية: ٢٩، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٢٩، ٣٠، ودائرة المعارف الكتابية، حرف الضاد، الضيقة العظيمة، والصهيونية المسيحية: ٨٠، وقريب على الأبواب: ٤٦،، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ٧٣، ٧٤، والمجيء الثاني، براين جيه: ٧٢-٨١، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ٨، ٧٥.

(٣) ٢٤/ ٢١، وانظر: إنجيل مَرقُس: ١٣/ ١٩، وإنجيل لوقا: ٢١/ ٢٣.

(٤) ذهب بعض النصارى إلى أنّ اليهود الذين سيشهدون زمان الضيق ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، هي: ١- المرتدّون، ٢- الأمناء أو «البقيّة التقيّة» الذين سيؤمنون بالمسيح، وسينجون من الوحش بالهرب إلى الأمم، وسيقومون بدعوتهم إلى اتبّاع الإنجيل، ٣- شهداء الضيقة الذين سيُقتلون في زمان الضيق. انظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٥٤، ٥٥، وقريب على الأبواب: ٤٦، ٤٧، وما لا بد أن يصير: ٧٣.

(٥) ٣٠/ ٧، وانظر: سفر دانيال: ٩/ ٢٤.

الأوجاع ومدّته ثلاث سنوات ونصف، والضيق العظيم ومدّته أيضاً ثلاث سنوات ونصف، تنتهي بإيمان اليهود بالمسيح، وظهوره العلني بصحبة جميع قديسيه، بهدف القضاء على الأشرار[1].

ومن الأحداث التي يعتقد بعضهم أنّها ستقع في زمان الضيق:

١ - انتشار الارتداد:

يعتقد بعض النصارى أنّ زمان الضيق سيشهد ارتداداً عن الدين، مستدلين فيما ذهبوا إليه بقول المسيح كما في إنجيل متّى: «اُنْظُرُوا لاَ يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. ٥فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: أَنَا هُوَ الْمَسِيحُ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ»[2].

٢- انتشار الإنجيل في كل مكان:

يعتقد بعض النّصارى أنّ زمان الضيق سيشهدُ انتشاراً للإنجيل، في مقابل ارتداد الكثيرين عن الدين، ويستدّلون بقول المسيح كما في إنجيل مَرقُس[3]: «وَيَنْبَغِي أَنْ يُكْرَزَ أَوَّلاً بِالإِنْجِيلِ فِي جَمِيعِ الأُمَمِ»[4].

٣- انتشار الحروب وقيام ممالك وسقوط أخرى:

ذكر بعض النصارى أنّ زمان الضيق سيشهد وقوع العديد من الحروب والكوارث، واستندوا في ذلك إلى قول المسيح كما في إنجيل متّى: «٦وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ

---

(١) انظر: سفر دانيال: ٩/ ٢٤-٢٧، والأحداث النبوية: ٤٠، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٣٦، ٣٧، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «الضيقة العظيمة»، وقريبٌ على الأبواب، ناشد حنا: ٣٦-٤٠، ٤٧، ٤٨، **وما لا بد أن يصير** بعد هذا: ٧٣، ٧٤، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ٥٦.

(٢) ٢٤/ ٤، ٥، وانظر: بعد الاختطاف: ٨٨، **وما لا بد أن يصير** بعد هذا: ٧٥، والمجيء الثاني، براين جيه: ٨٦، ٨٨، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ٣٦-٣٩، ونبوة جبل الزيتون: ١٩.

(٣) يُقال: اسمه يوحنا، ويلقب بمرقس، وهو ابن أخت برنابا، ويقال: إنّه من التلاميذ السبعين للمسيح عليه السلام، وقُتل بها حوالي سنة ٦٧م. انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس «العهد الجديد»، متى هنري: ١/ ٣٠١، ومحاضرات في النصرانية: ٤٧، ٥٩، ومختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر: ٥٩.

(٤) ١٣/ ١٠، وانظر: إنجيل متّى: ٢٤/ ١٤، والأحداث النبوية، بروس أنيستي: ٣٩، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٥١-٥٣، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ٤٠.

انْظُرُوا لاَ تَرْتَاعُوا. لأَنَّه لاَ بُدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ كُلَّهَا وَلَكِنْ لَيْسَ الْمُنْتَهَى بَعْدُ. ٧لأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَة»(١).

٤- حدوث المجاعات.

يعتقد بعض النصارى أنّ زمان الضيق سيشهد حدوث مجاعات، استناداً إلى قول المسيح كما في إنجيل متّى: «وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ»(٢).

٥- وقوع الأوبئة والزلازل في بعض البلاد والأمكنة.

من جملة الأحداث التي يعتقد بعض النصارى أنّها ستقع في زمان الضيق: انتشار الأوبئة والزلازل في بعض البلاد والأمكنة، ويستدلّون على ذلك بقول المسيح كما في إنجيل متّى: «وأوبئةٌ وزَلاَزِلُ فِي أَمَاكِنَ»(٣).

٦- اضطهاد المؤمنين وقتلهم.

يعتقد بعض النصارى أنّ زمان الضيق سيشهد اضطهاداً لليهود الذين يؤمنون بالمسيح بعد اختطاف الكنيسة، استناداً منهم إلى مخاطبة المسيح لأتباعه اليهود قائلاً لهم: «حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي»(٤).

---

(١) ٢٤/ ٢٦، ٢٧، وانظر: بعد الاختطاف: ١٢٠، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٤٤، ٤٥، وقريب على الأبواب: ٤٠، ٤١، ونبوة جبل الزيتون: ١٩-٢١.

(٢) ٢٤/ ٧، وانظر: بعد الاختطاف: ١٢١، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٤٦، ٤٧، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ٣١-٣٣، ونبوة جبل الزيتون: ٢١، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ١٤٧.

(٣) ٢٤/ ٧، وانظر: بعد الاختطاف: ١٢١، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٤٧، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ٣٣-٣٥، ونبوة جبل الزيتون: ٢٢، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ١٥٢-١٥٨.

(٤) ٢٤/ ٩، وانظر: بعد الاختطاف: ١٢١، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٤٨، وقريب على الأبواب: ٤٢، ونبوة جبل الزيتون: ٢٣.

٧- انتشار التباغض، وانقطاع أواصر الأخوة والمحبة.

يذكر بعض النصارى أنّ زمان الضيق سيشهد انتشاراً للتباغض بين الناس، وانقطاعاً لأواصر الأخوة والمحبّة بينهم، مستدلّين بقول المسيح كما في إنجيل متّى: «١٠وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً... ١٢وَلِكَثْرَةِ الإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ الْكَثِيرِينَ»(١).

٨- اضطراب الكون، وهلع ملوك الأرض وسائر الأمم:

من الأحداث التي يعتقد بعض النصارى وقوعها في زمان الضيق: اضطرابات عظيمة ستقع في الكون، فيرتاع لها الساكنون في الأرض، واستندوا في ذلك إلى ما جاء في سفر الرؤيا: «١٢وَنَظَرْتُ لَمَّا فَتَحَ الْخَتْمَ السَّادِسَ، وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ وَالشَّمْسُ صَارَتْ سَوْدَاءَ كَمِسْحٍ مِنْ شَعْرٍ، وَالْقَمَرُ صَارَ كَالدَّمِ، ١٣وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ... »(٢).

٩- وقوع ملحمة سماوية بين الملائكة والشياطين تنتهي بطرح الشيطان إلى الأرض.

يعتقد بعض النصارى أنّ نزول آدم إلى الأرض، أعقبه خلو السماء للشيطان وترؤسه على العالم(٣)؛ وأنه ظفر بالرئاسة على الهواء؛ لأنّه مجال نشاطه(٤)، وأنّ الله أعطاه إمكان أن يتقدّم أمامه بشكاوى مزعومة ضدّ المؤمنين الذين يعيشون على الأرض، ولكنّ الرب أراد أن ينتهي سلطان الشيطان، ومن ثمّ فستقع ملحمة سماوية أوّل زمان الضيق، بين الملائكة بقيادة

---

(١) ٢٤/ ١٠، ١٢، وانظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٤٩.

(٢) ٦/ ١٢، ١٣، وانظر: ١٤-١٧، وبعد الاختطاف: ١٢٢، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٥٠، ٥١، وقريب على الأبواب: ٤٢، ٤٣.

(٣) انظر: إنجيل يوحنّا: ١٢/ ٣١.

(٤) انظر: رسالة بولس إلى أهل أفسس: ٢/ ٢.

ميخائيل[1]، وبين إبليس وجنوده، تنتهي بطرح الشيطان إلى الأرض، مما يدفعه إلى تجميع قوته، محاولاً إبعاد العالم عن الله[2].

ويستدلّون على هذه الملحمة السماويّة بقول يوحنّا اللاهوتي: «٧وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ. وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ ٨وَلَمْ يَقْوُوا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي السَّمَاءِ. ٩فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ - طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ»[3].

١٠- ظهور ثالوث الشر في الأرض واتحادهم على إضلال الخلق:

يعتقد بعض النصارى -استناداً إلى الإصحاحين الثاني عشر والثالث عشر من سفر الرؤيا- بأنّ زمان الضيق سيشهد عقد تحالفٍ بين ثلاث شخصيات هي:

١- الشيطان.

٢- الوحش الطالع من البحر، وهو «الامبراطورية الرومانية» العائدة إلى الحياة[4].

---

(١) يعتقد النصارى أنّ «ميخائيل» -ميكائيل- أحد رؤساء الملائكة، ويوصف بأنّه المدافع عن شعب إسرائيل، وقد اتخذ بعض اليهود من عدم نزوله بالوحي على النبي ﷺ ذريعةً للكفر به، بحجّة عدم محبّتهم لأمين الوحي جبريل، الذي اشتهر بنزوله بالعذاب، مقارنة بميخائيل الذي ينزل بالرحمة، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ سورة البقرة: آية (٩٧)، وانظر: جامع البيان: ٢/ ٢٨٣، وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٣٥، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «ميخائيل».

(٢) انظر: تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر: ٢٦٤، والأحداث النبوية: ٤٤، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٥٦-٥٨، ورؤية في سفر الرؤيا: ٢٠٤، **وما لا بد أن يصير بعد هذا: ٧٩، ٨٠.**

(٣) ١٣/ ٧-٩، وانظر: ١٢/ ١-٦، وإنجيل لوقا: ١٠/ ١٨.

(٤) للاطلاع على أقوال النّصارى في المراد بالوحش البحري، انظر: تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر: ٢٦٠-٢٦٨، والأحداث النبوية: ٥٩، ورؤية في سفر الرؤيا: ١٧٢، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آية آية: ٢٠٦، ٢٠٨، والكنز الجليل في تفسير الإنجيل: ٨/ ٤٧٩، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٦.
وقد ذهب بعض الباحثين المسلمين إلى تفسير الوحش بالصهيونية بوجهيها اليهوديّ والأصوليّ الإنجيليّ، وتفسير الامبراطورية الرومانية الجديدة بالولايات المتحدة الأمريكية. انظر: يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟: ٥١.

٣- الوحش الطالع من الأرض، وهو المسيح الدجال، ويسمّونه أيضاً: النبي الكذّاب، وإنسان الخطيئة، وعدو المسيح، ويعتقدون أنّه سيكون من اليهود[١].

وخلاصة هذا التحالف «كما يعتقد بعض النصارى»: أنّ الشيطان سيعطي سلطته للوحش البحري «الامبراطورية الرومانية الجديدة»، الذي سيكون له سلطة على أكثر الأمم، بطوعهم واختيارهم؛ لاعتقادهم بأنّه لا يستطيع أحدٌ أن يحاربه وسيتظاهر الوحش البحري بنصرة اليهود والدفاع عنهم ضدّ أعدائهم، مما يشجّع الوحش الأرضي اليهودي «المسيح الدجال»، على أن يتكلم بعظائم يضل بها الناس إضافةً إلى أنّه سيصنع نظاماً اقتصادياً عالميّاً يسيطر من خلاله على الأمم والشعوب، وسيلزم الناس بمعتقد ديني موحد، ويمكّن أتباعه من إذلال الناس، والاستيلاء على أراضيهم! وسينجح إلى إتمام الغضب.

وسيشترك هذان الوحشان «الامبراطورية الرومانية الجديدة والدجال اليهودي!» في أن كلاً منهما سيغلب قديسي الله العلي!، ويذلّهم لفترة من الزمان وسيجدّفان على الله، ويتكلمان بكلام ضدّه -تعالى ربّنا وتقدّس-، وسيدعم كلّ واحد منهما الآخر[٢].

ويعتقدون أنّه في نهاية زمان الضيق تحدث تغيّرات في العالم العلوي منذرة بقرب ظهور المسيح، حيث تظلم الكواكب، وتتساقط النجوم، وتتزعزع قوّات السماوات استناداً إلى إنجيل متّى حيث جاء فيه: «**وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ**»[٣].

---

(١) لمعرفة المزيد عن الوحش الأرضي، وتفسير بعض النصارى له بالمسيح الدجال، انظر: تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر: ٢٢٦، ٢٦٩، والأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ١١٠، وأشهر النبوات: ١٦٩، ١٧٠، وبعد الاختطاف: ٢٠٣، ٢٠٤، ورؤية في سفر الرؤيا: ١٧٥، ١٧٦، والسعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ٩٧.

(٢) انظر: سفر دانيال: ٧/ ٢١، ٢٥، وسفر الرؤيا: ١٣/ ١-٨، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٥٨-٦١، ٦٧-٦٩، والتفسير الكامل للكتاب المقدس «العهد الجديد»: ٢/ ٦٤١، ورؤية في سفر الرؤيا: ١٧٢-١٧٤، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آيةً آيةً: ٢١١، والكنز الجليل في تفسير الإنجيل: ٨/ ٤٨٠، ٤٨١.

(٣) ٢٤/ ٢٩.

وجاء في سفر الرؤيا أنّ بعض الملائكة يؤمرون بصب **جامات**[1] **الغضب** السبعة على الأرض، لقول يوحنّا اللاهوتي: «وَسَمِعْتُ صَوْتاً عَظِيماً مِنَ الْهَيْكَلِ قَائِلاً لِلسَّبْعَةِ الْمَلاَئِكَةِ: امْضُوا وَاسْكُبُوا جَامَاتِ غَضَبِ اللهِ عَلَى الأَرْضِ»[2].

وكؤوس الغضب هذه هي عبارة عن: حدوث دمامل[3] خبيثة لمن قبلوا الوحش، وتحول مياه البحر إلى دمٍ، فيموت كلُّ حيٍّ فيه، وحرقُ الشمس الناس بنارها، وإهلاك عرش الوحش، وإظلام مملكته، وإفساح الطريق لملوك الشرق ليعبروا نحو «هَرْمَجَدُّون»، وتقع العقوبة ببابل العظيمة «الامبراطورية الرومانية الجديدة»[4] ونحو ذلك[5].

هذه هي مجمل مقدّمات «هَرْمَجَدُّون» حسبما يعتقده بعض النصارى البروتستانت، ولعلّ من المناسب -قبل الانتقال إلى المبحث الآتي- أن أشير إلى بعض ما تضمّنته هذه المقدّمات من حقٍّ وباطلٍ ومسكوتٍ عنه، وهي على النحو الآتي:

١- نماذج للحق الذي تضمنته مقدّمات الملاحم:

لعلّ أظهر وأوضح ما تضمنته مقدمات الملاحم -عند بعض النصارى- من الحق هو: اعتقادهم بظهور «**المسيح الدجال**» وإفساده في الأرض، وسعيه لإضلال الناس، بقطع النظر عن

(١) الجامات هي الرؤوس الكبيرة. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٥٣٠.

(٢) سفر الرؤيا: ١٦/ ١.

(٣) الدمامل هي: طفحٌ يظهر في خارج الجلد لعفونة موجودة في الداخل. انظر: مختصر شرح سفر الرؤيا: ١٠٤.

(٤) للمؤلف بحث بعنوان "نبوءة هلاك بابل العظيمة في سفر الرؤيا عرض ودراسة" منشور في دورية العلوم الإنسانية التابعة لكلية الآداب بجامعة بني سويف، العدد ١٧ - أبريل ٢٠١٠م، وقد تم تطويره والإضافة إليه برجاء أن ييسر الله طباعته مستقبلاً بإذن الله تعالى.

(٥) انظر: سفر الرؤيا: ١٦/ ١-١١، والأحداث النبوية: ٥٤، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٧١، ٨١، ٨٢، ورؤية في سفر الرؤيا: ٢٢٥، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آيةً آيةً: ٢٣٥، وقريب على الأبواب: ٤٤، ٤٥، ومختصر شرح سفر الرؤيا: ١٢١.

التفصيلات الباطلة التي ذكروها حوله(١).

ومن جملة ما ورد في مقدّمات «هَرْمَجَدُّون» وله وجهُ حقٍّ في الإسلام من حيث وقوعه في آخر الزمان: بعض ما ذُكر عن بعض أحداث زمان الضيق -بقطع النظر عن تفصيلاته-، كظهور الارتداد، وبعد كثير من الناس عن الدين، وظهور من يدعي النبوة(٢)، وانتشار الحروب(٣)، وحدوث المجاعات(٤)، وكثرة الزلازل(٥)، وانتشار الظلم؛ ومنه قتل الأخيار(٦)، وفساد علاقات

(١) انظر: مغالطات اليهود وردّها من واقع أسفارهم، طويلة: ١٣٠، ١٣١، واليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، فرج الله أبو عطا الله: ١١٧.

(٢) جاءت الإشارة إلى ظهور الارتداد، ومدعي النبوة، وبعد كثير من الناس عن الدين، في عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة، منها: حديث ثوبان ﷺ أنّ النبي ﷺ قال في انتشار الارتداد، وظهور مدعيي النبوة: «ولا تقوم الساعة حتى **تلحق قبائل من أمتي بالمشركين**، وحتى **تعبد قبائل من أمتي الأوثان**، وإنه سيكون في أمتي **كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي**، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» رواه أحمد في مسنده: ح٢٢٣٩٥، وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، ح٤٢٥٢، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون، ح٢٢١٩، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، ح٣٩٥٢، وصححه الألباني في سنن أبي داود: ح٤٢٥٢.

(٣) حيث ذكر ﷺ عدداً من الحروب التي تُعدُّ من علامات الساعة، **فمنها** ما سيقع بين المسلمين أنفسهم، كقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة» رواه البخاري في كتاب الفتن،باب خروج النار: ح٧١٢١، واللفظ له، من حديث أبي هريرة ﷺ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، ح١٥٧.
ومنها ما يكون بينهم وبين أعدائهم؛ كالملاحم التي تكون بين المسلمين والنصارى واليهود في آخر الزمان.

(٤) حيث أخبر ﷺ بالمجاعة التي تكون بين يدي الدجال، وقلّة الطعام عند خروج يأجوج ومأجوج انظر: ص ٢٤٤ من الرسالة.

(٥) كما في قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، **وتكثر الزلازل**، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل القتل، حتى يكثر فيكم المال فيفيض» رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، ح١٠٣٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) كما في إخباره ﷺ عن امتلاء الأرض بالظلم والجور بين يدي ظهور المهدي، ومنه ما سيكون من قتل الصالحين، انظر: ص ١٧٣ من الرسالة.

الناس[1]، فهذه نبذٌ مما يصح أن يكون من أشراط الساعة.

٢- نماذج للباطل الذي تضمّنته مقدمات الملاحم:

أظهر ما تضمنته هذه المقدمات من باطل وخرافة، هو ما زعموه من **اختطاف المسيح للكنيسة**، ويندرج ضمن هذا الاختطاف جميع التفصيلات المتعلقة به، كدعواهم مجيء المسيح مجيئاً سرّياً، وخطفه للأموات وللأحياء، وزفافه بالكنيسة ومكثهما في السماء، فهذا كلّه من أبين الباطل الذي بني على افتراض صحّة دين النصارى المُحرّف، وقولهم بألوهية المسيح.

وكذلك ما زعموه من **محاربة** الملائكة لإبليس؛ وإسقاطه إلى الأرض، بهدف تهيئة السماء للمختطفين!!.

ومن ذلك أيضاً ما ذكروه حول مساندة **الوحش البحري للمسيح الدجال**، فهذا تقليل من شأن الدجال الذي ثبت أنّه أعظم فتنة في الأرض.

ومن الباطل أيضاً: ما تقدّم ذكره عن **كؤوس الغضب** التي ستُصبُّ على العالمين العلوي والسفلي قبيل مجيء المسيح مُخلِّصاً لأتباعه التائبين من اليهود، وما سينتج عنها من إظلام الكواكب، وتساقط النجوم، وانتشار الدمامل الخبيثة بين النّاس، وتحوّل مياه البحر إلى دماء، وموت جميع من فيها من الأحياء، وتحوّل مياه الأنهار والينابيع دماً، ليشربه من سفكوا دماء الأنبياء والقديسين، وإحراق الشمسِ الناسَ بنارها ونحو ذلك.

وإنّ مما يؤخذُ على هذه الكؤوس أنّها بُنيت على أساس افتراض ألوهيّة المسيح ولربما كانت نوعاً من التنفيس عن النفس، في مقابل الاضطهادات التي تسلّطت على النصارى زمن كتابتهم أناجيلهم وجميع أسفارهم ورسائلهم!.

---

(١) كما في قوله ﷺ: «ولا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، وحتى يؤتمن الخائن، ويخون الأمين» رواه أحمد في مسنده: ح٦٥١٤، وصحّحه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: ١٠/ ٢٠، وصححه لغيره الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: ح٦٥١٤.

٣- نماذج لما تضمنته كتبهم عن الأحداث التي تسبق الملاحم وليس عندنا ما يثبتها أو ينفيها:

ظهر من خلال البحث أنّ ثمّة أمران يعدّهما بعض النصارى من مقدّمات الملاحم، وليس في نصوص الإسلام إثباتٌ أو نفيٌ لهما:

الأمر الأول: اعتقادهم بقيام دولة يهوديّة في فلسطين، تكون سبباً في حصول بعض النكبات على اليهود، حيث تغزوها جيوش الأعداء!، وتتمكن من إسقاطها.

وهذا الاعتقاد مما يشترك فيه بعض اليهود والنصارى، وقد تقدّم الحديث عنه بما يُغني عن إعادته هنا(١).

الأمر الثاني: اعتقادهم بظهور الوحش البحري، الذي قيل إنّه رمز للامبراطورية الرومانية أو إنّه قائدها، وأنّها ستناصر اليهود في فلسطين، وأنّ الروم واليهود سيتسلطون فترة من الزمان على أهل الإيمان، فهذا وأمثاله لم يرد في إثباته نصٌّ صحيح.

وأمّا وجود تشابهٍ بين بعض هذا وبين الواقع المعاصر، حيث يتولّى الغرب وعلى رأسه «الولايات المتحدة الأمريكية» حماية اليهود، والسعي في تحقيق مصالحهم ويشتركان في إيذاء أولياء الله، في فلسطين، والعراق، وأفغانستان، وغيرها من بلاد الإسلام، بالقتل والتضييق والحصار والإرهاب، **فهذا يحتمل أن يكون تصديقاً لما جاء في نبوءاتهم، فيكون نذير شؤم على أهل الكتاب؛ لأنّ سفر الرؤيا يقول: إنّ الذين يقومون بهذه الأفعال، هم أعداء المسيح، وإنّ نهايتهم ستكون نهايةً سوء!!.**

ويحتمل أن لا يكون له علاقة بما جاء في كتبهم، لكونه إنّما يحدث من باب تقاطع المصالح بين اليهود والنصارى، ولاسيّما مع اجتماعهم على بغض المسلمين وحسدهم والخوف منهم، أو أنّ كُلّ واحدٍ منهما يسعى لتوظيف الآخر في تحقيق مصالحه، أو غير ذلك مما يعلمه الله؛ إلا أنّ نهاية الظلم والعدوان لن تكون خيراً للظالم والمعتدي، فإنّ الله تعالى عدلٌ لا يظلم، وقد توعّد الظالمين بالويل والثبور!.

---

(١) انظر: ص ٣٠٨، ٣٥٧ من الرسالة.

المبحث الثاني: أحداث ملحمة هرمجدون

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيـــــد:

وفيه عدّة أمور:

- **الأمر الأول: التعريف بموقع هرمجدون:**

«هَرْمَجَدُّون»: اسمٌ عبريٌّ معناه «جبل -أو تل- مجدّو»، وقد ورد لأول مرّة في سفر الرؤيا، حيث جاء فيه: «فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ هَرْمَجَدُّونَ»[1].

وهو عبارةٌ عن موضع يقع في مرج ابن عامر بفلسطين، ومكانه الآن هو تلّ المتسلّم الواقع على بعد ٢٠ ميلاً جنوب شرقِ حيفا[2].

- **الأمر الثاني: مكانة موقع هرمجدون:**

يذكر بعض النصارى أنّ موقع «هَرْمَجَدُّون» اكتسب مكانةً عاليةً من الناحيتين الاقتصادية والحربية؛ بسبب وقوعه على الطرق العامة، حيث كان على خط المواصلات بين القسمين الشمالي والجنوبي من فلسطين، وعلى طريق الفاتحين المصريين وغيرهم.

وقد جرت فيه أو بالقرب منه بعض المعارك الحربية الهامّة في تاريخ إسرائيل

(١) ١٦/١٦.

(٢) انظر: سفر الرؤيا: ١٦/ ١٤-١٦، ١٧/ ١١-١٤، ١٩/ ١١-٢١، ودائرة المعارف الكتابية، حرف الميم، مجدّو- مجدون، وقاموس الكتاب المقدس: ٨٤٠، ٨٤١، ٩٩٩، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٤.

مما جعله عنواناً للرعب والفجيعة[1].

- **الأمر الثالث: اعتقاد بعض النصارى بوقوع حرب نووية في هرمجدون:**

يعتقد بعض النصارى أنّ موقع «هَرْمَجَدُّون» سيتحول إلى ساحة حربٍ نوويةٍ أو ذريّةٍ، يشترك فيها ملوك الأرض في يوم قتال الربِّ، ويتم فيها إبادة المسلمين واليهود وكلّ من لم يؤمن بالمسيح ربّاً مُخلِّصاً[2]!!.

وقد استندوا في اعتقادهم بنووية «هَرْمَجَدُّون» إلى ذكر النار والكبريت، الوارد في سفر حزقيال، حيث قال الرب: «وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطَراً جَارِفاً وَحِجَارَةَ بَرَدٍ عَظِيمَةً وَنَاراً وَكِبْرِيتاً»[3].

وقد تجاوز كثيرٌ منهم فجعلوا «هَرْمَجَدُّون» اسماً للمعركة نفسها بقطع النظر عن موقعها، وقد انتشر صنيعهم هذا واشتهر، حتى صار اسم «هَرْمَجَدُّون» عند كثيرٍ منهم عَلَماً على هذه الحرب النووية المرتقبة[4].

- **الأمر الرابع: التعريف بملحمة هرمجدون:**

عرّف «**بروس أنيستي**»[5] وغيره ملحمة «هَرْمَجَدُّون» بأنّها: «سلسلة من المعارك التي تندلع في فترة السخط»[6].

وحدّدها بعضهم بأنّها المعركة التي ستكون بين ملوك العالم أجمع، ومن ورائهم الشيطان،

---

(١) انظر: سفر القضاة: ٤/ ٦-١٧، ٥/ ١٩، والإصحاح: ٧، وسفر صموئيل الأول: ٣١/ ٨، ٩، ودائرة المعارف الكتابية، مادة «مجدو- مجدون»، و«هَرْمَجَدُّون»، وقاموس الكتاب المقدس: ٨٤٠، ٨٤١، ٩٩٩.

(٢) انظر: في فقه الصراع على القدس وفلسطين: ٢٨، وقبل الكارثة نذير ونفير: ٢٠٦، ويد الله: ٢٩، ٣٣.

(٣) حزقيال: ٣٨/ ٢٢.

(٤) انظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٨٤-٩٥، ورؤية في سفر الرؤيا: ٢٠٢-٢٠٦، ٢٣١-٢٣٦.

(٥) كاتب نصراني معاصر.

(٦) الأحداث النبوية: ٦٠، ٦١، وانظر: الأحداث العالمية الجارية: ١٠٩، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١١٨.

وبين الرب يسوع المسيح[1].

وهذا التعريف أكثر وضوحاً وتحديداً، وأقرب إلى التصورات التي يدور حولها كثيرٌ من الكتب النصرانية التي تطرّقت لأحداث آخر الزمان.

الأمر الخامس: مكانة ملحمة هرمجدون:

تكتسب ملحمة «هَرْمَجَدُّون» مكانةً عاليةً عند بعض طوائف البروتستانت ويتشوّقون إليها، ويكثرون من الحديث عنها؛ لاعتقادهم بتوقف المجيء الثاني للمسيح على وقوعها، وذلك بعد قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين، وبناء الهيكل[2].

وفي المطالب الآتية عرضٌ لأهمّ الأحداث المتعلّقة بالملحمة النووية «هَرْمَجَدُّون».

(١) انظر: هل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ١٤٣.

(٢) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٣، ١٤، والأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ٣٩، والفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: ٣٣٠، وقبل أن يُهدم الأقصى: ١٢٩، والكتاب المقدس والسيف: ١/ ١٣٨، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ٤١، ٤٢، والمسيحية والتوراة: ١١٨.

المطلب الأول: القوى المشاركة في هرمجدون:

يعتقد بعض النصارى أنّ جميع جيوش الأمم ستشارك في هَرْمَجَدُّون[1]؛ استناداً منهم إلى ما جاء في سفر الرؤيا من قول يوحنا[2] اللاهوتي: «١٣وَرَأَيْتُ مِنْ فَمِ التِّنِّينِ وَمِنْ فَمِ الْوَحْشِ، وَمِنْ فَمِ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلاَثَةَ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ شِبْهَ ضَفَادِعَ، ١٤فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينَ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ... ١٦فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ هَرْمَجَدُّونَ»[3].

وأمّا تسمية هذه الجيوش التي ستشارك في هَرْمَجَدُّون، فهو محلُّ خلافٍ بينهم إلا أنّه يمكن إجمال أظهر القوى التي ذكروها في خمس قوى، وهي:

١- الرب «المسيح» وجنوده:

يتفق النصارى المؤمنون بِهَرْمَجَدُّون على مشاركة الرب «المسيح» وجنوده في هذه الملحمة[4]، ويستدلّون على ذلك بما جاء في سفر الرؤيا، حيث قال يوحنا اللاهوتي: «١١ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِيناً وَصَادِقاً وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ... ١٤وَالأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتْبَعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بِيضٍ لاَبِسِينَ بَزّاً أَبْيَضَ وَنَقِيّاً ١٥وَمِنْ فَمِهِ

---

(١) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات، صموئيل مشرقي: ٥٤-٨١، والأحداث النبوية: ٥٩، ٦٠، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٨٤-٨٨، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ١٤٣.

(٢) هو يوحنا بن زبدي يُقال إنّه من كبار الحواريين الاثني عشر، وأحب الحواريين إلى المسيح ﷺ، توفي بين سنتي ٨٩-١٠٠م، انظر: التفسير الكامل للكتاب المقدس «العهد الجديد»:١/ ٥٦١، والخريدة النفيسة، إيسوذورس:٣٢-٣٥، والكتاب المقدس سفراً سفراً: ١٧٥، ومختصر تاريخ الكنيسة:٤٧، ٤٨.

(٣) ١٦/ ١٣-١٦.

(٤) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ١٠٨، ١٠٩، والأحداث النبوية: ٥٩، ٦٠، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٥، ١٠٦، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١٢٣.

يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ»[1].

٢- القوات الغربية:

ذكر بعض النصارى أنّ القوّات الغربية ستكون ضمن القوى المشاركة في هَرْمَجَدُّون، وأنّها هي الوحش الذي رآه يوحنّا ضمن الأمم المجتمعة لمحاربة الرب وجنوده[2]، كما جاء في قوله: «**وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْباً مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ وَمَعَ جُنْدِهِ**»[3].

٣- ملوك الشرق:

يعتقد بعض النصارى أنّ ملوك الشرق سيشاركون في هَرْمَجَدُّون، استناداً منهم إلى ما جاء في سفر الرؤيا من أن المَلَك يسكب **كأس الغضب السادس** على نهر الفرات؛ ليجفّ ماؤه بحيث يسهل على ملوك الشرق أن يعبروا عليه بجيوشهم إلى أورشليم، حيث قال يوحنا اللاهوتي: «**ثُمَّ سَكَبَ الْمَلاَكُ السَّادِسُ جَامَهُ عَلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ الْفُرَاتِ، فَنَشِفَ مَاؤُهُ لِكَيْ يُعَدَّ طَرِيقُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ**»[4].

وقد **اختلفوا في المراد بهؤلاء الملوك**، إلى أقوال منها:

القول الأول: إنّهم الأسباط الإسرائيليّة المفقودة[5].

---

(١) سفر الرؤيا: ١٩/ ١١-١٤، وذهب بعض الباحثين من المسلمين إلى أن نبينا محمد ﷺ هو المراد بهذا النص، فهو الملقب بين قومه بالصادق الأمين، وركوبه الفرس كناية عن الجهاد في سبيل الله، وهو الذي يحكم بالعدل في أمته، وبه يحارب أعداءه، وكانت الملائكة تقاتل معه المشركين، ولكلامه الموحى به إليه تأثير على المشركين فكأنه سيف يضرب به الأمم، وهذا اجتهاد محتمل لا يُجزم به. انظر: ميثاق النبيين:٤٦٩-٤٧١.

(٢) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٥٤-٥٩، والأحداث النبوية: ٥٩، ٦٠، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٥، ١٠٦، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١٢٢.

(٣) ١٩/ ١٤.

(٤) ١٦/ ١٢.

(٥) انظر: تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر: ٣١٥، وقد رجّحه بعد أن ذكر أنّ الإصحاح السادس عشر من مشكلات سفر الرؤيا. انظر: ٣١٤، ٣١٦.

القول الثاني: إنّهم التحالف الشرقي الذي سيكون بقيادة الصين[1].

وتجدر الإشارة -هنا على وجه الإيجاز- إلى أنّ ما جاء في سفر الرؤيا حول جفاف نهر الفرات في آخر الزمان، موافق -من حيث الجملة لا التفصيل- لما يعتقده المسلمون؛ حيث ثبت عن النبي ﷺ أنّ الفرات سينحسر في آخر الزمان عن جبلٍ من ذهب، فعن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كلُّ رجلٍ منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو»[2].

٤- ملك الشمال:

يعتقد بعض النصارى أنّ «ملك الشمال»[3] سيكون مشاركاً في «هَرْمَجَدُّون»، واستدلّوا على ذلك بما جاء في سفر دانيال: «فَفِي وَقْتِ النِّهَايَةِ يُحَارِبُهُ مَلِكُ الْجَنُوبِ فَيَثُورُ عَلَيْهِ **مَلِكُ الشِّمَالِ** بِمَرْكَبَاتٍ وَفُرْسَانٍ وَسُفُنٍ كَثِيرَةٍ وَيَدْخُلُ الأَرَاضِيَ وَيَجْرُفُ وَيَطْمُو»[4].

وقد اختلفوا في **المراد بملك الشمال**؛ فقيل هو ملك: تركيا، وقيل: سوريا، وقيل: روسيا، وقيل: العراق.

وذهب بعضهم إلى أنّ الدول التي ستشاركه في القتال، هي: الدول الإسلامية العربية،

(١) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٦٠-٦٦.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن واشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، ح٢٨٩٤.

(٣) ويطلق عليه بعضهم: «الأشوري»، و«جوج وماجوج»، ومنهم من يُفرّق بينهم. انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٦٩، والأحداث النبوية: ٥٩، ٦٠.

(٤) ١١/ ٤٠، وانظر: والأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٦٧-٦٩، والأحداث النبوية: ٦٢.

مثل: «السعودية، ولبنان، والأردن، وليبيا»[١]، وإيران، والحبشة وألمانيا[٢].

وحاول بعضهم أن يجمعوا بين ملوك الشرق الواردة في العهد الجديد، **وملك الشمال** الوارد في العهد القديم، **فقالوا: إنّهما شيءٌ واحدٌ**، يسمّى ملك الشمال في مقابل ملك الجنوب، ويسمى ملوك الشرق في مقابل القوات الغربية[٣].

٥- ملك الجنوب:

يعتقد بعض النصارى أنّ «ملك الجنوب» سيكون أحد القوى المشاركة في هَرْمَجَدُّون، استناداً منهم إلى ما جاء في سفر دانيال: «فَفِي وَقْتِ النِّهَايَةِ يُحَارِبُهُ مَلِكُ الْجَنُوبِ»[٤].

وذهب بعضهم إلى أنّ **دولة مصر هي ملك الجنوب**، وجعل بعضهم الدول الإسلامية والعربية ضمن حلف الجنوب[٥]، وأضاف بعضهم إليها أثيوبيا[٦].

---

(١) ومن هنا اعتقد بعضهم أنّ «هَرْمَجَدُّون» ستبدأ بهجوم عربي على إسرائيل، بل إن بعض الهَرْمَجَدُّونيين يعتقدون أنّ قوى الشر في «هَرْمَجَدُّون» هم العرب، وهم عندهم كفار. انظر: حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٣٧، وصعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي، محمد عارف: ١٥٢، والصهيونية المسيحية، للسماك: ٨٠، ومعركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل، ياسر حسين: ٣٦، ٣٧.

(٢) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٦٨-٧٣، والأحداث النبوية: ٥٩-٦١، وشرح سفر حزقيال: ٣٠٨، وشرح سفر دانيال: ٢٠٦، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٥، والمجيء الثاني متى يكون: ١٢٢.

(٣) انظر: الأحداث النبوية: ٦٥ «الحاشية»، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧٠٢.

(٤) ١١/ ٤٠.

(٥) وقد ذكر الكاتب الفرنسي «باسكال بونيفاس» أنّ الغرب عندما يتحدّثون عن عدوٍّ يأتي من الجنوب فهم يقصدون الإسلام!، فقال: «والحال أنّه إذا لم يكن يُقصد حصراً التطرف الإسلامي، فما هو هذا «الجنوب» الذي ينبع منه مثل هذا التهديد للأمن العالمي؟ إنه لا ينطبق في الواقع إلا على جزء من العالم الثالث... في الحقيقة كانت البلاد العربية - الإسلامية هي المستهدفة حتى لو كان أنصار هذه الفرضية يستخدمون بحذر ونفاق هذا التعميم غير الدقيق والمصطنع» الحرب العالمية الرابعة: ١٩.

(٦) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٧٥، ٨٠، والأحداث النبوية: ٥٩، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٥، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١٢٢.

فهذه الخمس قوى هي أظهر الجيوش التي يعتقد بعضهم أنّها ستشارك في هَرْمَجَدُّون(١).

المطلب الثاني: هجوم الأمم على أورشليم وظهور الرب:

وفيه ثلاثة فروع:

- الفرع الأول: هجوم الأمم على أورشليم:

يعتقد بعض النصارى أنّ ملحمة هَرْمَجَدُّون ستبدأ بهجوم الأمم على فلسطين، وحاول بعضهم رسم صورة لأحداث هذا الهجوم من خلال الجمع بين نصوص العهدين القديم والجديد، فقالوا:

تقوم دولة يهوديّة في فلسطين -وذهب بعضهم إلى أنّها دولة «إسرائيل» المعاصرة-، وتستغِلُّ علاقتها القوية بالامبراطورية الرومانية الجديدة فتوسّع حدودها على حساب مصر، مما يكون سبباً في هجوم ملك الجنوب «مصر» على إسرائيل، فإذا رأى ملك الشمال هجوم ملك الجنوب، عجّل بجيوشه للهجوم على فلسطين؛ طمعاً في أن يكون هو الذي يظفر بغنائم إسرائيل، وليسيطر على مركز قيادة العالم، وعند ذلك يتراجع ملك الجنوب إلى مصر، في حين يخرب ملك الشمال بجيوشه المهولة إسرائيل ويقتل ثلثي أهلها؛ لأنّهم قبلوا المسيح الكذّاب(٢).

وذكر «بروس أنيسي» أنّ المسيح اليهودي الكذّاب سيهرب عند وقوع هذه الكارثة، تاركاً شعبه وراء ظهره، واحتمل أن يكون هروبه إلى روما طلباً للحماية ولاسيّما أنّه سيظهر بعد ذلك مع الوحش عندما يأتي الرب للقضاء(٣).

قالوا: وبعد أن ينتهي ملك الشمال من السيطرة على إسرائيل؛ يتّجه للاستيلاء على مصر، فإذا

---

(١) يُشار إلى أنّ البعض يضيف إلى هذه القوى: «جوج وماجوج»، وجيش إسرائيل بقيادة النبي الكذاب. انظر: الأحداث النبوية: ٦٠، والمجيء الثاني متى يكون؟: ١٢٢.

(٢) انظر: سفر دانيال: ١١/ ٤٠، والأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٦٧-٦٩، والأحداث النبوية: ٦٢، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٧-١١٠.

(٣) انظر: الأحداث النبوية: ٦٦، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١١٣.

أحسّ حلفاء مصر «أثيوبيا وليبيا» بالخطر، فيعملون على كسب رضا ملك الشمال بالسعي في خدمته[1].

وأما ملوك الشرق الذين يعبرون نهر الفرات بعد أن يجفّ، فلم يرد في سفر الرؤيا وصفٌ لتحرّكاتهم وهجومهم، فمن قال إنّهم ملك الشمال، فقد تبين من خلال هذا العرض كيف يهاجمون أورشليم، ومن فرّق بينهم وبين ملك الشمال فلم يُقدّم تصوراً واضحاً لطريقة هجومهم!، واكتفى «صموئيل مشرقي» بقوله إنّهم سيقتلون أنفسهم بأنفسهم[2]!!.

- **الفرع الثاني: اتجاه القوات الغربية لحماية اليهود.**

ذكر بعض النصارى أنّ الوحش البحري «الامبراطورية الرومانية الجديدة أو ما يسمى: تحالف الدول الغربية» يسمع بما حلّ بحلفائه اليهود، فتتحرك أساطيله البحرية بقصد الدفاع عن أرض إسرائيل، فإذا وصل هو وجنوده إلى فلسطين لم يُفاجأوا إلا والرب قد ظهر لهم[3]، على وفق ما سيأتي الحديث عنه في الفرع الآتي:

- **الفرع الثالث: ظهور الرب «المسيح».**

يعتقد النصارى أنّ المسيح ابن مريم عليه السلام سيأتي مرّةً أخرى في آخر الزمان ويسمّون هذا المجيء بـ«المجيء الثاني»[4]؛ إلا أنّهم اختلفوا في سببه: فذهب الكاثوليك والأرثوذكس وطائفة من البروتستانت إلى أنّ المسيح سيأتي لمحاسبة الخلق ومجازاتهم وحسب.

وذهب بعض البروتستانت إلى أنّ المسيح سيأتي لأجل القضاء على أعدائه وتحقيق الخلاص

(١) انظر: سفر دانيال: ١١/ ٤٢، ٤٣، والأحداث النبوية: ٦٢-٧١، وسفر دانيال مفصلاً آيةً آيةً: ٢٠٠، ٢٠١، وسفر زكريا مفصلاً آيةً آيةً: ١٩٨، ١٩٩، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٠٧-١١١.

(٢) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ١٠٢.

(٣) انظر: سفر العدد: ٢٤/ ٢٤، والأحداث النبوية: ٧٢، وما لا بد أن يصير: ٧٢، ١٠٦، ١١٣، ١٢٠.

(٤) انظر: سفر أعمال الرسل: ١/ ١١، وإنجيل يوحنّا: ١٤/ ٢، ٣، والاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٨٧.

للمؤمنين به، ومحاسبة الأحياء، وإقامة الملك الألفي[1].

ويعتقد هؤلاء -البروتستانت- أنّ المسيح سيظهر في السماء؛ لقول يوحنّا اللاهوتي: «هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ»[2]، فإذا أبصرته القوّات الغربية فإنّهم سيغيّرون وجهتهم من محاربة ملك الشمال إلى محاربة المسيح نفسه[3]!!؛ لقول يوحنّا في سفر الرؤيا: «وَرَأَيْتُ الْوَحْشَ وَمُلُوكَ الأَرْضِ وَأَجْنَادَهُمْ مُجْتَمِعِينَ لِيَصْنَعُوا حَرْباً مَعَ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ وَمَعَ جُنْدِهِ»[4].

قال عادل عزمي «كاتب نصراني»: «فسيذهب الوحش إلى فلسطين بجيوشه ومعه الملوك العشرة -ملوك أوروبا- لمساعدة حليفه النبي الكذّاب ضدّ هجوم الدول المحيطة بأورشليم. وعندما يرى الوحش وملوكه العشرة السماء وقد فُتحت، وخرج منها الرب ومعه أجناده القدّيسون، في الحال سيعلنون الحرب عليه. ومن هنا يُعلن الرب الحرب عليهم»[5].

وبعد: فتجدر الإشارة في ختام هذا المطلب إلى أنّ المسلمين يتّفقون مع بعض النصارى على مبدأ رفع -عبدالله ورسوله- عيسى عليه السلام إلى السماء، ونزوله منها في آخر الزمان؛ لقتل المسيح الدجال وجيشه اليهودي، وللحكم في الأرض بالبرِّ والعدل[6]، وأمّا ما ذكره النصارى حول هذه الجيوش وما يصدر عنها فباطلٌ لا صحّة له[7].

---

(١) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٨٧، وبعد الاختطاف: ٢٨، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٠، ودعاوى النصارى في مجيء المسيح عليه السلام: ٣٤٧، ٣٤٩-٣٦٣، ٣٩٤، وقريب على الأبواب: ٦٠، وكيف نفهم علم اللاهوت؟: ١/ ٥١٧، والمجيء الثاني للمسيح، نصر الله: ١١٩، ٢٠٧-٢١٢، ٢٤٦، ٢٤٧، والمجيء الثاني متى يكون؟: ١٣٦-١٤٢، ١٦٣، ١٦٤، والملك الألفي: ١٢-١٥.

(٢) سفر الرؤيا: ١/ ٧.

(٣) انظر: سفر زكريا: ١٤/ ٤، والأحداث النبوية: ٧٩، ٨٠، وبعد الاختطاف: ٩٤، ١٥٢، ١٥٣، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١١٢، ١١٣.

(٤) ١٩/ ١٩، وانظر: ١٤.

(٥) ما لا بد أن يصير بعد هذا: ١١٣ «بتصرّف».

(٦) انظر: الملل والنحل: ١/ ٢٦٤، والجواب الصحيح: ٦/ ١٧٧، ١٧٨.

(٧) انظر: ص ٣٨٦ من الرسالة.

المطلب الثالث: معصرة غضب الله العظيمة:

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

التمهيـــــد:

جاء في سفر الرؤيا إطلاق اسم «مَعْصَرَةِ غَضَبِ اللهِ الْعَظِيمَةِ[1]»[2]؛ عنواناً على قضاء المسيح الذي سيوقعه بالشيطان والوحش البحري والمسيح الدجال وأتباعه بالإضافة إلى قضائه على بقيّة الملوك الذين سيجتمعون على حربه في هرمجدون[3].

ويعتقد بعض النصارى أنّ المسيح حين ينزل من السماء، فإنّه سيقيم من لحوم ودماء أعدائه مأدبةً لطيور السماء[4]، واستندوا في ذلك إلى قول يوحنا اللاهوتي: «١٥وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصاً مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ١٦وَلَهُ عَلَى ثَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ. **١٧وَرَأَيْتُ مَلاَكاً وَاحِداً وَاقِفاً فِي الشَّمْسِ، فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً لِجَمِيعِ الطُّيُورِ الطَّائِرَةِ فِي وَسَطِ السَّمَاءِ: هَلُمَّ اجْتَمِعِي إِلَى عَشَاءِ الإِلَهِ الْعَظِيمِ،** ١٨لِكَيْ تَأْكُلِي لُحُومَ مُلُوكٍ، وَلُحُومَ قُوَّادٍ، وَلُحُومَ أَقْوِيَاءَ، وَلُحُومَ خَيْلٍ وَالْجَالِسِينَ عَلَيْهَا، وَلُحُومَ الْكُلِّ حُرّاً وَعَبْداً صَغِيراً وَكَبِيراً»[5].

وفي الفروع الثلاثة الآتية بيان أحداث هذه المعصرة العظيمة:

---

(١) قال الدكتور وليم إدي حول تفسير هذه المعصرة: «هذا كنايةٌ عن انتقام الله من الأشرار؛ فإنّ عصر العنب الأحمر، يشبه سفك الدّم، ويشير إلى إهلاك أعداء الله» الكنز الجليل في تفسير الإنجيل: ٨/ ٤٩٢.

(٢) ١٤/ ١٩، وهذا أحد أسماء هَرْمَجَدُّون، وقد ذكر بعض النصارى لِهَرْمَجَدُّون مسميات أخرى. انظر: سفر التثنية: ٣٢/ ١٤-٤٣، وسفر المزامير: ٢/ ٥، وسفر إشعياء: ٢/ ١٠، ٢١، وسفر إرميا: ٢٥/ ١٥، ١٦، وسفر حزقيال: ٧/ ١٩، وسفر الرؤيا: ١٩/ ١٥، ١٧، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ١٤٤، ١٤٥.

(٣) انظر: شرح سفر الرؤيا، ناشد حنّا: ٢٣٣، و قريب على الأبواب: ٦٠، ومختصر شرح سفر الرؤيا: ١٠١.

(٤) انظر: شرح سفر الرؤيا: ٢٨٩-٢٩٢، ومختصر شرح سفر الرؤيا: ١٣٤، ١٣٥.

(٥) سفر الرؤيا: ١٩/ ١٥-١٨.

- **الفرع الأول: عقاب الرب «المسيح» لأعدائه.**

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: القضاء على الوحش والمسيح الدجال وجنودهما:

ذكر بعض النصارى أنّ الرب إذا ظهر فسيعامل الوحش والمسيح الدجال وجنودهما على النحو الآتي[1]:

١- سيقبض على الوحش البحري، والمسيح الدجال، ويطرحهما حَيَّيْنِ في النار.

واستدلّوا على ذلك بقول يوحنّا اللاهوتي: «فَقُبِضَ عَلَى الْوَحْشِ وَالنَّبِيِّ الْكَذَّابِ مَعَهُ، الصَّانِعُ قُدَّامَهُ الآيَاتِ الَّتِي بِهَا أَضَلَّ الَّذِينَ قَبِلُوا سِمَةَ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ سَجَدُوا لِصُورَتِهِ. وَطُرِحَ الاِثْنَانِ حَيَّيْنِ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ بِالْكِبْرِيتِ»[2].

٢- سيقتل جميع الجيوش المجتمعة معهما بالسيف[3].

واستدلّوا على هذه العقوبة بقول يوحنّا اللاهوتي: «وَالْبَاقُونَ قُتِلُوا بِسَيْفِ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ، وَجَمِيعُ الطُّيُورِ شَبِعَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ»[4].

المسألة الثانية: القبض على الشيطان وتقييده وسجنه لألف سنة:

يعتقد بعض النصارى أنّ الرب سيأمر بالقبض على الشيطان وتقييده، وسجنه في الهاوية[5]

---

(١) انظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٨٥-٨٨، ورؤية في سفر الرؤية: ٢٣٥، وشرح سفر الرؤيا، ناشد حنّا: ٢٩٣، ٢٩٤، وقريب على الأبواب: ٥٩، ٦٠، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١١٣، ١١٤.

(٢) سفر الرؤيا: ١٩/ ٢٠.

(٣) ذهب بعض النصارى إلى أنّ الهلاك لن يقتصر على الوحش والنبيّ الكذّاب وجنودهما بل سيشمل أتباعهما المدنيّين حيث يُقضى عليهم وهم في بلادهم.انظر: ما لا بد أن يصير: ١١٤، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ١٤٣.

(٤) سفر الرؤيا: ١٩/ ٢١.

(٥) هي حفرة عميقة بلا قرار. انظر: أين مقر الأرواح؟، صموئيل مشرقي: ٢٨-٣٠، ١٣٤، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٩٣، ٩٤.

لمدة ألف سنة؛ حتى يصفو الملك الألفي من كل تعكير وتكدير[1].

واستدلّوا على ذلك بقول يوحنّا اللاهوتي: «١وَرَأَيْتُ مَلاَكاً نَازِلاً مِنَ السَّمَاءِ مَعَهُ مِفْتَاحُ الْهَاوِيَةِ، وَسِلْسِلَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى يَدِهِ. ٢فَقَبَضَ عَلَى التِّنِّينِ، الْحَيَّةِ الْقَدِيمَةِ، الَّذِي هُوَ إِبْلِيسُ وَالشَّيْطَانُ، وَقَيَّدَهُ أَلْفَ سَنَةٍ، ٣وَطَرَحَهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ لِكَيْ لاَ يُضِلَّ الأُمَمَ فِي مَا بَعْدُ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ»[2].

وذكروا أنّ سبب اختلاف عقوبة الشيطان عن عقوبة الوحش والدجال، هو أنّ الشيطان سيتم إطلاقه بعد انتهاء الملك الألفي، ليستكمل دوره الإفسادي[3]، وبعد ذلك يُطرح في بحيرة النار مع صاحبيه[4].

المسألة الثالثة: القضاء على ملك الشمال:

ذكر بعض النصارى أنّ ملك الشمال يسمع أثناء تواجده بمصر أنّ القوات الغربية قد وصلت إلى فلسطين، فتُفزعه هذه الأخبار، ويخرج مباشرةً لمقاتلتهم واستعادة القدس[5]، واستندوا في ذلك إلى ما جاء في سفر دانيال: «وَتُفْزِعُهُ أَخْبَارٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنَ الشِّمَالِ فَيَخْرُجُ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ لِيُخْرِبَ وَلِيُحَرِّمَ كَثِيرِينَ»[6].

قالوا: فإذا وصل إلى أورشليم فإنّه لن يجد القوات الغربية؛ لأنّها قد زالت بالقضاء الذي أوقعه الرب عليها، ولكنّه سيجد الربّ أمامه، فيواجهه في الأرض ويقف ضده في المعركة، ولكنّه سيرتاع من صوت الرب، ومن ثمّ يلقيه الرب مباشرةً -وبدون مقاومةٍ- في بحيرة النار مع أعدائه

(١) انظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٩٢-٩٥، ورؤية في سفر الرؤية: ٢٣٥-٢٣٨، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آيةً آيةً: ٢٩٥-٢٩٧، وقريب على الأبواب: ٦٣.

(٢) سفر الرؤيا: ٢٠/ ١-٣.

(٣) سيأتي الحديث عنه في: ص ٣٩٥ من الرسالة.

(٤) انظر: خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٩٤، ٩٥، وشرح سفر الرؤيا مفصلاً آيةً آيةً: ٢٩٥.

(٥) انظر: الأحداث النبوية: ٧٧، وسفر دانيال مفصلاً آيةً آيةً: ٢٠١، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٢١.

(٦) ١١/ ٤٤.

الغربيين والنبي الكذّاب[1].

واستدلّوا على ذلك بما جاء في سفر إشعياء: «٣١لأَنَّهُ مِنْ صَوْتِ الرَّبِّ يَرْتَاعُ أَشُّورُ. بِالْقَضِيبِ يَضْرِبُ. ٣٢وَيَكُونُ كُلُّ مُرُورِ عَصَا الْقَضَاءِ الَّتِي يُنْزِلُهَا الرَّبُّ عَلَيْهِ بِالدُّفُوفِ وَالْعِيدَانِ. وَبِحُرُوبٍ ثَائِرَةٍ يُحَارِبُهُ. ٣٣لأَنَّ «تُفْتَةَ»[2] مُرَتَّبَةٌ مُنْذُ الأَمْسِ مُهَيَّأَةٌ هِيَ أَيْضاً لِلْمَلِكِ عَمِيقَةٌ وَاسِعَةٌ كُومَتُهَا نَارٌ وَحَطَبٌ بِكَثْرَةٍ. نَفْخَةُ الرَّبِّ كَنَهْرِ كِبْرِيتٍ تُوقِدُهَا»[3].

- **الفرع الثاني: إيمان اليهود بالمسيح وجمعه للمنفيين منهم.**

يعتقد بعض النصارى أنّ اليهود إذا عاينوا صنيع «المسيح» بأعدائه، فإنّهم سيؤمنون بأنه ربهم، مستدلّين على ذلك بتوبيخ المسيح لليهود، كما في إنجيل متّى: «٣٧يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. ٣٨هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً! ٣٩لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي مِنَ الآنَ حَتَّى تَقُولُوا: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»[4].

قالوا: فإذا آمن اليهود بالمسيح، فإنّه يجمعهم من شتّى بقاع الأرض التي تشتتوا فيها، ويعقد معهم عهداً يكونون بموجبه شعباً وفيّاً للرب، ويكون لهم ربّاً صفوحاً[5].

---

(١) انظر: سفر زكريا: ١٤/ ٣، وسفر دانيال: ٨/ ٢٥، والأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ١١٧، والأحداث النبوية: ٧٧، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٢١.

(٢) تفتة أو توفة: مكان في وادي هنوم، على السفح الشرقي لجبل صهيون. انظر: تفسير كلمات الكتاب المقدس: ٣٣٥، ودائرة المعارف الكتابية، مادة: «تفتة»، وقاموس الكتاب المقدس: ٢٢٦.

(٣) ٣٠/ ٣١-٣٣، وانظر: ١٤/ ٢٤، ٢٥، وسفر يوئيل: ٢/ ٢٠.

(٤) ٢٣/ ٣٧-٣٩.

(٥) انظر: إنجيل متّى: ٢٤/ ٣١، والرسالة إلى العبرانيين: ٨/ ٨-١٢، والأحداث النبوية: ٧٨-٨٣، وبعد الاختطاف: ١٥٤، ١٥٥، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١٢٤.

وأتباعه، وكلّ من لا يؤمن به عند نزوله[1].

ولكنّ النصارى بسبب التحريف الذي طرأ على كتبهم؛ أدخلوا على أصل الفكرة الثابتة، تفصيلات وتصورات باطلة، أظلم معها الأصل الثابت حتى تلاشى أو كاد.

ولذلك لا يجدُ المسلمُ حرجاً في أن يقول: إنّ **ملحمة «هَرْمَجَدُّون» بالصيغة التي يوردها المؤمنون بها من النصارى، ملحمة مختلقة وباطلة[2]؛ للأسباب الآتية:**

١- أنّها بُنيت على أساس إثبات ربوبية المسيح، وتصرّفه في الكون بوصفه رب الأرباب!، وهذا باطل.

٢- أنّها بنيت على أساس تمجيد الأمة اليهودية المغضوب عليها، والإساءة إلى الأمة الإسلامية المرضيّ عنها، وهذا باطل.

٣- مخالفة سياقها وأكثر أحداثها لما ثبت عن رسول الله ﷺ فيما يختص بملاحم آخر الزمان.

وبناءً على ما سبق ذكره؛ فقد ظهر خطأ من قال: إنّ «هَرْمَجَدُّون» هي الملحمة الكبرى التي وردت في السنة النبوية، أو إنّها المعركة التي يتحالف فيها الروم مع المسلمين لقتال عدو آخر،

(١) وقريباً من هذا التصور الإسلامي -مع بعض التحريفات- ما ورد عن «لاكتانيتوس» في القرن الرابع الميلادي حيث اعتقد بأنّ «الرجل المجنون «المسيح الدجال» سيقود وهو يغلي بغضب حقود جيشاً، ويُحاصر الجبل الذي لجأ إليه الصالحون، وعندما يرون أنّهم قد حُوصروا سيصيحون بصوت مرتفع طلباً لمعونة الربّ، وسيسمعهم الربّ، وسيرسل لهم محرراً، ثم تنفتح السماء بعاصفة ويهبط المسيح بقوّة عظيمة...» السعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ٢٧، وهذا الذي ذكر عن «لاكتانيتوس» يختلف تماماً عن التصور النصراني المعاصر لأحداث المسيح الدجال، مما يدل على عِظم التحريف الذي طرأ على تصوراتهم لأحداث آخر الزمان.

(٢) انظر: الأصولية الإنجيلية، الهذلول: ١٣٧.

أو إنّها معركة تبوك[1]، فضلاً عن أن يتم إطلاق اسمها على ملاحم المسلمين[2]، والله تعالى أعلم.

الأمر الثاني: علاقة هرمجدّون بأيادي المكر اليهودية:

لقد اتضح من خلال عرض ملحمة «هَرْمَجَدُّون»، أنّها - بمجمل تفصيلاتها التي يعتقدها المؤمنون بها- إحدى حلقات المكر اليهودي، الذي استطاع أن ينفذ إلى أعماق النصرانية، فيغذّيها بالعقائد والتصورات اليهودية؛ ليقودها باختيارها وإرادتها نحو تحقيق مصالح اليهود ومطامعهم.

وبيان ذلك من عدّة أوجه:

الوجه الأول: أنّ اليهود رغم كونهم أشدّ أعداء المسيح؛ فهم الذين سعوا في صلبه، بل تورّطوا فيه -كما يعتقد النصارى-، إلا أنّ المسيح رغم كلّ ذلك، ينزل من السماء، ولا همّ له -حسب اعتقادهم- إلا نصرة شعب إسرائيل، وجمع المنفيين منهم، وإكرامهم، والانتقام من أعدائهم المسلمين وغيرهم![3]، مما يؤكّد صلة الأيدي اليهودية برسم صورة هذه الملحمة.

الوجه الثاني: أنّها تعكس صورةً دمويةً للمسيح عليه السلام، فهو يرتقب اللحظة التي ينزل فيها للأرض ليغرقها بالدماء والأشلاء، انتقاماً لبني إسرائيل، وهذا يُشبه إلى حدٍّ كبير صورة المسيح اليهودي المنتظر، الذي يستأصل خضراء غير اليهود، مما يدلُّ على تسرّب صورة المسيح اليهودي، للمسيح النصراني.

الوجه الثالث: إظهارها أنّ المسيح -ومن ورائه النصارى- واليهود في خندقٍ واحدٍ، معادٍ

(1) انظر: أسطورة هَرْمَجَدُّون: ٣٧٥، والبداية والنهاية لأمة بني إسرائيل: ١٦، والمسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى: ١٨٥، ومعركة الخلاص: ٧، ٨، ومعركة هَرْمَجَدُّون ونزول عيسى والمهدي المنتظر: ١٨، ٩٩، ومنّة المنعم في شرح صحيح مسلم: ٤/ ٣٥١، ونهاية إسرائيل المعاصرة ويوم الرب العظيم: ١٤.

(2) انظر: خروج يأجوج ومأجوج وزوال إسرائيل: ١٤٧، ١٤٨، والفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة: ٣٢٩، ومعركة النهاية هَرْمَجَدُّون: ٤، ٣٨، والمؤامرة الكبرى على بلاد الشام: ٣٣، وهدم الأقصى وهزيمة أمريكا وزوال إسرائيل: ١٦٠، وهلاك ودمار أمريكا المنتظر: ١٤٧، ويأجوج ومأجوج قادمون: ١٣٨.

(3) انظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة: ١٢٢.

للخندق الآخر، الذي يضمُّ المسلمين وغيرهم، وكُلٌّ من الفريقين يتربص بالآخر الدوائر، مما جعل بعض الباحثين، يؤكدون أنّ هَرْمَجَدُّون النووية ما هي إلا مكيدة يهودية شيطانية، تهدف إلى فناء النصرانية بتوريطها في حربٍ شاملةٍ مع العرب وسائر المسلمين(1).

الوجه الرابع: انتهاء «هَرْمَجَدُّون» بمستقبلٍ مشرقٍ واعدٍ لليهود وهو -بلاريب- خلاف الحقيقة، فإنّ المسيح ﷺ إذا نزل، سينتقم من اليهود ومسيحهم الدجال.

وأما عن أسباب انجذاب طوائف من **البروتستانت إلى العقائد اليهودية، وما من شأنه أن يصب في مصلحة اليهود -كالاعتقاد** بوقوع هَرْمَجَدُّون النووية، والربط بينهما وبين مجيء المسيح ﷺ، وأنّ الله مخططاً أرضياً لإسرائيل، وسماوياً للهَرْمَجَدُّونيين- فيمكن اختصارها في سببين:

السبب الأول: قوة تأثير اليهود في الفرقة البروتستانتية:

يُذكر أنّ الفرقة البروتستانتية نشأت على إثر حركة الإصلاح التي قام بها «مارتن لوثر» في القرن السادس عشر الميلادي، بهدف إصلاح أوضاع الكنيسة الكاثوليكية التي استبدّت بفهم الكتاب المقدس، وتسلّطت على ملوك النصارى وعامّتهم.

وذهب بعض باحثي النصارى وغيرهم إلى أنّ **اليهود لهم دور مباشر في صناعة البروتستانتية**، أو أنّهم -على الأقل- اخترقوها وأثّروا في توجهاتها منذ بدايات حركة الإصلاح، حيث كان لأصدقاء «مارتن لوثر» اليهود دور في توجيهه نحو التمرد على الكنيسة، ثم ما كان بعد ذلك من تشكّل البروتستانتية في شكلها النهائي على يد «جون كالفن»، وهو -فيما ذُكر- أحد اليهود الذين أُمروا باختراق البروتستانتية.

وقد أسهم -في القرن التاسع عشر- البروتستانتي **«جون نلسون داربي»**(2) في تسريب

---

(1) انظر: المرجع السابق: ١٢٢، وبلاد الشام أرض الأنبياء والملاحم: ٣٥٨، وهَرْمَجَدُّون، النجيري: ٨-١٣.

(2) إيرلندي عاش في القرن التاسع عشر «١٨٠٠-١٨٨٢م»، وتعلّم في كلية «ترينتي» في «دبلن»، وكان في وقت ما قسيساً في كنيسة انكلترا، ثم طرد منها، وهو مؤسس حركة «إخوان بليموث». انظر: المسيحية والتوراة: ٢٧٤، ومن أجل صهيون: ٣٠١، والنبوءة والسياسة: ١٩.

بعض الاعتقادات اليهودية إلى البروتستانت، حيث قال: إنّ اليهود هم شعب الله المختار، وإنّ الله يحب من يحسن إليهم، ويعاقب من يسيء إليهم، وإنّ ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة، وإنّ الإيمان النصراني بعودة المسيح مرتبط بعودة دولة صهيون، وإنّ العالم سيشهد معركة «هَرْمَجَدُّون».

وقد وجدت هذه الأفكار التي دعا إليها «داربي» قبولاً لدى «جايمس بروكس»[(١)]، ومنه انتقلت إلى «سايروس إنجيرزون سكوفيلد»[(٢)]، الذي عقد مع بداية عام ١٨٧٥م عدّة مؤتمرات حول النبوءة في الكتاب المقدس، وقام بدعم هذه الأفكار الصهيونية بملحوظات تفسيرية ألحقها إلى جانب النص الإنجيلي، وعُرف إنجيله بالإنجيل المرجع، وبإنجيل «سكوفيلد».

وحين بدأت هذه الأفكار الصهيونية في الانتشار لم يتقبلها جميع البروتستانت فأحدثت بينهم انقساماً كبيراً، ولكنّها مع الوقت ذاعت وانتشرت، ولاسيما في العصر الحاضر، حيث إنّ **١٥٪ من القسس البروتستانت الذين يقومون بالوعظ في الكنائس الأمريكية أيام الأحد، وفي الأعياد النصرانية، هم من اليهود المتنصرين!.**

وهم يؤكدون باستمرار أنّ عودة اليهود إلى فلسطين مقدّمةً ضرورية لمجيء المسيح، مما أدّى إلى أن يعتقد ملايين النصارى بأهميّة عودة اليهود إلى فلسطين[(٣)].

---

(١) راعي كنيستين كبيرتين في «سانت لويس» بولاية «ميزوري» بالولايات المتحدة الأمريكية، وهو الذي نشر أولى كبريات الدوريات الأصولية الأمريكية «الحقيقة من أجل المسيح» توفي في عام ١٨٩٧م. انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ٩٣، والنبوءة والسياسة: ١٩.

(٢) بروتستانتي أمريكي ولد عام ١٨٤٣م، لاحقته الفضائح من سني عمره الأولى، وكونت شخصيته العنيدة، كان مدمناً للكحول، اتهم بالاختلاس، وسجن في مدينة سانت لويس عام ١٨٧٩م بتهمة التزوير، وفي السجن حدث تحوله الديني متأثراً بجايمس بروكس، أحد تلامذة داربي، صدر إنجيله المرجعي عام ١٩٠٩م، وتوفي سنة ١٩٢١م. انظر: المسيحية الصهيونية: ٥٨ «الحاشية»، ويد الله: ٥٥.

(٣) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٣، ١٤، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ١٨٨، ١٨٩، والمتدينون اليهود في فلسطين: ١٤٥، ومجلّة دراسات استراتيجية العددين: ٦، ٧، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م، ص٢٢٠-٢٣٢، والمسيح اليهودي: ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٩٣، ٩٤، ١١١، ٢٧٤، والمسيحية والتوراة: ٦٥، ومن أجل صهيون: ٣٠٠، ٣٠١، والنبوءة والسياسة: ١٩، ٢٠، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ويد الله: ٤٩-٥٥.

وبعد هذا البيان الموجز لعلاقة اليهود بالفرقة البروتستانتية، فقد ظهر:

١- أنّ الاعتقاد بهَرْمَجَدُّون ونحوها، اعتقاد دخيلٌ على النصارى، حيث نشأ في القرن التاسع عشر على يد «جون نلسون داربي» ورفاقه، ويلزم منه أنّ النصارى عاشوا قرابة تسعة عشر قرناً وهم لا يعلمون شيئاً عن هذه العقائد المُحدثة!![١].

٢- أنّ الاعتقاد بهَرْمَجَدُّون بُني على أساس الرفع من شأن اليهود «أعداء المسيح»، بجعلهم حجر الزاوية في تحقيق الخلاص النصراني!.

السبب الثاني: غلو كثير من البروتستانت في العهد القديم:

لقد أدّى غلو كثير من البروتستانت في العهد القديم إلى أن يستحوذ اليهود على جزء كبير من اهتمام الأصولية الإنجيلية البروتستانتية.

قالت «باربارا توخمان»: «كلما عاد المسيحيون إلى العهد القديم، وجدوا أنّه يبشر بعودة شعبه «اليهود» إلى أورشليم، وشعروا أنّ عليهم واجب المساعدة في تحقيق هذه البشارة»[٢].

وبسبب غلو كثيرٍ من البروتستانت في العهد القديم، وربطهم بينه وبين العهد الجديد، فقد تمكّن بعض اليهود من توظيف الملاحم النصرانية في تحقيق الأحلام الصهيونية السياسية، من غير أن ينال اليهود أذىً يذكر[٣].

(١) انظر: يد الله: ٥١-٥٣.

(٢) الكتاب المقدس والسيف: ٢/ ٤٥.

(٣) انظر: القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ٢٦، ٢٧.

المبحث الثالث: الملك الألفي وملحمة جوج وماجوج

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيـــــــد:

يعتقد بعض النصارى بأنّ قضاء المسيح على أعدائه في «هَرْمَجَدُّون» يعني خلو الأرض من الأشرار، وخلوصها للأتقياء، الذين آمنوا بالرب في زمن الضيق، وبذلك يخضع العالم كلّه لحكم الرب، الذي يستمر مدّة ألف سنةٍ.

وبعد الألف سنة سيطلق الشيطان ليضلّ الأمم وخصوصاً «جوج وماجوج» ويهيّئهم لهجومٍ جديدٍ على أورشليم عاصمة مملكة المسيح، حيث يلقون حتفهم، لتبدأ دينونة الأموات، والنعيم المقيم لحزب المسيح وقدّيسيه.

وفي المطالب الثلاثة الآتية سيتم البحث في:

١ - الملك الألفي عند النصارى.

٢ - ملحمة «جوج وماجوج» الختامية.

٣ - عرض التصور الصحيح لخروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان.

المطلب الأول: الملك الألفي عند النصارى:

يختلف النصارى حول الإيمان بالملك الألفي إثباتاً ونفياً، والذين آمنوا به مختلفون في حقيقته من جهة كونه رمزياً أو حرفياً حقيقيّاً[(١)].

وطالما أنّ هذا البحث يركّز بالدرجة الأولى على القائلين: إنّ الملاحم ستقعُ وقوعاً حقيقيّاً ماديّاً، فسيكون الحديث عن الملك الألفي وفق ما يعتقده هؤلاء، وهم من حيث الجملة يعتقدون: **أنّ المسيح سيملك مع أتباعه العالم بأرضه وسمائه، لمدّة ألف سنةٍ، يسود فيها الأمنُ والإيمانُ وسعةُ العيش الأرضَ قاطبةً**[(٢)].

واستدلّوا على هذا الملك الألفي الحقيقي، بقول يوحنّا اللاهوتي: «وَرَأَيْتُ عُرُوشاً فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْماً. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ الله. وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ، فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ»[(٣)].

قال «جيرى دارت»: «بمجرّد أن يتوج يسوع ملكاً، فإنّ مملكته سوف تستمر لمدة ألف سنة، وبعدها سيملك مع الله الآب طول الأبدية»[(٤)].

ويعتقد بعض هؤلاء أنّ المخطوفين وشهداء زمن الضيق سيشاركون المسيح في حكمه للأرض من مكان تواجدهم في مدينة أورشليم السماوية، وأمّا الذين آمنوا في زمن الضيق من

(١) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٨٨-٢١٠، وبعد الاختطاف: ١٦٠، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ٩٩-١١٥، وصعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا: ١٤٩-١٥١، وكيف نفهم علم اللاهوت؟: ١/ ٥١٦، ٣/ ٨٣، والمجيء الثاني للمسيح: ٢٠٩-٢١٢، والمجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟: ١٦٣، ١٦٤، والملك الألفي: ١٢، ٥٠-٥٥، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧٠٩، ٧١٠.

(٢) انظر: بعد الاختطاف: ١٦٠، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٠٧-١١٥، وشرح سفر الرؤيا: ٣٠٠، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧٠٩، ٧١٠، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ١٧، ٤٥.

(٣) سفر الرؤيا: ٢٠/ ٤.

(٤) بعد الاختطاف: ٢٨، وانظر: ١٦٠، وملكوت السموات وملكوت الأرض، رشاد فكري: ٧٩، ٨٠.

اليهود وغيرهم ولم يُستشهدوا فسيكون ملكهم الألفي في الأرض(1).

وأمّا سمات الملك الألفي وصفاته، فيقتبسونها -في الأغلب- من نبوءات العهد القديم، ويرون أنّها ستتحقق وفق ظواهرها عندما يملك المسيح(2)، **ولتجنّب التكرار** فيمكن الرجوع إلى ما تقدّم ذكره في سمات الملك الألفي عند اليهود(3).

المطلب الثاني: ملحمة جوج وماجوج:

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

- **التمهيـــد:**

أشار سفر الرؤيا بشكلٍ مختصر إلى إطلاق الشيطان بعد انتهاء الملك الألفي ليستعيد دوره الإفسادي في الأرض، وجاء فيه أنّه سينجح في جمع «جوج وماجوج» وتحريكهم بقصد محاربة المسيح في مملكته الأرضية(4).

والنصارى -كعادتهم- مختلفون حول المراد بجوج وماجوج الذين ورد الحديث عنهم في سفر الرؤيا، كما إنّهم مختلفون أيضاً فيما إذا كان لجوج وماجوج العهد الجديد علاقة بجوج وماجوج العهد القديم أم لا.

وفي الفروع الثلاثة الآتية، سيتمُّ الحديث عن موقف النصارى من تحديد المراد بجوج وماجوج، وما ورد بشأنهم في العهد الجديد:

---

(1) انظر: المزامير: ٢/٦، وسفر زكريا: ١٤/٩، وإنجيل يوحنّا: ١٧/٢٤، والأحداث النبوية: ٩٢، وبعد الاختطاف: ١٦٠، ١٦١، ورؤية في سفر الرؤيا: ٢٤٠، ٢٤١، وشرح سفر إشعياء، ناشد حنا: ٤٥، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٤٩، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧١٠.

(2) انظر: تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر: ٣٩٣-٤٠٢، والأحداث النبوية: ٩١-١١٨، وبعد الاختطاف: ١٦٠-١٦٧، وما لابد أن يصير بعد هذا: ١٤٨-١٦٨.

(3) انظر: ص ٣٣٥-٣٤٥ من الرسالة.

(4) انظر: ٢٠/٧-١٠.

ـ الفرع الأول: اختلاف النصارى في المراد بجوج وماجوج:

اختلف النصارى حول المراد بجوج وماجوج الوارد ذكرهم في سفر الرؤيا إلى عدّة أقوالٍ، أهمّها:

القول الأول: إنّهم الذين ولدوا في الملك الألفي، فأذعنوا صوريّاً للمسيح ولم يباشر الإيمان قلوبهم[1].

القول الثاني: إنّهم كلّ قوى الشر التي تتجمع وتتحد من زوايا الأرض الأربع لمحاربة المسيح[2].

القول الثالث: إنّهم دولة روسيا[3].

القول الرابع: إنّ «جوج» ملك روسيا، و«ماجوج» ملك تركيا والصين وإيران[4].

القول الخامس: إنّهم مسلمو الجمهوريات الإسلامية التي استقلّت عن الاتحاد السوفيتي السابق، وظهر هذا القول بعد سقوط الشيوعية وتفتّت الاتحاد السوفيتي[5].

القول السادس: إنّهم رمزٌ لأعداء الكنيسة في كلّ زمانٍ ومكانٍ[6].

القول السابع: إنّهم أمةٌ موجودة في نواحي بلاد التتر، لا يصل إليهم أحد بما في ذلك الدجال الذي يطوف الأرض كلّها، وسيكون خروجهم بعد القضاء على المسيح الدجال، وقبل يوم القيامة[7].

---

(١) انظر: الأحداث النبوية: ١١٩، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٢٤، وقريب على الأبواب: ٨٦، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٦٩، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧١٥.

(٢) انظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ٢٧٩٥، والكنز الجليل في تفسير الإنجيل: ٨/ ٥٢٠.

(٣) انظر: يد الله: ٣١.

(٤) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٩٢.

(٥) انظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام: ٣٠، والصهيونية المسيحية: ٨٣ «الحاشية».

(٦) انظر: دراسات تفسيرية في سفر الرؤيا: ١٢٦.

(٧) انظر: تفسير سفر الرؤيا، ابن كاتب قيصر: ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣١٤-٣١٥، ٤٠٣.

وهذا القول الأخير هو قول «ابن كاتب قيصر» وهو متوافق مع التصور الإسلامي ليأجوج ومأجوج، إلا أنّ الغريب في الأمر هو أنّ هذا القول لا ذكر له عند أكثر النصارى المعاصرين!، مما يؤكّد كثرة التحريف الذي وقع في كتبهم وتصوّراتهم لأحداث آخر الزمان وغيرها.

كما يلاحظ من خلال الأقوال السابقة حضور المصالح السياسية والدينية في تفسير بعض النصارى للمراد بجوج وماجوج، من خلال عَدِّهم إيّاهم من الأمم المشاهدة الآن!، فهم تارةً الروس، وتارةً تركيا والصين وإيران، وتارةً مسلمو الجمهوريات الإسلامية.

وأمّا عن أقوال النصارى حول علاقة جوج وماجوج العهد الجديد بجوج وماجوج العهد القديم!، فيمكن اختصارها في قولين:

القول الأول: إنّ «جوج وما جوج» الوارد ذكرهم في العهدين شيءٌ واحد[1].

القول الثاني: إنّ «جوج وما جوج» في العهد القديم يختلف عن «جوج وما جوج» في العهد الجديد!، فالأول رئيس، والثاني أمّة[2].

ـ الفرع الثاني: إطلاق الشيطان من الهاوية، وإضلاله لجوج وماجوج:

يعتقد بعض النصارى أنّ الرب سيُجري بعد الملك الألفي اختباراً سريعاً للبشرية، ليحدد كلّ إنسان موقفه من الله، فيَحُلُّ الشيطانَ من سجنه زمناً يسيراً[3]؛ ليُضلّ الأمم، ولاسيّما الذين كانوا يتظاهرون بالطاعة في فترة الملك الألفي، فيجمع «جوج وماجوج» لخوض حربٍ ضدّ

---

(١) انظر: الاختراق الصهيوني للمسيحية: ١٩٢، ويد الله: ٣١.

(٢) انظر: أشهر النبوات: ٦٦، ٦٧، وما لا بد أن يصير: ١٢٧، ١٧١.

(٣) جاء في موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: احتمال أنّ المسيح الدجال يظهر عند إطلاق الشيطان من سجنه، انظر: ٦/ ١٤٠، وهذا مخالف لما تبيّن من خلال العرض السابق -المستند إلى سفر الرؤيا-، والذي ظهر منه أنّ الدجال سيُقضى عليه قبل القبض على الشيطان، ومن ثمّ فإنّ الدجال لا وجود له عند إطلاق الشيطان لإضلال الناس.

المسيح وأتباعه، موهماً إيّاهم أنّ لهم الأمن والانتصار[1].

واستدلّوا على ذلك بما جاء في سفر الرؤيا: «٧ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، ٨وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ»[2].

فيأتون بأعدادٍ كثيرة، قد جاء وصفها في سفر الرؤيا بأنّها: «مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ»[3]، فيصعدون على عرض الأرض، قاصدين مدينة القدس، فيأتونها فيجدون القديسين معتصمين بها، فيحاصرونهم فيها، قال يوحّنا اللاهوتي: «فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ»[4].

ـ الفرع الثالث: القضاء على جوج وماجوج، والشيطان:

ذكر بعض النصارى أنّ الرب إذا رأى هذه الجموع المهولة قد جاءت من كل مكان، وحاصرت مدينته المحبوبة، فإنّه سيقضي عليهم بنارٍ تنزل من السماء فتأكلهم واستندوا في ذلك إلى ما جاء في سفر الرؤيا: «فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ»[5].

قالوا: وهذا مصيرهم المبدئي، وأما القضاء النهائي عليهم فسيكون بعد محاسبة الرب للأموات، حيث يدانون حسب أعمالهم.

وأما الشيطان الذي أضلّهم وحرّكهم لحرب القديسين؛ فإنه -حسب اعتقادهم- سيُقضى عليه القضاء التامّ، بأن يُطرح في بحيرة النار، مع الوحش والمسيح الدجال، ليخلد معهم أبد

(١) انظر: الإنسان والحالة الأبدية، ف. و. جرانت: ١٨٥، وبعد الاختطاف: ١٨١، ورؤية في سفر الرؤيا، إبراهيم صبري: ٢٣٨، والكنز الجليل في تفسير الإنجيل: ٨/ ٥٢٠، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ٩٨.

(٢) ٢٠/ ٧، ٨.

(٣) ٢٠/ ٨.

(٤) سفر الرؤيا: ٢٠/ ٩.

(٥) ٢٠/ ٩.

الآبدين، واستدلّوا على ذلك بما جاء في سفر الرؤيا: «وَإِبْلِيسُ الَّذِي كَانَ يُضِلُّهُمْ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ وَالْكِبْرِيتِ، حَيْثُ الْوَحْشُ وَالنَّبِيُّ الْكَذَّابُ. وَسَيُعَذَّبُونَ نَهَاراً وَلَيْلاً إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ»(١).

قالوا: وبالقضاء على «جوج وماجوج» والشيطان، تكون صفحة الحروب قد طويت إلى الأبد، حيث ينزل عرش الربّ من السماء إلى الأرض لدينونة الأموات ومحاسبتهم، فمنهم من يصير إلى النعيم المقيم، ومنهم من يُطرح في بحيرة النار(٢).

وبهذا تم استيفاء الحديث حول ملحمة «جوج وماجوج» عند المؤمنين بها من النصارى، وحيث إن التصورين اليهوديّ والنصرانيّ قد تضمّنا الكثير من الخلط فيما يتعلق بيأجوج ومأجوج، فقد ناسب أن يتم إفراد مطلب مستقلٍّ في بيان التصور الصحيح لهذا الحدث الجلل، ليتضح منه ما أصاب فيه القوم وما أخطأوا.

---

(١) ٢٠/ ١٠.

(٢) انظر: سفر الرؤيا: ٢٠/ ١١-١٥، والأحداث النبوية: ١١٩-١٢٣، وبعد الاختطاف: ١٥٧، ١٥٨، ١٨٢-١٨٩، وخطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٢٦، ورؤية في سفر الرؤيا: ٢٤١-٢٤٦، وشرح سفر الرؤيا: ٣٠٤-٣٠٩، وقريب على الأبواب: ٨٧-٩٧، وما لا بد أن يصير بعد هذا: ١٧٢-٢٠١، والمجيء الثاني، براين جيه: ١١٠-١١٢، وموسوعة الحقائق الكتابية: ٧١٦-٧١٨.

المطلب الثالث: التصور الصحيح ليأجوج ومأجوج وخروجهم في آخر الزمان:

تقدمت الإشارة إلى طرفٍ من خبر «يأجوج ومأجوج» عند المسلمين، وأُجِّل ذكر بعض ما صحّ فيهما إلى هذا الموطن؛ لأنّ المسلمين لا يعدّون حادثة يأجوج ومأجوج من ملاحم آخر الزمان، لكون القضاء عليهم قضاءٌ إلهيٌّ بدون قتالٍ من المسلمين، بخلاف أهل الكتاب الذين يعُدُّون القضاء عليهم من جملة الملاحم التي تكون في آخر الزمان[1]، ومن هنا فإنَّ الحديث عنهم في هذا الموضع هو بمثابة **القراءة الإسلامية النقدية التصحيحية لما ورد بشأنهم عند أهل الكتاب**، فما وافقوا فيه الإسلام المحفوظ من التحريف والتبديل، فقد أصابوا فيه، وهو معدود من جملة بقايا ما سلم من تحريفهم لما جاءت به أنبياؤهم، وما خالفوا فيه الإسلام، فهو باطل مردود على من أحدثه، وما ليس في الإسلام إثباته أو نفيه فهو مما يوكل العلم بحقيقته إلى الله تعالى.

ومن جملة الحقّ الذي وافق فيه **بعض أهل الكتاب التصور الإسلامي لـ«يأجوج ومأجوج»** هو:

١- اعتقادهم بظهور «يأجوج ومأجوج» في آخر الزمان[2].

٢- اعتقادهم أنّ هلاكهم سيكون إلهياً، وأنّ حزب الرحمن سيوقدون من أسلحتهم سبع سنين[3].

٣- اعتقاد ابن كاتب قيصر أنّ يأجوج ومأجوج أمّة من الناس، يخرجون بعد قضاء عيسى عليه السلام على المسيح الدجال، وقبل يوم القيامة[4].

٤- اعتقاد ابن كاتب قيصر أنّ الدجال لا يصل إلى «يأجوج ومأجوج» رغم أنّه يطوف الأرض كلّها[5].

---

(١) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ١٠١، والمسيح المخلِّص في المصادر اليهودية والمسيحية: ٥٧، والنصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت: ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٩.

(٢) قال الإمام ابن حزم رحمه الله: «وقد ذكر أمر يأجوج ومأجوج في كتب اليهود التي يؤمنون بها ويؤمن بها النصارى» الفصل في الملل: ١/ ٢٠٦.

(٣) انظر: ص ٢٢٦، ٢٢٧ من الرسالة.

(٤) انظر: ص ٣٩٤ من الرسالة.

(٥) انظر: ص ٣٩٤ من الرسالة.

وأمّا عن التصور الإسلامي الصحيح ليأجوج ومأجوج وخروجهم في آخر الزمان، فيمكن بيانه على وجه الاختصار، فيُقال:

يعتقد المسلمون أنّ «يأجوج ومأجوج» أمّتان مضرّتان، مفسدتان كافرتان[1]، أقام عليهم الملك الصالح «ذو القرنين»[2] سدّاً، حين اشتدّ أذاهم على النّاس[3]، وجاء في القرآن الكريم أنّهم سيتمكّنون من هدم السد في آخر الزمان، لمعاودة الإفساد في الأرض[4]، كما في قول الله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[6].

(١) انظر: ص ٢٦٥ من الرسالة.

(٢) اختلف العلماء في اسم ذي القرنين؟ فقيل: عبدالله بن الضحاك بن معد، وقيل غير ذلك، واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين؟، فقيل: لأنّه ملك ما بين قرني الشمس، شرقاً وغرباً، وقيل غير ذلك، واختلفوا هل كان نبياً؟ أم ملكاً صالحاً؟، والجمهور على أنّه كان ملكاً صالحاً. انظر: جامع البيان: ١٥/ ٣٧٠، ٣٧١، والبداية والنهاية: ٢/٥٣٨، ٥٣٩، وتفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٨٩، وتلخيص كتاب الاستغاثة: ١/ ١٥٦، ١٥٧، وإغاثة اللهفان: ٢/ ٢٦٤، وفتح الباري: ٦/ ٤٤٢، وذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير: ٢٥-٤٥.

(٣) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ سورة الكهف: الآيات (٩٢-٩٧). انظر: جامع البيان: ١٥/ ٣٤٨-٤١١، وتفسير القرآن العظيم: ٥/ ١٩٥، ١٩٦.

(٤) انظر: جامع البيان: ١٦/ ٣٩٧-٤٠٨، ومعالم التنزيل: ٥/ ٢٠١-٢٠٥.

(٥) سورة الكهف: آية (٩٨).

(٦) سورة الأنبياء: الآيتان (٩٦، ٩٧)، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ يأجوج ومأجوج **ليحفرن السد كل يوم**، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد **الله عز وجل** أن يبعثهم إلى الناس، حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله ويستثنى؛ فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس» رواه أحمد في مسنده: ح١٠٦٣٢، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال...: ح٤٠٨٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح٢٢٧٦.

وسيكون خروجهم بعد نزول عيسى ﷺ، وقضائه على المسيح الدجال وأتباعه، فيوحي الله تعالى إلى عيسى ﷺ بخروجهم، وأنّه لا قدرة لأحدٍ على قتالهم ويأمره أن يضُمّ المؤمنين إلى جبل الطور، كما في حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان الكلابي ﷺ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «... ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه -أي من المسيح الدجال- فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يَدَان[1] لأحدٍ بقتالهم فَحَرِّزْ[2] عبادي إلى الطور، ويبعثُ الله يأجوج ومأجوج وهم من كلِّ حدبٍ ينسلون[3]، فيمُرُّ أوائلهم على بحيرة طَبَرِيَّة[4] فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرّةً ماء، ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبلِ الخَمَر[5]، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قَتَلْنا من في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بِنُشَّابِهِمْ[6] إلى السماء فَيَرُدُّ الله عليهم نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً[7] دماً[8]»[9].

وحين يشتدُّ الحصار على عيسى ﷺ وأتباعه، وتبلغ بهم الفاقة والمجاعة مبلغاً عظيماً،

(١) لا يدان: تثنية يد، أي لا قدرة ولا طاقة، يُقال: مالي بهذا الأمر يد ومالي به يدان. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩١.

(٢) أي ضمّهم إلى جبل الطور واجعله لهم حرزاً أي حافظاً لهم من يأجوج ومأجوج. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩١.

(٣) الحدب ما ارتفع وغلظ من الظهر ومن الأرض، أي من كلّ مكانٍ مرتفع ينسلون أي يمشون مسرعين. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٢.

(٤) بحيرة بالأردن من بلاد الشام، وماءها حلو. انظر: معجم البلدان: ٤/ ٢٠.

(٥) جبل الخَمَر وهو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ٧٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٤، ٩٥، ولسان العرب: ٣/ ٢١٥.

(٦) النشابة هي السهام. انظر: لسان العرب: ٨/ ٥٤٩، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٥٠٦.

(٧) أي مصبوغة بمعنى أنّها تلوّنت بلون الدم. انظر: تهذيب اللغة: ١/ ١٠٤٣، ومرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٨٩.

(٨) هذا من مكر الله بهم، واستدراجه لهم. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٨٩.

(٩) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

يدعون الله تعالى أن يُخلّصهم من «يأجوج ومأجوج»؛ فيستجيب لهم.

حيث جاء في تتمة الحديث أنّ رسول الله ﷺ قال: «وَيُحْصَرُ[1] نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ حتى يكون رأس الثور[2] لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب[3] نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ، فيُرسل الله عليهم النَّغَفَ[4] في رقابهم فيُصبحون فرسى[5] كموت نفسٍ واحدةٍ -وفي رواية: فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسّاً فيقولون: من رجلٌ يشري نفسه وينظر ما فعلوا؟ فينزل منهم رجلٌ قد وَطَّنَ نفسه على أن يقتلوه، فيجدهم موتى، فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم، فيخرج الناس وَيَخْلُونَ سبيل مواشيهم، فما يكون لهم رعيٌ إلا لُحُومُهُمْ، فَتَشْكَرُ عليها كأحسن ما شَكِرَتْ من نباتٍ أصابته قطُّ[6]- ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأه زَهَمُهُمْ[7] وَنَتْنُهُمْ، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابُهُ إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق الْبُخْتِ[8] فَتَحْمِلُهُمْ فتطرحُهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدرٍ ولا وبرٍ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة»[9].

---

(١) يُحصر: أي يحبس في جبل الطور. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٨٩، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٥٠٦.

(٢) المقصود أنّ أتباع عيسى ﷺ تبلغ بهم الفاقة والمجاعة والحاجة إلى أن يكون رأس الثور ليأكلوه، خير لأحدهم من مائة دينار لأحد من أصحاب النبي ﷺ، وإنّما ذكر رأس الثور ليقاس البقيّة عليه في القيمة. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ١٧٤، وكشف المشكل: ٤/ ٢٠٦، و تحفة الأحوذي: ٦/ ٥٠٦.

(٣) فيرغب أي يدعو الله. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٨٩.

(٤) قيل في تعريف النغف: إنه دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم، وقيل غير ذلك. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٨٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٢، ولسان العرب: ٨/ ٦٣٤.

(٥) فرسى أي قتلى. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٤٢٨، ولسان العرب: ٧/ ٦١.

(٦) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح٤٠٧٩، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ح٣٣١٠، وقال: «حسن صحيح».

(٧) أي دسمهم وريحهم النتنة الكريهة. انظر: جامع الأصول: ١٠/ ٣٤٧، وصحيح مسلم بشرح النووي: ١٨/ ٩٢.

(٨) البخت: نوع من الإبل، والمقصود: أنّ الله يُرسلُ طيراً أعناقها في الطول والكبر كأعناق الإبل. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٩٠، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٥٠٦.

(٩) تقدم تخريجه: ص ٢٤٠ من حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ.

وبالقضاء عليهم، يُخلِّفون أسلحةً كثيرةً، يستوقد منها المسلمون سبع سنين كما جاء في حديث النَّوَّاسَ بن سَمْعان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيُوقِدُ المسلمون من قِسِيِّ[1] يأجوج ومأجوج وَنُشَّابِهِمْ وَأَتْرِسَتِهِمْ[2] سبع سنين[3]»[4].

هذه خلاصة التصور الإسلامي حول خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان وهي تكشف بصفائها ووضوحها عن مقدار الغموض والتناقض اللَّذين يحيطان بتصورات أهل الكتاب حولهم، ابتداءً من النصوص الكتابية الواردة فيهم -ولا يصح منها إلا جُملٌ يسيرةٌ جدّاً[5]- ثم ما تلى ذلك من كثرة تفسيراتهم الخاطئة للنصوص المحرّفة، وانتهاءً بإنزال بعضهم النصوصَ المحرّفة، والتفسيرات الخاطئة، على بعض الأمم الظاهرة الآن، تسويغاً لإعلان الحرب بكافة أشكالها وصورها على هذه الأمم بحجّة أنّ أهلها هم «يأجوج ومأجوج» الذين تنبأ بعداوتهم وهلاكهم الأنبياء!، كما سيأتي تفصيله في الفصل الآتي.

(١) جمع قوس والضمير ليأجوج ومأجوج. انظر: مرقاة المفاتيح: ٩/ ٣٩١، وتحفة الأحوذي: ٦/ ٥٠٦.

(٢) الترس نوع من السلاح يصنع من الحديد أو الخشب، مستدير الشكل، يضعه الإنسان على صدره وبطنه في الحرب، يتوقى به العدو. انظر: مشارق الأنوار: ١/ ١٥٦، ولسان العرب: ١/ ٦٠٣.

(٣) أي سيتخذون أسلحة يأجوج ومأجوج وقوداً وحطباً للنار. انظر: لسان العرب: ٩/ ٣٦٦.

(٤) رواه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال، ح٢٢٤٠، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، ح٤٠٧٦، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ح٢٢٤٠.

(٥) ومن ذلك ما تقدّمت الإشارة إليه في: ص ٣٩٨ من الرسالة.

الفصل الثالث

الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند أهل الكتاب

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :-

- تمهيد.
- المبحث الأول: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند بعض اليهود.
- المبحث الثاني: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند بعض النصارى.
- المبحث الثالث: توظيف بعض أهل الكتاب نصوصَ الملاحم وآثارها توظيفاً نفعياً.

تمهيـــــد

تُعدُّ «الملاحم» جزءً من مجموعة الأحداث التي يؤمن طوائف من أهل الكتاب بوقوعها في آخر الزمان؛ تمهيداً أو نتيجةً للحدث الرئيس الذي ينتظرونه بشوقٍ بالغٍ وهو مجيء المسيح المنتظر![1].

وهذا الفصل يهدف إلى تلمّس الآثار الفكرية التي أحدثتها أو عزّزتها «ملاحم آخر الزمان» لدى المؤمنين بها من أهل الكتاب، وهذان قيدان مهمّان:

أوّلهما: أنّ البحث سيتركز في آثار «الملاحم» وأمّا ما قد يحفُّ بها مما ليس منها فلن يتمّ التعرّض له إلا بالقدر اللازم لإيضاح مقصود الدراسة.

والثاني: أنّ الفئة التي يجري الحديث حول تأثرها بالملاحم هي بالدرجة الأولى: الطوائف التي آمنت بملاحم آخر الزمان[2].

وفي المباحث الثلاثة الآتية بيان الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند أهل الكتاب، مع تقديم دراسة نقدية لما يقوم به بعض أهل الكتاب، من توظيفهم نصوص الملاحم وآثارها توظيفاً نفعيّاً.

---

(١) انظر: الأصولية الإنجيلية «نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها»، صالح المذلول: ٤٨.

(٢) سبق الحديث في الباب الأول عن الطوائف التي تؤمن بالملاحم. انظر: ص ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩ من الرسالة.

المبحث الأول: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند بعض اليهود

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

التمهيـــــد:

ترتبط «ملاحم آخر الزمان» في أذهان بعض اليهود بالماضي القاسي الذي عاشه الآباء والأجداد، حين كانوا في صراعٍ مستمرٍ مع الأغيار، مما جعلهم يتعرّضون للسبي والشتات والاضطهاد أكثر من مرّة، ومن ثمّ فهم يتطلّعون إلى ظهور المسيح اليهودي المنتظر؛ ليقوم بجمع اليهود، وتجييشهم للانتقام من الأمم التي آذتهم عبر تاريخهم الطويل!.

وقد أدّى هذا الربط اليهودي بين عداوات الماضي وملاحم المستقبل؛ إلى تركّز أهمِّ آثار ملاحم آخر الزمان عند بعض اليهود في ثلاثة أمور، هي:

١- ترسيخ نظرتهم المعادية للأمم الأخرى.

٢- اعتقادهم بحتمية استمرار الصراع بينهم وبين الأمم الأخرى إلى انتهاء الملاحم.

٣- اعتقادهم بانتصارهم على الأمم، والتمكين لهم في الأرض.

وقبل البدء بدراسة هذه الآثار تجدر الإشارة إلى أنّ اليهود الذين يؤمنون بالملاحم، ويتفاعلون معها، يُعَدُّون أقلّيةً صغيرةً، مقارنةً بالغالبيّة العظمى من الجماعات اليهودية المعاصرة التي تمَّتْ علمنتها!.

قال الدكتور عبدالوهّاب المسيري رحمه الله: «من المعروف أنّ الغالبية الساحقة لأعضاء

الجماعات اليهودية تمّ علمنتها. نصف يهود الولايات المتحدة يهود إثنيّون(١) أو ملحدون، أي يهود لا يؤمنون باليهودية كعقيدة وإنّما كمجموعة من العادات الإثنية، ويظلُّ هناك النصف الثاني، وهؤلاء يطلق عليهم عبارة «اليهود المتدينين».

وهنا يجب الإشارة إلى أنّهم يؤمنون بصيغ مخفّفةٍ للغاية من اليهوديّة، فيهوديتهم مثلاً تبيح الشذوذ الجنسي، وهؤلاء في غالبيتهم الساحقة **لا يقرَءُون التلمود ولا يؤمنون به**، أي أنّه لا يقرأ التلمود أو يؤمن به سوى عدد محدود من الأرثوذكس يبلغ ١٠٪ من مجموع «المتدينين» أي ٥٪ من كل يهود الولايات المتحدة»(٢).

وقال أيضاً: «تصاعدت معدّلات التنصّر والاندماج والعلمنة والإلحاد بين اليهود بحيث أصبح اليهود الأرثوذكس «الحاخاميّون»، أي اليهود الذين يمكن اعتبارهم يهوداً بمقاييس دينية يهودية، لا يشكلون سوى نحو ٥ ـ ١٠٪ من يهود العالم. ومما أدى إلى تفاقم الأزمة أنّ اليهود الذين تركوا العقيدة اليهودية أصرّوا على الاستمرار في تسمية أنفسهم يهوداً»(٣).

وأمّا عن المتديّنين داخل الكيان الصهيوني في فلسطين، فهم لا يتجاوزون ٢٠٪ على أحسن الأحوال، وأما غالبيّة اليهود في فلسطين فيصفون أنفسهم بأنهم علمانيون(٤).

قال الباحث اليهودي «يعقوب ملكين»: «لا يوجد تطابق بين التيارات اليهودية والتمسك

(١) الإثنية هي مجموعة الصفات التي تشكّل الهوية اليهودية، وقوله: «يهود إثنيون» أي يهود قد لا يوجد بينهم رباط عرقي أو عقيدة دينية، ولكنّهم يشعرون بأنّ لهم هوية مشتركة، وهؤلاء في العادة لا يؤمنون بأيّ إلهٍ، ولا ينتمون إلى أيّة فرقة دينيّةٍ تقليديّة أو حديثة، ولكنّهم مع ذلك يسمّون أنفسهم يهوداً؛ لأنّهم ولدوا لأمٍّ يهوديّةٍ. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٣/ ٣٨، ٣٩، ٥/ ٣١٨.

(٢) البروتوكولات واليهودية والصهيونية: ٥٢ «باختصار»، وانظر: اليدُ الخفيّة «دراسة في الحركات اليهودية الهدّامة والسرّية»: ١٣٤.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣١٩.

(٤) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ٣٧، ٣٨-٦٤، ٨٩، ٢/ ٨٠، وامبراطورية الشر الجديدة، زلوم: ١٣٥، والدين والسياسة في إسرائيل: ٥٢١، ٥٢٢، والقوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، رشاد الشامي: ١٧، والكتاب المقدس والاستعمار، مايكل بريور: ١٤٠، والمتدينون اليهود في فلسطين: ٦، ٦٨، والنبوءة والسياسة: ١٣٥، ١٤٥.

بأهداب الديانة اليهودية، فمعظم اليهود في عصرنا «ليسوا متدينين» بالمعنى المعهود لهذا المفهوم في الديانة اليهودية: فهم لا يحافظون على الفرائض والصلاة، ولا يترددون على المعبد، ولا يرسلون أبناءهم إلى مدارس دينية، ولا يمتثلون لفتاوى الربانيين، ولا يُصوِّتون لصالح أحزاب دينية»[(١)].

وبعد هذه الإطلالة الموجزة على حجم الفئة اليهودية التي تؤمن بالملاحم، يمكن الانتقال إلى البحث في أهمِّ الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان على المؤمنين بها من اليهود، من خلال المطالب الثلاثة الآتية.

المطلب الأول: ترسيخ نظرتهم المعادية للأمم الأخرى:

يعيش بنو إسرائيل من قديم الزمان، عداوات مستمرة مع الأمم، نتج عن بعضها سبيهم وإزالة مملكتهم، كما حصل في السبي الأول على يد الآشوريين عام ٧٢٢ ق.م، والسبي الثاني على يد نبوخذنصر[(٢)] في سنة ٥٨٧ ق.م[(٣)].

وذكر السموأل بن يحيى المغربي أنّ من أسباب منع الفرس لليهود من الصلاة: «أنّ معظم صلوات هذه الطائفة، دعاء على الأمم بالبوار، وعلى العالم بالخراب، سوى بلادهم التي هي أرض كنعان»[(٤)].

وأسهم «التلمود» في تعزيز هذه العداوة، حيث جاء فيه: «يجب على كلّ يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض، حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم؛ لأنّه يلزم أن يكون لهم السلطة أينما حلّوا، فإن لم يتيسر ذلك لهم، يعتبروا بصفة منفيين وأسارى، وإذا تسلّط غير اليهود على أوطان اليهود، حقّ لهؤلاء أن يندبوا عليها ويقولوا: يا للعار ويا للخراب.

---

(١) اليهودية رؤية في الصراع بين العلمانية والدين: ١٣.

(٢) هذا اسمه وقد عرّبه العرب إلى «بختنصر». انظر: تاريخ الطبري: ١/ ٥٥٨.

(٣) انظر: سفر أخبار الملوك الثاني: ١٨/ ١١، ١٢، وسفر أخبار الأيام الثاني: ٣٦/ ١٤-٢٠، والإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة: ١٢٠.

(٤) بذل المجهود في إفحام اليهود: ١٢٦.

ويستمر ضرب الذلّ والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجانب»[1].

وكان للأدب العبري دور في ترسيخ هذه العداوة في وجدان اليهود، ومن ذلك الأبيات الشعرية التي أشار فيها الشاعر اليهودي: «سليمان بن جبيرول»[2] إلى ألمه لما يقع لأمته من اضطهاد بسبب معاداة الأمم لهم، فكان مما قال في قصيدته التي يخاطب فيها الرب:

«اسمك يتلى علينا فلا تتركنا	لماذا إلى الأبد تنسانا؟
مشججون مقهورون	يعانون المشقة
مسلوبون مجزوزون	بالأقدام يداسون

إلى أن قال:

مذ سنين وهم	يعملون للجزية
إسماعيل كالغضنفر	وعيسو كالصقر
هذا يتركنا وذاك يخطفنا	لماذا إلى الأبد تنسانا؟»[3].

وقد ظهرت عداوة اليهود للأمم في صورٍ متعدّدة، منها: ما سبق من أنّ أكثر صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار.

---

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٧٠، ٧١، وانظر: إسرائيل والتلمود: ٥٧.

(٢) هو رابي سليمان بن جبيرول، واسمه العربي أبو أيوب سليمان بن يحيى، اختلف في سنة ولادته، فقيل: ١٠٢٠م، وقيل ١٠٢٢م، وقيل ولد في مدينة مالقة شمال الأندلس، وقيل بل في قرطبة، وذهب اليهودي موسى بن عزرا إلى أنه قرطبي نشأ في مالقة، وتربى في سرقسطة. انظر: دراسات أندلسية في القصيدة العبرية، توفيق علي توفيق: ١٢.

(٣) نقلاً عن المرجع نفسه: ١٩، ٢٠.

ويُشار إلى أنّ الملاحم ليست السبب المباشر في إنشاء هذه العداوة -القديمة المتجددة[1]-، ولكنّها من جملة أسباب ترسيخها في أذهان بعض اليهود، لاعتقادهم هجوم الأمم عليهم، سواء في «يوم غضب الرب»، أو حين يغزوهم «جوج وماجوج» حسداً لهم بعد توبتهم واجتماع كلمتهم، وتوافر أرزاقهم وتحصين بلادهم.

وقد ظهر ترسيخ الملاحم لعداوة اليهود للأمم في سعي بعض أتباع حركة «جوش إيمونيم»[2] نحو تفجير مسجدي الصخرة والقدس؛ لاعتقادهم أنّ ذلك سيؤدي إلى تحرك مئات الملايين من المسلمين للجهاد في سبيل الله، مما سيُعجّل بحرب «يأجوج ومأجوج» التي ستشعل الإنسانية كلّها في مواجهة أخيرة يكسبها اليهود وتتحول على إثرها الدولة الصهيونية إلى مملكة إسرائيل، تمهيداً لظهور المسيح[3].

---

(١) أنّ تأصّل الروح العدائية في تصور ووجدان اليهود؛ أسهم في تعميق انفصالهم عن الأمم الأخرى، مما أدّى إلى إضعاف انتماء كثير منهم لأيّ مجتمع يعيشون فيه. انظر: السيف الأحمر: ٤٢، وفي طريقي إلى الإسلام: ٦٨، والمتدينون اليهودّ في فلسطين: ١٤٤، وموسوعة اليهود واليهودية: ٥/ ٢٩٤.

(٢) حركة أصولية صهيونية تؤمن بالعنف وتحمل السلاح أسسها شباب غربيون يتصفون بالتجانس والثراء في عام ١٩٦٧م، وقد جمعوا فيها بين الصهيونية والأصولية والقومية والتدين. انظر: الدين والسياسة في إسرائيل: ٤٩١-٥٠٧، والسيف الأحمر: ١٦٥-١٨٩، والمتدينون اليهود في فلسطين:٢١١-٢٢٢، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٧/ ١٥٨، ١٥٩.

(٣) انظر: المتدينون اليهود في فلسطين: ١٤٤، ويوم الله، جيل كيبيل: ١٧٩، ١٨١.

المطلب الثاني: اعتقادهم استمرارَ الصراع بينهم وبين الأمم الأخرى:

تُقرّر ملاحم آخر الزمان في أذهان بعض المؤمنين بها من اليهود حتمية استمرار الصراع بينهم وبين سائر الأمم، إلى أن يتمَّ القضاءُ على جميع أعداء اليهود أو استعبادهم[1].

وقد ظهر هذا المعنى في كتابات التلمود، حيث جاء فيه: «وتعيش اليهود في حرب عوانٍ مع باقي الشعوب منتظرين ذلك اليوم[2]»[3].

وقد كان لهذا الاعتقاد تأثيرٌ على موقف بعض اليهود من جدوى مشاريع السلام مع الآخرين، وخصوصاً أولئك **الذين يعتقدون أنّ الملاحم تسبق مجيء المسيح المنتظر وأنّ السلام لا يكون إلا بعد مجيئه**[4]؛ فهؤلاء قطعوا الأمل في التطلع نحو سلامٍ يجلب الرخاء والطمأنينة، ومن ثم فقد جزم بعضهم بفشل أيّ محاولة تنشد السلام التام مع الأغيار[5].

قال «جورجي كنعان»: «يذهب المتدينون من اليهود الأصوليين إلى أنّ حال الحرب سوف تستمر حتى إحياء «مملكة إسرائيل»، وإعادة بناء الهيكل، ومجيء المسيح، وأنّ السلام لن يأتي، ولا يمكن أن يأتي، إلا باكتمال عملية «الخلاص» التي تنهض بمسؤوليتها إسرائيل في الدرجة الأولى»[6].

ولم يكتف بعضهم برفض السلام، بل عملوا على استدعاء الملاحم، والتعجيل بوقوعها، تمهيداً لظهور المسيح المنتظر، كما سبق ذكره عن بعض أتباع حركة «جوش إيمونيم»، ومحاولتهم

---

(١) انظر: ص ٣٣١-٣٣٣ من الرسالة، والأصولية اليهودية في إسرائيل: ٢/ ٥٦، والشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا: ٤٧.

(٢) أي يوم مجيء المسيح المنتظر، ليحصل لهم النصر والظفر.

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٧١، وانظر: إسرائيل والتلمود: ٥٨.

(٤) انظر: المتدينون اليهود في فلسطين: ٢٣٤، وللوقوف على موقف الأحزاب الإسرائيلية المعاصرة من عملية السلام، انظر: المرجع نفسه: ٥٢، ٥٣، وامبراطورية الشر الجديدة: ١٣٥، والشخصية الإسرائيلية، محمد خليفة حسن: ٩٠-٩٥، ١٠١، ونهاية إسرائيل، صبري أبو المجد: ٣٧.

(٥) انظر: المتدينون اليهود في فلسطين: ١٣٣.

(٦) الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١٣٨، وانظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ١١٠.

تفجير مسجدي الصخرة والقدس؛ رجاء أن تندلع حرب يأجوج ومأجوج التي تمهّد لظهور المسيح[1].

وأمّا من قبل منهم بالسلام فهو عندهم سلامٌ مؤقتٌ، يهدفون منه إلى إعداد أنفسهم لمرحلةٍ قادمةٍ، يتمكنون فيها من إقامة إسرائيل الكبرى، والهيمنة على العالم.

وأمّا **اليهود الذين رأوا أنّ الملاحم لن تبدأ إلا بعد قدوم المسيح المنتظر**، فقد آثروا السلام على الحرب، لأنّهم رأوا في خوض الحرب قبل مجيء المسيح، تعريضَ اليهود للهلكة، ومن ثم فالسلام عندهم **عملية مرحلية** تقتضيها مصلحة اليهود بالدرجة الأولى، وأمّا إذا جاء المسيح المخلّص فإنّ جميع النصوص الموغلة في الوحشية والإبادة، ستكون جاهزة للتطبيق!، وإلى هذا الرأي يميل أتباع حركة «ناطوري كارتا»[2].

(١) انظر: ص ٤٠٩ من الرسالة.

(٢) انظر: القوى الدينية في إسرائيل: ٣١٧، ٣٢٣، والمتدينون اليهود في فلسطين: ٢٣٧.

المطلب الثالث: اعتقادهم بانتصارهم على الأمم، والتمكين لهم في الأرض:

حسمت النبوءات اليهودية نهاية الصراع بين اليهود والأمم لصالح اليهود وأخبرت أنّ شعب إسرائيل سيعلو فوق الأمم، وسيكون اليهود سادة الناس، وفي بعض النصوص أنهم سيُفنون الأغيار[١].

وقد ظهر في التلمود التعبير عن هذا النصر المنتظر، حيث جاء فيه: «سيأتي المسيح الحقيقيّ، ويحصل النصر المنتظر، وتكون الأمّة اليهوديّة هي المتسلّطة على باقي الأمم عند مجيئه»[٢].

وأشار السموأل بن يحيى المغربي إلى يقين اليهود بانتصارهم على الأغيار، فقال: «ويعتقدون أيضاً: أنّ هذا المنتظر متى جاءهم؛ يجمعهم بأسرهم إلى القدس، وتصير لهم الدولة، **ويخلو العالم من سواهم**»[٣].

ويظهر من خلال أحداث التاريخ أنّ اقتناع بعض اليهود بانتصارهم -في آخر الزمان- على أعدائهم، أدّى ببعضهم إلى إسقاط هذا النصر على أزمنتهم التي عاشوا فيها، ومن أمثلة ذلك:

١- إنزال بعض اليهود نصوص الملاحم على الرومان:

حيث ذُكر عن فرقة «الغيورين» التي جاء أول ذكرٍ لها في العام السادس قبل الميلاد، أنّهم أنزلوا نصوص «جوج وماجوج» على القوات الرومانية، أثناء حربهم ضدها، وكانوا يعتقدون استناداً لنصوص الملاحم أنّهم -أي اليهود- سينتصرون في الجولة الأخيرة، ولكن سرعان ما تبخر هذا الاعتقاد، تحت سطوة الجيوش الرومانية وجبروتها[٤].

٢- إنزال بعض اليهود نصوص الملاحم على قبيلتي الأوس والخزرج:

وقد ظهر هذا المسلك عند بعض اليهود الذين عاشوا في الجزيرة العربية، قبل بعثة النبي ﷺ، حيث كانوا يتوعدون جيرانهم من الأوس والخزرج، باقتراب زمان ظهور نبيّ يتبعه

(١) انظر: ص ٣٣١-٣٣٣ من الرسالة.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود: ٧١ «بتصرف»، وانظر: إسرائيل والتلمود:٥٨.

(٣) بذل المجهود في إفحام اليهود: ١١٣، ١١٤.

(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٣٢٤، ٣٢٥.

اليهود، فيقتلون أعداءهم قتل عادٍ وإرم.

فعن عاصم بن عمر الأنصاري[1] قال حدّثني أشياخٌ منّا قالوا: «لم يكن أحدٌ من العرب أعلم بشأن رسول الله ﷺ منّا، كان معنا يهودٌ، وكانوا أهل كتابٍ، وكنّا أصحاب وثن، فكنّا إذا بلغنا منهم ما يكرهون، قالوا: إنّ نبيّاً مبعوثاً الآن، قد أظلّ زمانه، نتّبعه فنقتلكم معه قتل عادٍ وإرم[2]، فلما بعث الله تعالى رسوله -ﷺ- اتّبعناه وكفروا به، ففينا والله وفيهم، أنزل الله عز وجل: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]»[4].

٣- إنزال بعض اليهود نصوص الملاحم على المسلمين:

وقد ظهر هذا المسلك عند حركة «جوش إيمونيم» من خلال حرص بعض أتباعها على هدم مسجدي الأقصى والصخرة، لدفع المسلمين إلى إشعال ملحمة «جوج وماجوج» التي سيكسبها اليهود -بزعمهم-[5].

وهذا يُعدُّ تطوراً في التعامل اليهودي مع نصوص الملاحم، ففي حين كان اليهود يوظّفون هذه النصوص في صراعٍ قائم، أو للتهديد من صراعٍ محتمل، أصبح بعض اليهود يوظّفونها لتوسيع رقعة الصراع الحالي، بل والتعجيل بالمواجهة الحاسمة!، على أمل تحقيق نصرٍ كبيرٍ يُنهي المعاناة التي يعيشها اليهود في فلسطين[6].

---

(١) هو أبو عمر عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأوسي الأنصاري، تابعي ثقة عالم بالمغازي، مات بعد سنة ١٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٤٠، ٢٤١، وتقريب التهذيب:٢٢٩.

(٢) يظهر من خلال هذا النص أنّ يهود المدينة المنورة كانوا يعتقدون بأنّ الملاحم ستبدأ بعد ظهور المسيح المخلّص، لا قبله، وهذا موافق لاعتقاد أتباع حركة «ناطوري كارتا»، كما تقدّم ذكره قريباً.

(٣) سورة البقرة: آية (٨٩).

(٤) رواه ابن إسحاق في كتاب السيرة: ٦٣، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية: ٥٧.

(٥) انظر: ص ٤٠٩ من الرسالة.

(٦) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل: ١/ ١٩، ٢/ ٥٦، وقبل الكارثة نذير ونفير: ١٨١، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ٢٥٠.

المبحث الثاني: الآثار الفكرية لملاحم آخر الزمان عند بعض النصارى

وفيه تمهيد وأربعة مطالب:

التمهيـــــــد:

تُعدُّ القضيّة الأخرويّة الرئيسة التي تشغل حيّزاً كبيراً من اهتمام كثيرٍ من النصارى هي «المجيء الثاني للمسيح»، وهذا المجيء مسبوقٌ -في اعتقاد بعضهم- بتحقّق مقدّمتين، هما:

١- قيام دولة يهوديّة في فلسطين.

٢- وقوع ملحمة «هَرْمَجَدُّون» التي ينزل في أثنائها المسيح، ليقضي على أعدائه ويحكم الأرض لألف سنة، قبل أن تقع ملحمة «جوج وماجوج».

فلما تحقق في عام ١٩٤٨م قيام الدولة اليهودية في فلسطين، ثم انتصارها على العرب في عام ١٩٦٧م، نتج عن ذلك قناعة بعضهم بـ:

١- صدق نبوءات الكتاب المقدس.

٢- أنّ الجيل الحالي هو الجيل الذي سيشهد أحداث النهاية[1].

٣- أنّه لم يبق على نزول المسيح إلا وقوع «هَرْمَجَدُّون» النوويّة[2].

ومن هنا فقد حظيت «هَرْمَجَدُّون» بعنايةٍ فائقةٍ من «الأصولية الإنجيلية»، نتج عنها محاولة بعض أتباع الحركة الأصولية استعجال وقوعها؛ للتسريع بمجيء المسيح، ولاسيّما مع اعتقادهم بأنّهم لن يصطلوا بنارها لو وقعت؛ وذلك لأنّ المسيح سيخطفهم

(١) ذُكر أيضاً عن الحركة «المونتانية» في منتصف القرن الثاني الميلادي، أنّها كانت هي الأخرى مقتنعةً بأنّها ستشهد أحداث النهاية. انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة، نورمان كوهن: ٤/ ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر: النبوءة والسياسة: ١٥.

-بزعمهم- إلى السماء قبل وقوعها[1].

وبسبب الارتباط الوثيق بين اعتقاد الأصوليين بـ «قيام الدولة اليهودية في فلسطين»، و«هَرْمَجَدُّون»، و«المجيء الثاني للمسيح» تداخلت الآثار الفكرية الناتجة عن مجموع هذه القضايا، مع الآثار الناتجة عن كلّ واحدة منها على حدة، وتداخلت الآثار الخاصّة بكلٍّ واحدة منها، مع الآثار الناتجة عن طريقة تناول الأصوليين لهذه الأحداث أو بعضها، ولذا فقد حاولت في هذا المبحث أن يتمّ التركيز على آثار الملاحم دون غيرها مما قد يشتبه بها، واجتهدت قدر المستطاع في التفريق بين الآثار الفكرية للملاحم، وبين الآثار الناتجة عن اعتقاد بعض النصارى بقرب هَرْمَجَدُّون.

فأمّا الآثار التي نتجت عن إيمان الأصوليين بالملاحم عموماً، و«هَرْمَجَدُّون» خصوصاً، فهي مشابهة للآثار التي تحققت للمؤمنين بالملاحم من اليهود، ويمكن إجمالها في **ثلاثة آثار**:

١- نظرتهم المعادية لقوى الشر التي يعتقدون أنّها ستحارب اليهود!!.

٢- الصراع الحتمي بين قوى الخير وقوى الشر.

٣- اعتقادهم بانتصار قوى الخير بقيادة المسيح.

(١) يُذكر أنّ الأصوليين يقبلون بكثرة على الاستماع لأحاديث من يبشرونهم بنجاتهم من ويلات الضيقة وهرمجدون، كجيري فولويل، وبات روبرتسون، وغيرهما، قال «جيري دارت»: «نحن بحاجة إلى معرفة أن الكتاب المقدس يعلمنا بوضوح ألا نقلق بشأن هذه القلاقل والضربات التي ستأتي على العالم، ولكننا يجب أن نكون متأكدين من أنها لابد أن تأتي» بعد الاختطاف: ١١٩، وانظر: ٧، ٨، ٢٠٥، وقال «كارل ماك» فيما نقلته عنه «غريس هالسل»: «شكراً لله، سوف أشاهد معركة هرمجيدون من مقاعد الشرف في الجنة، إنّ كل أولئك الذين ولدوا ثانية سيشاهدون معركة هرمجيدون، إنها في السماء» يد الله: ٤٣، وقال «براد» فيما نقلته عنه «غريس هالسل»: «مما يثلج القلب معرفتنا أن الذين سينجون منا لن يعانوا ولو للحظة واحدة من عذاب الأيام الأخيرة» المرجع نفسه: ٤٠، وانظر: ٤٣، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ٨، والنبوءة والسياسة: ٤٥.

وأما الآثار التي نشأت عن اعتقاد الأصوليين بقرب هرمجدون فهي وإن لم تكن من صلب الآثار الفكرية للملاحم، إلا أنّ الوقوف عليها من الأهمية بمكان؛ وذلك لارتباطها ببعض السياسات الغربية المعلنة فيما يتعلق بتعامل بعض الدول الغربية مع العالم الإسلامي.

وفي المطالب الأربعة الآتية، سيتمّ الحديث عن أهمّ الآثار الفكرية للملاحم، بالإضافة إلى أهمّ الآثار الفكرية الناتجة عن اعتقاد بعض النصارى أنّ الجيل المعاصر هو من سيشهد أحداث «هَرْمَجَدُّون» .

المطلب الأول: نظرتهم المعادية لقوى الشر:

يعتمد بعض النصارى «البروتستانت» ولاسيّما الأمريكيين منهم، في تكوين نظرتهم عن البلاد والشعوب -خاصّةً في الشرق الأوسط[1]- على نصوص الكتاب المقدس[2]؛ ولمّا كانت نصوص العهد القديم، تنظر إلى بعض الأمم والشعوب وخصوصاً الفلسطينيين والعرب بوصفهم أعداءً لبني إسرائيل، وأنّهم سيكونون ضمن الأمم التي ستهاجمهم في الملاحم؛ فقد اتخذ بعض «البروتستانت» موقفاً عدائياً منهم[3]، ونظروا إليهم بوصفهم همجاً وثنيّين[4]، وربما اعتقد

(١) يُطلق مصطلح «الشرق الأوسط» جغرافياً على المنطقة الممتدّة من إيران شرقاً إلى بلاد المغرب العربي، ومن تركيا شمالاً إلى جنوب الجزيرة العربية جنوباً، والاستعمال الإعلامي يحصرها غالباً في منطقة الصراع بين العرب واليهود، **وهو مصطلح أطلقه الاستعمار الغربي**، بوصف البلاد العربية جغرافياً تقع في المشرق الأوسط بالنسبة للمركز الغربي، فهي تسمية تظهر منها روح التبعية للغرب، بالإضافة إلى كونها تفرغ هذا الوطن من هويته العربية- الإسلامية، وتفتح الباب لصبغ المنطقة بالصبغة الثقافية الغربية، ولدخول الكيان الصهيوني ضمن هذا المصطلح. انظر: حمّى سنة ٢٠٠٠، عبدالعزيز كامل: ١٥ «الحاشية»، وفي فقه الصراع على القدس وفلسطين: ٥، وواقعنا المعاصر: ٣٥٣ «حاشية: ٣».

(٢) انظر: الكتاب المقدس والسيف: ١/ ١٠٨، والمسيح اليهودي: ١٣٦، والنبوءة والسياسة: ١٦.

(٣) انظر: من أجل صهيون، فؤاد شعبان: ٢٣١.

(٤) **قال الرئيس الأمريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون»**: «إنّ معظم الأمريكيين ينظرون نظرةً موحدةً إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأنّ الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكّاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط» الصهيونية المسيحية: ٦.

بعضهم: أنّ المسلمين عامّةً، والفلسطينيين خاصّة، هم يأجوج ومأجوج[1].

فإذا أضيف إلى ذلك اعتقاد بعض النصارى أنّ مجيء المسيح متوقف على اشتعال «هَرْمَجَدُّون»، وأنّ هذه الأخيرة متوقفة على اجتماع اليهود في فلسطين، واستقرار دولتهم فيها، وأنّ العرب والفلسطينيين هم السبب الرئيس في تأخر استقرار الدولة اليهودية، وتأخير عودة المسيح، فقد اجتمع سببٌ آخر لبغضهم للعرب وعداوتهم إيّاهم[2].

وقد دأب بعض كبار الأصوليين كـ«روبرتسون» الذي كثيراً ما يصف العرب بأنّهم أعداء الله! على التصريح بأنّه لا مجال للعدل مع الفلسطينيين، طالما أنّهم يقفون أمام تحقيق رغبة الله بقيام إسرائيل[3].

وقد أشار بعض باحثي النصارى وغيرهم إلى أنّ النظرة العدائية للعرب والمسلمين؛ الناتجة عن النصوص الدينية التي يؤمن بها أتباع الأصوليّة الإنجيليّة قد تجاوزتهم إلى غيرهم من العلمانيين الذين لا يكترثون بالدّين أصلاً، وذلك -في نظرهم- يرجع إلى سببين:

الأول: ما رسخ في أذهانهم من حكايات الطفولة المستمدّة من العهد القديم.

والثاني: تأثرهم بالكتب الهَرْمَجَدُّونية التي انتقلت من الجمهور الأصوليّ إلى الجمهور العلمانيّ، وذلك لانتشارها في المراكز التجارية الكبيرة مثل متاجر «ولت مارت» وغيرها، مما يعني أنّ الأفكار التي تطرحها هذه الكتب قد تفشّت في الثقافة الأمريكية[4].

وقد كان لبعض الدول النصيب المتوافر من العداء الأصولي الإنجيلي؛ لِعَدِّهم إيّاها من محاور الشر في ملاحم آخر الزمان، حيث أطلق الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريجان» على

---

(١) انظر: الحرب العالمية الرابعة، باسكال بونيفاس: ١٩، وقبل أن يُهدم الأقصى: ١٥٢، ومالا يعرفه مسيحيو الولايات المتحدة عن إسرائيل، غريس هالسل: ١٠٦، ومن أجل صهيون: ٢٥٦، ويوم الغضب: ١٢.

(٢) انظر: من أجل صهيون: ٢٥٣، ٢٥٤.

(٣) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية، ١١٥، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ٢٠.

(٤) انظر: معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل: ٥٦، ويد الله: ١٧.

دولة «روسيا»: «امبراطورية الشيطان»، وعدَّ «ليبيا» في عام ١٩٨٦م العدوّ الدولي الأول؛ وذلك لأنّها سلكت في زمنه مسالك الشيوعية، مستنداً في عداوته لها إلى أنّ النبوءات التوراتية ذكرتها من جملة حلفاء روسيا، وأعداء إسرائيل!!(١).

وقد نقل عنه صديقه «جيمس ميلز» -الرئيس السابق لمجلس الشيوخ بكاليفورنيا- أنّه قال: «في الفصل: ٣٨ من إصحاح حزقيال هناك نصٌّ يقول: إنّ أرض إسرائيل سوف تتعرض إلى هجومٍ تشنّه عليها جيوشٌ تابعةٌ إلى دولٍ لا تؤمن بالله. وتقول: إنّ ليبيا ستكون من بينهم»(٢).

وأمّا الرئيس الأمريكي «بوش الابن» فقد عدَّ كلاً من «إيران»، و«العراق» و«سوريا»، و«كوريا الشماليّة» دول محور الشر التي جاء ذكرها في العهد القديم؛ لأنّها -بزعمه- ستجتمع لحرب إسرائيل في آخر الزمان، فيهزمهم الرب في «هَرْمَجَدُّون»(٣).

وهكذا أصبحت نبوءات الملاحم؛ ذريعةً لمعاداة بعض النصارى للدول والشعوب، وغزوهم إيّاها، وخصوصاً الإسلاميّة منها، بحجّة أنّها من قوى الشرِّ في الملاحم(٤).

المطلب الثاني: الصراع الحتمي بين قوى الخير وقوى الشر:

أفرزت نصوص الملاحم لدى الأصولية الإنجيلية قناعةً بأنّ العالم سيتّجه إلى صراعٍ عسكريٍّ حاسمٍ بين قوى الخير والشر، ينتهي بفناء العالم، ليبدأ «عالم المسيح» الذي يتحقّق فيه السلام الكامل، وينعم فيه الأصوليون بالأمن والأمان.

---

(١) انظر: المسيحية والتوراة: ٣٨٦، ٣٨٧، والنبوءة والسياسة: ١٧، ٤٧، ٤٨، ٥١.

(٢) النبوءة والسياسة: ١٧.

(٣) انظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام: ٢٩، وامبراطورية الشر الجديدة: ٥٩، والملاك يوجه العاصفة «أسفار الرؤيا والامبراطورية الأمريكية»، مايكل نورثكوت: ١٠٦.

(٤) انظر: حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٩٥، وصعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي: ٢٣٨، والمسيح القادم، مسيح يهودي سفّاح، جورجي كنعان: ٧، والمسيحية والتوراة: ١١١، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٨.

قالت «غريس هالسل»: «إننا نؤمن كمسيحيين أنّ **تاريخ الإنسانية سوف ينتهي بمعركةٍ تُدعى «هَرْمَجَدُّون»**، وأنّ هذه المعركة سوف تتوّج بعودة المسيح»[1].

ولقد ظهر تأثير هذه القناعة في رفض بعض أتباع الأصولية الإنجيلية لمشاريع السلام المعاصرة، وحكمهم بفشل أيّ محاولةٍ تنشد حقن الدماء، ونشر الأمن والسلام في الأرض قبل هَرْمَجَدُّون، التي يُقضى فيها على قوى الشر[2].

قال الواعظ الإنجيلي «جيمي سواغرت»: «كنت أتمنّى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام، ولكنّي أؤمن بأنّ هَرْمَجَدُّون مقبلة، إنّ هَرْمَجَدُّون قادمة، وسيُخاض غمارها في وادي مجيدو، إنّها قادمة، **إنّهم يستطيعون أن يوقّعوا على اتفاقيات السلام التي يريدون. إنّ ذلك لن يُحقق شيئاً**»[3].

ونظر بعضهم إلى مشاريع السلام بوصفها معارضةً لإرادة الله الذي يريد عالماً متصارعاً لتدمير الأرض؛ حيث قال الداعية الإعلامي الإنجيلي «جيم روبيسون»: «**لن يكون هناك سلامٌ حتى يعود السيّد المسيح، كلّ تبشيرٍ بالسلام قبل عودته كفرٌ. إنّه ضدّ كلمة الله، إنّه ضدّ المسيح**»[4].

ولتأكيد هذه القناعة، وترسيخها في نفوس أتباع الأصولية الإنجيليّة، فقد كان «روبرت ب. ثيم» كاهن كنيسة «بيراثا» في مدينة «هيوستن» الأمريكية: يلقي مواعظه في بعض الأحيان وهو يلبس الملابس العسكرية الرسمية الخاصة بسلاح الطيران، ويحرص على أن يلبس خدم الكنيسة

---

(١) النبوءة والسياسة: ١٥.

(٢) انظر: الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات: ٧، وقبل أن يُهدم الأقصى: ١٥٠، والمسيحية والتوراة: ٣٩٣، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٩، والنبوءة والسياسة: ٤٢، والنظام العالمي الجديد، بات روبرتسون ومجدي منير: ٢٣١، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم: ١٢٦-١٢٨، ويد الله: ٣٢.

(٣) النبوءة والسياسة: ٢٩، وانظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١٣٩.

(٤) المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون، الخازن: ٢١، وانظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١٣٨، ١٣٩، والملاك يوجه العاصفة: ٩٠، ومن أجل صهيون: ٢٤٧، والنبوءة والسياسة: ٢٨.

الملابس الرسمية الخاصة بقوّات البحر والجيش والطيران!!(١).

بل تطوّر الأمر إلى اعتقاد بعضهم أنّ الله يطلب منهم أن يُفشلوا مشاريع السلام، وأن يعملوا على شنِّ حربٍ نووية تدمّر الكرة الأرضية، حتى يتحقق التعجيل بمجيء المسيح، ولذلك فهم يرون ضرورة تحريك الأمور باتجاه الحرب؛ لإضرام الصراع والتعجيل بالنهاية(٢).

ويُذكر عن «كلية اللاهوت» في مدينة دالاس الأمريكيّة، أنّها تُخرِّج العديد من القدّيسين الذين يعتقدون أنّ الله يطلب منهم تدمير الكرة الأرضية!، وينتشرون في أكثر من ألف كنيسة من كنائس الكتاب المقدّس في الولايات المتحدة الأمريكية(٣).

قالت «غريس هالسل»: «إنّ استقصاء ١٩٨٤م الذي أجرته مؤسسة «باتكيلو فيتش» أظهر أنّ ٣٩ بالمئة من الشعب الأميركي يقولون: إنّه عندما يتحدث الكتاب المقدس عن تدمير الأرض بالنّار فإنّ ذلك يعني أنّنا نحن أنفسنا سوف ندمّر الأرض.

إذا كان هذا الاستقصاء صحيحاً فإنّ ذلك يعني أنّ ٨٥ مليون أميركي يعتقدون أنّ الحرب النووية لا مفرّ منها»(٤).

وقد عرضت قناة الجزيرة الفضائيّة فيلماً أمريكيّاً بعنوان: **«معسكرات يسوع»**، وهي معسكرات حقيقيّة يتم إقامتها بين الفينة والأخرى بهدف تربية الأطفال الأمريكيين على التضحية بالنفس من أجل المسيح، ويتلقّون في هذه المعسكرات بعض الأفكار التي تقول: إنّ العالم مريضٌ للغاية وهرمٌ، ونحن الذين سنصلحه عن طريق تدريبنا لنكون جنوداً في جيش الرب، ويعتقدون بأنّ «جورج بوش الابن» رجلٌ مقدّسٌ كُرّس لمهمّة إنشاء مجتمعٍ نصرانيٍّ ليس في أمريكا وحدها بل في العالم كلّه.

---

(١) انظر: من أجل صهيون: ٢٤٧، ويد الله: ١٠٠، ويوم الغضب: ١٢.

(٢) انظر: بعد الاختطاف: ٧، ٨، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٩، والنبوءة والسياسة: ٤٥، وهل يشاهد جيلنا نهاية العالم؟: ٨، ١١٩، ٢٠٥، ويد الله: ٤٠، ٤٣، ١١٠.

(٣) انظر: يد الله: ١٧، ١٨.

(٤) النبوءة والسياسة: ٢٣، وانظر: المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ٢١.

وظهرت من خلال هذا الفيلم الكاهنة «بيكي فيشر» وهي تعظ الأطفال وتدعوهم إلى أن يغيّروا العالم، وكانت تُفسّر لهم تغيير العالم بأنّه خوض الحرب!.

وقد ظهر في الفيلم أحد الوعّاظ وهو يسأل الأطفال المشاركين في المعسكر: «كم واحداً منكم يريد أن يُضحّي بحياته من أجل يسوع؟» فرفع جميع الأطفال أيديهم إشارةً إلى استعدادهم للتضحية من أجل المسيح، فصرخت الكاهنة «بيكي فيشر» قائلةً: «هذا يعني الحرب .. هذا يعني الحرب»(1).

وتجدر الإشارة إلى نظرية «صدام الحضارات» التي اخترعها اليهودي «بيرنارد لويس»، وكان يطلقها على الصراع العربي الإسرائيلي، ثم استعارها منه «صامويل هنتنغتون»، وأفرد لها كتاباً بعنوان: «صدام الحضارات... إعادة صنع النظام العالمي»(2)، وهي وإن لم تكن في أصلها مستقاةً من ملاحم آخر الزمان، إلا أنّها أسهمت في تعزيز فكرة الصراع بين الحضارات عموماً، والحضارتين الإسلامية والنصرانية على وجه الخصوص(3)، حيث إنّها تنبّأت بأنّ المستقبل ينذر بخطر المواجهة والحرب، بين سبع أو ثمان حضارات، على رأسها الحضارتان الغربية والإسلامية، ودعت صراحة إلى أخذ الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاريّ الأمريكيّ، وعن المصالح التي يقوم عليها، وتخصيص ما يلزم لذلك من الأموال والسلاح، مع البحث عن القواسم المشتركة بين

---

(1) انظر: فيلم «معسكرات يسوع» منشور في موقع قناة الجزيرة على شبكة الانترنت، والتربية القتالية في معسكرات يسوع، تركي الظفيري، مقال منشور في منتدى الإبداع الفكري أحد منتديات الإسلام اليوم.

(2) انظر: الحرب العالمية الرابعة: ٣٣، وحروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٩٦-٣٠٠، وكهنة الحرب الكبار: ٢٠٨.

(3) **حاول الرئيس الأمريكي السابق «كلينتون» التفريق بين الإسلام وبين الأصوليّة الإسلامية، حيث عَدّ مشكلة النصرانية مع الأصوليّة وليست مع الإسلام، وقد ردّ عليه «صامويل هنتنجتون» وغيره بأنّ أربعة عشر قرناً من التاريخ تقول عكس كلامه.** انظر: صدام الحضارات «إعادة صنع النظام العالمي»: ٣٣٨.

الحضارات؛ لتشكيل قاعدة تفاهم بغية الوصول إلى تعايشٍ أفضل[1].

ولكون هذه النظرية تدعو إلى أخذ الحيطة، والعمل بأسباب تحصيل القوة -على عكس ما تدعو إليه نظرية نهاية التاريخ[2]-؛ فقد اكتسبت قبولاً ودعماً لدى من يهمّهم انتشار الصراع[3]، أو الاستعداد لمواجهته[4].

وقد أخذت الولايات المتحدة الأمريكية -في فترة رئاسة بوش الابن- بهذه النظرية، ونقلتها من حيز الفكر إلى حيز التنفيذ!، حيث بنى المحافظون الجدد[5] -المسيطرون على الإدارة

(١) انظر: صدام الحضارات «إعادة صنع النظام العالمي»: ٢٩، ٣٠، ٤٨، ٥٢٠، ٥٢١، والمحافظون الجدد والمستقبل الأمريكي، عبدالعزيز كامل، مقال منشور ضمن «مستقبل العالم الإسلامي... تحدّيات في عالم متغير» التقرير الارتيادي الاستراتيجي الثاني الصادر عن مجلّة البيان: ٢٩٨، ٢٩٩، وموقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، محمد السماك: ١٥١-١٥٤.

(٢) هي نظرية «فرانسيس فوكوياما»، وقد أفرد لها كتاباً بعنوان «نهاية التاريخ وخاتم البشر»، ولا علاقة لها بالملاحم، وخلاصتها: أنّ **البشرية قد وصلت إلى نهاية التاريخ**؛ بسبب انهيار النظم الاستبدادية اليمينية واليسارية على حدٍّ سواء، وإقامة الديمقراطيات الرأسمالية والليبرالية، التي تُعدُّ - في نظره - التطور النهائي لنظام الحكم البشري، ومن ثم فهذه النظرية تُبشّر بمستقبل زاهر لليبرالية، وتُطمئن الولايات المتحدة الأمريكية على مستقبلها، مما يقلل أهميّة تخصيص مبالغ هائلة للدفاع، في ميزانية الولايات المتحدة!!. انظر: نهاية التاريخ وخاتم البشر: ٨، وقضايا في الفكر المعاصر، الجابري: ٨٤، وموقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد: ١٥٠.

(٣) انظر: معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل: ٧٤.

(٤) انظر: قضايا في الفكر المعاصر: ٨٣-٨٦.

(٥) يرى بعض الباحثين أنّ مصطلح «المحافظين الجدد» ظهر بعد الانتخابات الأمريكية عام ٢٠٠٠م ولمع أكثر بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، وهو يُطلق على مجموعة سياسية قليلة العدد، ينتمي كثيرٌ من أتباعها إلى اليهود، انتقلوا من الحزب الديمقراطي الأمريكي إلى الحزب الجمهوري، وهم يمينيّون ومتطرّفون، **لا يظهرون انتماءً دينيّاً**، ويجمعهم الرغبة في تسخير المنطق والتفكير لمصلحة أمريكا، بغض النظر عن الأخلاقيات والمبادئ، ويرون أنّ أمن أمريكا لا يتحقق إلا عن طريق إخضاع القوى العالمية الأخرى، واستخدام كلّ الإمكانات لتكوين امبراطورية أمريكية قوية تقود العالم لقرن قادم، ويتفانون في تحقيق مصالح إسرائيل، ويُسمّون «حزب الحرب» لحبّهم لها رغم أنّهم غير عسكريين. انظر: حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٦٦، والمحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة: ١٥، ٤٠، ٤١، ٤٣، والمحافظون الجدد والمستقبل الأمريكي: ٢٧٩-٣١٦، وكهنة الحرب الكبار: ٣٥، ٣٦، ومعركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، عبدالعزيز كامل: ١٩٥-٢٠٦، والنبوءة والسياسة: ١٢٢.

الأمريكية- على ضوئها تصوّرهم للإسلام، وسياساتهم تجاه العالم الإسلامي.

وكان غزو أمريكا للعراق واحتلالها له، أحد آثار هذه النظرية[1]، حيث اعتمدت إدارة الرئيس الأمريكي «بوش الابن» تطبيق إستراتيجية الحروب الاجهاضية؛ بغية تحقيق الأمن الاستراتيجي لأمريكا[2].

(١) يُذكر أنّ خطط ضرب العراق «الحرب الأخيرة» وأفغانستان كانت جاهزة قبل أحداث ١١ سبتمبر!، مما يعني أنّها مرحلة ضمن خطة طويلة الأجل، تهدف إلى بسط نفوذ وهيمنة الولايات المتحدة على العالم أجمع، تحت ستار «تصدير الديمقراطية الأمريكية»، وقد سببت هذه الضربات، وخصوصاً حرب العراق صدمةً للمحافظين الجدد المسيطرين على إدارة الرئيس بوش الابن، إذ تبين من مقاومة العراقيين أنّ أمريكا وإسرائيل -منفردتين أو مجتمعتين- ليس لديهما القدرة على سحق الشرق الأوسط أو إعادة ترتيبه وفق مشيئتهما، وقد جعلت الحرب على العراق منه قبراً لأحلام المحافظين الجدد، الذين أرادوا له أن يكون حجر الأساس في مشروع الشرق الأوسط الجديد، مما شكك في قدرة الولايات المتحدة على بلوغ أهدافها، وزاد الطين بلّةً بالنسبة لهم، الانقلاب الذي حدث لـ «فرانسيس فوكوياما» صاحب نظرية «نهاية التاريخ»، فبعد أن كان متشدّداً إزاء العراق، حيث طالب مع صهاينة آخرين، إدارة كلينتون -في ٢٦ كانون الثاني «يناير» ١٩٩٨م- وإدارة بوش -في ٢٠ أيلول «سبتمبر» ٢٠٠١م- بالعمل على إزاحة صدام حسين واستخدام القوة العسكرية في ذلك مع دعم المعارضة، رجع ليقرر أنّ الحرب على العراق كانت خطأً، وأدان تشجيع المحافظين الجدد عليها، واستنكر التزامهم الإسرائيلي وطغيانه على تفكيرهم، وألمح إلى أنّ إسرائيل إذا كانت في صراع دائم مع العرب، فإنّ أمريكا ليست كذلك!!، وصرّح بأنّه لن ينتخب جورج بوش مرّةً ثانية. انظر: أميركا المسيحانية، ألان فوشون ودانيال قرنة: ٩، وأمريكا على مفترق طرق «ما بعد المحافظين الجدد»، فرانسيس فوكوياما: ٩-١٢، وأمّة اليمين قوة المحافظين في أمريكا: ٢٥٥، والحرب الصليبية تواريخ حرب ظالمة: ٢/ ٥٨، وحروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٦٦، وصراع المصالح في بلاد الرافدين، أحمد فهمي: ٥، ٦، ١٧٩، والمحافظون الجدد، إرون سلزر: ١٥، والمحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة: ٤٣، والمحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ٨٩، ٩٠، ١٢٧-١٣٣، والملاك يوجه العاصفة: ١٢٣.

(٢) انظر: امبراطورية الشر الجديدة: ٥٥، والحرب العالمية الرابعة: ٣٣، وحروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٩٦-٣٠٠، والدين في القرار الأميركي، محمد السماك: ٧٠، وطموحات إمبريالية، نعوم تشومسكي: ٩، ١٠، وكهنة الحرب الكبار: ٢٠٨.

المطلب الثالث: اعتقادهم انتصار قوى الخير بقيادة المسيح:

يعتقد بعض النصارى أنّ ملاحم آخر الزمان، ستشهد انتصار قوى الخير بقيادة المسيح، على قوى الشر.

قال «ناشد حنا»: «الرب عند ظهوره سيبيد كلَّ الأعداء المتجمعين ضدّه من الغرب ومن الشرق، وملك الشمال، وجوج وماجوج وكل الأمم المتحدة معهم»(١).

ويعتقد بعضهم أنّ انتصار المسيح على أعدائه هو بمثابة استردادٍ لكرامته، بعد أن أُهين بصلبه في الأرض بزعمهم.

قال «إبراهيم صبري»: «لابد أنّ المسيّا الملك يأتي ثانيةً، ليستردّ كرامته، ويُعلن مجده على الأرض التي شاهدت عاره ومهانته(٢)، وليقيم ملكوته السعيد على الأرض بعد أن يصبّ جامات غضب الله على الأشرار، وبعد أن يدين أعداءه فعلة الإثم ويبيدهم»(٣).

ويلاحظ أنّ بعض أتباع «الأصولية الإنجيلية» الذين يعتقدون بانتصار المسيح على قوى الشر، لا يأخذون هذا الاعتقاد كمُسَلّمة ينتظرون تحققها على أرض الواقع، ولكنّهم يعملون بجدّ ونشاط لتحقيق هذا الانتصار من خلال دعمهم قوى الخير -حسب زعمهم- لتكسب الصراع، في مقابل إضعافهم قوى الشر، ولكون هذا المسلك له علاقة وثيقة باعتقادهم قرب «هَرْمَجَدُّون» فسيتم الحديث عنه بتفصيل في المطلب الآتي.

---

(١) قريب على الأبواب: ٦٠.

(٢) هذا نموذج للاضطراب والتناقض الذي يعيشه النصارى ففي حين يذكرون أنّ المسيح صُلب بمحض إرادته فداءً للبشرية وتخليصاً لها من خطيئة آدم -عليه السلام- التي توارثتها ذريته من بعده، نجد في المقابل أنّ إبراهيم صبري يعتبر الصلب عاراً ومهانةً للمسيح!!

(٣) خطوة خطوة نحو نهاية العالم: ١٠.

المطلب الرابع: اعتقادهم قرب هرمجدّون وآثاره:

وفيه تمهيد وثلاثة فروع:

- **التمهيـــد:**

تقدّم بأنّ اعتقاد بعض النصارى أنّ الجيل المعاصر هو الذي سيشهد أحداث «هَرْمَجَدُّون» أحدث آثاراً أخرى -غير الآثار الناتجة عن مجرّد الإيمان بالملاحم- وقد اكتسبت هذه الآثار أهمّيتها، من ارتباطها ببعض السياسات الأمريكيّة المعلنة تجاه بعض دول العالم الإسلامي.

وقبل البدء بالحديث عن هذه الآثار يحسن الحديث بإيجاز عن ظهور الاهتمام بقرب هَرْمَجَدُّون، والدوافع الحقيقيّة وراء تضخيم دعاة الأصولية الإنجيلية لهذه الملحمة التي يرتقبها بعض النصارى بشوقٍ بالغٍ، وذلك في أمرين:

- الأمر الأول: ظهور الاهتمام بقرب هرمجدون:

يعتقد بعض النصارى بأنّ «هَرْمَجَدُّون» الحدث العظيم الذي سيعجّل بمجيء المسيح، ويرون أنّ وقوعها متوقفٌ على قيام دولةٍ يهوديّة في فلسطين[1].

وقد تبيّن من خلال بعض البحوث والدراسات التي تناولت «هَرْمَجَدُّون»: أنّ هذه الملحمة النووية لم يكن لها حظٌّ من التأثير في المؤمنين بها من النصارى **قبل قيام الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٩٤٨م!**، وأمّا بعد قيامها فقد تيقّنوا صدق النبوءات، وأنّ بقيّتها في طريقها إلى التحقّق على أرض الواقع، وصاروا يتوقعون حدوث «هَرْمَجَدُّون» في أي لحظة![2].

قال الرئيس الأمريكي الأسبق «جيمي كارتر»: «يعني خلق إسرائيل في عام ١٩٤٨ العودة أخيراً إلى أرض الميعاد التي أخرج منها اليهود منذ مئات السنين.. إنّ إقامة الأمة الإسرائيلية هو تحقيق للنبوءة التوراتية والتنفيذ الجوهري لها»[3].

---

(١) انظر: ص ٣٧٥ من الرسالة.

(٢) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ١١٥، والنبوءة والسياسة: ٤٨.

(٣) يد الله: ٦٣، وانظر: النبوءة والسياسة: ٣٧.

ونقل «جيمس ميلز» -الرئيس السابق لمجلس الشيوخ بكاليفورنيا- عن الرئيس الأمريكي السابق «ريجان» أنّه قال: «إنّ جميع النبوءات التي يجب أن تتحقّق قبل هَرْمَجَدُّون قد مرت، ففي الفصل ٣٨ من حزقيال أنّ الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين -!!- حيث سيكونون مشتتين، ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كلّ شيءٍ في مكانه بانتظار معركة هَرْمَجَدُّون والعودة الثانية للمسيح»[(١)].

وكان يقول: «إنّ هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي سيرى هَرْمَجَدُّون»[(٢)]، وكم تمنّى أن تحدث هذه الكارثة المأساوية خلال فترة رئاسته![(٣)].

وقال «داميان ثوميسون» في كتابه «نهاية الزمن: العقيدة والخوف في ظلّ الألفية»: «يؤمن الملايين من الأصوليين المسيحيين [الإنجيليّين] بأنّ **الصراع الأخير** بين قوى الله وقوى الشيطان **سوف يبدأ في أثناء حياتهم**»[(٤)].

وزاد الطين بِلّةً انتصارُ اليهود على العرب وسيطرتهم على القدس عام ١٩٦٧م حيث تضاعف أعداد المؤمنين بهَرْمَجَدُّون، وفُتن بها كثيرٌ ممن كانوا لا يلتفتون إليها قبل هذا التاريخ، حتى بعض أولئك الذين كانوا يعتقدون أنّ النبوءات وقعت وانتهت!.

ولما وقعت **أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م** استغل الهَرْمَجَدُّونيون التفجيرات التي وقعت لبرجي مركز التجارة العالمي بنيويورك، ومبنى البنتاغون بواشنطن، في الترويج

(١) النبوءة والسياسة: ٤٨، وانظر: الأصولية الإنجيلية: ٥٧، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ١٣١، ١٣٥، والمسيحية والتوراة: ٣٩٤.

(٢) النبوءة والسياسة: ٥٠.

(٣) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ١٣٥، ويد الله: ١٠٧.

(٤) نقلاً عن يد الله: ١٠٦، وانظر: شهود يهوه، حسين حمادة: ١٦٩.

لهَرْمَجَدُّون، والتأكيد على أنّ العالم متجهٌ صوبها[1].

- الأمر الثاني: تضخيم الأصولية الإنجيلية لهرمجدون النووية ودوافعه:

لقد مارست «الأصوليّة الإنجيليّة» -من خلال دعاتها ووسائل إعلامها- تضخيماً مقصوداً لهَرْمَجَدُّون النووية، بحيث صار الحديث عنها هو شغلهم الشاغل، فلا يكاد يُسمع في أحاديث الواعظ الإنجيلي «جيري فولويل» وغيره، شيء عن مواعظ المسيح المؤثرة، ودعوته المتكررة للتسامح، والتعامل بالأخلاق الحسنة، فضلاً عن الحديث عن محبّة المسيح، والالتزام بهديه، بل غاية ما يصدر عنهم أن يصوّروا المسيح كجنرال بخمسة نجوم، مُسلّحاً برؤوس نووية، يمتطي جواداً، ويقود جيوش العالم كلّها؛ ليقتل المليارات من الناس[2].

قال جورجي كنعان: «من المدهش أو غير المعقول أنّ المسيحيين في نصف الكرة الغربي لم يخصّوا موضوعاً بكثير من التعابير والأفكار، باستثناء الجنة والنار، أكثر مما خصوا موضوع «هَرْمَجَدُّون» ومجيء الرب يسوع»[3].

وقد نتج عن استحواذ «هَرْمَجَدُّون» على أكثر مواعظ دعاة الأصوليين وأحاديثهم؛ انجذاب كثيرٍ من عامة الأصوليين وغيرهم لهذه الملحمة الكارثية؛ مما أدّى بدوره إلى زيادة أعداد المؤمنين بها، حيث ظهر من خلال استطلاع للرأي أجرته جامعة «أكرون» في عام ١٩٩٦م أنّ ٣١٪ من الشعب الأمريكي -أي ما يعادل ٦٢ مليون شخص- يعتقدون أن نهاية العالم ستكون

(١) انظر: أمريكا المختطفة: ١١، والبعد الديني في السياسة الأمريكية: ٧٩، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ٢١، والسياسة الأمريكية تجاه العرب، كيف تصنع؟ ومن يصنعها؟: ١٦، والسيف الأحمر: ٢٧١، وصعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي: ٢٣٧، واللوبي الإسرائيلي والسياسية الخارجية الأمريكية: ٧، والمجتمع الإسرائيلي: ٣٩، ٤٠، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ١١٥، ١٣٥، ١٤٠، ١٧٨، والمسيحية والتوراة: ٣٩٤، ومن يجرؤ على الكلام: ٣٩٢، ٣٩٣، ويد الله: ٥١، ٦١، ٧١، ويوم الله: ١٦٩.

(٢) انظر: النبوءة والسياسة: ١٠٢، ويد الله: ١١٠، ١١١.

(٣) المسيح القادم، مسيح يهودي سفّاح: ٤٢، وانظر: النبوءة والسياسة: ٣٣.

في هَرْمَجَدُّون[1].

وقد تجاوز الاهتمام بالحديث عن «هَرْمَجَدُّون» البسطاء من الناس، إلى أولئك الذين يُتوقّع أن يكونوا أكثر ذكاءً ونضجاً.

قالت «غريس هالسل»: «إنّ شهرة عقيدة هَرْمَجَدُّون تجاوزت ما يُسمى «المعتوهين» ووصلت إلى أرفع مستوى في السلطة الحكومية»[2].

ولعلّها تقصد بذلك ما اشتهر عن الرئيس الأمريكي «ريجان»، الذي كثيراً ما يُضرب به المثل أنموذجاً لرؤساء أمريكا المغرمين بهَرْمَجَدُّون، حيث كانت هذه المعركة تستحوذ على تفكيره، فما أن تسنح له فرصة للحديث عنها، إلا ويصرِّح بقربها وسرعة اتجاه العالم إليها، وتحقق الكثير من نبوءات الكتاب المقدس السابقة لها على أرض الواقع، وكثيراً ما يستشهد بالفصلين: ٣٧ و٣٨ من سفر حزقيال، لتدعيم كلامه وتأييده[3].

وقد ظهر من خلال البحث أنّه بالإضافة إلى قيام الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٩٤٨م، وما بعد ذلك من أحداث، **فإنّ هناك دوافع أخرى** أدّت إلى مبالغة دعاة الأصولية الإنجيلية ووسائل إعلامها في الحديث عن هَرْمَجَدُّون، **ومن أظهرها:**

١- الحديث عن هرمجدون يلبّي الرغبة النفسية الأمريكية التي تعشق العنف.

يظهر أنّ جزءاً من ولع بعض الأمريكان بهَرْمَجَدُّون يرجع إلى ملامستها في فكرتها وأحداثها طبيعةَ النفسية الأمريكية التي لا تؤمن إلا بالعنف، ولا تعرف إلا القوة؛ فبالقوة دخل البروتستانت أمريكا، وبها سيطروا عليها، وبها وحّدوا بلادهم، وبها قضوا على الهنود الحمر، وبها جلبوا الأفارقة السود إلى بلادهم، وأيّما حقٍّ انتزعه السود منهم فبالقوة، بل حتى ألعاب العنف من

(١) انظر: يد الله: ٨، ٣٠.

(٢) يد الله: ١٨.

(٣) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ٧٦، والنبوءة والسياسة: ٤٤-٥٣.

الملاكمة والمصارعة، لم تزدهر عندهم وتتفوق على لعبة كرة القدم إلا لاعتمادها على العنف والقوة، ومن هنا فقد صرّح أستاذ جامعي أمريكي قائلاً: افهمونا جيّداً، نحن لا نحترم إلا القوة[1].

وبسبب هذه النفسية الأمريكية التي تعشق العنف والقوّة اتجهت العديد من وسائل الإعلام إلى إنتاج أفلام عن المستقبل، كلّها دماءٌ وصراعات[2].

قال عامر عبدالمنعم: «إنّ الرغبة في الصراع التي سيطرت على العقلية الأوربية ثم الأمريكية، بارزةٌ منذ ظهور أول حضارة في ذلك الجزء من العالم»[3].

وقد عزا «نعوم تشومسكي»[4] العنف المتأصّل في الفرنجة والإنكليز إلى تأثّرهم بدروس التوراة![5]، وربما كان هذا أحد أسباب مشاركة ملوك النصارى لليهود في القسوة والجبروت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «في ملوك النصارى من الجبرية والقسوة، والحكم بغير ما أنزل الله، وسفك الدماء بغير حق، مما يأمرهم به علماؤهم وعبادهم ومما لم يأمروهم به، **ما شاركوا فيه اليهود**»[6].

---

(١) انظر: قراءة في النظام العالمي الجديد: ٥٠.

(٢) يُذكر أنّه صدر فيلم أمريكي اتخذ من «هرمجدون» اسماً له، تدور أحداثه حول إبادة الإله للجنس البشري، عن طريق نيزك ضخم أرسله لتدمير الأرض، ولكن الأمريكان استطاعوا بفضل خبرتهم وتقدمهم أن يصعدوا إلى الفضاء في مكوكين فضائيين ليرسلوا القنابل النووية على هذا النيزك، مما سبب في انقسامه إلى جزأين -في اللحظات الأخيرة من الفيلم- ليمر كل جزء بجوار الأرض دون أن يصطدم بها، ثم صرّح بطل الفيلم، بأنّ الولايات المتحدة أنقذت الجنس البشري من الهلاك، فظهرت في الفيلم صور لشعوب العالم بما فيها الشعوب العربية وقد خرجوا فرحين شاكرين لأمريكا التي منحتهم الحياة. انظر: المؤامرة «معركة الأرماجدون.. وصراع الحضارات»: ٩٢.

(٣) الغرب أصل الصراع: ٤٩.

(٤) عالم لغويات أمريكي يهودي ولد سنة ١٩٢٨م، ويُعَدُّ من أهم المفكرين اللغويين والسياسيين النشيطين في العالم في النصف الأخير من القرن العشرين، قضى فترة في إسرائيل ولكنه سرعان ما عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وله مواقف معادية للصهيونية وإسرائيل. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٣/ ٤٠٧-٤١٧.

(٥) انظر: الدول المارقة: ٣٥٥، ٣٥٦.

(٦) الجواب الصحيح: ٥/ ٨٣.

٢- الحديث عن هرمجدون من أكبر أسباب جذب الجماهير وكسبها.

إذا كان الحديث عن العنف يشبع النفسية الأمريكية، فإنّه سيؤدي إلى جذب الجماهير وكسبها، وهذا ما وقع بالفعل مع ملحمة «هَرْمَجَدُّون»، حيث يمثل الحديث عنها عبر وسائل الإعلام الغربية -لدى تجار الدين النصارى- عامل جذبٍ لملايين المشاهدين والمستمعين، مما أدّى إلى تهافت عشرات القنوات والإذاعات على نقل هذه البرامج.

وقد ذكرت «غريس هالسل» أنّ **«جاك فان إيمب»** أحد أشهر رجال الدين الذين يبشرون بهَرْمَجَدُّون، يقدم برنامجاً أسبوعياً تنقله أكثر من ٩٠ محطة تلفزيونية و٤٣ محطة إذاعية، ومثله **«جيمس س. دوبسون»** حيث إنّه يُقدّم برامج إعلامية أسبوعية تصل إلى ٢٨ مليون شخص، وقد أسّس مؤسّسةً تهتمُّ بالعائلة تنتشر فروعها في ٣٤ ولاية أمريكية، وعدد العاملين فيها الذين يتقاضون رواتب شهرية: ١٣٠٠ موظف، بموازنة سنوية قدرها ١١٤ مليون دولار!![1].

وقد نتج عن هذه البرامج زيادة أعداد المتدينين في أمريكا، حيث ذُكر أنّ ٨٥٪ من مستمعي هذه البرامج الأصولية ومشاهديها قد تحولوا إلى متدينين!!، وهذا بلاريب سيؤدي إلى زيادة أعداد أتباع الحركات الأصولية الإنجيلية[2].

٣- الحديث عن هرمجدون من أسباب تحصيل الأموال.

إذا كان الحديث عن «هَرْمَجَدُّون» من أسباب جذب الجماهير وكسبها، فإنّه قطعاً سيكون من أسباب تحصيل الأموال المجزية، والرزق المتوافر، وهذا ما حدث حيث ذُكر أنّ ربع الـ ٨٥٪ من مستمعي هذه البرامج الأصولية ومشاهديها الذين تحوّلوا إلى متدينين!!، قدّموا أكثر من ١٠٪ من دخولاتهم لدعم برامج الكنائس المرئية والمسموعة، **مما وفّر ما يقارب ملياري دولار سنوياً**

(١) انظر: يد الله: ١٤، ١٥.

(٢) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ١٩٢.

مورداً ثابتاً لهذه الحركات الأصولية!![1].

وذكر بعضهم عن «**أورال روبرتس**» وهو أحد تجار «هَرْمَجَدُّون» أنّه أخبر مستمعيه مرةً أنّه بحاجة إلى ثمانية ملايين دولار!، وإلا فإنّ الرب سيستدعيه إليه!![2]؛ فاستجابوا له فوراً ووفّروا له المبلغ المطلوب!!.

وأمّا «**بات روبرتسون**» الذي يُطلقُ عليه البعض «الرجل الأخطر في أمريكا»، فله باع طويلٌ في هذا الباب، حيث إنه:

١- بنى شبكة البث المسيحية -وهي معفاة من الضرائب!- وتصل أرباحها السنوية إلى **٩٧ مليون دولار!**.

٢- أسس «المحطة العائلية» ضمن إطار هذه الشبكة، ثم باع هذه المحطة **بمليار وتسعمائة مليون دولار!**.

٣- أسّس برنامجاً لمدة ٩٠ دقيقة يومياً يُدعى نادي السبعمائة -نسبة إلى ٧٠٠ مُسْهِم معه- يصل إلى **١٦ مليون عائلة أمريكية**[3].

والجدير بالذكر أنّ الاتّجار بهَرْمَجَدُّون ونهاية العالم، ليس حكراً على القنوات والإذاعات، فالكتب أيضاً من المجالات الاستثمارية الجيّدة، حيث تُعدُّ الكتب التي تتحدث عن هَرْمَجَدُّون ونهاية العالم أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا!، بحيث لا يتفوق عليها إلا الكتاب المقدس، ففي السبعين الميلادية بيع من كتاب «الكرة الأرضية العظيمة المأسوف عليها» لـ «هول ليندسي» أكثر

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) أي بأن يقبضه إليه، فتتوقف البرامج التي يتابعونها.

(٣) انظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ٨٧، والبعد الديني في السياسة الأمريكية: ١١٢-١١٨، والصهيونية المسيحية: ٦٦، ٦٧، والمسيح اليهودي: ١٢١، ١٢٢، والمسيحية والتوراة: ٢٨٤، ويد الله: ١٥-١٧.

من ٢٥ مليون نسخة!![1].

وكان لهذه المبيعات المشجّعة والأرباح المجزية الأثر الأكبر في أن يكتب «هول ليندسي» أربعة كتب أخرى كلّها تؤكد حتمية «هَرْمَجَدُّون»، وأنّ الله قضى عليهم أن يخوضوا غمار حرب نووية هَرْمَجَدُّونية[2].

قال فؤاد شعبان: «تطلع دور النشر والشبكة العالمية على جمهور القراء كلّ يومٍ بعشرات العناوين لكتب ومقالات وأفلام وتسجيلات تعالج موضوع نهاية الزمان والنبوءات. معظم هذه الأعمال تحلل الأحداث المعاصرة في إطار القراءات الحرفية لنبوءات النصوص المقدسة، خاصةً مع نهاية الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة -وبعد أن ساق أسماء بعض هذه الكتب قال:- وتؤكد هذه الأعمال اليقين لدى المسيحيين المتطرفين في أمريكا بأهمية دورهم في الحرب بين الخير والشر. وبالطبع يؤكد المؤلّفون أنّ الإسلام هو جيش الشر، وأنّ القضاء عليه مهمّة مقدّسة، وشرطٌ لدخول مملكة الله»[3]!!.

وهذه الكتب وأمثالها لا تلقى رواجاً كبيراً بين الأصوليين فحسب، بل حتّى أولئك الذين يتمسكون بأهداب العلمانية، صاروا يُعْنون بها[4].

فقد نقلت غريس هالسل عن صحيفة «الناشرون الأسبوعية» قولها: إنّ «شهرة هذه الكتب تُشيرُ إلى أنّها انتقلت من الجمهور المسيحي إلى الجمهور العلماني من خلال الإقبال عليها في محلات

---

(١) يُذكر أنّ هذا الكتاب أحدث ضجّةً وتأثيراً حقيقياً في نقل الأصوليّة الإنجيليّة من كونها أقليّةً إلى أن أصبحت عقيدة الأغلبيّة، حيث يعتقد أكثر من ثلث الأمريكيّين بحدوث حريق نوويٍّ، كجزءٍ من خطّة الله، التي لا رادّ لها، ويعتقد ربعهم أنّ الله سيختطفهم إلى السماء. انظر: الملاك يوجّه العاصفة: ٨٥-٩٠.

(٢) انظر: النبوءة والسياسة: ١٧، ويوم الله: ١٣٤، ١٣٥.

(٣) من أجل صهيون: ٣٤٦-٣٦٣ «باختصار».

(٤) انظر: يد الله: ١٧.

تجارية مثل: وال مارت ... وهذا يعني أنها تفشّت في ثقافتنا[١]»[٢].

ومع ظهور الشبكة العنكبوتية «الانترنت» ظهرت العديد من المواقع الالكترونية التي **تحثّ الجمهور على الاستعداد للمحنة الكبرى**، وذلك من خلال نشرها الصور المرعبة، وتقوم هذه المواقع بنشر المئات من الكتب وبيعها.

وتحرص هذه المواقع على رسم توقعاتها المستقبلية على ضوء الأحداث الراهنة وبهذا فهي تُحدّث معلوماتها بشكلٍ مستمرٍّ حسب المستجدّات؛ مما يجعل المتصفح لها متشوّقاً لمعرفة المزيد من الأحداث المستجدّة.

ومن هذه المواقع الالكترونية التي تُعْني بأحداث «هَرْمَجَدُّون» ونهاية العالم: موقع ميزان الارتقاء «RAPTURE INDEX»، وموقع ميزان يأجوج «GOG INDEX» وموقع على عتبة منتصف الليل «NEARING MIDNIGHT»، وموقع نبوءات الكتاب المقدس «BIDLE PROPHECY»، وموقع مصادر الكتاب المقدس «BIDLE RESOURCES» وموقع مركز النبوءات «PROPHECY CENTER»[٣].

وخلاصة القول: إنّ قيام الدولة اليهودية في فلسطين عام ١٩٤٨م، قد أدّى إلى اعتقاد بعضهم بقرب «هَرْمَجَدُّون»، وزاد من ترسيخ هذا الاعتقاد، وتضخيمه في نفوس بعض النصارى، انتصارُ الكيان الصهيوني في فلسطين على العرب في عام ١٩٦٧م، واستيلاؤه على مدينة القدس، وما بعد ذلك من أحداث، بالإضافة إلى التضخيم الوعظيّ والإعلاميّ الأصولي الإنجيليّ

(١) وفي هذا إشارة إلى عظم تأثير هرمجدون في الثقافة الأمريكية، مقارنةً ببقية دول أوروبا، ولعلّ ذلك يرجع في جزء منه إلى اختلاف الطبيعة الدينية بين أمريكا وأوروبا، حيث إنّ أوروبا عادت الدّين، بينما طوّعته أمريكا، ومن ثم فنبوءات الملاحم تجدُ لها صدىً خاصاً في أمريكا، على عكس الوضع في أوروبا التي تعمد إلى تحديث مشروعها العلماني من خلال إقصاء الدين. «فائدة منتقاة من لقاء جمعني بالدكتور باسم خفاجي مدير المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب»، وانظر: إسرائيل، العراق، الولايات المتحدة، إدوارد سعيد: ٢٢٨.

(٢) يد الله: ١٧.

(٣) انظر: من أجل صهيون: ٣٦٤-٣٧٨.

لهَرْمَجَدُّون؛ وبسبب هذه العوامل مجتمعة فقد ظهرت آثار أخرى، غير الآثار التي تحققت بمجرد الإيمان بهَرْمَجَدُّون، وفي الفروع الثلاثة الآتية سيتم الإشارة إلى أظهر الآثار التي تشكّلت بسبب اعتقاد بعضهم بقرب «هَرْمَجَدُّون»:

- **الفرع الأول: الاعتقاد بوجود علاقة مباشرة لأحداث الشرق الأوسط بهرمجدون.**

إنّ الحديث المتواصل عن «هَرْمَجَدُّون» -وشعور الأصوليين بأنّ الجيل المعاصر هو الجيل الذي سيشهد هذه الملحمة النووية- جعلهم ينظرون إلى أحداث «الشرق الأوسط»، بوصفها مؤشّرات على قرب بداية «هَرْمَجَدُّون».

قال «هنري فورد»[(١)]: «إنّ كثيراً من طلاب الشئون العالمية يعتقدون أنّ أرماجدون [هكذا في الأصل] ستكون النتيجة المباشرة لما يبدأ ظهوره الآن في فلسطين»[(٢)].

ولذلك فإنّ كثيراً منهم يتابعون أحداث الشرق الأوسط، ويتفاعلون معها، فإن حارب اليهودُ العربَ فرحوا واستبشروا، واستقربوا «هَرْمَجَدُّون»، وإن انتفض المسلمون في فلسطين على المعتدين الظالمين، قابلوا ذلك بالرضا والبهجة، وعدُّوه إرهاصاً على قرب «هَرْمَجَدُّون»، وحين اعتدت الولايات المتحدة على العراق، باركوا صنيعها، وزادهم عدوانها شوقاً لهَرْمَجَدُّون![(٣)].

ويُذكر أنّه حين غزا الكيان الصهيوني الإسرائيلي أرض لبنان في عام ١٩٨٢م علّق أحد الأصوليين على هذا الغزو، قائلاً: «إنّ غزو لبنان كان عملاً من إرادة الله. لقد كانت حرباً مقدسةً. إنني أعتقد أنّ الغزو كان رائعاً لأنّه كان منسجماً مع العهد القديم، ولأنّه يؤكد النبوءة التوراتية-

(١) أصولي إنجيلي أمريكي، مؤسس شركة فورد للسيارات، سافر خلال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٥م مع ١٧٠ شخصًا آخرين إلى أوروبا على نفقته الخاصة بحثًا عن السلام، خصص كثيرًا من وقته وأمواله للمشاريع التعليمية والخيرية. انظر: الموسوعة العربية العالمية: ١٧/ ٥٩٢-٥٩٤، واليهودي العالمي: ٥.

(٢) اليهودي العالمي: ٤/ ٤٤.

(٣) انظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ٩٠، وصعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي: ٢٣٧، وكهنة الحرب الكبار: ١٧٤-١٧٦، والمحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ٢٢، ونصارى الغرب المتصهينون يرقصون على طبول هرمجدون: ٧.

الإنجيلية. وهذا يمكن أن يعني أنّنا نقترب من هَرْمَجَدُّون»[1].

ولمّا قام النظام البعثيّ العراقيّ بغزو الكويت عام ١٩٩٠م، عَدَّه اليمين النصراني تمهيداً لمعركة هَرْمَجَدُّون بين قوى الخير وقوى الشر، وذهب بعضهم إلى أنّ الرئيس العراقي «صدام حسين» هو المسيح الدجال!.

وحين انتهت الحرب عام ١٩٩١م بدون قيام هَرْمَجَدُّون!، أصيبوا بخيبة أمل وأشعلوا حرباً على «بوش الأب»، عادِّين سعيه لتوحيد العالم تحت قيادة أمريكا: جَمْعَ الأشرار في معسكر واحد -وهو وفق النبوءات- الذي سيشن حرباً على بني إسرائيل[2].

- **الفرع الثاني: القناعة بضرورة تقوية ودعم قوى الخير في مقابل قوى الشر.**

لقد أدّى اعتقاد بعض النصارى بقرب هَرْمَجَدُّون إلى اقتناع بعضهم بأهميّة تقوية قوى الخير وهي أمريكا وإسرائيل وحلفاؤهما -وخصوصاً إسرائيل؛ لأنّها في قلب الملحمة-، في مقابل إضعاف قوى الشر، ولاسيّما دول العالم الإسلامي، وخصوصاً العرب.

قال «جيمس ميلز»: «صحيح أنّ حزقيال تنبأ بانتصار جيوش إسرائيل وحلفائها في المعركة الرهيبة ضدّ قوى الظلام، ومع ذلك فإنّ المسيحيين المحافظين لا يسمح لهم التطرّف الروحي أن يأخذوا هذا الانتصار كمسلّمات. **إنّ تقوية قوى الحق لتربح هذا الصراع المهمّ هي في عيون مثل هؤلاء الرجال، عملٌ يحقّق نبوءة الله**، انسجاماً مع إرادته السامية وذلك حتى يعود المسيح مرّةً ثانيةً ليحكم الأرض ألف سنة»[3].

وقد ظهرت هذه القناعة في صورتين، هما:

---

(١) النبوءة والسياسة: ٦١، وانظر: رحلات للديار المباركة: ٢٤٩.

(٢) انظر: حمى سنة ٢٠٠٠: ١٧٣، وقبل الكارثة نذير ونفير: ٢١٦، والمؤامرة «معركة الأرماجدون.. وصراع الحضارات»: ٢٠، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ١٦٨.

(٣) النبوءة والسياسة: ٥٢ «باختصار»، وانظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١٣٢.

١- تصنيع المزيد من الأسلحة الفتّاكة؛ لتقوية قوى الخير.

الإيمان بهَرْمَجَدُّون عند بعض الأصوليين يعني: إنتاج المزيد من الأسلحة الفتّاكة وقد أُنتجت!، وتهيئة الظروف المواتية لاستعمالها في الشرق الأوسط حيث يأتي المسيح عليه السلام[(١)].

قالت «غريس هالسل»: «إنّ «فولويل» و«بات روبرتسون» وغيرهما يعظون ويعدّون لهَرْمَجَدُّون ويبيعون الأميركيين فكرة إنتاج المزيد من القنابل واستعمالها»[(٢)].

وتوجد في أمريكا جماعةٌ تُسمَّى «الهوية المسيحية» يُعِدُّ أتباعها أنفسهم لمعركة هَرْمَجَدُّون ومن ذلك أنّهم يتدرّبون على استعمال السلاح ويقومون بتخزينه[(٣)].

ويُذكر عن الرئيس الأمريكي السابق «ريجان» أنّه كان شديد الحرص على بناء القوة العسكرية لأمريكا وحلفائها، بقصد تقوية قوى الحق، لتربح الصراع[(٤)]، وكان يواجه فكرة نزع السلاح النووي ببرود، ويقول: «إنّ هَرْمَجَدُّون التي تنبأ بها حزقيال لا يمكن أن تحدث في عالم منزوع السلاح. إنّ كل من يؤمن بأنّها لا بد أن تقع لا يمكن أن يتوقع تحقيق نزع التسلح. إنّ ذلك يناقض مشيئة الله كما وردت على لسانه»[(٥)].

وقد اقترحت الإدارة الأمريكية في اليوم الثالث من شهر فبراير عام ١٩٨٦م مواصلة البناء العسكري في السنوات الخمسين المقبلة!، مما دفع الكنيسة الأمريكية الكاثوليكية إلى إعلان معارضتها لهذا البرنامج، والتصريح بعدِّه متناقضاً والأخلاقَ النصرانية، وصرّحت بانتقادها تبنِّي الرئيس «ريجان» لهَرْمَجَدُّون النووية، وأصدرت بالتعاون مع المعهد المسيحي بياناً تلفزيونياً وإذاعياً في هذا الأمر[(٦)].

---

(١) انظر: الصهيونية المسيحية: ٨١، والنبوءة والسياسة: ١١٨-١٢١.

(٢) النبوءة والسياسة: ١٥٤ «بتصرف».

(٣) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ٢٠٣-٢١٠، والمسيحية والتوراة: ٨١، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٤١، ١٤٢.

(٤) انظر: النبوءة والسياسة: ٥١، ٥٢.

(٥) المرجع نفسه: ٥٢، وانظر: الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي: ١٣٢، والمسيح اليهودي: ١٣٦.

(٦) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ١٧٣، والمسيح اليهودي: ١٧٥، والنبوءة والسياسة: ٥٣.

٢- العمل على تقوية إسرائيل ودعمها وحمايتها وإضعاف العرب:

يحرص الهَرْمَجَدُّونيون على حماية إسرائيل[١]، وتقويتها عسكرياً، ودعمها مادّياً[٢]، ومؤازرتها معنوياً، عادِّين ذلك نوعاً من العبادة؛ لاعتقاد كثيرٍ منهم أنّ الله يبارك من يباركها ويساعدها، ويعادي من يعاديها[٣].

قال الواعظ الإنجيلي «جيري فولويل»: «الكتاب المقدّس يقول: إنّ الذين يباركون إسرائيل يباركهم الله، وإنّ الذين يلعنون إسرائيل يلعنهم الله»[٤].

وما الدعم اللامحدود للكيان الصهيوني بفلسطين من قبل الدول النصرانية الغربية البروتستانتيّة، إلا دليلٌ واقعيٌّ -في نظر البعض- على هذا الاعتقاد الذي يؤمن به بعض النصارى،

---

(١) يرى الصهيوني «أوديد يينون» أنّ **حماية إسرائيل تكون بمزيدٍ من التّفتيت للدول العربية** عموماً ولاسيّما العراق ومصر وسوريا، ثم شبه الجزيرة العربية، بحيث تنقسّم كلّ دولة إلى عدد من الدّويلات الصغيرة المتناحرة. انظر: كهنة الحرب الكبار: ٤٥، ١٤٧، والمسيحية والتوراة: ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٤٨، ٤٥٠.

(٢) يُذكر أنّ الفرد الأوربي في عام ١٩٥٢م كان يحصل على معونات أمريكية بمعدّل سبعة دولارات واثنين وعشرين سنتا سنويا، في حين كان الفرد الإسرائيلي ينال ٤٨ دولار سنوياً، وتقدّر المساعدات التي ترسلها أمريكا وحدها لإسرائيل بثلث المساعدات الخارجية الأمريكية. قال إسرائيل شاحاك: «**إنّ دافع الضرائب الأمريكي أرسل في عام ١٩٨٥م إلى إسرائيل خمسة مليارات دولار كلّها هدية**» النبوءة والسياسة: ١٢٧ «باختصار»، وانظر: ١٢٩، وأمريكا المختطفة: ١٤، ١٥، والبعد الديني في السياسة الأمريكية: ٥١، والصهيونية المسيحية: ٦٥.

ويُذكر أنّ «جون هاجي» حين جمع في عام ١٩٩٨م مليون دولار من التبرعات لمساعدة اليهود السوفيت على الاستيطان في الأرض المحتلة، **وُجِّه إليه سؤال** عما إذا كان يعلم أنّ عمله هذا يتناقض مع القانون الدولي؟! فأجاب: «**أنا عالمٌ بالكتاب المقدس ولاهوتي. ومن منظاري فإنّ قانون الله يعلو فوق قانون حكومة الولايات المتّحدة ووزارة الخارجية الأمريكية**» يد الله: ٩٠.

(٣) يعتقد الأصوليون أنّ الله لا ينظر إلى كل البشر بنفس المنظار، فهو يرى أنّ البشر منقسمون إلى قسمين: اليهود، والأغيار، ولكلّ قسم خُطّة، فاليهود خطّتهم أرضيّة، والنصارى الأصوليّون خطّتهم سماويّة، وأما من عداهم من النصارى غيرَ الأصوليين، والمسلمين والبوذيين وغيرهم، فلا شأن له بهم. انظر: المسيحية والتوراة: ٣٥١، والنبوءة والسياسة: ٢٨.

(٤) النبوءة والسياسة: ٦١.

فبريطانيا هي التي زرعت إسرائيل، وأمريكا هي التي حمتها[1].

وقد صرّح الرئيس الأمريكي السابق «ريتشارد نيكسون» بالتزام رؤساء أمريكا ببقاء إسرائيل ومساندتها ضد أعدائها، فقال: «إنّ التزامنا ببقاء إسرائيل التزامٌ عميقٌ فنحن لها حلفاء رسميّون، وإنّ ما يربطنا معاً شيءٌ أقوى من أيّ قصاصة ورق، إنّه التزامٌ معنويٌّ...، لم يُخِلّ به أيّ رئيسٍ في الماضي أبداً، **وسيفي به كلّ رئيسٍ في المستقبل بإخلاص**، إنّ أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها»[2].

بل إنّ الأصوليين يذهبون إلى أبعد من هذا، حين يسوّقون للأمريكيين أنّ مقدار انجذابهم لإسرائيل ودعمهم لها، مرتبطٌ بمستوى قوّتها العسكرية، فكلّما كانت أقوى كانوا أكثر دعماً لها، وانجذاباً إليها.

قال «وجلاس كريكر» أحد القادة الإنجيليين الأمريكيين الذين يجمعون الأموال لهدم المسجد الأقصى: «يستطيع اليمين الدّيني أن يسوّق للأمريكيين الفكرة بأنّ الله يريد إسرائيل عسكريةً ومعسكرةً. وأنّه كلّما كانت إسرائيل معسكرةً كان اليمين في الولايات المتحدة أكثر دعماً لها وأشدّ انجذاباً إليها»[3].

ولذلك فإنّ إسرائيل وحدها تملك من الدبابات أكثر مما تملكه دولتا فرنسا وألمانيا، وتملك ثالث أكبر سلاح جويّ في العالم[4].

---

(١) رغم المجازر الوحشية التي ارتكبها اليهود في نهاية عام ١٤٢٩هـ ومطلع عام ١٤٣٠هـ ضدّ إخواننا المستضعفين في غزّة، إلا أنّ دول الاتحاد الأوربي، امتنعت عن إدانة المجازر الصهيونية، وحتّى مجلس الأمن تباطأ في إصدار قرار بشأن هذه المجازر لأكثر من عشرة أيّام، ليصدر بعدها قرارٌ هزيلٌ لا يُلزم اليهود بإيقاف القتل البشع الّذي يمارسونه بحقّ الأطفال والنساء والشيوخ والضّعفاء، والأمر المحزن هو أنّ بني يعرب لم يجدوا ما يزيحون به الظلم عن أهل فلسطين إلا بأن يستجدوا الأمم النصرانية لتنصرهم على اليهود!، والله ناصر دينه، وحافظ أولياءه، وهو حسبهم ونعم الوكيل.

(٢) الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة: ١١٧.

(٣) يد الله: ٨٤.

(٤) انظر: النبوءة والسياسة: ٩٤.

وقد بلغ من دعم بعض الأصوليين لإسرائيل، اعتقادهم أنّ القوانين الوضعية الصادرة عن هيئة الأمم وغيرها، لا تُطبّق على مصادرة اليهود لأرض فلسطين، وإنْ تسبّب ذلك في نشوب حرب عالمية؛ لاعتقادهم أنّهم تصرّفوا بمشيئة الله.

قالت «غريس هالسل»: «إنّ عدة ملايين من المسيحيين الأمريكيين يعتقدون أنّ القوانين الوضعيّة لا تطبّق على مصادرة اليهود واسترجاعهم كلّ أرض فلسطين. وإذا تسبب ذلك في نشوب حرب عالمية ثالثة -هَرْمَجَدُّون نووية-، فإنّهم يعتقدون أنّهم تصرّفوا بمشيئة الله»[١].

وقد قامت الولايات المتّحدة الأمريكيّة باستخدام حقّ النقض «الفيتو» ضدّ أكثر من أربعين قراراً قُدّمت لمجلس الأمن الدولي بشأن إدانة المجازر والتعدّيات الإسرائيليّة[٢].

ورغم هذا التحيّز الأمريكي الواضح لإسرائيل، إلا أنّ طوائف موغلة في التطرّف، كطائفة «الديفيديين» الأمريكيّة تستنكر ما تصفه تباطؤاً في تحقيق خطّة الرب، مما دفع «تيموثي ماكفى» إلى تفجير المبنى الفيدرالي في «أوكلاهوما» عام ١٩٩٥م، انتقاماً من الحكومة الفيدرالية، التي كان يراها منخرطةً في خطّةٍ شيطانيّةٍ عالميّةٍ من شأنها أن تؤخّر مجيء المسيح[٣].

وفي مقابل هذا الموقف الأصولي المتحيز للصهاينة، فإنّهم **يقفون موقفاً سلبيّاً من العرب**؛ إذ يعملون على إضعافهم مادياً وسياسياً ودينياً ومعنوياً وعسكرياً، ومن ذلك **منعهم إيّاهم من إنتاج**

---

(١) المرجع السابق: ١٤٠، وانظر: ٥٦.

(٢) انظر: موقع مجلّة مكتوب الأخبارية «أخبار مكتوب» على شبكة الإنترنت، تحت عنوان: الفيتو الأمريكي لحماية الإجرام الإسرائيلي!!.

(٣) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ٤٢، ١٩٩.

الأسلحة الهجومية أو التحصّل عليها[1].

وبلغ من استهانتهم بالعرب، أن صرّح بعضهم بأنّ العرب لو وقفوا في وجه الوعود الإلهية لإسرائيل؛ فالواجب حينئذٍ اقتلاعهم ليس من فلسطين فحسب، بل من الشرق الأوسط كلّه![2].

قال محمد السماك: «إنّ الإيمان بأنّه لا بدّ من محرقة نووية «هَرْمَجَدُّون» تحضِّر لعودة المسيح، وأنّه لا بدّ أن يذوب في هذه المحرقة كلّ أولئك الذين ينكرون المسيح من الملحدين الشيوعيين، ومن المسيحيين العلمانيين، ومن المسيحيين غير الإنجيليين ومن المسلمين، ومن معظم اليهود، إنّ هذا الإيمان **يقف وراء قرار ضرورة إضعاف العرب، وضرورة تعزيز الترسانة العسكرية لإسرائيل،** ووراء حتمية الاستجابة إلى جميع مطالبها بالدعم المالي والسياسي والعسكري»[3].

وينبغي الإشارة إلى أنّ ما يقوم به الأصوليون الإنجيليون تجاه دعم «إسرائيل» في مقابل إضعاف العرب، ليس بالضرورة بسبب حبّهم لليهود، فهم عندهم كفّار إن لم يؤمنوا بيسوع رباً ومُخلِّصاً، وإنّما الدافع لهم في دعمهم إيّاهم، هو اعتقادهم بأن تملّك اليهود لأرض فلسطين

(١) يُذكر أنّ الحركات الأصوليّة الأمريكيّة سعت في عام ١٩٨١م إلى تنظيم حملة احتجاجات منظمة؛ للضغط على الحكومة الأمريكية ضدّ شراء المملكة العربية السعودية لأسلحة أمريكيّة، وقد باءت هذه الاحتجاجات بالفشل؛ بسبب كون المصالح الأمريكية الاستراتيجية والمادّية هيَ المحرّكَ الذي يحسم الصراع!، حيث صوّت في آخر الأمر ٥٢ من أعضاء مجلس الشيوخ لصالح الصفقة سابقة الذكر. وبالطبع فإنّ بيع السلاح للعرب والمسلمين، ليس حباً فيهم، كما إنّه ليس دليلاً على الوفاق، والدافع له في رأي الفرنسي «باسكال بونيفاس» هو أن تبقى صناعة السلاح مزدهرة. انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ١١١، والحرب العالمية الرابعة: ٢٥، ومجلة مختارات إسرائيلية، العدد: ١٥٣: ٩٣، ومعركة آخر الزمان ونبوءة المسيح: ٥٥، ومن يجرؤ على الكلام: ٣٩٤.

(٢) انظر: بلد الله «الدّين في السياسة الخارجيّة الأمريكيّة»، والتر راسيل ميد: ٤٥، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ٢٤، ١٩٨، والصهيونية المسيحية: ٩٧، ومعركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل: ٥٣، والنبوءة والسياسة: ٢٧، ويد الله: ٩٢.

(٣) مقدمة النبوءة والسياسة: ١١.

واستقرارهم فيها سببٌ ضروريٌّ للتسريع بمجيء المسيح عليه السلام[(١)].

قال اللورد «أنطوني أشلي كوبر-إيرل شافتسبري»: «إنّ اليهود رغم أنّهم غلاظ القلب، وغارقون في المعصية، وينكرون اللاهوت؛ فإنهم ضروريون بالنّسبة للأمل المسيحي في الخلاص»[(٢)].

وهذه المشاعر الأصولية تجاه اليهود، لا تخفى على عُبّاد العجل، فهم يعلمون أنّهم في نظر الأصوليين كفّار لا يدخلون الجنة ولا يتنعّمون فيها، ولكنّهم يرون أهميّة أن يستفيدوا من دعم عبّاد الصليب لهم، إلى أن يأتي المسيح، وحينها يفكرون في الأمر!!.

قال اليهودي المتطرف «ناثان بير لموتر»: «في الوقت الحاضر نحتاج إلى جميع الأصدقاء لدعم إسرائيل.. فإذا جاء المسيح، يومذاك نفكر في الأمر. أما الآن فلنمجّد الرب ولنرسل الذخيرة إلى إسرائيل»[(٣)].

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الباحثين نظروا في بغض الأصوليين الإنجيليّين لليهود، فذهبوا إلى **أنّ الرؤية الاسترجاعية**[(٤)] **البروتستانتية رؤيةٌ معاديةٌ لليهود**، تريد إرجاعهم إلى فلسطين بهدف إفنائهم دينياً بتحويلهم إلى النصرانية[(٥)]، أو جسدياً بالقضاء عليهم في «**هَرْمَجَدُّون**»[(٦)].

---

(١) انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ٧٨، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ١٨٨، ١٨٩، ومن يجرؤ على الكلام: ٤٠٣-٤٠٥، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٣٧-١٣٩، ١٤٢، ويد الله: ٧٨-٨٠.

(٢) الصهيونية والمسيحية: iv، وانظر: ٤٢.

(٣) يد الله: ٨٢، وانظر: ٨١، والنبوءة والسياسة: ١٢١.

(٤) هي الفكرة الدينية التي تذهب إلى أنّ مجيء المسيح متوقفٌ على إرجاع اليهود إلى فلسطين. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٤٢.

(٥) اتفق اليهود والنصارى على تأجيل الخوض في مسألة تنصير اليهود إلى أن يأت المسيح، وأن يتفرغوا الآن لما هو أولى، كتقوية إسرائيل والتمكين لها في الأرض!. انظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ١٦٦، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ١١٥، والمسيحية والتوراة: ١٤٣.

(٦) انظر: البروتوكولات واليهودية والصهيونية: ٩٤، والبعد الديني للصراع الإسرائيلي: ١٢٤، وحروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٢٥٠، والمسيحية والتوراة: ١٣٣، ومن يجرؤ على الكلام: ٤٠٣، ٤٠٤، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٤٢، ١٤٣.

- **الفرع الثالث: القناعة بعدم جدوى مشاريع التنمية والإصلاح.**

إذا كان الجيل الحالي سيشهد «هَرْمَجَدُّون» التي ستقضي على كلِّ شيء -كما يعتقد الأصوليون الإنجيليّون- ومدن العالم ستمحق تماماً كما في قول «هول ليندسي»: «إنّ كلّ مدينةٍ في العالم سوف تدمر، لندن، باريس، طوكيو، نيويورك، لوس أنجيلوس شيكاغو، سوف تمحق تماماً»[1]؛ فما هي الجدوى المرجوة إذن من مشاريع التنمية وإصلاح أوضاع المجتمع؟!، فضلاً عن الالتفات لأحوال العالم والسعي في إصلاحها؟!.

قال «بروس أنيستي»: «إنّ قراءة النبوة تعطينا أن نرى نهاية هذا العالم. وعندما نرى أنّ كلّ شيءٍ سيقع تحت دينونة الله، عندئذٍ نتحقّق كيف أنّه **لا جدوى بتاتاً من توجيه طاقاتنا لبناء أشياء ستخرب**. والنتيجة العملية أنّها تجعلنا أكثر انفصالاً عن العالم الآن»[2].

واستجابةً لهذه السلبية الأصولية المتطرّفة حثّت الحركة الألفية «صوتٌ في البراري» أتباعها على الإعراض عن زرع الأشجار، أو التخطيط للمستقبل إذ لا فائدة من ذلك[3].

ويُذكر عن الرئيس الأمريكي الأسبق «ريجان» أنّه لم يولِ أيّ اهتمام بالدين القوميّ العام، وبحلِّ مشكلات البطالة والفقر، لاعتقاده قرب هَرْمَجَدُّون ونهاية العالم[4].

وقد نتج عن انصراف بعض الجماعات الأصولية عن إصلاح أحوال المجتمع وتفقّد أحوال الضعفاء والمحتاجين، وجود ٣٣ مليون أمريكي يعيشون دون مستوى خط الفقر الفيدرالي!، وأكثر من ٨ ملايين أمريكي لا يتمكّنون من تحصيل وجباتهم بشكل مستمر بسبب نقص مداخيلهم المالية، وفي عام ٢٠٠٣م مات آلاف الأمريكيين الفقراء في شيكاغو بسبب الحر

---

(١) يد الله: ٢٣، وانظر: النبوءة والسياسة: ٣٨.

(٢) الأحداث النبوية: ١٨.

(٣) انظر: يد الله: ١٩.

(٤) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم: ١٣٦، والنبوءة والسياسة: ٢٠، ٥٢.

الشديد، ووفيات الأطفال بين الفقراء الأمريكيين أعلى منها في الكثير من الدول النامية![1].

والعجيب أنّ هؤلاء الأصوليّين لم يكتفوا بانصرافهم عن إصلاح أحوال المجتمع؛ بل كانوا يطالبون في عهد الرئيس «كلينتون» بإلغاء البرامج الاجتماعية الرئيسة التي تُعنى بدعم الفئات المغبونة وكبار السن!، وتخفيض ميزانية العناية الصحية، والتعليم والتدريب، وإعانة العاطلين، وغيرهم، في الوقت نفسه الذي يركّزون فيه على المطالبة بتقديم الدعم المالي الأمريكي السخي لإسرائيل!![2].

وقد استغلّ بعض الوعّاظ شعور بعض النصارى بقرب «هَرْمَجَدُّون» في دعوتهم إلى الزهد في الحياة الدنيا وزينتها.

حيث ذُكر عن «هيبر برت ارمسترونج» أنّه استطاع في أواخر الستّينات وبداية السبعينات أن يُقنع **الآلاف** من أتباعه بتسليم ممتلكاتهم إلى كنيسته «كنيسة الله العالمية»؛ لأنّ العالم -بزعمه- يتجه نحو النهاية!![3].

والغريب أنّ أحداً منهم لم يسأل نفسه بتعقّل عن مدى حاجة كنيسته إلى هذه الممتلكات، في الوقت الذي يتجه العالم فيه نحو النهاية؟!!.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان من آثار الاعتقاد بقرب فناء العالم أن اندفع بعض الناس إلى الانتحار!، كما حصل في عام ١٩٩٧م حيث انتحر في ضاحية مدينة «سانتياجو» الأمريكية ٣٩ عضواً من أعضاء حركة «بوّابة السماء»[4].

وكان مما عثر عليه في تسجيلات الفيديو الخاصة بهذه الجماعة المنتحرة قولهم: «لقد حان الوقت للموت في سبيل الله، وسواء كُنّا نُحب ذلك أو نكرهه فإنّ هرمجيدون [هكذا في الأصل]

(١) انظر: الملاك يوجه العاصفة: ٩٣.

(٢) انظر: سقوط الحضارة الغربية، أحمد منصور: ٨٧.

(٣) انظر: يد الله: ١٨، ١٩.

(٤) انظر: المرجع نفسه: ١٩.

-أم المعارك المقدسة- قد بدأت وهي لن تتوقف حتى تحرق كلّ الأرض من تحتها»[1].

وإذا كان هؤلاء قد صرفهم شعورهم بعدم قيمة الحياة الدنيا إلى الانتحار، فإنّ أقواماً آخرين قد انصرفوا عن إصلاح المجتمع إلى إفساده، والعبث بأمنه واستقراره.

حيث وُجد حوالي مائة شخص من سكان مدينة «ألوهيم» كانوا في عام ١٩٩٥م يعملون ويُصَلّون **ويمارسون أعمالاً ميليشياوية وهم مدججون بالسلاح!**، انتظاراً لوقوع كوارث من شأنها أن تضع نهاية الوجود الإنساني[2].

وتجدر الإشارة إلى أنّه توجد في أمريكا وحدها إلى عام ١٩٩٩م **أكثر من ١٢٠٠ حركة تدعو أتباعها إلى مثل هذه الأعمال الغريبة**، لاعتقادهم أنّ العالم يتّجه نحو النهاية[3].

وإذا كان شعور بعض الأصوليين باقتراب نهاية العالم على يد «هَرْمَجَدُّون» النووية قد دفع بعضاً منهم إلى الزهد في الحفاظ على أرواحهم وممتلكاتهم، وإصلاح مجتمعهم، فما الظنُّ بموقفهم من أحوال بقيّة العالم؟!

هل يُتوقع ممن يعتقد أنّ المجيء الثاني للمسيح يجب أن يكون مسبوقاً بالكوارث والحروب، أن يسعى في إصلاح أحوال العالم، والعمل على تحقيق السلام والأمن للساكنين في الأرض؟!

والجواب عن هذه التساؤلات هو ما صرّح به القس «بات روبرتسون» حين قال: «إننا لا ينبغي لنا أن نذرف دمعةً واحدةً عندما تحل الكوارث ببلدان العالم، ولا ينبغي أن نأسى ونتألم ونصيح «أليس هذا فظيعاً؟!» عندما نشهد تلك الفواجع. لأنّ ذلك ليس فظيعاً على الإطلاق، بل هو علامةٌ، علامةٌ مؤكدة على قرب خلاصنا وعلى الاتجاه الذي يسيّرنا فيه الله»[4].

إنّ العالم في نظر الأصوليين لا يستحق أن تُذرف عليه دمعة واحدة!، بل على العكس من

(١) الاستغلال الديني في الصراع السياسي: ٦٥.

(٢) انظر: يد الله: ١٩، ٢٠.

(٣) انظر: المرجع نفسه: ١٩.

(٤) المسيحية والتوراة: ٣٦٩.

ذلك، إنّهم ينتظرون خرابه ليتمتعوا بمشاهدة ما يحلّ به وهم في السحاب.

قال «كارل ماك»: «شكراً لله، سوف أشاهد معركة هرمجيدون [هكذا في الأصل] من مقاعد الشرف في الجنة، إنّ كل أولئك الذين ولدوا ثانيةً سيشاهدون معركة هرمجيدون، إنّما في السماء»[1].

ولذلك حين اعتدت إسرائيل عام ١٩٨٢م على لبنان، وارتكبت العديد من المذابح، وقف قس بروتستانتي في أمريكا ليقول لمشاهديه عبر التلفاز: «إنّ التوراة قد تنبأت بذلك، وعلى كلّ مؤمنٍ بالعهد القديم أن يتجنّب التفكير في الدِّماء على حساب عقيدته في صدق العهد القديم»[2].

إنّ الإيمان بنصوص العهد القديم يعني عند بعض الأصوليين المنع من مجرد التفكير في العالم وما يجري فيه من نكبات وآلام، فضلاً عن العمل على إصلاح أحواله؛ لأنّ الإصلاح يعني -عندهم- تأخير قدوم المسيح وهو ما لا يرضى به متطرّفو الأصولية الإنجيليّة[3].

(١) يد الله: ٤٣.

(٢) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ١٩٤.

(٣) انظر: الملاك يوجه العاصفة: ٨٢، ٨٣.

المبحث الثالث: توظيف بعض أهل الكتاب نصوصَ الملاحم وآثارها توظيفاً نفعياً

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب:

✿ التمهيـــــد:

ظهر من خلال البحث وجود اشتراكٍ بين أهل الكتاب في أصول آثار الملاحم فكلٌّ منهم:

١- يعادي الأمم التي يعتقد أنّها من قوى الشر.

٢- يعتقد بوقوع مواجهات مستقبلية عنيفة مع الأعداء.

٣- يعتقد أنّ النصر حليف قوى الخير في نهاية الصراع.

وهذه الآثار من حيث كونها آثاراً فكريةً، فهي -في الجملة- آثارٌ طبيعيّة، ولن يكون لنقدها ثمرةٌ كبيرةٌ إلا بنقد المرتكزات التي تعتمدها، وهي مصادر أهل الكتاب وما تتضمنه من معتقدات باطلة، وقد تقدّم الحديث عن نقد مصادرهم، وبعض تصوراتهم لأحداث الملاحم، بما يُغني عن إعادته هنا[1].

ولذلك فقد ظهر لي أنّه من الأفضل أن يكون التركيز هنا على كشف ما يمارسه بعض أهل الكتاب من توظيفهم نصوص الملاحم وآثارها توظيفاً نفعيّاً.

(١) مضى في التمهيد بيان حكم الله ورسوله ﷺ في أهل الكتاب، وتقدّم في الباب الأول بيان بطلان المصادر التي يعتمد عليها أهل الكتاب في دعواهم صحّة عقائدهم، الأمر الذي ينبني عليه بطلان بعض تصوراتهم لأحداث آخر الزمان. انظر: ص ٣٤، ١٣٥-١٤٢ من الرسالة.

فكثيرٌ من رجال الدين والسياسة من أهل الكتاب، الذين يُرتّبون على الملاحم أحكاماً أو مواقف أو قراراتٍ ذات طابعٍ سياسيٍّ أو دينيٍّ، إنّما هم في الحقيقة يمارسون توظيفاً نفعياً لنصوص الملاحم وآثارها.

أي إنّهم يستخدمون نصوص الملاحم أدواتٍ يَنْفذون من خلالها إلى تحقيق مصالحهم الخاصّة، أو سياساتهم العامّة، أو أغراضهم الدينية، ومنهم من يمارس النفاق، بإظهاره خلاف ما يُبطن، خداعاً للجماهير، وتجييشاً لها بهدف تحقيق مصالح لا علاقة لها بالدين!.

والحديث عن توظيف بعض النصارى للملاحم في تحقيق مصالحهم، لا يعني أنّهم بمعزلٍ عن التعصّب للدّين الذي ارتضوه!، وإنّما المراد أنّهم يستخدمون «نصوص الملاحم وآثارها» -في الأغلب- وسيلةً لتحقيق غاياتهم ومصالحهم!.

وللوقوف على مقدار صحّة القول بتوظيفهم للملاحم، فسيتم البحث في أمرين:

الأول: حقيقة التديّن عند أهل الكتاب.

والثاني: شواهد توظيف أهل الكتاب نصوصَ الملاحم توظيفاً نفعياً.

وذلك من خلال المطالب الثلاثة الآتية.

المطلب الأول: حقيقة التدين عند أهل الكتاب:

البحث في «حقيقة التدين» عند أهل الكتاب هو المدخل الصحيح للتعرف على حقيقة إيمانهم بملاحم آخر الزمان، وما إذا كان تفاعلهم معها ناتجاً عن إيمان عميق بها، أم إنّه ناتجٌ عن توظيفٍ نفعيٍّ، يتغير تبعاً لتغيّر المصالح والمنافع.

ويمكن الوقوف على حقيقة التدين الكتابي من خلال الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: حقيقة التدين عند اليهود:

يمكن البحث في حقيقة تدين اليهود من خلال الإجابة عن السؤال الآتي: هل اليهود يؤمنون بكلّ ما جاءت به أنبياؤهم، ويلتزمون العمل به في كلّ أحوالهم، لأنّه الحقّ؟ أم إنّهم يمارسون انتقائيةً فيما يؤمنون به؟ بمعنى أنّهم لا يقبلون إلا ما تهواه أنفسهم؟!

إنّ الإجابة عن هذا السؤال هي المفتاح الذي به تُعرف حقيقة تدين اليهود، وقد كفانا القرآن الكريم هذه الإجابة حيث قال الله تعالى في معرض توبيخه لليهود:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾(١).

فهذه الآية الكريمة تدلُّ على أنّ اليهود لا يقبلون إلا ما وافق أهواءهم، فإذا جاءهم الأنبياء بخلاف ما يشتهون، كذّبوا بعضَهم، وقتلوا بعضَهم الآخر؛ لمجرّد مخالفتهم لأهوائهم الشيطانية!.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «كانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء أسوأ المعاملة، ففريقاً يُكذِّبونه، وفريقاً يقتلونه؛ وما ذاك إلا لأنّهم يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم، وبالإلزام بأحكام التوراة التي قد تصرّفوا في مخالفتها»(٢).

---

(١) سورة البقرة: آية (٨٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم: ١/ ٣٢١، وانظر: جامع البيان: ٢/ ٢٢٦.

ويؤخذ مما سبق أنّ اليهود لا يدينون بالخضوع والطّاعةِ للإله المعبود، وإنّما يعبدون أهواءهم وشهواتهم، فما وافقها قبلوه، وما خالفها كذّبوه وحاربوه.

قال الدكتور عبدالوهاب المسيري رحمه الله: «**اليهود يحوّلون أنفسهم إلى مرجعيّة ذاتهم، فهم يبحثون عن دينٍ يجعلهم شعباً مختاراً. وبدلاً من طاعة الإله يطوّعونه، ولذا فهم يستخدمون الدّين استخداماً نفعياً**»[1].

وإذا كانت الأهواء والمصالح هي التي تُنتج المفاهيم والقيم والتصورات الدينية عندهم، فإنّها ستكون عرضةً للتّغيير المستمرّ، تبعاً لتغيّر الأهواء والمصالح.

قال القس «إكرام لمعي»: «التّاريخ يشهد بأنّ شعب إسرائيل على طول الزمن لم يكن له اهتمامٌ حقيقيٌّ بالدين، غير أنّه كان يستغلُّ الدّين بصورةٍ واضحةٍ لتحقيق أهدافٍ سياسيّةٍ واقتصاديّةٍ، وكان دائماً ينادي بأمورٍ معيّنةٍ في وقتٍ معيّنٍ، ثم يفعل العكس في أوقاتٍ أخرى[2]»[3].

ومن الأمثلة المعاصرة على توظيف بعض اليهود للدّين ابتغاء تحقيق أهدافهم السياسية، ما ذُكر عن «دافيد بن غوريون» أوّل رئيس وزراءٍ إسرائيليٍّ حيث إنّه رغم إلحاده وتفاخره بتجاهل

---

(١) من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية والأزمة الصهيونية: ٢٨٣.

(٢) من أوضح الأمثلة المعاصرة على هذه الجزئية الأخيرة، أنّ بعض اليهود الذين كانوا يعتقدون بوجوب انتظار المسيح، ويرفضون العمل على استعجال مجيئه؛ ما أدّى إلى رفضهم التام للصهيونيّة لكونها تخالف مبدأ الانتظار، تغيّر موقفهم مع مرور الوقت، فتعايشوا مع الصهيونية -رغم رفض بعضهم لها- واشتركوا في انتخاباتها، وامتثلوا لقوانينها، واستفادوا من امتيازاتها، ومنهم من تقلّصت عنايته بفكرة المسيح المخلص، لكون الصهيونية عندهم قامت بدور المنتظر، وحقّقت الخلاص لليهود، وأنشأت لهم الدولة. انظر: البعد الديني للصراع الإسرائيلي: ١٢٣، وحمار المسيح «الأصولية اليهودية- الحاضر والجذور»: ١٨، ٢٩، ٣٠، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ٩٠، والدين والثقافة الأمريكية، جورج مارسدن: ٢٣٥، والدين والسياسة في إسرائيل، عبدالفتاح محمد ماضي: ذ، والقوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة: ١٢٩.

(٣) الاختراق الصهيوني للمسيحية: ٢٨، وانظر: البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد الحسيني: ٢٥٦، والمسيح القادم، مسيح يهودي سفّاح: ١٢، ومعركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل: ٣٥ «الحاشية».

تعاليم الديانة اليهودية، إلا أنّه أعلن أنّ سبب حرب السويس[1] هو «إعادة مملكة داود وسليمان إلى حدودها التوراتية»، وقد علّل إطلاقه لمثل هذه العبارات الدينيّة التي لا يؤمن بها! بأنّ يهوداً كثيرين يصدّقون بها، بقطع النّظر عن صحّتها أم لا[2].

وبعد: فإذا كان اليهود لا يؤمنون إلا بما يوافق أهواءهم!، فهل سيكون تفاعلهم مع نصوص الملاحم، بما تقتضيه هذه النصوص شرعاً وعقلاً؟ أم إنّهم يتفاعلون معها بما يقتضيه واقعهم، ويحقّق مصالحهم؟!

هذا ما سيأتي الجواب عنه في المطلب الثاني عند الحديث عن توظيف اليهود نصوصَ الملاحم وآثارها توظيفاً نفعيّاً.

الفرع الثاني: حقيقة التدين عند النصارى:

من الصعب في هذه الجزئيّة من الدراسة استيعاب حقيقة التديّن عند جميع فرق النصارى ودولهم، إلا أنّه من الممكن تسليط الضوء بشكلٍ موجزٍ على حقيقة التديّن في «المجتمع الأمريكي المعاصر» تحديداً، وذلك لأسبابٍ أهمها:

---

(١) السويس هي: بُلَيدٌ على ساحل البحر الأحمر من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان: ٣/ ٣٢٥، وقد وقعت حرب السويس في عام ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م إثر احتلال القوات الصهيونية شبه جزيرة سيناء، وما تلى ذلك من قيام القوات الجويّة البريطانيّة والفرنسية بقصف مدينة بور سعيد والمناطق المحيطة بها، أعقبه غزو بريٍّ واجهه الجيش المصري والمواطنون ببور سعيد، وكان سبب هذه الحرب أنّ مصر حين رغبت في بناء السد العالي جنوب أسوان لتطوير الكهرباء والزراعة في البلاد، ورفض البنك الدولي تمويل البناء، عمدت مصر إلى تأميم شركة قناة السويس وسخّرت عوائد الملاحة لبناء السدّ، فنشبت الحرب بعد أن رفضت مصر الاستجابة لمطالب بريطانيا بإيقاف التأميم. انظر: موسوعة ١٠٠٠ حدث إسلامي، العفيفي: ٤٣٦، ٤٣٧.

(٢) انظر: أساطير الصهيونية، جون روز: ٢١، ٢٢، والتاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، إسرائيل شاحاك: ١٩.

١-أنّ الولايات المتحدة الأمريكية هي المحضن الرئيس للحركة الأصولية البروتستانتية(١) التي تضم إليها ربع الراشدين الأمريكيين من الطبقتين الوسطى والعليا، وهي التي أزعجت العالم بأخبار هَرْمَجَدُّون(٢).

٢- ظهور الصبغة الدينية في سياسات الولايات المتحدة الأمريكيّة الخارجيّة(٣).

ويمكن تلخيص أظهر ما ذكره بعض الكُتّابِ الأمريكيين وغيرهم حول التديّن الأمريكي في النقاط الآتية:

أ- الولايات المتحدة هي أمّة علمانية، يسكنها أناسٌ متديّنون في معظمهم.

ب- مفهوم التديّن عند معظم الأمريكيين هو مجرّد الإيمان بالإله!، أو هو قبول المسيح مخلّصاً، والذهاب إلى الكنيسة في أيّام الأحد!.

ج- أصبح الدّينُ حاضراً بقوّةٍ في حياة الأمريكيّين، عندما عملت الجماعات الدينيّة جمعيّات مصالحٍ، وحاولت التأثير في المسار السياسيّ بأساليبَ متنوّعةٍ.

د- يرى بعضهم أنّ ما يقارب نصف التعداد في الولايات المتحدة هم من المحافظين

---

(١) ذكر «والتراسيل ميد» أنّ البروتستانتية في أمريكا تتكون من ثلاثة اتجاهات:

١- الأصوليّون: الذين يعتقدون بقدسية الكتاب المقدس وصحته المطلقة، وكونه مرجعاً مُلهماً، وأنّهم لابد أن ينفصلوا عن العالم غير النصراني، وهم يؤمنون بأحداث الملاحم التي تكون آخر الزمان.

٢- المسيحيون الليبراليون، وهم يرون أنّ التعاليم الأخلاقية هي جوهر ديانة المسيح، وهم محبون للسلام، وبالتالي فهم لا يلتفتون إلى نبوءات الملاحم، وقد كان لهم نفوذ إبان الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، ولكن تأثيرهم الآن على المجتمع الأمريكي محدود وضعيف.

٣- الإيفانجيلكيون: وهم أصوليون مضادون لليبرالية، ويؤمنون بأكثر ما يؤمن به الأصوليون ومن ذلك: ملاحم آخر الزمان، ولكنهم منفتحون على دول العالم، ولا مانع لديهم من دعم التعاليم الأخلاقية، وبالتالي فهم التيار الوسط بين الأصولية والليبرالية البروتستانتية، ويظهر أنّهم الأقوى نفوذاً. انظر: بلد الله: ٢٠-٣٩، ومقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكي مرتين، عادل المعلم: ١٤٠.

(٢) انظر: يد الله: ٢١.

(٣) انظر: ص ٤٦٢- ٤٦٣ من الرسالة.

الدينيين، وحوالي الثلث هم أصوليون، والباقي من الليبراليين.

هـ- يرى البعض أنّ شيوع الدّين بالمفهوم الذي سبق بيانه، قد أدّى إلى شيوع النفاق بين الأمريكيّين، فكثيراً ما أصبح السياسيّون يختبئون وراءه ليحرّكوا به الأحداث.

قال الباحثان الأمريكيّان مايكل كوربت وجوليا ميتشل: «لقد اعتمد الرؤساء الأمريكيّون بدءاً من جورج واشنطن فصاعداً على الحسّ الدينيّ، ليس للتأثير في عقول أبناء الشعب فحسب، بل على أفئدتهم أيضاً لتأييد الأهداف الرئاسية»(١).

وحين سُئل «ريتشارد هاس» مدير إدارة التخطيط والسياسة في وزارة الخارجية الأمريكية في ٢ مارس ٢٠٠٢م أثناء مشاركته في برنامج على الهواء عن تبرير اللهجة الدينية الواضحة في خطاب الرئيس بوش الابن، «ضحك!» ثم قال: «الخطاب الدينيّ يؤثر على الشعب الأمريكي(٢)، فهو أكثر شعوب العالم تديّناً»(٣).

---

(١) الدين والسياسة في الولايات المتحدة: ١/ ٩ «بتصرّف».

(٢) يقصد أنّ الرئيس يقوم بتوظيف الدين لتحقيق بعض المصالح، ولكن حتى على افتراض أنّ الرئيس يُعبّر فعلاً عن المشاعر الدينية التي يعيشها، فهل هذه المشاعر الدينية هي التي تقود الولايات المتحدة؟، أم إنّ الذي كان يقودها على الحقيقة في زمن «رئاسة بوش الابن» هم «المحافظون الجدد»؟!
وحتى يتضح المقصود أكثر فلا بأس بالإشارة إلى ما ذكره «عبد الحي زلوم» من أنّ «بوش الابن» كان إلى عام ٢٠٠٠م يجهل أبسط أبجديات السياسة الخارجية، فحين وجه إليه سؤال من أحد مراسلي مجلة «جلامور» عن «حركة طالبان»؟ أجاب: بأنّ هذا الاسم قد طرق مسامعه من قبل، وأنّه يعتقد أنّه اسم فرقة روك أند رول أميركية، وحين طلب منه أن يعدد أسماء عشرة قادة دول؟ لم يستطع أن يذكر سوى اسم واحد منهم!، ولذلك طلب والده من «كوند اليزا رايس» أن تشرح للابن بعض مبادئ السياسة الخارجية، وتمّت مكافأتها بتعيينها مستشارة للأمن القومي، ثم وزيرة للخارجية.
قال زلوم معلّقاً على اللقاء الذي أجري مع بوش، والذي تبين منه حقيقة المستوى الثقافي لرئيس أقوى دولة في العالم: «لقد كانت القوى التي أوصلت بوش هذا إلى سدّة الحكم ليدير أجندتها الخاصة بنظام عالمي امبريالي جديد، على علم تامٍّ بما تريد» امبراطورية الشر الجديدة: ٩، ١٠، وانظر: المحافظون الجدد والمستقبل الأمريكي، عبدالعزيز كامل، مقال منشور ضمن «مستقبل العالم الإسلامي... تحدّيات في عالم متغير» التقرير الارتيادي الاستراتيجي الثاني الصادر عن مجلة البيان: ٣٠٤-٣٠٦.

(٣) مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكي مرتين: ٥، وانظر: البعد الديني في السياسة الأمريكية: ١٥٨، ومقدّمة كتاب بلد الله: ٧، ويوم الغضب: ١٢.

و- يرى بعض الأمريكيين أنّ الديّن كالغراء الذي يُبقي المجتمع متماسكاً، ومن ثم فهم يتعاملون معه على أساس استخدامه من غير الارتباط به!.

ز- يُشاع بين الأمريكان أنّهم شعبٌ مصطفى، وأنّ أمريكا هي حصن النصرانيّة، وأنّ عليهم واجباً تجاه الله، بإبلاغ رسالته لسائر الأمم! عن طريق نشر ديانتهم في العالم، وأن يكونوا مثالاً يحتذى به[1].

هذا ما يتعلق بالتديّن الأمريكي بشكل عام، ولو تأمّلنا حقيقة موقف «الأصولية الإنجيلية الأمريكية» من الديّن -لكونها حاملة لواء «هَرْمَجَدُّون» النوويّة- لوجدناها تتعامل مع الملاحم وفق ما تهواه، فهي تستعجل الملاحم وتدفع العالم إليها بحُجّة رغبتها في التعجيل بمجيء المسيح، وهي بهذا لم تترك مجالاً لتتّضح من خلاله إرادة الإله ومشيئته وقدرته، إمّا لأنّها ترى أنّ علاقتها الوثيقة بالمسيح قد خوّلتها بأن تتخذ القرار بضرورة تسريع مجيئه، أو لتوهّمها أنّ في تعجيلها بقدومه تحقيقاً لإرادته وبناءً على هذا فإنّ حقيقة التدين عند الأصوليّة إنّما هو تمجيدٌ للذّات الأصولية الإنجيلية،

(١) انظر: أرض الميعاد والدولة الصليبية: ٥-٧، والبعد الديني في السياسة الأمريكية: ٣٧-٤١، ٧٠، ٧١، ٧٤، ١٥٨، وبلد الله: ١٢، ١٥، ١٦، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ٢٥، والدين والثقافة الأمريكية: ٩، والدين والسياسة في الولايات المتحدة: ٢/ ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٨، والصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: ٢٦٩، والقدس بين الوعد الحق والوعد المفترى: ٣١، ٣٢، والمسيح اليهودي ونهاية العالم: ١٧، ٤٣، ٦٠، ٨٢، ٨٣، والمسيحية والتوراة: ١١٨، ١٦٢، ١٦٣، ومعركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية: ٢٠٢، ٢٠٧، والملاك يوجه العاصفة: ١١٥، ١١٦، ومن أجل صهيون: ١٨٤، ١٨٥، ٤٩، والنظام العالمي الجديد: ١٥٥.

وإضفاءٌ للقداسة عليها، من خلال تطويع الإله[1] لرغباتها وأهوائها[2].

المطلب الثاني: توظيف بعض اليهود نصوص الملاحم وآثارها توظيفاً نفعيّاً:

إذا كان اليهود لا يجدون حرجاً في صنع الإله الذي يعتقدون مناسبته لهم[3]، ولا يجدون غضاضةً في الكفر بالنبيّ الذي يخالف أهواءهم[4]، وربما قتله في بعض الأحيان، فإنّه من الطبيعي أن يكون لأهوائهم وحظوظهم ومصالحهم النصيب الأكبر في تعاملهم مع أخبار الملاحم وآثارها.

وقد تبيّن من خلال البحث أنّ توظيف اليهود نصوص الملاحم ارتبط بالفترات التي تسوء علاقتهم فيها بالأمم الأخرى، وأما حين تهدأ الخصومات التي بينهم وبين الآخرين -ويشعرون بالأمن والطمأنينة- فإنّ تطلّعهم إلى الملاحم، وتوظيفهم لها ينتابه شيءٌ من الفتور أو النسيان.

قال الدكتور عبدالوهّاب المسيري رحمه الله: «ففي أوقات الضيق والبؤس، كانت الجماهير اليهودية التي تتحرك داخل إطارٍ حلوليٍّ ساذجٍ وبسيطٍ تتذكّر دائماً الرسول الذي سيبعثه إله

---

(١) أخبرني الأستاذ محمّد السّماك، مترجم كتاب: «يد الله» أنّ الترجمة الحرفية لعنوان الكتاب هي: «ليُّ يد الله» - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-، وهو عنوان أرادت المؤلفة «غريس هالسل» أن تختصر فيه حقيقة مساعي الأصولية الإنجيلية المتشوّقة لهرمجدّون، حيث إنّ الناظر إلى أقوالهم وأعمالهم يظهر له منها أنّهم يتوهمون إحاطتهم بمراد الله، وبالتالي فقد خوّلوا أنفسهم بتحقيقه على أرض الواقع، وكأنّ العلاقة التي بينهم وبين الرب تخولهم أن يتصرفوا على وفق ما يعتقدون إرادة الرب له، ومن ذلك تسريعهم بمجيء المسيح -بزعمهم-، قال الأستاذ السماك في مقدمة الكتاب: «غير أنّي تصرّفت بترجمة عنوان الكتاب فقط؛ لأنّ الترجمة الحرفية للعنوان قد لا تلقى ارتياحاً من الرقيب العربي، فآثرت استخدام عنوان «يد الله» إيماناً منّا بأنّ «يد الله فوق أيديهم»!!»: ٩.

(٢) انظر: الصهيونية المسيحية: ٨١، ومعركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية: ٢٠٠.

(٣) قال الله تعالى: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾﴾ سورة طه: الآيتان (٨٦، ٨٧) وجاء في سفر الخروج: «٧فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبِ انْزِلْ! لأَنَّهُ قَدْ فَسَدَ شَعْبُكَ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. ٨زَاغُوا سَرِيعاً عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ. صَنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْبُوكاً وَسَجَدُوا لَهُ وَذَبَحُوا لَهُ وَقَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ» ٣٢/ ٧، ٨.

(٤) انظر: ص ٤٤٨ من الرسالة.

الطبيعة والتاريخ، والذي سيأتي بكلّ المعجزات اللازمة لإصلاح أحوالهم»[1].

فحين اشتدّت وطأة الرومان على اليهود في العام السادس قبل الميلاد!!، أنزلت فرقة «الغيورين» نصوص ملحمة «جوج وماجوج» التي تقع في آخر الزمان على الدولة الرومانية[2]، وحين تأذّى يهود يثرب من الأوس والخزرج، توعّدوهم بنبيٍّ قد أظلّ زمانه، يتبعه اليهود، ويقومون معه باستئصال شأفة جيرانهم العرب، فلما بُعث محمدٌ ﷺ كفروا به!![3].

ومثل ذلك يُقال في الضغط النفسي الذي يعيشه اليومَ اليهودُ المحتلّون لفلسطين، وقد تولّد عنه اقتناع بعض أتباع حركة «جوش إيمونيم» بأنّ هدمهم لمسجدي الأقصى والصخرة، سيعجّل بحرب «جوج وماجوج» -وهم المسلمون حسب اعتقادهم-، وسينتصر فيها اليهود على أعدائهم من الفلسطينيين والعرب وسائر المسلمين[4].

وهذه النماذج الثلاثة تدلُّ من وجهٍ آخر على أنّ اليهود يوظِّفون نصوص الملاحم بما يقتضيه الحال، فتارةً يجعلون الأعداء الذين تنبأ الأنبياء بانتصار اليهود عليهم الرومان!، وتارةً يجعلونهم مشركي يثرب!، وتارةً يجعلونهم المسلمين!!.

وكذلك فإنّ اعتقاد بعضهم بالملاحم والمسيح المخلِّص، قابلٌ للتطوّر حسبما يقتضيه الحال؛ حيث تقلّصت عناية بعض اليهود بفكرة المسيح المخلص، عادِّين أنّ الصهيونيّة قامت بدوره، حين حقّقت الخلاص لليهود، بإنشائها الدولة اليهوديّة![5].

وهذا يؤكّدُ ما تقدّم من أنّ اليهود يصنعون معتقداتهم ويطوّرونها وفق ما تقتضيه الأهواء

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٥/ ٢٩٦.

(٢) انظر: ص ٤١٢ من الرسالة.

(٣) انظر: ص ٤١٢،٤١٣ من الرسالة.

(٤) انظر: ص ٤٠٩ من الرسالة.

(٥) انظر: أساطير الصهيونية، جون روز: ٢٦، وامبراطورية الشر الجديدة: ١٣٥، والبعد الديني للصراع الإسرائيلي: ١٢٣، وحمار المسيح «الأصولية اليهودية- الحاضر والجذور»: ١٨، ٢٩، ٣٠.

والمصالح اليهوديّة، أي إنّهم يتعاملون -في الأغلب- مع الملاحم تعاملاً توظيفيّاً، أكثر من كونهم يتأثّرون بها، ومصداق ذلك أنّ اليهود أحرص النّاس على الحياة الدنيا، وأشدّهم كراهيةً للموت، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[1]، ولذلك فقد تحدّاهم القرآن بأن يتمنّوا الموت إن كانوا صادقين في دعواهم: أنّهم يصيرون إلى الجنّة، وأنّ النعيم المقيم سيكون خالصاً لهم من دون الناس، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾[2]، ولكنّهم لن يتمنّونه أبداً، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[4].

ويمكن أن يُستنتج من هذه الآيات: أنّ أغلب اليهود -في حقيقة الحال- لا يتمنّون الملاحم!، لأنّها تحمل في طيّاتها الموت الذي يفرّون منه!، ولذلك فإنّهم إذا تحدّثوا عنها فإنّ حديثهم -في الغالب- يرتبط بمقاتلة الله عنهم، من غير أن يكون لهم دورٌ في القتال.

---

(١) سورة البقرة: آية (٩٦).

(٢) سورة البقرة: آية (٩٤).

(٣) سورة البقرة: آية (٩٥).

(٤) سورة الجمعة: الآيات (٦-٨).

المطلب الثالث: توظيف بعض النصارى نصوص الملاحم وآثارها توظيفاً نفعيّاً:

لا يختلف النصارى كثيراً عن اليهود في أنّ لهم دوراً واضحاً في صناعة معتقداتهم، ولهذا فلا غرابة أن يكون لأهوائهم ومصالحهم النصيب الأكبر في تعاملهم مع أخبار الملاحم وآثارها!.

ويمكن الوقوف على شيءٍ من توظيفهم النفعي نصوص الملاحم وآثارها، من خلال النظر في الفروع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول: توظيف بعض النصارى نصوص الملاحم وآثارها في مواجهة المدّ الإسلاميّ:

لقد أسفر الحقد النصرانيّ والعداء الصليبيّ للإسلام ونبيه ﷺ والمسلمين عن اختراع ملاحم للتنفير من الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى توظيف ملاحم العهدين القديم والجديد لتحقيق الغرض نفسه.

ويظهر -من خلال البحث- أنّ اختراع النبوءات المعادية للمسلمين بدأ أولاً، حيث تم في أواخر القرن السابع الميلادي اختراع نبوءة نسبت إلى أُسقُف البتراء بالأردن «ميثاديوس» الذي عاش في القرن الرابع الميلادي، وتهدف هذه النبوءة إلى تعزية النصارى السوريين الذين أصبحوا أقلّية تحت الحكم الإسلامي، بأنّ خطاياهم هي السبب في خضوعهم لبعض الوقت للقبائل البدوية التي أطلقوا عليها لقب «الإسماعيليين» نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وتشير النبوءة إلى امبراطور نصراني قوي اسمه «شارلمان» اعتقد الناس أنّه قد مات، ولكنّه لم يمت حيث سينفض عنه النعاس، وينهض في غضبٍ ليقضي على «الإسماعيليين»، ويغضب من النصارى الذين تنكّروا لربّهم، بدخولهم في دين الإسلام![1].

وقد تكرّر اختراع الملاحم التي تبشّر بانتصار النصارى على المسلمين، بعد أن وعد لويس السابع ملك فرنسا عام ١١٤٥م بغزو المسلمين[2]، إلا أنّ الذي جرى عليه العمل باستمرار عند

---

(١) انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ٣٣، ٩٠، ومحمد -ﷺ- مؤسس الدين الإسلامي: ٤٤٩.

(٢) انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ٩٢.

بعض النّصارى هو توظيف النصوص المقدّسة التي تتحدث عن أحداث آخر الزمان وملاحمه -وخصوصاً ما ورد بشأن المسيح الدجال- في تنفير بني قومهم من الدخول في دين الإسلام، وذلك من خلال الربط بين هذه النصوص وبين الإسلام ونبيّه ﷺ والمسلمين.

حيث ذُكر عن «بيده» المتوفّى سنة ١١٧هـ-٧٣٥م وهو من سكّان «نورثمبريا» في شمال إنجلترا، أنّه عَدّ -في أحد شروحه للكتاب المقدّس- المسلمين: أعداء المسيح وتبعه على ذلك بعض الكُتّاب الغربيين.

وفي سنة ٢٤٤هـ- ٨٥٨م كتب ثلاثة من النصارى الأسبان وهم «جورج» و«أورليوس»، و«ناثاليا» نصّاً عن آلام المسيح، ومما جاء فيه: أنّ الإسلام عقيدةٌ ضالّةٌ، وخدعة الشيطان الماكرة، وأنّ النبي ﷺ وكيل المسيح الدجال!!

وفي عام ٢٤٥هـ-٨٥٩م، حُكم بالإعدام على «أولوخيو» أسقف طليطلة بالأندلس؛ لأنّه سبّ النبي ﷺ، وكان يعتقد هو وكاتب سيرته بعد مقتله «بول الفارو» أنّ ظهور الإسلام وانتشاره هو الإعداد النهائي لظهور المسيح الدجال، أو هو الدجال نفسه.

وعدّ «جواكيم الفلوري» المتوفى سنة ٥٩٩هـ-١٢٠٢م النبي ﷺ، وعبدالمؤمن الكومي[١] مؤسس دولة الموحدين في المغرب، وصلاح الدين الأيوبي[٢]، والمسيح الدجال، من جملة الرؤوس السبعة التي للوحش الوارد ذكره في سفر الرؤيا[٣].

وفي عام ٦١٠هـ-١٢١٣م دعا البابا «إنوسنت» الثالث إلى شنّ حملةٍ صليبيّةٍ ضدّ المسلمين،

---

(١) هو أبو محمد، عبدالمؤمن بن علي الكومي، أمير المؤمنين، مؤسس دولة «الموحدين» في المغرب وإفريقية وتونس، بويع سنة ٥٢٤هـ، وكان عاقلاً حازماً شجاعاً موفقاً، كثير البذل للأموال، عظيم الاهتمام بشؤون الدين، توفي سنة ٥٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/ ٣٦٦-٣٧٥، والأعلام: ٤/ ١٧٠.

(٢) هو أبو المظفّر، يوسف بن أيوب بن شاذي، الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، لم يدّخر لنفسه مالاً ولا عقاراً، وهو الذي استرد القدس عام ٥٨٣هـ بعد أن وقع في أسر الصليبين قرابة ١٠٠ سنة، توفي سنة ٥٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٧٨-٢٩١، والأعلام: ٨/ ٢٢٠.

(٣) كما في قول يوحنّا: «ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى رَمْلِ الْبَحْرِ، فَرَأَيْتُ وَحْشاً طَالِعاً مِنَ الْبَحْرِ لَهُ سَبْعَةُ رُؤُوسٍ وَعَشَرَةُ قُرُونٍ، وَعَلَى قُرُونِهِ عَشَرَةُ تِيجَانٍ، وَعَلَى رُؤُوسِهِ اسْمُ تَجْدِيفٍ» ١٣/ ١.

بدعوى أنّ محمّداً ﷺ وأتباعه المسلمين، هم الوحش ذو السبعة الرؤوس الذي طلع من البحر في رؤيا يوحنّا اللاهوتي[1].

وألّف الرّاهب النصرانيّ «ريكولدو أوف مونت كروس» المتوفّى سنة ٧٢٠هـ-١٣٢٠م كتاباً بعنوان «دحض القرآن» قال فيه: «إنّ الإسلام مجرّد خدعةٍ شيطانيّةٍ ابتدعها الشيطان كي يمهّد الطريق لمجيء المسيح الدجال»[2].

وفي القرن السادس عشر الميلادي وصف «مارتن لوثر»: الإسلام والبابا بأنّهما العدوّان اللدودان للمسيح، وإذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال، فإنّ البابا رأسه[3].

ورغم أنّ «جورج بوش -الجدّ-» المتوفّى سنة ١٢٧٦هـ- ١٨٥٩م قرّر أنّه لا يملك برهاناً مقنعاً بأنّ النبي ﷺ هو عدوّ المسيح أو المناهض له، إلا أنّه ألمح في مجمل كلامه إلى أنّ النبي ﷺ هو إنسان الخطيّة «المسيح الدجال»، وعَدَّ البوق الخامس في سفر الرؤيا يرمز إلى ظهور الدعيّ العربيّ![4].

تعالى الله وكتابه ودينه ورسوله ﷺ والمؤمنون عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الكتابات النصرانية الكاذبة التي ابتدأت منذ القرن الأول الهجريّ، بهدف تشويه صورة الإسلام عند عامّة النصارى، أصبحت عقيدة موروثةً لدى الغربيّين، وهي أشبه بالمستنقع الآسن العفن الذي تغرف منه وسائل الإعلام الغربية، وبعض رجال الأصولية الإنجيلية في أمريكا من أمثال «جيري فولويل»، و«بات روبرتسون»، و«فرانكلين

---

(١) انظر: الرؤية الأوربية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى، علي الغامدي: ٦٥، ٦٧، ٧٣، ٧٤، ٧٦، والعدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد ﷺ، له أيضاً، وهو مقال منشور في موقع الحملة العالمية لمكافحة العدوان على شبكة الانترنت: ٧، ١٦، والمسيّا المنتظر نبي الإسلام ﷺ: ٢٦٦.

(٢) نقلاً عن: العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد ﷺ: ١٦.

(٣) انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ٩٤، ولماذا يكرهونه؟! «الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ»، باسم خفاجي: ٦٤، ويد الله: ٣٨.

(٤) انظر: محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين: ٣٧، ١١٠، ١٦٧، ٤٦٢.

جراهام» وغيرهم، وينشرونها عبر وسائلهم المختلفة، فلا جديد إذن فيما يمارسه الأصوليون المعاصرون مع المسلمين والعرب، إنما هو اجترارٌ من الماضي، وإنزالٌ على الحاضر، ورجمٌ بالغيب على المستقبل(1).

الفرع الثاني: توظيف بعض النصارى نصوص الملاحم في تصفية حساباتهم الداخلية!:

النصارى كغيرهم من الناس يتصارعون فيما بينهم، ويتنافسون لتحقيق المكاسب والأطماع الماديّة وغيرها، إلا أنّهم تميّزوا بتوظيف نبوءات الملاحم وآخر الزمان ضدّ بعضهم البعض، وخصوصاً البروتستانت الذين أطلق بعضهم ألقاب «يأجوج ومأجوج»، و«المسيح الدجال» على أتباع الطائفتين الأرثوذكسية والكاثوليكية!!.

ومن ذلك أنّ «مارتن لوثر» وصف «البابا» في عام ١٥٣٠م بأنّه عدوُّ المسيح وربط «جون كالفن» بينهما.

ووُصف كلٌّ من: هتلر، وستالين، وجورباتشوف، بأنّهم «عدو المسيح»، وعَدَّ بعضهم ألمانيا من حلفاء «يأجوج ومأجوج»، ونصّ بعضهم على أنّ روسيا هي «يأجوج ومأجوج»(2).

قال «نورمان كوهن»: «كان أيّ حاكمٍ يمكن أن يُعتبر طاغيةً مُرشّحاً لأخذ سمات المسيح الدجّال، وكثيراً ما حدث أن أعلن أحد البابوات في وقارٍ أنّ خصمه: امبراطور عنيفٌ، أو ربما عدوٌّ للبابا، وحينها يُطلق عليه أنّه المسيح الدجال»(3).

---

(١) انظر: العدوان الفكري الغربي على الإسلام وعلى نبيه محمد ﷺ: ١-٣.

(٢) انظر: السعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ١٠١، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٦/ ١٤٤، والنبوءة والسياسة: ٤٧، ٤٨، ويد الله: ٣٨.

(٣) السعي وراء الفترة الألفية السعيدة: ٤/ ٣٨ «بتصرّف».

وهذا يدلُّ على أنّ توظيف النصوص الدينية، ونبوءات آخر الزمان، في غير سياقها الصحيح، لتبرير الهجوم على المخالفين، يُعدُّ أمراً طبيعياً في الثقافة الإنجيلية!، ومن ثمّ فينبغي عندما نراهم يوظّفون نصوص الملاحم وآثارها، أن نبحث عن الدوافع الحقيقية لهذا التوظيف، وأن لا نكتفي بأخذ الأمور على ظواهرها!!.

الفرع الثالث: توظيف بعض النصارى نبوءات الملاحم وآخر الزمان في خدمة أهدافهم الاستعمارية والسياسية:

لقد دأبت الامبراطوريات الغربية العلمانية التي تقوم على أساس الفصل بين الدين والحياة على استخدام الدّين ونبوءات الملاحم لكسب تأييد الجماهير، وإضفاء الشرعيّة على تضحياتها بأرواح البشر بالزجّ بهم في حروبٍ ظاهرها خدمة الدّين وحقيقتها خدمة الأهداف الاستعمارية[1].

قال «مايكل نورثكوت» أحد أشهر المختصّين البريطانيين في اللاهوت والسياسية: «تحتاج الامبراطوريات للتضحية بأرواح البشر، وكان هذا معروفاً جيّداً لأولئك الذين شنّوا حروب الفتوح والغزوات خلال التاريخ... وهذه الامبراطوريات غالباً ما أفرخت دياناتها، وذلك لإضفاء الشرعيّة على تضحياتها العنيفة، ولإضفاء القدسية على قتلاها»[2].

وقد طبّق «غراهام فوللر» المساعد السابق لرئيس هيئة المخابرات الوطنية في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية هذه الدوافع الاستعمارية على الحروب الصليبية، فقال: «ماذا كانت الحروب الصليبية إن لم تكن توسّعاً غربياً موجّهاً أساساً بالحاجات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. إنّ راية المسيحية لم تكن أكثر من مجرّد رمزٍ فاعلٍ، صرخة حماسٍ، لمباركة تلك الحاجات

---

(١) انظر: الدين في القرار الأميركي: ١١، ومعركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية: ٢٠٢، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٤/ ٢٥٨.

(٢) الملاك يوجه العاصفة: ١٢٤، ١٢٥.

العلمانيّة للأوروبيين الأقوياء ذوي النفوذ»(١).

وفي الاتجاه المقابل هناك من يرى أنّ الدافع الحقيقي لهذه الحروب هو الدّين قال «روبرت هندي» و«جوزيف رتبلات»: «وبرغم أنّ الحملات الصليبية قد اتخذت أشكالاً اقتصادية وامبريالية، فقد كانت قبل كلّ شيء، حروباً دينية حاولت من خلالها البلدان المسيحية السيطرة على «الأماكن المقدسة» التابعة لها»(٢).

وربّما كان هذا بادئ الأمر، إلا أنّ الدول الغربية الاستعمارية اليوم تحرّكها الدوافع التوسعيّة والاستعمارية والاقتصادية والرغبة في الهيمنة على الآخرين، إضافةً إلى البغض الذي يخفونه في صدورهم للإسلام والمسلمين، وأمّا الأماكن المقدّسة التي يزعمون تبعيتها لهم، فلا ذكر لها في دوافعهم المعلنة نحو الهيمنة على ما يسمّى «الشرق الأوسط»(٣).

ويبدو أنّ التظاهر بالإيمان العميق بـ«ملاحم آخر الزمان وأحداثه» تحديداً، وتفعيله على أرض الواقع، كان الوسيلة المفضّلة للسياسة الأمريكيّة لتنفذ من خلاله إلى مطامعها التوسعية، حيث ذكر «مايكل نورثكوت» أنّ أمريكا استغلّت «فكرة الألفيّة لأكثر من قرنين كأيديولوجيا مقدّسة، لتخفي بها الاتجاهات التوسّعيّة للنخبة الحاكمة فيها، تلك الاتجاهات التي تنمُّ بوضوحٍ

(١) العالم بدون الإسلام، مقال منشور في مجلة السياسة الخارجية فورين بوليسي عدد يناير ٢٠٠٨م، نقلاً عن موقع العربية على شبكة الإنترنت.

(٢) أوقفوا الحرب: ١١٧.

(٣) صدر مؤخراً كتاب بعنوان: «اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد» للباحث: فيصل بن علي الكاملي، يُشير إلى أنّ الكنيسة الكاثوليكية عملت على مدى عدّة قرون بهدف السيطرة على العالم من خلال المنظمات والجمعيات السرِّية التي أنشأتها، والتي منها: فرسان مالطة وفرسان الهيكل والمتنورين واليسوعية والماسونية والأيكة البوهيمية وغيرها، وأنّ وجود اليهود في فلسطين ما هو إلا خطوة تهدف إلى إنقاذ البقاع المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين وتسليمها لبابا الفاتيكان، وساق بعض الشواهد التي تؤكد أنّ قيادة الفاتيكان تعمل على تحقيق هذه الأهداف من خلال شخصيات وجهات لا يظهر ارتباطها بالكاثوليكية رغم موالاتها لها في الباطن -كأغلب رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها- بل إنّها تُعلن عدم رضاها عن الحروب العالمية؛ وكلّ ذلك رغبةً منها في تحسين صورتها السوداء، رغم أنّها المحرك الحقيقي للسياسة العالمية. انظر على سبيل المثال: ٧٩-١٤٣، ٢٧١-٣٤٩.

عن الرغبة في تكوين امبراطورية»[1].

ومن الأمثلة الواقعية لتوظيف السياسة الأمريكيّة لنصوص الملاحم توظيفاً نفعياً، ما كان يقوم به بعض رؤساء أمريكا حين يتّخذون مواقف عدائية من بعض الدول التي تنابذ أمريكا العداء، أو تتمرّد على سلطتها، أو تتحقّق فيها مصالح جوهريّة لأمريكا أو للرئيس أو للناخبين المؤثّرين أو غير ذلك مما يستدعي غزوها أو احتلالها!، أو تحجيم نفوذها، بحجّة أنّها من «دول محور الشر» التي ستقاتل ضد إسرائيل أو المسيح في ملاحم آخر الزمان.

فدولة «ليبيا» التي تمرّدت على طاعة أمريكا، وسارت حيناً في ركاب «امبراطورية الشر» روسيا الشيوعية، عَدّها الرئيس الأمريكي الأسبق «ريجان» -في وقت مبكر من عام ١٩٨٦م- العدو الدوليّ الأول، بحجّة أنّها إحدى الدول التي جاء في سفر حزقيال أنّها من جملة أعداء إسرائيل!![2].

وحين أذعنت «ليبيا» لأمريكا، غضّ الرئيس الأمريكي السابق «بوش الابن» الطرف عنها، ولم يعدّها من أعداء إسرائيل في الملاحم!، وإنّما أحلّ مكانها دول «محور الشر» الجديدة وهي: «إيران والعراق وسوريا وكوريا الشمالية»، مستنداً إلى أنّ هذه الدول، قد جاء ذكرها في العهد القديم كدول شر؛ لأنها ستجتمع لحرب إسرائيل في آخر الزمان![3].

ولّما قامت الولايات المتّحدة الأمريكيّة بضرب دولة «أفغانستان»، وهي ليست ضمن دول «محور الشر» التي يجب تأديبها لأنّها ستقاتل إسرائيل في آخر الزمان!! أوجد الرئيس الرئيس الأمريكي «بوش الابن» عذراً دينيّاً آخر لضربه لها، حيث صرّح في حزيران «يونيو» ٢٠٠٣م: بأنّ الله أمره بقتال «طالبان» ففعل!، ثم ثنّى بأنّه أمره أيضاً بقتال «صدام حسين» ففعل!، مما أثار دهشة

---

(١) الملاك يوجه العاصفة: ١٠٣.

(٢) انظر: المسيحية والتوراة: ٣٨٦، ٣٨٧، والنبوءة والسياسة: ١٧، ١٨، ٤٧، ٥١.

(٣) انظر: الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة: ٢٩، وامبراطورية الشر الجديدة: ٥٩، والملاك يوجه العاصفة: ١٠٦.

أمّه «بربارة»، فقالت مُشجّعةً له: إنّ الله يحدّثك![1].

وخلاصة القول: إنّ بعض النصارى المؤمنين بالملاحم، أو المتظاهرين منهم بالإيمان بها[2]، قد وظّفوها توظيفاً نفعيّاً، بغية تحقيق المصالح الشخصية أو العامّة.

وقد كان للمسلمين وخصوصاً العرب النصيب الأكبر من توظيف الملاحم ضدهم؛ حيث أنزل بعض النصارى نصوص المسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج وحلفاء ملك الشمال، وملك الجنوب على العرب والمسلمين بالدرجة الأولى، فاتخذوهم أعداء!!.

وأمّا ما يتعلّق بالدوافع الحقيقيّة للحملة الغربية الشرسة على الإسلام والمسلمين فيظهر أنّ منها ما هو قديمٌ متجدّدٌ، ومنها ما هو حديث.

فأما الدوافع القديمة المتجددة، فيمكن إرجاعها إلى دافعين:

الدافع الأول: بغض الروم العنصري لإسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وذريته من بعده.

قال «مايكل كولينز بايبر»: «ويُكِنُّ المسيحيون الإنجيليّون مشاعر همجيّةٍ قاسيةٍ ضدّ العرب والمسلمين. فهم يعتقدون بأنّ «العرب والمسلمين يعودون في أصلهم إلى إسماعيل، الابن غير المرغوب لإبراهيم، وقد وعد الرب إسماعيل أن يغدق عليه الأراضي والأموال ولكنّه لم يكن قنوعاً بما لديه. ومهما أغدق الربّ على العرب من الثروات والخيرات فإنّهم لن يعرفوا أبداً الأمن الروحي». هذه هي صورة المسلمين في نظر هؤلاء المتعصّبين المسيحيين»[3].

---

(١) انظر: المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ٢٢، ٢٣.

(٢) تظاهر بعض النصارى بالإيمان بالملاحم حقيقة واقعة يمكن الوقوف عليها من خلال التأمّل في قول الدّاعية الأصولي الإنجيلي «جيم روبيسون» الذي ساهم إعلامياً في توجيه الأمريكيين نحو رفض السلام، باعتباره هرطقة وكفراً لمخالفته لإرادة الله، حيث قال: «أقول: إنّ ما يطمئن قليلاً، هو أنّ نهاية العالم لن تبدأ حتى يتجمّع اليهود في إسرائيل، وهو ما لن يحدث بسبب شتاتهم، حتى لو طرد الفلسطينيون من بقيّة وطنهم» المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ٢١، **فهذه المقولة التي صدرت عن «جيم روبيسون»، والتي تضمّنت أنّ نهاية العالم لن تحدث!، تعني باختصار أنّ هرمجدّون لن تقع، وبالتالي فإنّ المسيح -الذي يؤمن به جيم- لن ينزل!!.**

(٣) كهنة الحرب الكبار: ١٧٩.

وقد تقدمت الإشارة إلى معاداة الروم القديمة لجنس العرب عنصرياً وحضارياً ودينياً[1].

الدافع الثاني: ظهور الإسلام من جزيرة العرب بوصفه حضارةً قويّةً ومؤثّرةً ومنافسةً للحضارة الرومانيّة الغربيّة، بل ومتفوّقةً عليها.

وقد ألمح القائد العسكري الإنجليزي «جلوب باشا» -الذي عمل قائداً للجيش العربي الأردني حتّى عام ١٩٥٦م!!- إلى ربط مشكلة الشرق الأوسط بالقرن السابع الميلادي، أي إلى تاريخ ظهور الإسلام!، فقال: «إنّ تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنّما يعود إلى القرن السابع للميلاد»[2].

فعداوة الغربيين للإسلام منذ ظهوره، خوفاً من تأثيره على بني جنسهم، أحد العوامل التي أدّت إلى دخولهم معه في صراعٍ عنيفٍ، بهدف الحفاظ على تماسكهم[3].

قال الداعية الإسلامي المعروف الشيخ محمّد قطب حفظه الله: «إنّ الحقد الصليبي ليس مبعثه بالضرورة «تديّن» النصارى كما قد يبدو لأول وهلة، إنّما سببه الأساسي هو وجود المسلمين! وجود تجمّع بشري لا ينتمي إليهم ولا ينضوي إلى زمرتهم ولا يتبع ملتهم، وهذا هو الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[4].

وسواءٌ كانوا هم متدينين أو منسلخين من دينهم فلن يرضوا عن «المسلمين» طالما هم مسلمون، يستظلّون براية: لا إله إلا الله محمد رسول الله- ﷺ-»[5].

وأمّا الدوافع الحديثة فهي محلّ خلافٍ شديدٍ بين الباحثين، والبحثُ فيها طويلٌ وشائكٌ؛ بسبب كثرة التحليلات التي أدلى به المفكّرون والمحلّلون الغربيون والأمريكيّون والإسرائيليّون والعرب.

ويمكن تلخيص أهمّ ما ذكروه حول الدوافع الحقيقية للهجمة الغربية عموماً والأمريكية

---

(١) انظر: ص ١٩٥، ١٩٦ من الرسالة.

(٢) في فقه الصراع على القدس وفلسطين: ٧.

(٣) انظر: لماذا يكرهونه؟!: ٢٥، ٦٠-٨٤، وملامح المستقبل، محمد الأحمري: ٧٥.

(٤) سورة البقرة: آية (١٢٠).

(٥) واقعنا المعاصر: ١٩١.

خصوصاً على العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر، في النقاط الآتية:

١- تحقيق نبوءات الملاحم وأحداث آخر الزمان فحسب.

٢- الاستيلاء على النفط فحسب؛ إما لتحقيق مصلحة للدولة الغازية أو للدول المتداعية على ثروات العالم الإسلامي، أو تحقيقاً لمصلحة الرئيس أو نائبه أو غيرهما؛ لأنّهم مشاركون في شركات نفطية كبرى، أو لدعمها لهم في الانتخابات ونحو ذلك.

٣- إرضاء نهم الشركات المتخصصة في صناعة الأسلحة، لأنّه يهمّها زيادة مبيعاتها بأيّ وسيلةٍ ولو كان ذلك عن طريق إثارة الحروب، وربما كان الرئيس أو غيره مُستفيداً من هذه الشركات إما لكونه شريكاً فيها، أو لدعمها له في الانتخابات، ونحو ذلك.

٤- الرغبة في الهيمنة على العالم بالاستيلاء على المنطقة التي تُعدّ مرتكزاً للهيمنة عليه، إما بسبب موقعها الجغرافي، وإما لاحتضانها منابع الموارد الطبيعية ومنها النفط لكون المستولي عليها يمتصُّ خيراتها، ويضمن استمرار تفوقه وسيطرته على المجتمعات الصناعية المنافسة التي تعتمد على نفط المنطقة، بحيث تصبح تلك المجتمعات معتمدة على قراراته، أو لأن فقدانه لهذه المنطقة الحيوية سيكون لمصلحة قوة أخرى صاعدة ومنافسة.

٥- حماية إسرائيل، والحفاظ على أمنها، ورفاهيّتها، إما تحقيقاً للنبوءات، أو لأنّها امتدادٌ للديمقراطية والحضارة الغربية، أو لكونها الحارس الأمين للمصالح الغربية والأمريكية(١)، أو إرضاءً للناخب الأمريكي ولاسيما أتباع الحركات الأصولية الإنجيلية، واللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة، أو خوفاً من ضريبة عدم مساندة إسرائيل، وما قد ينتج عنها من خسارة الكرسي الرئاسي، أو الكرسي في مجلسي الشيوخ أو النواب، أو نشر الفضائح الأخلاقية أو المالية، وربما القتل في حال الوقوف ضدها علانية.

---

(١) وقد ذهب البعض إلى أنّ إسرائيل انقلبت على هذه الفكرة، من خلال محاولتها تثبيت نفوذها في الدوائر الغربية، عن طريق جهود اليهود في تلك البلاد. انظر: إسرائيل الكبرى، رزّوق: ١٧، وحدود الصراع: ٢٤٣.

وذهب بعضهم إلى أنّ الهجمة الصليبية على بلاد العرب، فيها تحقيقٌ لمطالب إسرائيل التي ترغب أن ينتج عن الهجمة الصليبية حروب طائفية بين سكان المنطقة تشغل العرب وتأكل خيراتهم.

وذهب آخرون إلى احتمال أن تكون أمريكا ترى أنّ في حمايتها لإسرائيل تعزيزاً لعدم الاستقرار في المنطقة، أو عدم الاستقرار المحكوم، وهو أفضل وضع بالنسبة لها وأنّ حمايتها لإسرائيل هي أداتها في إيجاد وضعية عدم الاستقرار في المنطقة، ولهذا فهي الخادم الحقيقي لمصالحها!.

٦- إعادة تشكيل الشرق الأوسط بالقوّة العسكرية ليكون موالياً لأمريكا وإسرائيل، وهو أحد أهداف المحافظين الجدد[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال: أساطير الصهيونية: ١٥٩-٢٢٨، وأضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط: ٢٠، ٢١، وامبراطورية الشر الجديدة: ٧، ٩، ١٠، ٤٥، ١٦١، وأمريكا وإسرائيل، الدواليبي: ١١-١٣، ١٧، وأمريكا المختطفة: ١٢، ٣٢، ٤٧، ٥٥-٦٠، ٩٢-١٤٩، وأميركا المسيحانية: ٣٠، ٢٠٠، ٢٠١، والانتفاضة والتتار الجدد، الحوالي: ٦-١٣، والبروتوكولات واليهودية والصهيونية: ١٣، ١٤، ١٦٨، ١٧٢-١٧٥، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، والبعد الديني في السياسة الأمريكية: ٣٧-٤١، ١٦٥، والتاريخ اليهودي: ١٦٢، والثلاثاء الأسود، النابلسي: ١٧٧،٢٦٥-٢٦٧، وحدود الصراع: ٢٠٢، ٢٣٧، ٢٤٣، وحروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد: ٧، ٣٥، ٥٤، ١٧٤- ١٧٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٩١، وحروب الديمقراطية، رفيق حبيب: ١٠، ١١، والخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: ٥٠، ١٥٨،١٨٧، ١٨٨، والسلطان الخطير: ٩٣-١٠٧، ١١٠، ١١١، والسياسة الأمريكية تجاه العرب: ١١، ١٣، ١٤٩، ١٥٣-١٥٦، ١٦٠، وصراع المصالح في بلاد الرافدين: ١٢٤، ١٣٦- ١٤٣، ١٦٩-١٧٨، ١٨٦، والصليبيون الجدد، الطويل: ١٧-١٩، ٢٩-١٠٠، وطموحات إمبريالية: ٩، ١٠، والكتاب المقدس والاستعمار: ١٥٤، والكتاب المقدس والسيف: ٢/ ٣٩-٤٣، وكهنة الحرب الكبار: ١١، ٢٥، ٢٦، ٣٥، ٣٦، ٥١، ١٥٠، ١٥١، ١٧٤-١٧٦، واللوبي الإسرائيلي والسياسية الخارجية الأمريكية: ١٢، ٢٣، ٢٦،٣٠، ٣١، ٥٥، ٥٦، ومجلة مختارات إسرائيلية، العدد: ١٥٣: ص٩٥، والمحافظون الجدد، إرون سلزر: ١٥-٥٤، والمحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ١٠٣-١٠٨، ١١١، والمحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة: ١٣، ٧٩-٨٥، والمسيحية والتوراة: ١٨، ١٩، ١٠٠، والملاك يوجه العاصفة: ١٠٥-١٠٩، وملامح المستقبل: ٤١، ١٠٢، ١٠٣، ومن يجرؤ على الكلام: ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٢، ٥١١- ٥١٣، ١٨٦،١٧١، ١٨٧، وموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: ٤/ ٢٥٨، ٦/ ١٤، والنفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، الرفاعي: ٧٦-٨٦، واليدُ الخفيّة، المسيري: ١٤، ١٥، ٢٦١-٢٦٥، واليهود والصليبيون الجدد، محمد هاشم: ٩٣.

والذي يظهر -والله تعالى أعلم- أنّ الغرب النصرانيّ الاستعماريّ يتحرّك بدوافع البغض العنصري والعقدي للعرب والمسلمين، والطمع في الهيمنة على العالم وهذه الدوافع لا تكاد تتخلّف في جميع الحروب التي وقعت وتقع بين المسلمين والنّصارى إلى أن تنكسر شوكتهم في الملحمة الكبرى بأرض الشام!.

وأما ما ذُكر عن حماية «إسرائيل» فلا يظهر أنّه دافعٌ حقيقي للهجمة الغربيّة فاليهود أعداء المسيح، وسيقتلهم -في اعتقاد النصارى والمسلمين- إن لم يؤمنوا به عند نزوله!، ومن ثمّ فحماية إسرائيل ليست دافعاً حقيقيّاً للصراع، وإنّما هي دافعٌ شخصيٌّ لأولئك الذين يرغبون في الوصول إلى كرسيّ الرئاسة أو مجلس الشيوخ ونحوهما والمحافظة عليهما، بسبب شدّة الضغط الذي تمارسه إسرائيل عن طريق اللوبي اليهودي الأمريكي، وبعض المثقفين والمفكرين الليبراليين الأمريكيين[1]، وعملائها المندسّين في الأصولية الإنجيلية، وبعض الأصوليين البُسطاء الذين يريدون التعجيل بقدوم المسيح.

ولو كان المحتجّون بنبوءات الملاحم على حمايتهم لإسرائيل صادقين؛ لكان الواجب عليهم أن يخلّوا بين اليهود وأعدائهم، حتّى ينقضّوا على اليهود[2]، فيتحقّق بذلك نزول المسيح كما يزعمون!!، وإلا فكيف ينزل المسيح، الذي يريدون التعجيل بنزوله!، وإسرائيل في مأمنٍ من الأمم التي ستهجم عليها كما جاء في النبوءات؟!.

وهذا بدوره يدفعنا إلى أن نوجّه لدعاة الأصوليّة الإنجيليّة وأتباعها السؤال الآتي: مَنْ الذي يعمل حقّاً على تأخير مجيء المسيح؟!، هل هم الذين يريدون الفرصة المناسبة لتطهير فلسطين من اليهود؟ أم أنتم بحمايتكم لإسرائيل، ووقوفكم في وجه تحقّق النبوءات التي تُعجّل

(١) انظر: السلطان الخطير: ١٠٢، ١٠٤.

(٢) وهو ما لن يفعله دعاة الأصوليّة الإنجيليّة، لأنّ نهاية إسرائيل يعني نهاية الحديث عن هرمجدون، وبالتالي توقّف ملايين الدولارات التي تتدفق عليهم؛ بسبب حديثهم عن هرمجدون التي يربطونها بإسرائيل!.

بمجيء المسيح، كما تزعمون؟!!

إلا أن يقولوا مثلما قال الدّاعية الأصولي الإنجيلي «جيم روبيسون»: «نهاية العالم لن تبدأ حتى يتجمّع اليهود في إسرائيل، وهو ما لن يحدث بسبب شتاتهم، حتى لو طرد الفلسطينيون من بقيّة وطنهم»(1) وهو ما يعني أن هرمجدون لن تقع، ما يعني أن المسيح الذي يؤمن به «جيم» لن ينزل!!؛ لتوقف نزوله على هرمجدون!!، وهذا بدوره يؤكد ما ذهبنا إليه من أن حماية إسرائيل ليس دافعاً حقيقياً للصراع.

وأمّا بقيّة الدوافع -كمجرّد الحصول على النفط، أو ترويج تجارة السلاح- فهذه على ما يبدو يمكن أن تكون دوافع لأفرادٍ معدودين أو جهاتٍ معيّنة، لكنّها ليست دوافع حقيقية للأمة الغربيّة الروميّة، وهي مع ذلك متحقّقة من خلال الهيمنة على العالم، سواءٌ الهيمنة الاستعمارية الظاهرة، أو عن طريق الإرهاب والابتزاز.

وأما دعوى تحقيق نبوءات الملاحم فلا يظهرُ أنّها دافعٌ حقيقيٌّ للهجمة الغربيّة على العالم الإسلاميّ، ولكنّها الوسيلة المقنعة والمؤثّرة، التي تجمع القلوب والأبدان وتوحّد الصفوف، وتدفعُ إلى التضحية بالأرواح، طمعاً في إرضاء الربّ والفوز بالنعيم، -مما يعني تأثيرها في عامّة الناس- ولهذا فبعض القادة يوظّفها في دعم الحملة النصرانية الصليبيّة، بالإضافة إلى المكاسب الشخصيّة التي تتحقّق لهم من خلال المتاجرة بهَرْمَجَدُّون ونحوها.

وهي من وجهٍ آخر: إحدى وسائل الشيطان الماكرة، التي يتمُّ توظيفها في الصدِّ عن سبيل الله، ودينه الحقّ الذي لا يقبل ديناً سواه(2)!!، والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(1) المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون: ٢١.

(2) قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة آل عمران: آية (٨٥).

الخاتمة

في ختام هذه الرسالة يمكن الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات التي تمّ التوصّل إليها من خلال البحث في «ملاحم آخر الزمان عند المسلمين وأهل الكتاب وآثارها الفكرية»، وبيانها على النحو الآتي:

أولاً: أهمّ نتائج البحث:

١) الملاحم جمع مفردها ملحمة، وهي الحرب ذات القتل الشديد، وسيمت الحرب ملحمةً؛ لتلاحم الناس وتداخلهم بعضهم في بعض، ولأن القتلى كاللحم المُلقى، وأطلقت في الشرع على الحروب التي تكون بين المسلمين والكفار.

٢) يتفق المسلمون وبعض أهل الكتاب على وجود ملاحم في آخر الزمان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وأنّ الغلبة ستكون للخير وأهله، ولكنّهم يختلفون في وصف الملاحم وكثيرٍ من أحداثها.

٣) يعتقد بعض أهل الكتاب أنّ الملاحم وقعت وانتهت، وبعضهم يفسّرها تفسيراً رمزياً.

٤) يسلك بعض المؤمنين بالملاحم من أهل الكتاب مسلك الانتظار لتحقّقها في الوقت الذي يشاء الرب، ويعمل بعضهم على التسريع بوقوعها؛ ليتحصّل لهم النعيم الذي ينشدونه على يد المسيح المنتظر، وأمّا المسلمون فإنّهم لا يتكلّفون عناء الانتظار أو التعجيل، وإنّما يمارسون حياتهم على وفق مقتضيات الشرع والحال، ويعتقدون أنّ الملاحم ستقع في الوقت الذي يشاؤه الله ربّ العالمين.

٥) ينتشر في كتابات اليهود والنصارى التي تمّ الاطلاع عليها: التعامل بانتقائية مع نصوصهم المقدّسة حين يستدلّون بها على أمرٍ ما، حيث يجتزئون النصوص من سياقاتها الطبيعية،

ويسقطونها على أحداثٍ لا علاقة لها بها؛ ولعلّ ذلك يرجع إلى امتلاء «الكتاب المقدّس» بالنّصوص المتعارضة، التي تحول دون الوصول إلى تصوّرٍ مستقيم، واليهود في ذلك أحسن حالاً من النصارى؛ لاكتفائهم بنصوص العهد القديم، بخلاف النصارى الذين يكابدون تعارض نصوص العهدين القديم والجديد.

٦) تبيّن من خلال البحث أنّ الصراع العالمي الأخير -حسب اعتقاد المسلمين وبعض أهل الكتاب- صراع أديان، تظهر فيه راية التوحيد، في مقابل طيالسة اليهود وصلبان النصارى.

٧) يتفق المسلمون وبعض النصارى وبعض اليهود المتقدّمين على ظهور المسيح الدجال في آخر الزمان، وأمّا اليهود المعاصرون فليس للدجال ذكرٌ في عقائدهم!، وهذا من دلائل تحريفهم لكتبهم.

٨) يتفق المسلمون وبعض النصارى على أنّ المسيح عيسى عليه السلام حين ينزل من السماء فإنّه سيقتل المسيح الدجال وأتباعه.

٩) يتفق المسلمون وبعض النصارى على أنّ زمن ظهور المسيح الدجال، زمانُ ضيقٍ على أهل الإيمان -وإن اختلف تحديدهم لحقيقة الإيمان- ويتّفقون أيضاً على وقوع بعض أشراط الساعة في آخر الزمان، كانتشار الرِدّة، والحروب والمجاعات والزلازل ونحو ذلك.

١٠) يتّفق بعض اليهود والنصارى على أنّ مجيء المسيح المخلِّص سيكون مسبوقاً بقيام دولةٍ يهوديّةٍ في فلسطين، يهاجمها الأمم فيقضون عليها، فيما يسمّى بيوم الغضب عند بعض اليهود، و«هَرْمَجَدُّون» عند بعض النصارى، وأما المسلمون فليس لهذه الدولة المعيّنة ذكر في عقائدهم، بيد أنّهم يعتقدون بأنّ مجيء المسيح سيكون مسبوقاً بقيام مُلكٍ يهوديٍّ ظاهرٍ بقيادة المسيح الدجال، وأنّه كلّما أفسد اليهود في الأرض أرسل الله تعالى عليهم من يسومهم سوء العذاب، مصداقاً لقوله سبحانه في معرض تهديده لهم بتسليطه عليهم من ينتقم منهم كلّما عادوا إلى الإفساد في الأرض: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨).

١١) يتفق المسلمون وبعض اليهود والنصارى على وجود فترةٍ زمنيّةٍ، تتصّف بالأمن العام، والعيش الرغيد، واجتماع الناس على الإيمان، في ظلّ قيادة المسيح، ولكنّهم مختلفون في مدّتها.

١٢) يتفق بعض اليهود والنصارى مع المسلمين في الاعتقاد بظهور يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، ومهاجمتهم المسيحَ وأتباعَه، مما يؤدي إلى نزول عقوبة ربانية بهم، ولكنّ اعتقاد أهل الكتاب بهم قد شابه الكثير من الغموض والاضطراب والتحريف.

١٣) ليس للملحمة الكبرى التي تكون بين المسلمين والروم ذكرٌ في معتقدات اليهود والنصارى، إلا أنّ الملحمة التي وردت الإشارة إليها في سِفْر الحرب ضمن مخطوطات البحر الميت -وذُكر فيها يأجوج ومأجوج- فيها نوع شَبَهٍ بالملحمة الكبرى، كما تقدّم بيانه في موطنه.

١٤) يوجد نوعٍ من الاتفاق بين المسلمين وبعض اليهود والنصارى في بعض تصوّرات ما يمكن تسميته بالخطّ العامّ لأحداث آخر الزمان فهم يؤمنون بـ:

* اجتماع المؤمنين ببيت المقدس.
* هجوم الكفّار عليهم.
* ظهور المسيح المنتظر.
* قضاؤه على الكفّار.
* ظهور يأجوج ومأجوج والقضاء عليهم.

١٥) بطلان ملحمة «هَرْمَجَدُّون» بالصيغة التي يوردها بها بعض النصارى، مع الإشارة إلى وجود شبهٍ كبير بين بعض خطوطها العامّة وبين ما ثبت عند المسلمين في ظهور المسيح الدجال والقضاء عليه وعلى أتباعه، مما يفتح الباب لاحتمال أن تكون «هَرْمَجَدُّون» بصيغتها الحاليّة تحريفاً لنبوءة صحيحة حول ظهور المسيح الدجال والقضاء عليه، والله تعالى أعلم.

١٦) ظهر من خلال البحث أن مكة المكرمة والمدينة المنورة ستكونان - بإذن الله - محفوظتان من أي عدوان خارجي في زمن الملاحم.

١٧) نتج عن آثار اعتقاد المسلمين وبعض اليهود والنصارى بالملاحم: اعتقادهم بحتمية الصراع بين الإيمان والكفر، وانتصار الإيمان في آخر الصراع، وانفرد بعض اليهود والنصارى بالتعامل مع الواقع الحالي على ضوء ما يؤمنون بوقوعه في المستقبل فعادَوُا الأمم التي يعتقدونها من قوى الشرّ أَيَّما معاداة، وهذا مخالفٌ لموقف المسلمين الذي اتّصف بالواقعية والعدل والاتّزان والإنصاف، حيث تعاملوا مع أهل الكتاب بمقتضى الشرع والعقل والواقع ولم يحمّلوا الحاضرين ذنوب السابقين، ومظالم اللاحقين.

١٨) تجلّى من خلال البحث أنّ المحافظين الجدد الذين تسلّطوا على الإدارة الأمريكيّة في فترة رئاسة «بوش الابن» ليس لهم اهتمامٌ حقيقيٌّ بالدّين، وخططهم لم تكن مبنيّة على أساس تحقيق نتائج الملاحم.

١٩) تبيّن من خلال البحث أنّ الهجمة الغربية على العالم الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ -والعربي بوجهٍ خاصٍّ- تتغذّى بشكلٍ رئيسٍ على البغض العنصري والعقدي للعرب والمسلمين، والطّمع في الهيمنة على العالم.

٢٠) ظهر من خلال البحث أنّ نبوءات الملاحم -وإن كانت دافعاً لبعض الأفراد في عدوانهم وبغيهم على المسلمين- إلا أنّها ليست دافعاً للعالم الغربي في هجمته العدوانية على العالم الإسلامي، ولكنّها وسيلة تمّ توظيفها في إقناع السذّج والتأثير فيهم، وجمعهم في مواجهة الإسلام والمسلمين، ودفعهم للتضحية بأرواحهم بهدف تحقيق أهداف هذه الهجمة، وهي أيضاً إحدى وسائل الشيطان الماكرة، التي يتمُّ توظيفها في الصدِّ عن سبيل الله، ودينه الحقّ.

ثانياً: توصيات البحث:

يمكن عرض أهمّ توصيات البحث من خلال الأمور الأربعة الآتية:

ـ الأمر الأول: توصيات علمية في بناء التصورات الصحيحة للصراع بين الحق والباطل:

١) التأكيد على أنّ عداء أهل الكتاب للمسلمين ناتجٌ بالدرجة الأولى عن خلفيات عقديّة، ودوافع دينيّة، ولذا فلا بدّ أن تكون قرارات المسلمين ومواقفهم، مبنيّةً على العقيدة التي يؤمنون بها.

٢) لا بد من تبصير الأمّة بما يُرادُ لها، وما يُحاكُ ضدّها، وتسمية الأعداء بأسمائهم وإنّ أيّ محاولةٍ لإبعاد الخلفيّات الدينية عن الصراع، أو إشغال الأمّة بسفاسف الأمور وتوافهها، أو التقصير المتعمّد في الاستعداد لردّ عدوان المعتدين، خيانةٌ لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

٣) إنّ من الملكات التي ينبغي تربية العقل المسلم على اكتسابها: القدرة على قراءة الواقع قراءةً دقيقةً لا تكتفي بظواهر الأحداث، وإنّما تتعدّاها إلى تحليلها، والربط بينها والبحث في خلفيّاتها ودوافعها، وهذا منهجٌ إسلاميٌّ أكّده الشرع ودعا إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾[1].

ـ الأمر الثاني: توصيات في منهجية التعامل مع عدوان أهل الكتاب على المسلمين:

١) التواصل مع اليهود والنصارى الرافضين للصهيونيّة ولكيانها في فلسطين، بهدف توظيفهم في كفّ أذى بني دينهم، أو على الأقل تأخيره، وإشغالهم عن المسلمين[2].

٢) نشر التصور الإسلاميّ الصحيح لملاحم آخر الزمان بين أفراد المجتمعات النصرانية الغربية وغيرها، ليتّضح لهم مقدار الاضطراب والتناقض الذي يحيط بعقائدهم مقارنةً بوضوح عقائد المسلمين وسلامتها.

٣) أن يتمّ كشف الدوافع الحقيقيّة لدعاة الأصوليّة الإنجيليّة، ووسائل إعلامها في كثرة

---

(١) سورة الأنعام: آية (٥٥).

(٢) انظر: القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، سفر الحوالي: ٦٦.

حديثهم عن هرمجدّون وما سيتسببون فيه من دفع العالم الغربي إلى مواجهة مع العالم الإسلامي لا مصلحة لهم فيها، ولن يجنوا منها خيراً.

وذلك من خلال:

* إنشاء قنوات فضائيّة ومواقع في الشبكة العنكبوتية بلغات أجنبية تهدف إلى توعية النصارى وغيرهم بحقيقة الإسلام.

* طباعة بعض الكتب المحايدة التي كتبها غربيون، وأثنوا فيها خيراً على دين الإسلام، ككتاب الدعوة إلى الإسلام لـ «توماس أرنولد» وغيره، وتوزيعها مجّاناً على بعض الأفراد المؤثّرين في الدول الغربية من أساتذة الجامعات وأعضاء المجالس البرلمانية والمؤسّسات البحثية ونحوها.

* استضافة بعض الكتّاب الصحفيين، والمثقّفين ونحوهم، من قِبل وزارات الإعلام في العالم الإسلامي؛ ليتعرّفوا على الإسلام وبلاد المسلمين، ليكون لهم دور إيجابيٌّ بعد رجوعهم في كبح جماح العدوان الظالم على المسلمين.

* التواصل مع الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية، والتشاور معها حول الآليّات المناسبة لكبح جماح العدوان الغربي على بلاد المسلمين، ودعم هذه الجاليات للقيام ببعض المشاريع العلمية والعملية في هذا المجال.

* التواصل مع الجاليات النصرانية في بلاد المسلمين، لكسبهم وتوضيح معالم الدين الحق لهم، وتوظيفهم في كفّ عدوان المعتدين من بني دينهم.

* مخاطبة الجامعات الغربية ومراكز التأثير، لبيان حقيقة الإسلام، وتحفيزهم لكبح جماح الأصوليّة الإنجيليّة المتطرّفة.

٤) الإفادة من الحرمين الشريفين والمدينتين المعظّمتين مكة المكرمة والمدينة النبوية في إبلاغ رسالة الإسلام للعالمين ومواجهة عدوان المعتدين(١).

إن مكة المكرمة والمدينة المنورة محفوظتان بحفظ الله، وقد جعلهما - سبحانه - مركز الإسلام، وحصنه الحصين، الذي يأرز إليه الإيمان أوقات الشدائد والمحن، ولن تصل إليهما يد خارجية آثمة ما دام في الأرض مؤمنون، وهو ما يؤهلهما لمساعٍ عظيمة في إبلاغ رسالة الإسلام للعالمين، وجمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة، والحفاظ على وحدة بلاد الحرمين وأمنها واستقرارها، ومواجهة أي عدوانٍ خارجيٍ محتملٍ بما يناسبه، والإفادة منهما على الوجه الذي ذُكر يكون بأمورٍ منها:

أولاً: تقوية الإسلام في هاتين المدينتين المعظّمتين. ومما يعين على ذلك:

أ - الدعم المادي والمعنوي للجمعيات والبرامج التي تُعنى بـ:

* تعظيم مكة المكرمة والمدينة النبوية في نفوس ساكنيهما ومن يفد إليهما أو يعتقد حرمتهما، وتعريف العالم بأهميتهما الإسلامية.

* تعليم القرآن الكريم والسنة النبوية.

* تخريج علماء الشريعة وتبنيهم.

* خدمة المجتمع عامة وسد حاجة الفقراء والمحتاجين خاصة.

ب- تقوية الأجهزة الشرعية والمدنية والأمنية في المدينتين المقدستين.

ت- العناية بتطوير الخدمات المقدمة فيهما بما يتناسب وعالميتهما.

ث- منع كل الظواهر التي تسيء لحرمة مكة المكرمة والمدينة النبوية.

ج- تشجيع الاستثمارات الاقتصادية الإسلامية المحلية فيهما بوصفهما أكثر البلاد أمناً واستقراراً وارتباطاً بالمشاعر المقدسة التي يفد إليها المسلمون من شتى بلاد العالم.

---

(١) انظر بعض ما جاء في وصف مكة المكرمة عند أهل الكتاب في ص ٣٤٠-٣٣٥ من الرسالة.

ح- تمكين المسلمين -من مختلف بلاد العالم- من إنشاء الأوقاف الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة النبوية، بوصفهما أكثر بلاد العالم قداسةً وأمناً واستقراراً، شريطة أن يتولى الإشراف عليها هيئة شرعية من أهل الحرمين، وأن تكون مصارفهما متوافقةً مع الكتاب والسنة، مع قيام الهيئة المختصة بالإشراف على أوقاف المدينتين المعظّمتين بتقديم الاستشارات اللازمة للراغبين في بناء الأوقاف، وتزويدهم والجهات الرسمية بتقارير دورية عن الأوقاف ومناشطها.

ثانياً: انطلاق الخطاب الإسلامي العالمي من الحرمين الشريفين، وذلك من خلال:

• **زيادة تفعيل دور منبري الحرمين الشريفين في بحث قضايا الإسلام والمسلمين، بما يحقق** المصالح ويدفع المفاسد.

• **إنشاء جامعتين شرعيتين عالميتين في الحرمين الشريفين على النحو الآتي:**

- **جامعة المسجد الحرام:** تقام دروسها في المسجد الحرام، وتُعنى بالقرآن وعلومه خاصة، وعلوم الشريعة والدعوة والعربية عامة.

- **جامعة المسجد النبوي:** تقام دروسها في المسجد النبوي، وتُعنى بالسنة النبوية وعلومها خاصة، وعلوم الشريعة والدعوة والعربية عامة.

ويُخصص لهما الأوقاف المتميزة، ويكون لكلٍّ منهما مقرٌّ لائق مجاور للمسجد الذي تتبع له، وتُعزّزان بمراكز عريقة للبحوث والاستشارات، وبرامج متميزة للدراسات العليا -مباشرة وعن بعد-، وإمكاناتٍ تؤهلهما للعالمية، ويكون نصف طلابهما من شتى بلاد العالم، ويُختار لهما أفضل الأساتذة من مختلف بلاد المسلمين، مع منحهم ميزات تليق بهم وتحفّزهم للمزيد من العطاء والإبداع.

إنّ المأمول من هاتين الجامعتين المرتبطتين بالحرمين الشريفين أن يكونا قبلةً لطلاب العلم في العالم، ومصدراً للخطاب الإسلامي العالمي، ومركزاً للفتوى العالمية، التي تجمع كلمة المسلمين، وتوحد صفوفهم، وهو ما سيعمق مكانة الدولة الإسلامية التي ترعاهما، ويقوي هيبتها، ويُعزّز أمنها واستقرارها ووحدتها، ويزيد ارتباط المسلمين بها، ويردُّ كيد أعدائها في نحورهم.

• **إقامة برامج إرشادية لقاصدي زيارة الحرمين الشريفين من الخارج.**

إن مواسم الحج والعمرة تُعدُّ فرصًا ثمينة لتوثيق جسور التواصل الثقافي والأخوي مع المسلمين في مختلف بلاد العالم، وتعريفهم بجهود مؤسسات بلاد الحرمين في خدمة قضايا الإسلام والمسلمين، ولعل مما يسهم في تحقيق ذلك: تكليف مكاتب الحج والعمرة بتضمين خدماتها لضيوف الرحمن برامج إرشادية وتثقيفية حول:

- مضامين دعوة النبي ﷺ وسيرته وحقوقه على أمته وهديه في الحج والعمرة.
- الوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية والمبادئ المشتركة.
- عالمية رسالة الإسلام، وأهمية القدوة الصالحة والأخلاق الحسنة في إيصالها للآخرين.
- مكانة الحرمين الشريفين ووجوب تعظيمهما.
- نبذة تعريفية عن بلاد الحرمين، تشمل التعريف بالإنسان، والزمان، والمكان، والمبادئ والأسس، والمنظمات والهيئات الإسلامية -الحكومية والخيرية- ودورها في خدمة الإسلام والمسلمين، وبيان زيف الدعايات المغرضة التي يطلقها الحاقدون على الإسلام والمسلمين بهدف إثارة بذور الشقاق والفرقة بين المسلمين.

ومن الوسائل المعينة على تنفيذ هذه البرامج:

- احتساب تنفيذ البرامج الإرشادية في نقاط تقويم مكاتب الحج والعمرة.
- توظيف مرشدين في مكاتب الحج والعمرة معتمدين من قبل وزارة الشئون الإسلامية.
- منح تراخيص لمؤسسات ربحية تختص بتقديم برامج التوجيه والإرشاد لضيوف الرحمن تحت إشراف وزارة الشئون الإسلامية ونحوها، بحيث تتعاقد معها مكاتب الحج والعمرة في حال عدم قدرة بعضها على توظيف مرشدين.
- إنشاء وكالة أو هيئة إشرافية تتبع لوزارة الشئون الإسلامية تتولى الإشراف المباشر على تنفيذ هذه البرامج، وتقويمها، وتطويرها، وتوجيهها بما يحقق أهدافها.

ويُرجى من هذه البرامج وأمثالها أن تسهم في توثيق جسور التواصل بين بلاد الحرمين والمسلمين في مختلف بلاد العالم، عن طريق ضيوف الرحمن الذين سيكونون بمثابة سفراء يشهدون بمحاسن هذه البلاد المباركة وينقلون الصورة الصحيحة عنها إلى غيرهم من المسلمين.

وبالعموم فإن العناية بمكة المكرمة والمدينة النبوية بوابةٌ لخيرٍ كثيرٍ في الدنيا والآخرة لمن اتقى الله وعمل صالحاً وعظَّم شرائعه وشعائره، والله تعالى أعلم.

ـ الأمر الثالث: توصيات مقترحة لأقسام العقيدة الإسلامية في مختلف الجامعات:

هناك بعض المشروعات والتوصيات التي تبدّت لي أثناء بحثي في موضوع الملاحم عند اليهود والنصارى، أتقدّم بها إلى أقسام العقيدة الإسلامية في مختلف الجامعات رجاء أن يكتب الله لها القبول، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين، وأوجزها في النقاط الآتية:

١) العمل على تكوين مكتبات متخصّصةٍ في الأديان تضمّ الكثير مما كُتب باللغات العربية والأجنبية حولها، ولاسيّما المصادر المعتمدة لدى أتباع الديانات الأخرى، وخصوصاً الديانتين اليهوديّة والنصرانيّة، وأن تكون تلك المكتبات ملحقةً بأقسام العقيدة، بحيث يقتصر الاطّلاع عليها على الباحثين والمختصين، من أساتذة أقسام العقيدة وطلاب الدراسات العليا.

٢) أن يتمّ تكوين شُعب ترجمةٍ تابعة لأقسام العقيدة، يوظّفُ فيها بعض المترجمين المختصين في الأديان؛ بحيث يُسند إليهم تطوير المكتبة، والإسهام في إعداد المواد اللازمة للباحثين وترجمتها ترجمةً صحيحةً.

٣) إنشاء جمعية علمية أكاديمية للتعريف بالإسلام، تستقطبُ عضويّة أساتذة العقيدة والأديان، واللغات والترجمة، ومن له اهتمامٌ بدعم هذا المشروع، ويتمّ تقسيمهم إلى فرق علميّة، تضمّ أساتذة عقيدة ولغات، وينبري كلّ فريق لتحقيق هدفٍ من أهداف الجمعية.

٤) أن يعكف عددٌ من الأساتذة على إعداد مشروعٍ علميٍّ فكريٍّ يهدف إلى التعريف بالإسلام، ومواجهة عدوان أهل الكتاب وغيرهم، ويكون المشروع عبارة عن إعداد عناوين

تُناسب أن تكون أبحاث ترقية، ورسائل علمية والهدف من هذا المشروع هو إعداد مادّةٍ مُحكّمةٍ، يمكن الارتكاز عليها عند مخاطبة أهل الكتاب أو مواجهتهم، ويمكن تنفيذ هذا المشروع عن طريق كرسيٍّ علميٍّ، يتولّى أحد أقسام العقيدة التنسيق مع بعض ذوي اليسار لاستحداثه.

٥) تفعيل برامج خدمة المجتمع في أقسام العقيدة عن طريق إقامة بعض المعارض وما يُصاحبها من ندوات ومحاضرات، تستقطب المقيمين في بلادنا من غير المسلمين؛ لتعريفهم بالإسلام، ويمكن التواصل مع الشركات والمستشفيات والمصانع التي تضمّ أعداداً من هؤلاء لإحضارهم لهذه المعارض وما يصاحبها.

٦) من المشروعات التي يمكن لأقسام العقيدة أن تتبنّاها إصدار مجلّة دورية محكّمة متخصّصة في الأديان، وتعريف غير المسلمين بالإسلام.

٧) ظهر لي من خلال زيارتي لقسمي اللغة العبرية بجامعتي الأزهر وعين شمس اختلاف تخصّصات أساتذة العبرية، ما بين الأدب واللغة والدين وغيرها، ومن هنا فإنّي أوصي أقسام العقيدة بأن تستفيد من أساتذة اللغة العبرية المختصّين في الدين اليهودي، في ترجمة بعض الكتب اليهوديّة الأصيلة، أو تقديم دوراتٍ مكثّفةٍ في اليهودية لطلاب الدراسات العليا، ونحو ذلك.

٨) من المشروعات التي يمكن لأقسام العقيدة أن تتبنّاها: إقامة دوراتٍ مكثّفةٍ لطلاب الدراسات العليا، تتضمّن بعض المهارات التي يحتاج إليها المختصُّ في العقيدة أثناء مخاطبته لغير المسلمين وحواره معهم، وبالإمكان أن يتمّ الإفادة من مكاتب دعوة الجاليات لخبرتهم الطويلة في دعوة غير المسلمين، ويمكن التعاقد مع بعض الذين بَرَّزوا في مخاطبة غير المسلمين والتأثير فيهم.

٩) من المشروعات التي يمكن لأقسام العقيدة أن تتبنّاها: استحداث برنامج دبلوم عالٍ في دراسة العقيدة والأديان والمذاهب، بهدف تطوير الدعاة المشاركين في مكاتب دعوة الجاليات، وغيرهم ممن يمارسون الحوار مع غير المسلمين، ويمكن لهذا الدبلوم أن يؤهل حامل شهادة البكالوريوس في أيّ تخصص لأن يواصل دراسته العليا في العقيدة والأديان، أسوة بدبلومات الشريعة.

ـ الأمر الرابع: توصيات مقترحة لأهل الكتاب.

١ - أوصي أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يتفكروا في موقفهم من نبينا محمد ﷺ؛ فإن اليهود آمنوا بنبي الله موسى عليه السلام وكفروا بنبيه عيسى ومحمد عليهما السلام بغير وجه حق، والنصارى آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، وكفروا بمحمد ﷺ بغير وجه حق، والمسلمون أسعد حظًا منهم؛ إذ آمنوا بجميع أنبياء الله ورسله عليهم السلام، دون تفريق بينهم.

فيا أهل الكتاب راجعوا أنفسكم، وتأملوا وجه تفريقكم بين الأنبياء والمرسلين تؤمنون ببعضٍ وتكفرون ببعض!! بلا بينة ولا برهان.

٢- أوصي أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يتفكروا في الأدلة الكثيرة الشاهدة بصدق رسالة نبينا محمد ﷺ فإنّ معجزاته كثيرة، وأعظمها القرآن الكريم، الذي تكفّل الله تعالى بحفظه، فحفظه المؤمنون في الصدور والسطور، بينما الأمم الأخرى لا يحفظون كتبهم، وباب التعديل في المسطور عندهم لا يتوقف!، وقد تحدى الله تعالى المكذبين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزوا مع إصرارهم بأنه مفترى، تحدّاهم أن يأتوا بعشر سور مفتريات كما يزعمون، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، وأن يستعينوا بمن شاءوا من دون الله وأقصر سورة في القرآن لا تتجاوز ثلاث آيات!!، فما استطاعوا ـ وهم العرب الفصحاء البلغاءـ أن يأتوا بثلاث آيات يثبتون بها أن القرآن كلام البشر!! رغم ما في قلوبهم من العداوة الشديدة للنبي ﷺ ودين الإسلام.

يا أهل الكتاب: إنّ النبي ﷺ مكث بمكة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى الإسلام ثم هاجر إلى المدينة حيث يقيم الأوس والخزرج، وبعض اليهود الذين كانوا ينتظرون بعثته، فلما بُعث من العرب كفروا به!!، ومكث بها عشرة أعوام. ونحن اليوم في شهر محرم من عام ١٤٣٢هـ فهذه أكثر من ١٤٤٤ سنة، لم يستطع أحدٌ أن يأتي بسورةٍ واحدة مثل القرآن!!، مع استمرار حفظ القرآن من الزيادة والتحريف والنقصان!! وهو أمرٌ متفقٌ عليه بين أكثر من مليار مسلمٍ في هذا الزمان،

إضافةً إلى من مضى من أهل الإسلام!! وهو ما لا يتوافر لأي أمةٍ أخرى، فاليهود مختلفون في كتابهم وكذلك النصارى، وفي صدورهم شكٌّ وريبٌ من كتبهم، يُظهر ذلك بعضهم ويخفيه آخرون، فيا أهل الكتاب: تفكروا في حفظ القرآن! وعجز الخلق عن الإتيان بكلامٍ مثله على مرِّ الزمان! -رغم استمرار التحدّي وتوافر الدواعي لمحاكاته- ألا يدل هذا على صدق رسالة نبينا محمد ﷺ ؟!!

فإن قيل: إن بعض الشيعة يقولون بنقص القرآن. فالجواب: أن من طالع كتب التاريخ والسير تبين له أن الفرقة الشيعية صنيعة اليهود والمجوس، ومدخلهم لضرب الإسلام من داخله، ولذا فهي تعادي العرب الذين بُعث منهم رسول الله ﷺ، وتتوعدهم بالقتل إن تمكنت منهم، وبهدم المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ!!. وقد أخبرنا رسولنا ﷺ بظهور الفرق الضالة في دين الإسلام كما ظهرت عندكم من قبل، والمعول عليه هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم؛ فهذه الفرقة الشيعية لا تمثل الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد ﷺ فقولها أو قول بعض أفرادها بنقص القرآن مخالفٌ لقول الأمة الإسلامية، التي وجدت قبل وجود الشيعة!! وهو من وجهٍ آخر متفقٌ مع الأسباب التي قامت هذه الفرقة لأجلها!!.

٣- أوصي أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يتجردوا في طلب الحق -رحمةً بأنفسهم وأطفالهم ونسائهم، فإنّها جنّة عرضها السماوات والأرض، أو نار محرقة أعدّها الله للكافرين بالله ورسله عليهم السلام- وأن يرفعوا أكفّ الضراعة إلى رب العالمين طالبين منه بإلحاح ومسكنة أن يهديهم وأطفالهم فلذات أكبادهم ونساءهم إلى الحق حيث كان، فإنّه سبحانه يُجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويهدي إلى الحق من طلبه بصدق.

فيا أيها الإنسان، يا كلّ محتارٍ في الحق لا يدري أين هو، توجّه بقلبك إلى الله -رب العالمين- في عليائه، بخضوعٍ وافتقارٍ وخشوعٍ وصدقٍ، وقل:

اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنّك تهدي من

تشاءُ إلى صراطٍ مستقيم.

وأخيرا: فهذا ما تيسّر ذكره في خاتمة هذه الرسالة، فالحمد لله وله الشكر لإعانته على إتمامها، وأسأله سبحانه أن يقبلها ويباركها وينفع بها، ويكتب أجرها لمن كتبها أو قوّمها أو أعان عليها بمعروفٍ، وأسأله سبحانه أن يُصلح أحوال المسلمين ويوحّد صفوفهم، ويجمع كلمتهم، ويوفّقهم للبصيرة بكيد أعدائهم، ويعينهم على استعادة مجدهم، ونشر دين الله في الأرض، وأن يغفر لأحيائهم وأمواتهم، وأن يرزقني وإيّاهم الإخلاص والصواب في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

١ - فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإبانة عن أصول الديانة، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، حققه وخرجه وعلق عليه: بشير محمد عيون، ط٤، الرياض: مكتبة المؤيد، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي، أعده للطبع ووضع فهارسها: عبدالجبار زكار، دمشق: دار الكتب العلمية، ١٩٧٨م.

٤. أبحاث في اليهودية والصهيونية، أحمد سوسة، بدون ط، إربد: دار الأمل، ٢٠٠٣م.

٥. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ط٩، مكة المكرمة: دار الرسالة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٦. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبدالله التويجري، ط٢، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٤هـ.

٧. الإتقان في علوم القرآن، عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥م.

٨. الأجوبة المفيدة لمهمّات العقيدة، عبدالرحمن الدوسري، بدون ط، الكويت: دار الأرقم، بدون تاريخ.

٩. الآحاد والمثاني، ابن أبي عاصم، تحقيق: فيصل باسم الجوابرة، ط١، الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٠. أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح، سليمان

ابن محمد الدبيخي، ط١، الطائف: دار البيان الحديثة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
١١. الأحاديث الواردة في الملحمة الكبرى، وائل إبراهيم محمد العسود، ط١، عمّان: دار الفرقان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
١٢. أحداث آخر الزمان في مرويات أهل البيت، إسماعيل الحريري، ط١، بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٣. الأحداث العالمية الجارية في ضوء النبوات، صموئيل مشرقي رزق، بدون ط، بدون دار، ٢٠٠٢م.
١٤. الأحداث النبوية مرتبة ترتيباً تاريخياً من الاختطاف إلى الحالة الأبدية، بروس أنيستي، ط٢، القاهرة: بيت عنيا، ٢٠٠٤م.
١٥. احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودا، محمد عيسى داود، بدون ط، القاهرة: المختار الإسلامي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٦. الأحزاب السياسية في إسرائيل «عرض وتحليل»، هاني عبدالله، ط١، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨١م.
١٧. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، تقي الدين أبو الفتح الشهير بابن دقيق العيد، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٨. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصّاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٩. أحكام القران، محمد بن عبدالله بن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط٢، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .
٢٠. أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، ط٢، الدمام: دار المعالي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٢. أخبار الآحاد في الحديث النبوي، عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، بدون ط، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، بدون تاريخ.

٢٣. الاختراق الصهيوني للمسيحية، إكرام لمعي، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢٤. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهه، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكاتب، تخريج وتعليق: عمر بن محمود، ط١، الرياض: دار الراية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٥. الاختلافات في الكتاب المقدس، سمير سامي شحاته، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٦. الآداب الشرعية، عبدالله بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٧. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، خرج أحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، ط٤، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٨. أديان الهند الكبرى «الهندوسية-الجينية-البوذية»، أحمد شلبي، ط١١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٠م.

٢٩. الإذاعة بأحداث قيام الساعة وأشراط الساعة من مولد النبي ﷺ إلى عودة المسيح، محمد عبدالحليم عبدالفتاح، ط١، دمشق: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٧م.

٣٠. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، الشوكاني، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٣١. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، ط١، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، مصر: دار الكتبي، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٢.الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل «دراسة حديثية تحليلية»، إبراهيم العلي، ط٢، لندن: منشورات «فلسطين المسلمة»، ١٩٩٨م.

٣٣.أرض الميعاد والدولة الصليبية «أمريكا في مواجهة العالم منذ ١٧٧٦م»، والتر أ. مكدوجال، ترجمة: رضا هلال، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٤.الإرهاب في اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة، زكي علي السيد أبو غضة، ط١، بدون دار، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٥.أساس التقديس، فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط١، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٣٦.أساطير الصهيونية، جون روز، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٣٧.الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، عبدالله بن إبراهيم بن علي الطريقي، ط١، بدون دار، ١٤٠٩هـ.

٣٨.الاستغلال الديني في الصراع السياسي، محمد السماك، ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٩.الاستقامة، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩هـ.

٤٠.الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي، تحقيق وتعليق: علي محمد عوض وعادل أحمد عبدالموجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤١.أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٨هـ-١٩٩٧م.

٤٢. الإسراء والمعراج «وذكر أحاديثها – وتخريجها – وبيان صحيحها من سقيمها»، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، عمّان: المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٤٣. إسرائيل الكبرى «دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني»، أسعد رزّوق، ط٢، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣م.

٤٤. إسرائيل والتلمود، إبراهيم خليل أحمد «سابقاً: القس: إبراهيم خليلي فليبس»، بدون ط، القاهرة: دار المنار، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٥. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، ط٢، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٨م.

٤٦. إسرائيل، العراق، الولايات المتحدة، إدوارد سعيد، ط١، بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤م.

٤٧. أسرار الساعة وهجوم الغرب «إنذار أخير للعالم الإسلامي قبل١٩٩٩م»، فهد سالم، بدون ط، القاهرة: مدبولي الصغير، بدون تاريخ.

٤٨. أسطورة هرمجدون والصهيونية المسيحية بأقلام عربية، عرض وتوثيق: هشام آل قطيط، ط١، بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٩. الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبدالواحد وافي، ط٧، الجيزة: نهضة مصر، ٢٠٠٦م.

٥٠. الأسفار المقدسة قبل الإسلام «دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية»، صابر طعيمة، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٦هـ١٩٨٥م.

٥١. الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، ط٧، القاهرة: دار الشريعة، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

٥٢. الإسلام ونبوءات المسيح والقرن الحادي والعشرون، عبدالوهاب نوشاد، ط١، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.

٥٣. الإسلام، أحمد شلبي، ط١٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧م.

٥٤.الإسلام، سعيد حوى، بدون ط، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٥٥.الإشاعة لأشراط الساعة، محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، ط١، ضبط وتصحيح: محمود الدمياطي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٦.أشراط الساعة الصغرى والكبرى، عز الدين حسين الشيخ، بدون ط، الرياض: دار الهديان، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٥٧.أشراط الساعة الكبرى في ضوء القرآن الكريم، فهد بن عبدالعزيز الفاضل، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٥٨. أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين جمعاً وتخريجاً وشرحاً ودراسةً، خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، ط١، جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٩.أشراط الساعة وذهاب الأخيار وبقاء الأشرار، عبدالملك بن حبيب الأندلسي المالكي، ط١، دراسة وتحقيق: عبدالله عبدالمؤمن الغُماري الحسني، الرياض: دار أضواء السلف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٦٠.أشراط الساعة، عبدالله بن سليمان الغفيلي، ط١، الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ.
٦١.أشراط الساعة، يوسف بن عبدالله بن يوسف الوابل، ط٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٦٢.إشكال وجوابه في حديث أبي هريرة t في الملاحم، سالم العمّاري، بحث مخطوط.
٦٣.أشهر النبوات، حمدي سعد، ط١، القاهرة: دار الثقافة، بدون تاريخ.
٦٤.الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة.
٦٥.أصول الحديث «علومه ومصطلحه»، محمد عجاج الخطيب، بيروت: دار الفكر،

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٦٦. أصول الدين، عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٦٧. أصول السنة، أبي بكر عبدالله بن الزبير بين عيسى الأسدي الحميدي، ط١، تحقيق وتخريج وتعليق: عبدالله بن سليمان الغفيلي، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٦٨. أصول في التفسير، محمد صالح العثيمين، ط١، الدمام: دار ابن القيم، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٦٩. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد، ناصر بن عبدالله بن علي القفاري، ط٣، الجيزة: دار الرضا، ١٤١٨هـ١٩٩٨م.
٧٠. الأصول من الكافي، محمد بن يعقوب الكليني الرازي، بدون ط، طهران: المكتبة الإسلامية، ١٣٨٨هـ.
٧١. الأصولية الإنجيلية «نشأتها وغايتها وطرق مقاومتها»، صالح بن عبدالله الهذلول، ط١، الرياض: دار المسلم، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٧٢. الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي «الجزء الأول الدعوة والدعاة»، جورجي كنعان، ط١، بيروت: دار بيسان، ١٩٩٥م.
٧٣. الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك ونورتون ميزفينسكي، ترجمة: ناصر عفيفي، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٧٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط٢، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٠هـ-١٩٧٩م.
٧٥. أضواء على السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، أحمد منصور، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٧٦. إظهار الحق، رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،

١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٧٧.الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، تعريف وتدقيق: محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٧٨.إعجاز الوحي والنبوة في سفر دانيال، عبدالمسيح بسيط أبو الخير، بدون معلومات.
٧٩.إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد محي الدين عبدا لحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٨٠.الأعلام، خير الدين الزركلي، ط١٠، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
٨١.إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
٨٢.أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي، محمد علي البار، ط١، جدة: دار العلم، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٨٣.إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح آخر الزمان، حمود بن عبدالله التويجري، بدون ط، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٨٤.اقترب خروج المسيح الدجال «الصهاينة وعبدة الشيطان يمهدون لخروج المسيخ الدجال بأطباقه الطائرة من مثلث برامودا»، هشام كمال عبدالحميد، بدون ط، القاهرة: دار البشير، بدون تاريخ.
٨٥. اقتربت الساعة، أسامة يوسف رحمة، ط٣، بيروت-دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٨٦.اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أهل الجحيم، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، ط٨، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٨٧.الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، بدون ط، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية،

١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.

٨٨. إكمال إكمال المُعَلم، محمد بن خليفة الوشتاني الأُبيّ، ضبطه محمد سالم هاشم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مطبوع مع صحيح مسلم، ومكمل إكمال الإكمال، للسنوسي.

٨٩. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط١، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩٠. الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأصول المقضية في وقعة الإسكندرية، محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندراني، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٩١. الأم، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي، ط١، مصر: دار الوفاء، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٩٢. الأمالي « الشهير: بالأمالي الخميسية»، يحيى بن الحسين الشجري الجرجاني، ط٣، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٩٣. الأمالي المطلقة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبدالمحسن السلفي، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٩٤. الإمام المهدي المصلح العالمي المنتظر، محمد جواد الطبسي، نقله إلى العربية: عبدالسلام الترابي، ط١، بيروت: دار جواد الأئمة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٩٥. الإمام المهدي ومفهوم الانتظار، لكاظم جعفر المصباح، ط١، طهران: دار البصائر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٩٦. الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، عبدالله بن عمر الدميجي، ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩هـ.

٩٧.الأمانات والاعتقادات، سعيد بن يوسف المعروف بسعديا الفيومي، تحقيق: س. لانداور، بدون ط، لندن: دار و.ج.بريل، ١٨٨٠م.

٩٨.امبراطورية الشر الجديدة، عبدالحي يحيى زلوم، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٣م.

٩٩.أمة اليمين قوة المحافظين في أمريكا، جون ميكلثوايت وأدريان وولدريدج، ترجمة: عبدالوهاب علوب، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.

١٠٠. أمريكا المختطفة «اللوبي الإسرائيلي وسياسة الولايات المتحدة الخارجية»، جون جي. مير شامير، وستفن إم. والت، نقله إلى العربية: فاضل جتكر، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٠١. أمريكا على مفترق طرق «ما بعد المحافظين الجدد»، فرانسيس فوكوياما، نقله إلى العربية: محمد محمود التوبة، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٠٢. أمريكا وإسرائيل «دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل»، محمد معروف الدواليبي، ط٢، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠٣. أميركا المسيحانية «حروب المحافظين الجدد»، الان فوشون ودانيال قرنة، ترجمة: موريس شربل، بدون ط، طرابلس: دار جروس برس، ٢٠٠٥م.

١٠٤. الأنبياء الصغار، هنري أيرنسايد، ترجمة: أديب يسي، «الجزء الأول»: ط٢، بدون دار، ٢٠٠٦م، و«الجزء الثاني»: بدون طبعة، بدون تاريخ، و«الجزء الثالث»: ط١، ٢٠٠٢م.

١٠٥. الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم، لأبي الحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي، بدون ط، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧هـ.

١٠٦. الانتفاضة والتتار الجدد، سفر بن عبدالرحمن الحوالي، ط١، الرياض: مجلة البيان،

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٠٧. إنجيل برنابا، ترجمة: خليل سعادة، قدم له: محمد رشيد رضا، عرّف به: أحمد حجازي السقا، بدون ط، القاهرة: دار البشير، بدون تاريخ.

١٠٨. الأنساب، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تقديم وتعليق: عبدالله عمر البارودي، ط١، بيروت: دار الجنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٠٩. الإنسان والحالة الأبدية، ف. و. جرانت، بدون ط، مصر: دار الإخوة، ٢٠٠٥م.

١١٠. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة فيه، علي بن نفيع العلياني، ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

١١١. أوقفوا الحرب «إزالة النزاع في العصر النووي»، روبرت هندي وجوزيف رتبلات، تعريب: أمل حمود، ط١، بيروت: شركة الحوار الثقافي، ٢٠٠٥م.

١١٢. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد إبراهيم الوزير، تحقيق: أحمد مصطفى حسين صالح، اليمن: الدار اليمنية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١١٣. الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن مندة، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١١٤. أين مقر الأرواح؟، صموئيل مشرقي، ط٢، بدون دار، ٢٠٠٤م.

١١٥. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، أحمد محمد شاكر، ط٣، مصر: مطبعة محمد على صبيح وأولاده .

١١٦. البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط ١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، والجزء العاشر منه بتحقيق: عادل بن سعد، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١٧. بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الأشاعرة والحركات المعاصرة منها، ناصر بن عبدالكريم العقل، ط٢، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١١٨. بدائع الزهور في وقائع الدهور، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

١١٩. بدائع السلك في طبائع الملك، لأبي عبدالله ابن الأزرق، تحقيق وتعليق: علي سامي النشار، ط١، بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٢٠. بداية المجتهد ونهاية المقتصد، محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، تحقيق: محمد صبحي حسن حلّاق، ط١، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ.

١٢١. البداية والنهاية لأمة بني إسرائيل، أحمد أحمد علي السقا، ط١، دمشق-القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

١٢٢. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: عبدالله التركي، مصر: دار هجر، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م

١٢٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، بدون ط، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

١٢٤. بذل المجهود في إفحام اليهود، السموأل بن يحيى المغربي، تحقيق: احمد حجازي أحمد السقا، ط١، الجيزة: دار النافذة، ٢٠٠٥م.

١٢٥. البرق اليمني في نقد مرويات قصة أويس القرني، عبدالعزيز بن أحمد بن محسن الحميدي، ط١، مكتبة المزيني، ١٤٢٩هـ.

١٢٦. البرهان في أصول الفقه، إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني، تحقيق: عبدالعظيم الديب، ط٢، القاهرة: دار الأنصار، ١٤٠٠هـ.

١٢٧. البروتوكولات واليهودية والصهيونية، عبدالوهّاب المسيري، ط٤، القاهرة:

دار الشروق، ٢٠٠٥م.

١٢٨. بشرى البشر في حقيقة المهدي المنتظر، محمود الغرباوي، ط١، دمشق-القاهرة:دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

١٢٩. بعد الاختطاف، جيري دارت، ترجمة: عزيز حبيب وفيفان فايز ونانسي وليم وداليا رؤوف، بدون معلومات.

١٣٠. البعد الديني في السياسية الأمريكية تجاه الصراع العربي- الصهيوني، يوسف الحسن، ط٣، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠م.

١٣١. البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد الحسيني إسماعيل، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٣٢. البعد الديني للصراع الإسرائيلي، محمد خليفة حسن، بدون ط، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، ١٩٩٩م.

١٣٣. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروزابادي، تحقيق: محمد المصري، ط١، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٣٤. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق ودراسة: حسين أحمد صالح الباكري، ط١، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٣٥. بغية الطلب في تاريخ حلب، الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة ابن العديم، تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٦. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: موسى بن سلمان الدويش، ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكمة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٣٧. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي،

ط٢، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
١٣٨. بلاد الشام أرض الأنبياء والملاحم وأشراط الساعة، منصور عبدالحكيم، ط١، دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م.
١٣٩. بلد الله «الدين في السياسة الخارجية الأمريكية»، والتر راسيل ميد، ط١، ترجمة: حمدي عباس، القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
١٤٠. البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم «أمريكا وبريطانيا» والترك وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى، فاروق الدسوقي، ط٢، بدون دار، ١٩٩٨م.
١٤١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تصحيح وتكميل وتعليق: محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، ط١، مكة: مطبعة الحكومة، ١٣٩١هـ.
١٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: جماعة من العلماء، الكويت: مطبعة الحكومة، ١٣٨٥هـ- ١٩٩٤م.
١٤٣. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول، صديق حسن خان القنوجي، ط١، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٤٤. تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
١٤٥. تاريخ ابن خلدون «المسمّى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر»، عبدالرحمن بن خلدون، ضبطه: خليل شحاده، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٤٦. تاريخ الأديان «دراسة وصفية مقارنة»، محمد خليفة حسن، بدون ط، القاهرة: دار الثقافة العربية، ٢٠٠٠م.
١٤٧. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١، تحقيق: بشار عواد، دار

الغرب الإسلامي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٤٨. التاريخ الأوسط، المسمى «المختصر من تاريخ هجرة رسول الله -ﷺ- والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين»، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: تيسير بن سعد أبو حميد، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

١٤٩. تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد المحامي، بدون ط، بيروت: دار الجيل، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

١٥٠. تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن، بدون ط، بدون دار، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٥١. تاريخ الطبري «تاريخ الأمم والملوك»، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مصر: دار المعارف، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

١٥٢. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، بدون ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٥٣. تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبَّه النميري البصري، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٢، جدة: دار الأصبهاني، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٥٤. التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، إسرائيل شاحاك، ترجمة: صالح علي سوداح، ط١، بيروت: بيسان، ١٩٩٥م.

١٥٥. تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، اعتنى به: السيد محمد سعيد العرفي، بدون ط، بيروت: دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

١٥٦. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، تحقيق: محب الدين عمر بن غرامة العمري، بدون ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٥٧. تأملات في سيرة الرسول ﷺ، محمد السيد الوكيل، ط ٣، جدة: دار المجتمع، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

١٥٨. تأويل مختلف الحديث، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: محمد عبدالرحيم، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٥٩. تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، بدون ط، القاهرة: دار التراث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٦٠. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي النجّار، بدون ط، مصر: المؤسسة المصرية العامة، بدون تاريخ.

١٦١. تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

١٦٢. تجديد الفكر استجابة لتحديات العصر، أحمد صدقي الدجاني، بدون ط، القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٩٦م.

١٦٣. تحذير ذوي الفطن من عبث الخائضين في أشراط الساعة والفتن والملاحم، أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، ط١، مصر، سمنود: مكتبو ابن عباس، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٦٤. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، بسمة أحمد جستنية، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٦٥. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه: عبدالوهاب عبداللطيف، ط٢، القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

١٦٦. تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

١٦٧. تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي، اعتنى به: سلطان بن فهد الطبيشي، ط١، الرياض: دار ابن

خزيمة، ١٤١٤هـ.

١٦٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النوواي، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبدالوهاب عبداللطيف، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٩م-١٩٧٩م.

١٦٩. التدوين في أخبار قزوين، عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاري، حيد آباد: مطبعة العزيزية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٧٠. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٣٣هـ-١٩٨٦م.

١٧١. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، ط٣، تحقيق وتخريج: فؤاد أحمد زمرلي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

١٧٢. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، عياض بن موسى ين عياض، تحقيق: أحمد بكير محمود، ط١، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٧٣. تساؤلات في المسيحية، طارق فوزي، ط١، القاهرة: دار الأحمدي، ٢٠٠٧م.

١٧٤. التصريح بما تواتر في نزول المسيح، محمد أنور شاه الكشميري الهندي، رتبه محمد شفيع، وحققه عبدالفتاح أبو غدة، ط٥، دمشق-بيوت: دار القلم، ١٤٢١هـ-١٩٩٢م.

١٧٥. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني، ط٢، تقديم وتعليق وشرح: علي بن محمد بن سنان، المدينة المنورة: مكتبة دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٧٦. التعريفات، علي بن مجد الشريف الجرجاني، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، ط١، بيروت: دار النفائس، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

١٧٧. تغليق التعليق على صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة

وتحقيق: سعيد عبدالرحمن موسى القزقي، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، عمّان: دار عمّار، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٧٨. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مجموعة من المؤلفين، بدون ط، القاهرة: تعريب شركة ماستر ميديا، بدون تاريخ.

١٧٩. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٨٠. تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م..

١٨١. التفسير الكامل للكتاب المقدس «العهد الجديد»، متى هنري، ط١، القاهرة: إيجلز، ٢٠٠٢.

١٨٢. تفسير المنار المسمى تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، ط٢، بيروت: دارا لمعرفة، بدون تاريخ.

١٨٣. تفسير سفر الرؤيا للقديس يوحنا اللاهوتي، ابن كاتب قيصر، اعتنى به: أرمانيوس حبشي شتا البرماوي، ط٣، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٩٤م.

١٨٤. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري، ضبطه وخرجه: زكريا عميرات، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٨٥. تفسير كلمات الكتاب المقدس «معجم الألفاظ العسرة»، سعيد مرقص إبراهيم، ط٨، بدون دار، ٢٠٠٧م.

١٨٦. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، ط٢، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

١٨٧. تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، عناية: عادل مرشد، بيروت: مؤسسة

الرسالة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٨٨. تقييد العلم، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف العش، ط٢، دار إحياء علوم السنة النبوية، ١٩٧٤م.

١٨٩. تكملة تاريخ الطبري، محمد بن عبدالملك الهمداني، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، ط٢، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١م.

١٩٠. تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، محمّد تقيّ العثماني، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٩١. تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، باكستان: المكتبة الأثرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٩٢. تلخيص الذهبي على مستدرك الحاكم، مطبوع بذيل المستدرك على الصحيحين، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٩٣. تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري، ابن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد بن علي عجال، ط١، المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ.

١٩٤. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٥. تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود والعالم الإسلامي، منصور عبدالحكيم، ط١، دمشق، القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

١٩٦. تنقيح الأبحاث للملل الثلاث، سعد بن منصور بن كمونة، عني بنشره: موسى برلمان، بدون ط، مطبوعات جامعة كاليفورنيا، ١٩٦٧م.

١٩٧. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، قام على طبعه وتحقيقه والتعليق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، الرياض: مكتبة

المعارف، ١٣٨٦هـ.

١٩٨. تهذيب الآثار، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٢م.

١٩٩. تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققه وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٢٠٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، حققه وضبطه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٠١. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: رياض زكي قاسم، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٠٢. توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صلاح الجزائري الدمشقي، المدينة المنورة: المكتبة العلمية.

٢٠٣. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق: عبدالعزيز إبراهيم الشهوان، ط٥، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٠٤. التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص، نعمان عبدالرزاق السامرائي، ط١، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٠٥. التوراة دراسة وتحليل، محمد شلبي شتيوي، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٠٦. التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف بن المناوي، تحقيق: عبدالحميد صالح حلوان، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠٧. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ط١، دمشق: المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٢٠٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد بن فواز الصميل، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

٢٠٩. التيسير بشرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، بدون معلومات.

٢١٠. الثقات، محمد بن حبّان بن أحمد أبي حاتم البستي، ط١، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٢١١. الثلاثاء الأسود «خلفية الهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية»، محمد أحمد النابلسي، ط٢، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢١٢. الثورة العربية الكبرى، مصطفى طلاس، ط٣، بيروت: دار الشورى، بدون تاريخ.

٢١٣. ثورة الموطئين للمهدي «قضية حتمية في قانون الاستبدال الإلهي»، مهدي الفتلاوي، ط١، بيروت: دار البلاغ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٢١٤. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، بيروت: مطبعة الملاح، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

٢١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله التركي، ط١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢١٦. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق وتخريج: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط١، العراق: الدار العربية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢١٧. جامع الرسائل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط٢، تحقيق: محمد رشاد سالم، القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢١٨. الجامع الصحيح-سنن الترمذي-، محمد بن عيسى الترمذي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢١٩. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٢٠. الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، إشراف: صالح آل الشيخ، ط١، الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٢١. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف ابن عبدالبر، ط١، مصر: الطباعة المنيرية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

٢٢٢. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٢٢٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق: محمود الطحان، الرياض: مكتبة العارف، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٢٤. جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م.

٢٢٥. الجفر أخطر مخطوطة على وجه الأرض، محمد عبدالحليم عبدالفتاح، بدون ط، مصر: كنوز للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

٢٢٦. الجفر لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه «أسرار الهاء في الجفر»، محمد عيسى داود، بدون ط، القاهرة: مدبولي الصغير، بدون تاريخ.

٢٢٧. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، نعمان خير الدين الألوسي، بدون ط، مصر: مطبعة المدني، بدون تاريخ.

٢٢٨. الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، سليم بن عيد الهلالي، بدون ط، عمان: الدار الأثرية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٢٩. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق: علي

حسين البوَّاب، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٣٠. جمهرة اللغة، محمد بن محمد الحسن بن دريد الأزدي، ط١، حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٥هـ.

٢٣١. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ط١، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

٢٣٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط٢، تحقيق وتعليق: علي بن حسن بن ناصر، وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٢٣٣. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٣٤. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: محمد الفاضلي، ط١، بيروت: المطبعة العصرية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٣٥. الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر، عبدالرحمن السخاوي، ط١، تحقيق: إبراهيم باجس عبدالمجيد، بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٢٣٦. حاشية محمد بن عبدالهادي السندي على سنن ابن ماجه، مطبوعة مع سنن المصطفى ﷺ، ابن ماجه، ط١، مصر: المطبعة التازية، بدون تاريخ.

٢٣٧. حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان، نقله إلى العربية: عجاج نويهض، ط٤، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٤هـ-١٩٧٣م.

٢٣٨. الحاوي الكبير في فقه مذاهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٣٩. الحاوي للفتاوى [في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون]، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٤٠. الحتميات من علائم الظهور، فاروق البياتي الموسوي، ط١، قم: مؤسسة السبطين -عليهما السلام- العالمية، ١٤٢٦هـ.

٢٤١. حجة الله البالغة، أحمد شاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي، شرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٠هـ- ١٩٨٥م.

٢٤٢. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي وزميله، ط١، الرياض: دار الراية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢٤٣. حجية أحاديث الآحاد في الأحكام والعقائد، الأمين الحاج محمد أحمد، ط١، جدة: دار المطبوعات الحديثة، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٢٤٤. حدود الصراع «تاريخيّة الصراع العربي واليهودي الإسرائيلي»، موفق صادق العطار، ط١، دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٤٥. الحرب الصليبية تواريخ حرب ظالمة، جيمس كارول، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢٤٦. الحرب العالمية الرابعة، باسكال بونيفاس، ترجمة: أحمد الشيخ، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٤٧. حرب صليبية بكل المقاييس، زينب عبدالعزيز، ط١، دمشق-القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٣م.

٢٤٨. الحركة الصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، محمد خليفة حسن، بدون

ط، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، بدون تاريخ.

٢٤٩. حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، عبدالحي يحيى زلوم، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥م.

٢٥٠. حروب الديمقراطية «معارك الإصلاح والهيمنة»، رفيق حبيب، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٥١. حضارات الشرق الأدنى القديم، محمد بيومي مهران، بدون ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.

٢٥٢. حقيقة الخبر في المهدي المنتظر، هشام محمد، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م.

٢٥٣. حقيقة الكتاب المقدس تحت مجهر علماء اللاهوت، روبرت كيل تسلّر، ط١، ترجمة: علاء أبو بكر، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٥٤. حكم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، فوزي بن محمد العودة، ط١، راجعه: محمد ناصر الدين الألباني، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٥٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني الشافعي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العربية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٥٦. حمار المسيح «الأصولية اليهودية- الحاضر والجذور»، سفى رخلافسكي، ترجمه عن العبرية: إسماعيل دبج، ط٢، دمشق: دار كنعان، ٢٠٠٥م.

٢٥٧. حمى سنة ٢٠٠٠ «نظرات جديدة في مسيرة الصراع الديني ضد المسلمين»، عبدالعزيز بن مصطفى كامل، ط١، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٥٨. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، أبو الفضل عبدالرزاق بن الفوطي البغدادي، بغداد: مطبعة الفرات، ١٣٥١هـ.

٢٥٩. الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، بدون

ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٢٦٠. خروج يأجوج ومأجوج وزوال إسرائيل في مذبحة هرمجدون على أيدي أبناء النيل، فاروق محمد نجلا، بدون ط، طنطا: المكتبة القومية الحديثة، بدون تاريخ.

٢٦١. الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، إيسوذورس، بدون ط، إعداد وتعليق: ميخائيل مكسي إسكندر، القاهرة: مكتبة المحبة، بدون تاريخ.

٢٦٢. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ط٢، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٥م.

٢٦٣. خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٨٩هـ.

٢٦٤. خطر اليهودية الصهيونية على النصرانية والإسلام، طانيوس منعم، ط٢، بيروت: مؤسسة موتاشا، بدون تاريخ.

٢٦٥. خطوة خطوة نحو نهاية العالم، إبراهيم صبري، بدون معلومات.

٢٦٦. خلاصة المقال في المسيح الدجال، محمود الغرباوي، ط١، دمشق-القاهرة:دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

٢٦٧. الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، إسماعيل الكيلاني، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٦٨. خلفية صراع أهل الأديان حول فلسطين ولبنان، محمد عثمان صالح، ط١، المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٢٦٩. خمس وخمسون «٥٥» حقيقة من حقائق الإيمان الأساسية، ناشد حنا، ط٤، القاهرة: كنيسة الإخوة، ١٩٩٨م.

٢٧٠. الخوارج أول الفرق في تاريخ المسلمين «مناهجهم وأصولهم وسماتهم-قديماً

وحديثاً وموقف السلف منهم»، ناصر عبدالكريم العقل، ط٢، ١٤١٧هـ.

٢٧١. الخيوط الخفية بين المسيخ الدجال وأسرار مثلث برمودا والأطباق الطائرة، محمد عيسى داود، بدون ط، القاهرة: دار البشير، بدون تاريخ.

٢٧٢. دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، شريط سيدي.

٢٧٣. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، ط٣، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١م.

٢٧٤. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٧٥. الدراري المضية شرح الدرر البهية في المسائل الفقهية، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ط٢، اليمن: مكتبة الإرشاد، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٧٦. دراسات أندلسية في القصيدة العبرية، توفيق علي توفيق، ط١، بدون دار، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨، وهو منشور أيضاً -حسب إفادة المؤلف- في مجلة اللغات والترجمة التابعة لجامعة الأزهر، العدد: ٣٤، ٢٠٠٣م.

٢٧٧. دراسات تفسيرية في سفر الرؤيا، هاني ماهر، بدون معلومات.

٢٧٨. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبدالعزيز الخلف، ط١، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٧٩. دراسات في الكتاب المقدس «العهد القديم والعهد الجديد»، محمود علي حماية، ط٢، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م.

٢٨٠. دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران، بدون ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ.

٢٨١. درّة الحجال في أسماء الرجال، أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث، بدون ط وت.

٢٨٢. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن قاسم، ط٧، بدون دار، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٨٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط٢، مصر: مطبعة المدني، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

٢٨٤. دعاوى النصارى في مجيء المسيح عليه السلام، سعود بن عبدالعزيز الخلف، بحث علمي منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٤، عدد: ٢٣، شوال ١٤٢٢هـ.

٢٨٥. دعوة التقريب بين الأديان «دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية»، أحمد بن عبدالرحمن القاضي، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ.

٢٨٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٨٧. دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، تحقيق وترجمة: حسين آتاى، ط١، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٨٨. الدول المارقة «استخدام القوة في الشؤون العالمية»، نعوم تشومسكي، تعريب: أسامة إسبر، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٨٩. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون المالكي، تحقيق: أحمد الأحمدي أبو النور، القاهرة: دار التراث.

٢٩٠. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، السعودية -الخبر-: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٩١. الدين «بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان»، محمد عبدالله دراز، بدون ط، الكويت: دار القلم، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٩٢. الدين في القرار الأميركي، محمد السماك، ط٢، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٩٣. الدين والثقافة الأمريكية، جورج مارسدن، ترجمة: صادق إبراهيم عودة، ط١، عمّان: دار الفارس، ٢٠٠١م.
٢٩٤. الدين والسياسة في إسرائيل «دراسة في: الأحزاب والجماعات الدينية في إسرائيل ودورها في الحياة السياسية»، عبدالفتاح محمد ماضي، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.
٢٩٥. الدين والسياسة في الولايات المتحدة، مايكل كوربت وجوليا ميتشل كوربت، ترجمة: عصام فايز وناهد وصفي، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢٩٦. الدينونة في الفكر المسيحي، سامي غبريال، ط٢، بدون دار، ٢٠٠٥م.
٢٩٧. الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد بوخبزة، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤م.
٢٩٨. ذم التأويل، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، ط١، الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٩٩. ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، محمد خير رمضان يوسف، ط٢، دمشق: دار القلم، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
٣٠٠. ذيول العبر في خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١، تحقيق: محمد سعيد زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.
٣٠١. الرؤية الأوربية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى، علي بن محمد عوده الغامدي، بحث مطبوع ضمن ندوة العرب وأوربا عبر عصور التاريخ، حصاد ٧، القاهرة: اتحاد المؤرخين العرب، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٠٢. رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، حسن محمد ميّ، ط١، عمان: دار الفرقان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٠٣. رؤية في سفر الرؤيا، إبراهيم صبري، بدون ط، بدون دار، ٢٠٠٧م.
٣٠٤. رحلات للديار المباركة، أنس القوز، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٠٥. رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر «سيرة غير ذاتية غير موضوعية»، عبدالوهاب المسيري، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٦م.
٣٠٦. الرد على المنطقين، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط٢، باكستان: مطبعة معارف لاهور، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
٣٠٧. رسالة التوحيد، محمد عبده، ط٤، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٠٨. رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ط٤، ترجمة وتقديم: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٧م.
٣٠٩. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، بيروت: المكتبة العلمية.
٣١٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، السيد محمود الألوسي، بدون ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٣١١. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السُهيلي، تحقيق: عبدالرحمن السيد الوكيل، ط١، القاهرة: دار النصر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٣١٢. روضة المحبين ونزهة المشتاقين، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، ط١، دمشق: دار الكلم الطيب، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٣١٣. الروضة الندية شرح الدرة البهية، محمد صديق حسن خان، تخريج: محمد صبحي حسن حلاق، ط١، صنعاء: دار الهجرة، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣١٤. رياض الصالحين، يحيى بن شرف النووي، شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت:

مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣١٥. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط١، المكتب الإسلامي، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٣١٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، ط١٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣١٧. الزمن القادم في تنبؤات نوستراداموس «النبوءات السياسية والدينية وأحداث دمار العالم المنتظر»، طارق سري، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م.

٣١٨. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيتمي، بدون ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٣١٩. سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل، دراسة وتحقيق: محمد علي قاسم العمري، ط١، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٢٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد يوسف الصالحي الشامي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوّض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٢١. السراج الوهّاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج، صدّيق بن حسن خان الحسيني القنوجي، تحقيق: عبدالتواب هيكل، ط١، الدوحة: المطبعة الأهلية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٢٢. السعي وراء الفترة الألفية السعيدة، نورمان كوهن، مطبوع ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، بدون ط، دمشق: دار الفكر، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٣٢٣. سفر دانيال مفصلاً آيةً آيةً، ناشد حنا، ط٣، مصر: دار الإخوة، ٢٠٠٦م.

٣٢٤. سفر زكريا مفصلاً آيةً آيةً، رشاد فكري، بدون ط، بدون دار، ٢٠٠٤م.
٣٢٥. سقوط الحضارة الغربية، أحمد منصور، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٢٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
٣٢٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٢٨. السلطان الخطير «السياسية الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط»، نعوم تشومسكي وجلبير الأشقر، ترجمة: ربيع وهبه، ط١، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٧م.
٣٢٩. سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، عبدالملك بن حسين العاصمي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوّض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٣٠. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ط٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٣٣١. السنّة، عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني، (ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة) محمد ناصر الدين الألباني، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٣٣٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، بيروت: المكتبة العلمية .
٣٣٣. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد عوامة، ط١، بيروت: مؤسسة الريان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٣٤. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبدالكريم زيدان، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣٣٥. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٣٦. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان ابنداري وسيّد كسروي حسن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٣٣٧. سنن النسائي بحاشية الإمام السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط٥، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٣٨. سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، ط٥، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٣٣٩. سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، حكم على أحاديثه وعلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ.
٣٤٠. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، عثمان بن سعد المقرئ الداني، ط١، دراسة وتحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
٣٤١. السياسة الأمريكية تجاه العرب، كيف تصنع؟ ومن يصنعها؟، فواز جرجس، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠م.
٣٤٢. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط، ط١١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٣٤٣. سير الخلفاء الراشدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣٤٤. سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار، بدون ط، تحقيق: محمد حميد الله، مكتبة المؤيد، بدون تاريخ.

٣٤٥. السيرة النبوية في ضوء القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شهبة، ط ٤، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٣٤٦. السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام المعافري، حققها واعتنى بها: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٣٤٧. السيف الأحمر دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، جمال البدري، ط١، دمشق: الأوائل، ٢٠٠٣م.

٣٤٨. السيناريو القادم لأحداث آخر الزمان «قراءة دينية سياسية معاصرة للواقع وأحداثه»، منصور عبدالحكيم، ط١، دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

٣٤٩. الشامل في أصول الدين، إمام الحرمين عبدالملك بن عبدالله الجويني، تحقيق: علي سامي النشار وآخرين، مصر: مطابع شركة الإسكندرية، ١٩٦٩م.

٣٥٠. شجرة النور الزكيّة في طبقات المالكيّة، محمد محمد مخلوف، دار الفكر، بدون ط وت.

٣٥١. الشخصية الإسرائيلية «دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام»، محمد خليفة حسن، بدون ط وت، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية.

٣٥٢. الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا، ط٣، دمشق: دار القلم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٣٥٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحي بن العماد الحنبلي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٣٣هـ - ١٩٧٩م.

٣٥٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي تحقيق: أحمد سعد حمدان الغامدي، ط٤، الرياض: دار طيبة للنشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٥٥. شرح الأصول الخمسة، عبدالجبار بن أحمد، تعليق: أحمد بن الحسين بن أبي هشام، تحقيق: عبدالكريم عثمان، ط١، القاهرة: مطبعة الاستقلال الكبير، ١٣٨٤هـ - ١٩٧١م.

٣٥٦. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني،

ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٥٧. شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: خالد بن قاسم الردادي، ط٥، الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٥٨. شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٥٩. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمّى بـ «الكاشف عن حقائق السنن»، حسين بن محمد بن عبدالله الطيبي، تحقيق: عبدالغفار محب الله اللحام، ط١، كراتشي: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ.

٣٦٠. شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٣٦١. شرح العقيدة الطحاوية، علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، ط١٣، تحقيق وتعليق وتخريج وتقديم: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٨٨م.

٣٦٢. شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل الهراس، ط٣، ضبط وتخريج: علوي عبدالقادر السقاف، الرياض: دار الهجرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٦٣. شرح العمدة في الفقه (كتاب الطهارة)، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق ودراسة: سعود بن صالح العطيشان، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، و(كتاب الصلاة)، تحقيق: خالد علي المشيقح، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٦٤. شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبدالرحمن عميره، مصر: مطبعة دار التأليف.

٣٦٥. شرح سفر إشعياء، ناشد حنا، ط٣، بدون دار، ٢٠٠٥م.

٣٦٦. شرح سفر الرؤيا مفصلاً آيةً آيةً، ناشد حنا، ط٣، بدون دار، ٢٠٠٤م.

٣٦٧. شرح سفر حزقيال، رشاد فكري، بدون ط، بدون دار، ٢٠٠٣م.

٣٦٨. شرح سفر هوشع آية آية، رشاد فكري، بدون معلومات.

٣٦٩. شرح شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، علي بن سلطان محمد القاري الهروي المعروف بـ«ملا علي القاري»، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، بيروت: دار الأرقم، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٧٠. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن عبدالملك ابن بطال، ضبط وتعليق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٣، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٧١. شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٧٢. الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: محمد أمين وآخرين، ط١، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٣٩٢هـ.

٣٧٣. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، اعتنى به: خالد العلمي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣٧٤. شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي وقاعة الملكوت التوراتي، حسين عمر حمادة، ط٢، بيروت: دار قتيبة ودار الوثائق، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٣٧٥. شهود يهوه من هم؟ كيف نشأوا؟ وما هي عقائدهم؟، عبدالمسيح بسيط أبو الخير، ط٢، مصر: بيت مدارس الأحد بروض الفرج، ٢٠٠٠م.

٣٧٦. شهود يهوه نشأتهم وأفكارهم، أسعد السحمراني، ط٤، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٧٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٧٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، علاء الدين علي بن لبان الفارسي، حققه وخرجه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٣٧٩. صحيح أشراط الساعة ووصف ليوم البعث وأهوال يوم القيامة، مصطفى أبو النصر الشلبي، ط٢، جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٣٨٠. صحيح الجامع الصغير وزيادته «الفتح الكبير»، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٨١. صحيح السيرة النبوية، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الأردن: عمان: المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ.

٣٨٢. الصحيح المسندمن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مصطفى العدوي، ط١، الرياض: دار الهجرة، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٨٣. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٣٨٤. صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٨٥. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٣٨٦. صحيح مسلم بشرح النووي، ط٢، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣٨٧. صدام الحضارات «إعادة صنع النظام العالمي»، صامويل هنتنجتون، ترجمة: طلعت الشايب، ط٢، مصر: سطور، ١٩٩٨م.

٣٨٨. صراع المصالح في بلاد الرافدين، أحمد فهمي، بدون ط، الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٩هـ.

٣٨٩. صراع النهاية بين مسيح الضلالة ومسيح الهداية، عبدالعزيز بن أحمد بن محسن، ط١، الطائف: مكتبة دار البيان الحديثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٩٠. صعود البروتستانتية الإيفانجليكية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي، محمد عارف، ترجمة: رانية خلاف، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٩١. صفة الغرباء، سلمان العودة، ط٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٣٩٢. الصفدية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، المنصورة: دار الهدي النبوي، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٣٩٣. الصليبيون الجدد-الحملة الثامنة-«دراسة في أسباب التحيز الأمريكي والبريطاني لإسرائيل»، يوسف العاصي الطويل، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٧م.

٣٩٤. الصهيونية المسيحية، محمد السماك، ط٣، بيروت: دار النفائس، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٩٥. الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، عبدالوهّاب المسيري، ط٤، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٩٦. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، تحقيق: عبدالرحمن التركي وكامل الخراط، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٩٧. الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، أبو بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ.

٣٩٨. ضحى الإسلام، أحمد أمين، ط١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

٣٩٩. ضعيف الجامع الصغير وزيادته «الفتح الكبير»، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٠٠. ضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٠١. ضعيف سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٠٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، القاهرة: مكتبة القدس، ١٣٥٣هـ.

٤٠٣. طبقات الحفاظ، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٠٤. طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى الفرّاء، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

٤٠٥. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

٤٠٦. طبقات الفقهاء الشافعية، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن ابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٤٠٧. طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مصر: مطبعة السعادة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٤٠٨. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٠٩. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان صالح الخزي، ط١،

المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
٤١٠. طبقات المفسرين، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
٤١١. طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين أبو الفضل عبدالرحيم بن الحسين العراقي، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤١٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، قطر: مطابع الدوحة الحديثة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
٤١٣. الطقوس الدينية والاجتماعية في الفلكور اليهودي في العهد القديم، سوزان السعيد يوسف، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى قسم اللغات الشرقية «القسم السامي» بكلية الآداب في جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.
٤١٤. طموحات إمبريالية، نعوم تشومسكي، أجرى المقابلات: ديفيد برساميان، ترجمة: عمر الأيوبي، بدون ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦م.
٤١٥. ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤١٦. ظلال الجنة في تخريج السنة محمد ناصر الدين الألباني، مطبوع مع كتاب السنة، عمرو بن أبي عاصم، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٤١٧. عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
٤١٨. العراق أرض النبوءات والفتن قديماً وحديثاً، منصور عبدالحكيم، ط١، دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٥م.
٤١٩. العراق في أحاديث وآثار الفتن، مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دبي: مكتبة

الفرقان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٢٠. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه ابن معظم شاه الكشميري، تحقيق: محمود شاكر، ط١، بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٢١. العرف الوردي في أخبار المهدي ضمن الحاوي للفتاوي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٤٢٢. عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه، صموئيل مشرقي رزق، ط٢، الكنيسة المركزية لمجمع الله الخمسيني، ٢٠٠٢م.

٤٢٣. عقائد اليهود بين الحق والباطل، خضر عبداللطيف سوندك، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ-١٤٠٤هـ.

٤٢٤. عقد الدرر في أخبار المنتظر وهو المهدي ﷺ، يوسف بن يحيى بن علي بن عبدالعزيز المقدسي السلمي، تحقيق وتخريج: مهيب بن صالح بن عبدالرحمن البوريني، ط٢، الأردن: مكتبة المنار، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٤٢٥. علامات الساعة دراسة تحليلية، رفاعي سرور، ط١، المطرية: دار هادف، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٢٦. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق وتعليق: إرشاد الحقّ الأثري، مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية، بدون تاريخ.

٤٢٧. علماء نجد خلال ثمان قرون، عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام، ط٢، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٩هـ.

٤٢٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، البدر العيني، بيروت: دار الفكر،

١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٢٩. عون المعبود شرح سنن أبو داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط وتحقيق، عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، القاهرة: مطابع المجد، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٤٣٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٣١. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي، ط٤، بيروت: دار الثقافة، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٤٣٢. الغرب أصل الصراع، عامر عبدالمنعم، العدد الثاني من سلسلة رؤى معاصرة، القاهرة: المركز العربي للدراسات الإنسانية، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٤٣٣. غريب الحديث، ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، تحقيق: عبدالله الجبوري، ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤٣٤. غريب الحديث، عبدالرحمن بن عبدالله محمد بن علي بن الجوزي، وثق أصوله وخرّج حديثه وعلق عليه: عبدالمعطي قلعجي، ط، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٤٣٥. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٠م.

٤٣٦. الفتاوى «دراسة لمشكلات المسلم المعاصر في حياته اليومية والعامة»، محمود شلتوت، ط٢، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٤٣٧. الفتاوى الحديثية، أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي، ط١، مصر: مطبعة مصطفى البابي، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.

٤٣٨. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن

عبدالرزاق الدويش، ط٢، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٢هـ.

٤٣٩. فتح الباري بشرح صحيح أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتعليق: عبدالقادر شيبة الحمد، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤٤٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن عميره، ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٤١. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، محمد بن عبدالرحمن السخاوي الشافعي، دراسة وتحقيق: عبدالكريم بن عبدالله الخضير ومحمد بن عبدالله آل فهيد، ط١، الرياض: دار المنهاج، ١٤٢٦هـ.

٤٤٢. الفتن والمحن بين يدي الساعة في ضوء الكتاب والسنة، عفاف عبدالغفور حميد، ط١، عمان: دار عمار، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٤٣. الفتن، حنبل بن إسحاق الشيباني، تحقيق: عامر حسن صبري، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٤٤. الفتن، نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث، تحقيق: مجدي بن منصور بن سيد الشورى، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٤٥. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذُري، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه: صلاح الدين المنجد، القاهرة: دار العدالة، ١٩٥٦م.

٤٤٦. فتوح الشام، محمد بن واقد الواقدي، ضبطه وصححه: عبداللطيف عبدالرحمن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٤٧. الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر التميمي البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٢، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٤٨. الفروق، أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن القرافي، و هامشه القواعد السنية في الأسرار الفقهية لابن المشاط، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤٤٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد حزم الظاهري، تحقيق: حمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميره، ط١، السعودية: شركة مكتبات عكاظ، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٤٥٠. فضح التلمود «تعاليم الحاخاميين السرية»، الأب آي. بي. برانايتس، ط٢، إعداد: زهدي الفاتح، بيروت: دار النفائس، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٥١. فقد جاء أشراطها، محمود عطيّة محمد علي، ط١، الدمام: رمادي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٤٥٢. فقه أشراط الساعة، محمد أحمد إسماعيل المقدّم، ط١، الإسكندرية: الدار العالمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٥٣. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

٤٥٤. فقه التعامل مع الفتن، زين العابدين بن غرم الله الغامدي، ط١، المنصور: دار الهدي النبوي والرياض: دار الفضيلة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٥٥. الفكر الديني اليهودي «أطواره ومذاهبه»، حسن ظاظا، ط٣، دمشق: دار القلم- بيروت: دار الشامية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٤٥٦. فكرة الخلاص عند اليهود منذ فترة العهد القديم حتى العصر الحديث، منى ناظم محمد الدبوسي، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى قسم اللغات الشرقية وآدابها، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م.

٤٥٧. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، اعتناء: إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٥٨. فوائد العراقيين، أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو النقّاش، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، طنطا: دار الضياء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٦م.

٤٥٩. الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط٦، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٤٦٠. فوات الوفيات والذيل عليها، محمد بن شاكر الكتبي، بيروت: دار صادر، بدون تاريخ.

٤٦١. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النقراوي المالكي، تحقيق: عبدالوارث محمد علي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٤٦٢. في انتظار الإمام، عبدالهادي الفضلي، ط١، دار الأندلس، ١٩٧٩م.

٤٦٣. في حوار هادئ مع محمد الغزالي، سلمان بن فهد العودة، ط١، بدون معلومات، ١٤٠٩هـ.

٤٦٤. في طريقي إلى الإسلام، أحمد سوسة، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م.

٤٦٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط٩، القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٤٦٦. في فقه الصراع على القدس وفلسطين، محمد عمارة، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٤٦٧. فيض الباري على صحيح البخاري، محمد أنور الكشميري، بدون ط، بشاور: مكتبة حقانية، بدون تاريخ.

٤٦٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، عبدالرؤوف المناوي، ضبطه وصححه: أحمد عبدالسلام، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤٦٩. قاموس الكتاب المقدّس، بعض اللاهوتيين وغيرهم، ط١٤، القاهرة: دار مكتبة

العائلة، ٢٠٠٥م.

٤٧٠. قبل الكارثة نذير ونفير، عبدالعزيز بن مصطفى كامل، ط١، لندن: المنتدى الإسلامي، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٤٧١. قبل أن يُهدم الأقصى، عبدالعزيز مصطفى، بدون ط، بدون دار، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٧٢. القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، سفر بن عبدالرحمن الحوالي، ط١، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤١٤هـ.

٤٧٣. القدس بين رؤيتين، هل تحسم النبوءات الصراع؟ «دراسة مقارنة بين الرؤية القرآنية الإسلامية والرؤية التوراتية الصهيونية حول القدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين»، حسن مصطفى الباش، ط١، دمشق-بيروت: دار قتيبة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٧٤. القدس من الإسراء إلى وعد الآخرة سبع آيات تختزل التاريخ «فلسطين ومركزية الصراع الكوني»، حسن الباش، ط١، دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤٧٥. قراءة في الكتاب المقدس «تأملات في كتب الأناجيل»، صابر طعيمة، ط١، المدينة المنورة: المؤلف، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٤٧٦. قراءة في النظام العالمي الجديد، نعمان عبدالرزاق السامرائي، ط١، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٧٧. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، خادم حسين إلهي بخش، ط١، الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٤٧٨. قريب على الأبواب، ناشد حنا، ط٤، مصر: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٠م.

٤٧٩. قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، ط٤، القاهرة: مطابع الدجوي، ١٩٧٣م.

٤٨٠. قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إيّاه «على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافاً إليها ما صحّ عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم»، محمد ناصر الدين الألباني، ط١، عمّان: المكتبة الإسلامية، ١٤٢١هـ.
٤٨١. قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
٤٨٢. قضايا في الفكر المعاصر، محمد عابد الجابري، ط٢، بيروت: مركز دراسات الوحدة العبية، ٢٠٠٣م.
٤٨٣. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجي، بدون ط، تحقيق: عاصم بن عبدالله القريوتي، الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٢هـ.
٤٨٤. قفو الأثر في صفوة علوم الأثر في المصطلح على مذهب السادة الحنفية، رضي الدين محمد بن إبراهيم الحلبي الحنفي، دكا: دائرة نشر العلوم، ١٣٦٧هـ-١٩٤٩م.
٤٨٥. القناعة في ما يحسن الإحاطة به من أشراط الساعة، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، تحقيق: محمد بن عبدالوهاب العقيل، ط١، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
٤٨٦. قواعد التفسير جمعاً ودراسةً، خالد بن عثمان السبت، ط١، الخبر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٤٨٧. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، دراسة وتحقيق وتعليق: مصطفى عاشور، بدون ط، القاهرة: مكتبة القرآن، بدون تاريخ.
٤٨٨. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤٨٩. القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، رشاد عبدالله الشامي، بدون ط، الكويت: عالم المعرفة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٤٩٠. القيامة الصغرى على الأبواب -الجزء الأول وهو الإصدار الثاني لكتاب زلزال الأرض العظيم-، فاروق الدسوقي، ط٢، بدون دار، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٩١. القيامة الصغرى على الأبواب -الجزء الثاني بعنوان: المدخل إلى علم أشراط الساعة بمنهج المطابقة-، فاروق الدسوقي، ط١، بدون دار، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٩٢. القيامة الصغرى على الأبواب -الجزء الرابع- «أمارات القيامة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية»، فاروق الدسوقي، ط١، بدون دار، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٩٣. القيامة الصغرى، عمر بن سليمان الأشقر، ط٢، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤٩٤. الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبدالكريم عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، بيروت: دار صادر للطباعة للنشر، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٤٩٥. كتاب الجغرافيا، علي بن موسى بن سعيد المغربي، تحقيق: إسماعيل العربي، ط١، بيروت: المكتب التجاري، ١٩٧٠م.

٤٩٦. الكتاب المقدس «كتاب الحياة»، تم جمعه في: جي. سي. سنتر، مصر الجديدة: القاهرة، ١٩٨٨م.

٤٩٧. الكتاب المقدس سفراً سفراً، عايد هنري، بدون ط، جزيرة بدران: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٥م.

٤٩٨. الكتاب المقدس والاستعمار، مايكل بريور، ترجمة: وفاء بجاوي، مراجعة وتقديم: أحمد الشيخ، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٤٩٩. الكتاب المقدس والسيف «انجلترا وفلسطين من العصر البرونزي إلى بلفور»،

باربارا توخمان، تعريب: منى عثمان ومحمد طه، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٥٠٠. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

٥٠١. كتاب النبوات، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ط١، تحقيق: عبدالعزيز بن صالح الطويان، الرياض: مكتبة أضواء السلف، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٠٢. الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، ط٢، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.

٥٠٣. كتب حذر منها العلماء، مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥٠٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود ابن عمر الزمخشري، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٥٠٥. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد بن العجلوني، أشرف على طبعه وتصحيحه والتعليق عليه: أحمد القلاش، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٠٦. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالعزيز القسطنطيني الرومي الحنفي، المعروف بحاجي خليفة، بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥٠٧. كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٥٠٨. كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدُّون، مازن محمد السرساوي، ط١، القاهرة: المكتبة الإسلامية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥٠٩. الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد المعروف بالثعلبي، دراسة وتحقيق: محمد بن عاشور، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٥١٠. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٥١١. الكنز الجليل في تفسير الإنجيل، وليم إدي، بدون ط، بيروت: مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ١٩٧٣م.
٥١٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، ط٢، قدم له: مصطفى أحمد الزرقا، وحسن ظاظا، دمشق: دار القلم-بيروت: دارة العلوم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥١٣. كهنة الحرب الكبار، مايكل كولينز بايبر، نقله إلى العربية: عبداللطيف أبو البصل، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٥١٤. كيف نفهم علم اللاهوت؟، ر.ت. كندل، بدون ط، ترجمة: منيس عبدالنور، P.T.W للترجمة والنشر بالاشتراك مع الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة، ٢٠٠٥م- ٢٠٠٦م.
٥١٥. اللباب في تهذيب الأنساب، علي بن الأثير الجزري، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٥١٦. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٥١٧. لسان العرب، ابن منظور، بدون ط، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٥١٨. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتنى به: عبدالفتاح أبو غدة، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
٥١٩. لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان، محمد صديق حسن خان،

ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٥٢٠. لماذا يكرهونه؟! «الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام ﷺ»، باسم خفاجي، ط١، الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٢١. لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، ط٣، الرياض: دار الهدى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٥٢٢. لوامع الأنوار البهية وسوطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، محمد السفاريني، بدون ط، مصر: مطبعة المدني، بدون تاريخ.

٥٢٣. اللوبي الإسرائيلي والسياسية الخارجية الأمريكية، جون مير شايمر وستيفن وولت، ترجمة: إبراهيم الشهابي، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٥٢٤. المؤامرة «معركة الأرماجدون.. وصراع الحضارات»، محمد الحسيني إسماعيل، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٥٢٥. المؤامرة الكبرى على بلاد الشام «دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين»، محمد فاروق الخالدي، ط١، الدمام: دار الراوي، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٢٦. ما قبل الدمار مرة أخرى!! احذروا وانتبهوا المسيح الدجال على الأبواب، محمد عيسى داود، بدون ط، القاهرة: دار البشير،بدون تاريخ.

٥٢٧. ما قبل نهاية التاريخ ظهور قائم آل محمد المهدي المنتظر، جعفر عتريسي، ط١، بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥٢٨. ما لا بد أن يصير بعد هذا، عادل عزمي عبدالشهيد، بدون معلومات.

٥٢٩. ماذا خسر العالم بوجود الكتاب المقدس، علاء أبو بكر، ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥٣٠. الماضي والمستقبل في نبوات دانيال، إبراهيم صبري، بدون معلومات.

٥٣١. مالا يعرفه مسيحيو الولايات المتحدة عن إسرائيل، غريس هالسل، مطبوع ضمن المال والإعلام في الفكر اليهودي والممارسة الصهيونية، تقديم وتحرير: أسعد السحمراني، ط١، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٥٣٢. مباحث في علوم القرآن، منّاع القطان، ط١ للطبعة الجديدة، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٥٣٣. المبسوط، شمس الدين السرخسي، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٥٣٤. المبشرات بانتصار الإسلام، يوسف القرضاوي، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٥٣٥. المتدينون اليهود في فلسطين «فرق.. ومواقف» عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى، ط١، الرياض: كنوز أشبيليا، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٥٣٦. متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر الطحاوي الحنفي، ط١، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٧هـ.
٥٣٧. متى الساعة؟ «الأحاديث الصحيحة التي جاءت في علامات الساعة الصغرى والكبرى وأحداث يوم القيامة»، حاتم جميل السحيمات، ط١، عمّان: دار العلوم، ٢٠٠٥م.
٥٣٨. المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني، عبدالمجيد همو، ط١، دمشق: الأوائل، ٢٠٠٣م.
٥٣٩. المجتمع الإسرائيلي، -اليهودي- أفيفا أفيف، ترجمة وتعليق: محمد أحمد صالح، بدون ط، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، ١٩٩٨م.
٥٤٠. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط١، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ-١٩٧٨م.
٥٤١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ط١، القاهرة: مكتبة القدس للطبع والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٥٤٢. مجمل تاريخ العالم من بدء الخليقة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ف. م. هلير، ترجمة: إبراهيم ميخائيل عودة، بدون ط وت، دار اليقظة العربية.

٥٤٣. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، بدون ط، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، وساعده ابنه محمد، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥٤٤. المجيء الثاني للمسيح بين الإدعاءات الصهيونية والحقائق الدينية، نصر الله زكريا، بدون ط، القاهرة: مكتبة دار الكلمة، ٢٠٠٣م.

٥٤٥. المجيء الثاني متى يكون؟ وما هي علاماته؟، عبدالمسيح بسيط أبو الخير، ط٣، بدون دار، ٢٠٠٤م.

٥٤٦. المجيء الثاني، براين جيه بايلي، بدون ط، p.t.w، بدون تاريخ.

٥٤٧. محاضرات في النصرانية «تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم»، محمد أبو زهرة، ط٣، القاهرة: دار الفكر، ١٣٨١هـ-١٩٦١م.

٥٤٨. المحافظون الجدد قراءة في خرائط الفكر والحركة، أميمة عبداللطيف، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٤٩. المحافظون الجدد والمسيحيون الصهيونيون، جهاد الخازن، ط١، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٥م.

٥٥٠. المحافظون الجدد، إرون سلزر، نقله إلى العربية: فاضل جتكر، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥٥١. المحلى شرح المجلّى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٥٥٢. محمد ﷺ مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين، جورج بوش، ترجمة وتحقيق وتعليق: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، بدون ط، الرياض: مكتبة المريخ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٥٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط١، بيروت: دار الهلال، ١٩٨٣م.

٥٥٤. مختصر اختلاف العلماء، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، دراسة وتحقيق: عبدالله نذير أحمد، ط٢، بيروت: دار البشائر، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٥٥٥. مختصر الشمائل المحمدية، لأبي عيسى محمد بن سوره الترمذي، اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٥٥٦. مختصر الصواعق المرسلة، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط١،، تحقيق: سيد إبراهيم، القاهرة: دار الحديث، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢.

٥٥٧. مختصر المزني، مطبوع مع كتاب الأم للشافعي، بدون ط، بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ.

٥٥٨. مختصر تاريخ الكنيسة، أندروملر، ط٤، شبرا: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٣م.

٥٥٩. مختصر شرح سفر الرؤيا، يوسف رياض، ط٤، بدون دار، ٢٠٠٥م.

٥٦٠. المخصّص، علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الجديدة.

٥٦١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط١، مصر: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٥٦٢. المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز، بدون ط، القاهرة: دار الثقافة، بدون تاريخ.

٥٦٣. المدخل إلى العهد القديم، صموئيل يوسف، ط٢، القاهرة: دار الثقافة، ٢٠٠٥م.

٥٦٤. مدخل إلى تاريخ نقد العهد القديم واتجاهاته، أحمد محمود هويدي، بدون ط، دار الثقافة العربية، بدون تاريخ.

٥٦٥. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبدالقادر بن بدران الدمشقي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٥٦٦. المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، محمد علي البار، ط١، دمشق: دار القلم - بيروت: الدار الشامية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٥٦٧. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية: عثمان جمعة ضميرية، ط٢، جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٥٦٨. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس- رواية: سحنون بن سعيد التنوخي، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٣هـ.

٥٦٩. المراسيل، عبدالرحمن ابن أبي حاتم الرازي، اعتنى به: شكر الله نعمة الله قوجاني، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٥٧٠. مراصد الاطّلاع عن أسماء الأمكنة والبقاع، عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٥٧١. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، تحقيق: صدقي محمد جميل العطار، مكة: المكتبة التجارية.

٥٧٢. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، عبدالإله بن سليمان بن سالم الأحمدي، ط١، الرياض: دار طيبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٥٧٣. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي، بيروت: دار الكتاب العربي.

٥٧٤. المستصفى من علم الأصول، أبو جامد محمد بن محمد الغزالي، ط١، مصر:

المطبعة الأميرية، ١٣٢٢هـ.

٥٧٥. المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ، محمد عليّ البار، ط١، جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٧٦. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الجارود، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، ط١، مصر: دار هجر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٧٧. مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، ط١، دمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٥٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، وطبعة الشيخ أحمد محمد شاكر، مصر: دار المعارف، ١٣٧٧هـ - ١٩٨٥م.

٥٧٩. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٥٨٠. المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج القشيري، إشراف: صالح آل الشيخ، ط١، الرياض: دار السلام، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٨١. المسودة في أصول الفقه، آل تيمية، بدون ط، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: مطبعة المدني، بدون تاريخ.

٥٨٢. المسيّا المنتظر نبي الإسلام ﷺ، أحمد حجازي السقا، ط١، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٥٨٣. المسيح عليه السلام بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي، بدون ط، القاهرة: دار الفضيلة، بدون تاريخ.

٥٨٤. المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى، سعيد أيوب، ط٤،

القاهرة: دار الفتح للإعلام العربي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٥٨٥. المسيح القادم يهودي سفّاح، جورجي كنعان، ط١، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٤م.

٥٨٦. المسيح المخلص في المصادر اليهودية والمسيحية، نقله عن العبرية: نبيل أنسى الغندور، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م.

٥٨٧. المسيح المنتظر بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى عرض ونقد، علي بن صالح بن محمد المقوشي، رسالة دكتوراه، مقدمة إلى قسم العقيدة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ.

٥٨٨. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود، محمد علي البار، ط٢، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٥٨٩. المسيح المنتظر ونهاية العالم، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، ط٧، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٥٩٠. المسيح اليهودي ونهاية العالم «المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية»، رضا هلال، ط٣، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٩١. المسيح إنسان أم إله، محمد مجدي مرجان، بدون ط، تهذيب وتحقيق تحقيق وتعليق: عبدالرحمن دمشقية، مكتبة الحرمين، بدون تاريخ.

٥٩٢. المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبدالكريم الخطيب، ط١، مصر: دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٥٩٣. المسيحية والتوراة، شفيق مقار، ط١، لندن-قبرص: رياض الريس، ١٩٩٢م.

٥٩٤. المسيحية، أحمد شلبي، ط١٠، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٠م.

٥٩٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى عياض، تصحيح مكتب البحوث والدراسات، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٥٩٦. المُشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.
٥٩٧. مشكاة المصابيح، محمد الخطيب التبريزي، ط٣، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٥٩٨. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، أحمد بن أبي بكر الكناني البوصيري، تحقيق وتعليق: موسى محمد علي وعزّت علي عطيّة، القاهرة: مطبعة حسّان، ١٩٨٣م.
٥٩٩. مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، ط١، تحقيق وتخريج وتعليق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل أحمد، الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٦٠٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد الفيومي، بدون ط، بيروت: المكتبة العلمية، بدون تاريخ.
٦٠١. المصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، بيروت: منشورات المجلس العلمي، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٦٠٢. المصنف، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، ط١، بيروت: دار قرطبة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٦٠٣. مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية، أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني، ط٨، القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٦٠٤. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبذيله المستزاد من إتحاف الخير للبوصيري، ضبطه وأخرجه: أيمن علي أبو يماني، وأشرف صلاح علي، ط١، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٠٥. مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي الرحيباني، ط٢، دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦٠٦. معالم التنزيل المسمى تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، ط٢، الرياض: دار طيبة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٠٧. معالم السنن شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تخريج: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩١م.

٦٠٨. معالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٦٠٩. معالم في الطريق، سيد قطب، ط١٠، بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦١٠. معالم في أوقات الفتن والنوازل، عبدالعزيز بن محمد السدحان، ط٢، حوطة سدير: مطبوعات المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات، ١٤٢٥هـ.

٦١١. معالم ومنارات في تنزيل أحاديث الفتن وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث، عبدالله صالح العجيري، منشور ضمن موقع الدرر السنية على شبكة الانترنت.

٦١٢. المعتمد في أصول الفقه، أبو الحسين محمد علي الطيب البصري، تحقيق: محمد حميد الله، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٦١٣. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦١٤. معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦١٥. معجم الفتن والملاحم، محمود بن مهدي الموسوي الده سرخي الأصفهاني، ط١، بدون دار، ١٤٢٠هـ.

٦١٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، ط٢، حققه وخرجه: حمدي عبدالمجيد السلفي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٦١٧. معجم اللاهوت الكتابي، إصدار مجموعة من آباء الكنيسة، ط٥، بيروت: دار المشرق، ٢٠٠٤م.

٦١٨. معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، اعتنى به: مكتب التراث بمؤسسة الرسالة، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦١٩. المعجم المختص بالمحدثين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط١، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، الطائف: مكتبة الصديق، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦٢٠. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث لبلادي، ط١، مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٦٢١. المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، ط٤، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٦٢٢. معجم بلدان فلسطين، محمد محمد حسن شراب، ط٢، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٦٢٣. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط٢، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.

٦٢٤. معرفة الثقات، أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي، تحقيق: عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، ط١، مكتبة الدار، ١٤٠٥هـ.

٦٢٥. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: سيد كسردي حسن، ط١، بيروتك دار الكتب العربية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٦٢٦. معرفة الصحابة، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران الأصفهاني،

تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ط١، الرياض: دار الوطن، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٦٢٧. المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، عبدالله بن محمد القرني، ط١، مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٩هـ.
٦٢٨. معركة آخر الزمان ونبوءة المسيح منقذ إسرائيل، ياسر حسين، ط١، الجيزة: دار الأمين، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٦٢٩. معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، عبدالعزيز مصطفى كامل، بدون ط، الرياض: إصدارات مجلّة البيان، بدون تاريخ.
٦٣٠. معركة النهاية هرمجدون، إيهاب كمال محمد، ط١، دار مصطفى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
٦٣١. معركة هرمجدون ونزول عيسى والمهدي المنتظر بين النفي والإثبات في التوراة والإنجيل والقرآن، أحمد حجازي السقا، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٣م.
٦٣٢. مغالطات اليهود وردُّها من واقع أسفارهم، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٦٣٣. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، محمد الشربيني الخطيب،مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
٦٣٤. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، لأبي الفضل زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، اعتنى به: أشرف بن عبدالمقصود، ط١، الرياض، مكتبة طبرية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٦٣٥. المغني في الضعفاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: نور الدين عتر، بدون ط، قطر: مطابع الدوحة، بدون تاريخ.
٦٣٦. المغني، عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، القاهرة: هجر، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

٦٣٧. المفاجأة بشراك يا قدس، محمد عيسى داود، ط٣، القاهرة: مدبولي الصغير، بدون تاريخ.
٦٣٨. مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، ط٧، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٦٣٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: حسان عبدالمنان الطيبي وعصام فارس الحرستاني، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٦٤٠. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت: دار المعرفة.
٦٤١. مفصل العرب واليهود في التاريخ «حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية»، أحمد سوسة، ط٥، العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، ١٩٨١م.
٦٤٢. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين وآخرين، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٦٤٣. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح، عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري «المعروف بابن الصلاح»، توثيق وتحقيق: عائشة بنت عبدالرحمن «بنت الشاطئ»، بدون ط، مصر: مكتبة دار الكتب، ١٩٧٤م.
٦٤٤. مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ط٥، بيروت: دار القلم، ١٩٨٤م.
٦٤٥. مقدمة في أصول الحديث، عبدالحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي، تحقيق: سلمان الحسيني الندوي، ط١، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٦٤٦. مقدمة في الأصولية المسيحية في أمريكا والرئيس الذي استدعاه الله وانتخبه الشعب الأمريكي مرتين، عادل المعلم، ط٣، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٦٤٧. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، ط١، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٤٨. مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، ط٢، بيروت: دار الشروق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٤٩. مكمل إكمال الإكمال، محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسني، ضبطه محمد سالم هاشم، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، مطبوع مع صحيح مسلم، وإكمال إكمال المُعَلم، الأُبيّ.

٦٥٠. ملاحم ابن أبي عقب «من الكتب التي حذر منها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله» مطبوع مع موقف خليل بن أيبك الصفدي من شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية رحمه الله، محمد بن عبدالله القونوي، ط١، الرياض: دار أضواء السلف، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٦٥١. الملاك يوجه العاصفة «أسفار الرؤيا والامبراطورية الأمريكية»، مايكل نورثكوت، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦٥٢. ملامح المستقبل، محمد بن حامد الأحمري، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٦٥٣. ملحمة أرض الرسالات، تحقيق: عدنان علي رضا النحوي، ط١، الرياض: دار النحوي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٥٤. الملك الألفي «ملك الألف سنة في المفهوم الأرثوذكسي»، سيداروس عبدالمسيح، بدون ط، مصر: مكتبة مار جرجس، ٢٠٠٣م.

٦٥٥. ملكوت السموات وملكوت الأرض «أنواع الملكوت كما جاء في العهد الجديد»، رشاد فكري، ط٢، بدون دار، ٢٠٠٤م.

٦٥٦. الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، ط٣،تحقيق: أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٦٥٧. من أجل صهيون «التراث اليهودي - المسيحي في الثقافة الأمريكية»، فؤاد شعبان، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦٥٨. من اليهودية إلى الصهيونية «الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني»، أسعد السحمراني، ط٢، بيروت: دار النفائس، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٦٥٩. من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟ أسئلة الهوية والأزمة الصهيونية، عبدالوهاب المسيري، مخطوط لم يُنشر بعد، وقد أرسله مؤلفه رحمه الله للباحث.

٦٦٠. من يجرؤ على الكلام، بول فندلي، ط١٥، بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠٢م.

٦٦١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٦٢. مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر «دراسة لمناهج الفكر الإسلامي المعاصر وللعناصر المنهجية في دراسة أصول الدين»، عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، ط١، الرياض: دار اشبيليا، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦٦٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني، بدون ط، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

٦٦٤. المنة الكبرى في النجاة من الفتن وذكر أشراط الساعة الصغرى والكبرى، محمود الغرباوي، ط١، دمشق-القاهرة:دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

٦٦٥. منّة المنعم في شرح صحيح مسلم، صفي الرحمن المباركفوري، ط١، الرياض: مكتبة السلام، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٦٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، دراسة وتحقيق: محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ-١٩٩٥م.

٦٦٧. المنتقى في الأحكام الشرعية من كلام خير البرية ﷺ، مجد الدين أبو البركات عبدالسلام بن تيمية الحراني، ط١، تحقيق وتعليق: طارق بن عوض الله بن محمد، الدمام: دار ابن الجوزي، رجب ١٤٢٣هـ.

٦٦٨. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد عثمان الذهبي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب، ط١، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٦٩. المنظمات الصهيونية المسيحية وخطرها على المسلمين، أحمد تهامي سلطان، بدون ط، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، بدون تاريخ.

٦٧٠. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٦٧١. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، ط٤، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٧٢. المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة، عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، ط١، مكة المكرمة: المكتبة المكية- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٧٣. المهدي في مواجهة الدجال، منصور عبدالحكيم، ط١، دمشق- القاهرة: دار

الكتاب العربي، ٢٠٠٧م.

٦٧٤. المهدي، محمد أحمد إسماعيل المقدّم، ط٨، الإسكندرية: الدار العالمية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٦٧٥. المهدية في الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم «دراسة وافية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي»، سعد محمد حسن، ط١، مصر: دار الكتاب العربي، ١٣٧٣هـ- ١٩٥٣م

٦٧٦. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار «المعروف بالخطط المقريزية»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي المقريزي، بيروت: دار صادر.

٦٧٧. الموافقات في أصول الأحكام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر: مطبعة المدني، ١٩٧٠م.

٦٧٨. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبدالله بن محمد الجلعود، ط١، المنصورة: دار اليقين والرياض: دار الفرقان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٧٩. موانع إنفاذ الوعيد، عيسى بن عبدالله السعدي، ط١، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ.

٦٨٠. موسوعة ١٠٠٠ حدث إسلامي، عبدالحكيم العفيفي، ط١، بيروت: أوراق شرقية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٦٨١. موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة «موسوعة تصنيفية منهجية لأحاديث الكتب الستة ومسند الإمام أحمد ورواياتها من كتب السُنّة»، همام عبدالرحيم سعيد وابنه محمد، ط١، الرياض: جهاد الأستاذ للنشر، ١٤٢٨هـ.

٦٨٢. موسوعة الحقائق الكتابية، برسوم ميخائيل، شبرا: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٤م.

٦٨٣. الموسوعة العربية العالمية، ط٢، الرياض: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٦٨٤. موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبدالمنعم الحفني، ط٢، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.

٦٨٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط: مانع بن حماد الجهني، ط٣، الرياض: دار الندوة العالمية، ١٤١٨هـ.
٦٨٦. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبدالمنعم الحفني، ط١، بيروت: دار المسيرة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٦٨٧. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبدالوهاب المسيري، ط١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م.
٦٨٨. الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة، عبدالعليم عبدالعظيم البستوي، ط١، مكة المكرمة: المكتبة المكية- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦٨٩. الموقظة في مصطلح الحديث، محمد بن أحمد الذهبي، ط١، شرح وتعليق: عمرو عبدالمنعم سليم، دار أُحد، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٦٩٠. موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، محمد السماك، ط٢، بيروت: دار النفائس، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦٩١. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة عرضاً ونقداً، سليمان بن صالح بن عبدالعزيز الغصن، ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٦٩٢. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٦٩٣. موقف المسلم من الفتن، محمد بن عمر بن سالم بازمُول، ط١، القاهرة: دار الاستقامة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٦٩٤. ميثاق النبيين، عبدالوهاب عبدالسلام طويلة، بدون ط، جدة: دار القبلة، ودمشق: مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٦٩٥. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد

علي البجاوي، ط١، مصر: دار إحياء التراث، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

٦٩٦. ناستراداموس الألفية الجديدة، جون هوغ، ط١، ترجمة وتعليق: محمد الواكد، دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٦م.

٦٩٧. نبوءات الرسول ﷺ «أشراط الساعة وما حصل منها للآن وما لم يحصل»، حسام سليمان الأسعد، ط١، عمّان: دار النفائس، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٦٩٨. النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ط٤، ترجمة: محمد السمّاك، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٦٩٩. نبوة جبل الزيتون، رشاد فكري، بدون ط، بدون دار، ٢٠٠٢.

٧٠٠. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، الرياض: دار الصميعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٧٠١. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد الحمودي الحسني، مصر: مكتبة الثقافة الدينية - دار المناهل، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٧٠٢. نزهة النظر في شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧٠٣. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ط٢، الإسكندرية: مطبعة دار نشر الثقافة، ١٩٦٢م.

٧٠٤. نصارى الغرب المتصهينون يرقصون على طبول هرمجدون، معتز محمد هاشم الجعبري، ط١، عمّان: دار عالم الثقافة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧٠٥. النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج، ط١، دمشق: دار القلم- بيروت: الدار الشامية، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٧٠٦. النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، عرفان عبدالحميد فتاح، ط١،

عمّان: دار عمار، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٧٠٧. النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٤م.
٧٠٨. النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، محمد عثمان صالح، ط١، المدينة المنورة: مكتبة ابن القيم، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
٧٠٩. النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، غيزا فيرم، ترجمة وتقديم: سهيل زكار، ط١، دمشق: دار قتيبة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
٧١٠. النظام العالمي الجديد هل هو مقدمة للنظام العالمي الإلهي، بات روبرتسون ومجدي منير، ترجمة: لويس كامل، بدون ط، القاهرة: لوجس سنتر، بدون تاريخ.
٧١١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج واعتناء: عبدالرزاق غالب المهدي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٧١٢. نظم العقيان في أعيان الأعيان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فيليب حتي، بيروت: دار الكتب العلمية.
٧١٣. نظم المتناثر من الحديث المتناثر، لأبي الفيض جعفر الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني، ط١، فاس: المطبعة المولوية، ١٣٢٨هـ.
٧١٤. النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، فؤاد بن سعيد الرفاعي، ط١، القاهرة: مركز التنوير الإسلامي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٧١٥. نقد التوراة «أسفار موسى الخمسة»، أحمد حجازي السقا، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٥م.
٧١٦. النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر العسقلاني، تحقيق ودراسة: ربيع بن هادي عمير، ط١، المجلس العملي لإحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٧١٧. النكت على نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق:

علي حسن عبدالحميد، ط٣، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٧١٨. نهاية إسرائيل المعاصرة ومعركة الخلاص، عايد طه ناصف، ط١، بدون دار، ٢٠٠٣م.

٧١٩. نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية من؟ ومتى؟ وكيف؟ دراسة تحليلية في القرآن والسنة والتوراة والإنجيل، خالد عبدالواحد، الإصدار الرابع، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، منشور على شبكة الانترنت.

٧٢٠. نهاية إسرائيل، صبري أبو المجد، بدون ط، بيروت: الشركة العربية، ١٩٦٠م.

٧٢١. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبدالوهاب النويري، تحقيق: أحمد كمال زكي ومحمد مصطفى زيادة، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتب، ١٩٨٠م.

٧٢٢. نهاية التاريخ دراسة شرعية تأصيلية جادة، تركي بن عيسى العبدلي، ط١، الجهراء: دار عراس، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧٢٣. نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكوياما، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط١، القاهرة: مركز الأهرام، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٧٢٤. نهاية العالم وأشراط الساعة، منصور عبدالحكيم، ط١، دمشق- القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

٧٢٥. نهاية العالم، مصطفى مراد، ط١، القاهرة: دار الفجر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧٢٦. نهاية اليهود، محمد عزت محمد عارف، بدون ط، مؤسسة بدران للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.

٧٢٧. النهاية في الفتن والملاحم، إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي، تخريج وتعليق: خليل مأمون، ومحمد خير طعمة، ط٤، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٧٢٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ط١، مصر: دار إحياء الكتب العربية،

١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٧٢٩. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد علي الشوكاني، حققه واعتنى به: محمد حلّاق، وعز الدين خطاب، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

٧٣٠. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، شمس الدين محمد بن أبو بكر بن قيم الجوزية، خرّج أحاديثه وعلّق عليه: مصطفى أبو النصر الشلبي، ط٢، جدّة: مكتبة السوادي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٧٣١. الهدة ويلكِ أمريكا من كويكب العذاب، محمد عيسى داود، بدون ط، القاهرة: مدبولي الصغير، بدون تاريخ.

٧٣٢. هدم الأقصى وهزيمة أمريكا وزوال إسرائيل في مذبحة هرمجدون على أيدي أبناء النيل، فاروق محمد نجلا، بدون ط، بدون دار، بدون تاريخ.

٧٣٣. هرمجدون آخر بيان.. يا أمة الإسلام، أمين محمد جمال الدين، بدون ط، مصر: المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

٧٣٤. هرمجدون، محمود النجيري، ط١، الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٣م.

٧٣٥. هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس، ماجد عرسان الكيلاني، ط١، عمّان: دار الفرقان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٧٣٦. هل العهد القديم كلمة الله؟، منقذ بن محمود السقار، مطبوع ضمن سلسلة الهدى والنور، (بدون معلومات نشر).

٧٣٧. هل يشاهد جيلنا نهاية العالم، مجموعة من خدّام الإنجيل، بدون معلومات.

٧٣٨. هلاك ودمار أمريكا المنتظر، هشام كمال عبدالحميد، بدون ط، القاهرة: دار البشير، بدون تاريخ.

٧٣٩. وادي الرؤيا في تفسير رؤيا حزقيال، أو «إحياء عظام بني إسرائيل، هل يتحول اليهود للمسيحية كشرط لعودة المسيح؟»، جورج بوش، ترجمة وتحقيق وتعليق: عبدالرحمن عبدالله الشيخ، بدون ط، الرياض: مكتبة المريخ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧٤٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفوي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٧٤١. واقعنا المعاصر، محمد قطب، ط٣، الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٧٤٢. وحي الكتاب المقدس، يوسف رياض، ط٤، شبرا: مكتبة الإخوة، ٢٠٠٥م.

٧٤٣. وفيّات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بدون ط، بيروت: دار الثقافة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٧٤٤. يأجوج ومأجوج قادمون، هشام كمال عبدالحميد، ط١، دمشق-القاهرة:دار الكتاب العربي، ٢٠٠٦م.

٧٤٥. اليدُ الخفيّة «دراسة في الحركات اليهودية الهدّامة والسرّية»، عبدالوهّاب المسيري، ط٣، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٧٤٦. يد الله «لماذا تضحي الولايات المتحدة بمصالحها من أجل إسرائيل»، غريس هالسل، ط٢، ترجمة: محمد السمّاك، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٧٤٧. اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد، فيصل بن علي الكاملي، ط١، الرياض: مجلة البيان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٧٤٨. يقظة العالم اليهودي، إيلي ليفي أبو عسل، ط١، القاهرة: دار الفضيلة، ٢٠٠٣م.

٧٤٩. اليهود والصليبيون الجدد «الدجل الديني والسياسي»، محمد يونس هاشم، ط١، مصر: دار الإبداع، ٢٠٠٥م.

٧٥٠. اليهودي العالمي «المملكة اليهودية.. نظرة أمريكية»، هنري فورد، ترجمة أميمة

عبداللطيف وآخرون، ط١، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٧٥١. اليهودية رؤية في الصراع بين العلمانية والدين، يعقوب ملكين، ترجمه من اللغة العبرية: أحمد كامل راوى، بدون ط، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٧٥٢. اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان عبدالحميد فتاح، ط١، عمّان: دار عمار-بيروت: دار البيارق، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٧٥٣. اليهودية، أحمد شلبي، ط١٢، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٧م.

٧٥٤. اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: ربيع بن محمد السعودي، ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١١هـ١٩٩٩م.

٧٥٥. اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، فرج الله عبدالباري أبو عطا الله، ط٢، المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٧٥٦. يوم الخلاص في ظل القائم المهدي، كامل سليمان، ط١١، بيروت: دار المحجة البيضاء، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٧٥٧. يوم الرب العظيم المسمى معركة هرمجدون في التوراة والإنجيل والقرآن، أحمد أحمد علي السقا، ط٢، دمشق-القاهرة: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٤م.

٧٥٨. يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب؟! «قراءة تفسيرية لنبوءات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل»، سفر بن عبدالرحمن الحوالي، بدون معلومات.

٧٥٩. يوم الله «الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث»، جيل كيبيل، ترجمة: نصير مروة، ط١، در قرطبة، ١٩٩٢م.

الدوريـــات والمجـــــــلات:

٧٦٠. مجلة البيان، عدد: ٢٢٦، جمادى الآخرة، ١٤٢٧هـ.

٧٦١. مجلة التاريخ العربي، العدد: ١٦، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، والعدد: ١٧، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٧٦٢. مجلة الجندي المسلم، العدد: ١١١، ربيع الأول- جمادى الآخرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م، والعدد: ٦٠، جمادى الآخرة ١٤١١هـ - ديسمبر ١٩٩٠-١٩٩١م.

٧٦٣. مجلة المراعي الخضراء، مجلة نصرانية شهرية، من إصدار كنيسة الإخوة بمصر.

٧٦٤. مجلة المنار، دار الوفاء، أعداد: صفر، ١٣٢٢هـ-١٩٠٤م، وربيع الآخر، ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م، ورجب ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٧٦٥. مجلة دراسات استراتيجية العددين:٦، ٧، ٢٠٠٢-٢٠٠٣م.

٧٦٦. مجلة مختارات إسرائيلية، عددي: ١٥٣، ١٥٤، السنة الثالثة عشرة، سبتمبر، وأكتوبر: ٢٠٠٧م، تصدر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة.

٧٦٧. مستقبل العالم الإسلامي... تحدّيات في عالم متغير، تقرير ارتيادي استراتيجي سنوي يصدر عن مجلّة البيان، الإصدار الثاني ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

مواقـــــع الإنترنـــــت:

٧٦٨. منتدى الإبداع الفكري ضمن منتديات الإسلام اليوم

(MUNTADA.ISLAMTODAY.NET).

٧٦٩. موقع الحملة العالمية لمكافحة العدوان (QAWIM.NET/INDEX.PHP).

٧٧٠. موقع الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي (WWW.ALHAWALI.COM).

٧٧١. موقع العربية (WWW.ALARABIYA.NET).

٧٧٢. موقع قناة الجزيرة على شبكة الانترنت، فيلم: «معسكرات يسوع»

(WWW.ALJAZEERA.NET/PORTAL) .

٧٧٣. موقع مجلّة مكتوب الأخبارية «أخبار مكتوب»

.(NEWS.MAKTOOB.COM).

فهرس الموضوعات